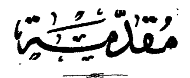
كتاب

كشف الغطاء

عن حقائق التوحيد وعقائد
الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين
ومن خالفهم من المبتدعين
وبيان حال ابن عربي
واتباعه المارقين

تاليف

الحسين بن عبد الرحمن الاهدل اليمني



أنشر هذا الكتاب معتمدا على نسخة واحدة نظرا لأهمية المواضيع التي يطرقها ، والى الجدال العنيف الذى يشب بين المتصوفة وأهل السنة ، وخصوصا موقف السنيين من شخصية كبيرة اختلف الناس فيها بين معجب مقدس ومكفر مفلس ٠ وهذه الشخصية هى ابن عربى الفيلسوف المتصوف ، الأندلسى المنشأ والدمشقى المهجر والمدفن ٠

جمع مؤلف هذا الكتاب عقائد أهل السنة ومن كان على عقيدتهم من المتصوفة ليقارن بينهم وبين ابن عربى وأصحابه ، ومن تفرع عن معتقدهم من القائلين بوحدة الوجود ٠ فهو يهم الباحث فى هذا الميدان ، كما يعطى أسماء وحوادث تتعلق بهذا الموضوع فى اليمن ذلك البلد الذى لا نعرف عنه الا القليل ٠

وانى أعرف أن للكتاب نسخا اخرى يوجد بعضها ببرلين واستنبول وربما بدمشق ٠ ولكن من كانت وسائله محدودة وحيلته قليلة مثلى ، لا يستطيع ان يعمل احسن من هذا ٠٠٠ فالى الذين لا يعملون ويؤذى أنفسهم أن يعمل الآخرون : أن ينزلوا الى ميدان العمل ويتركوا استنقاص الناس جانبا ويعملوا ولو قليلا ، عندئذ سيرون ما يجابه الناشر والمؤلف من المشاكل المادية والمعنوية والفنية . . . ؟

وانى لأنتهز هذه الفرصة لأداء الحق لأهله وأثنى على ما يبديه سيادة الأستاذ القليبى كاتب الدولة للثقافة والارشاد من اهتمام لنشر تراثنا الانسانى ولما يبديه مساعدوه من عناية بالناشرين والكتاب ٠

وأسأل البارىء أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، ويوفقنا الى العمل الجدى المفيد ٠ وما توفيقى الا بالله ، هو حسبى ونعم الوكيل ٠

تونس فى فيفرى 1964

احمد بكير محمود ٠

التعريف بالمؤلف

الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي ابن أبي بكر بن علي بن الأهدل الشريف الحسيني الشافعي يعرف بابن الأهدل بدر الدين .

لم تعطه المصادر حقه ، وكل ما تجده عند الشوكاني تجده عند السخاوي في الضوء اللامع ومن جاء بعدهما أخذ عنهما ، فكانت ترجمته وجيزة مقتضبة في بعض أسطر . قال عنه الشوكاني : عالم اليمن في وقته ، دارت عليه الفتيا ورحل اليه الطلاب من كل بلاد المشرق . فقيه أصولي متكلم ، محدث، مؤرخ اليمن في وقته . ولد بالفخرية من بلاد اليمن حوالي سنة 779 تقريبا ونشأ بها . وتوفي في 9 محرم سنة 855 ــ 1480 .

له تصانيف عدة ذكر منها مؤرخوه : كتابه هذا : كشف الغطاء عن حقائق التوحيد والموحدين وذكر الأئمة الأشعرين ومن خالفهم من المبتدعة المارقين وذكر حال ابن عربي وجماعته الزنادقة الملحدين . وله حاشية على البخاري انتقاها من شرح الكرماني مع زيادة سماها : مفتاح القاري بجامع البخاري ومفتاح الزمان المفتتح بسيد ولد عدنان . مرآة الجنان وتاريخ سادات اليمن . المطرب للسامعين في مختصر روض الرياحين . اللمعة المقنعة في ذكر فرق المبتدعة . الرسائل المرضية في نصرة منهب الأشعرية وبيان فساد منهب الحشوية . هذا كل ما وجدناه عن ابن الاهدل (1)

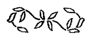
---

(1) انظر ــ البدر الطالع للشوكاني ج 1 ــ ص 218
الضوء اللامع للسخاوي ج 3 ــ ص 145
القول المنبي للسخاوي مخطوط
بروكلمان ج 2 ــ رقم 195 ــ الذيل 2 ــ ص 238 ــ 9

كشف الغطاء

اعتمدنا في نشر هذا المخطوط على نسخة كانت عند صديق لي يظن انها قديمة ووحيدة وبعد البحث في فهارس المكتبات تبين أن هذه النسخة كتبت منذ عشرين سنة عن أصلها الموجود بمكتبة المرحوم الشيخ بلحسن النجار وهي بمكتبة الجامعة التونسية تحت عدد 10362 حجمها 26/19 اوراقها 171 في كل صفحة 27 سطرا . كتبت بخط مشرقي ، ويرجع تاريخ نسخها الى سنة 899 هـ . كتبت من مسودة المؤلف كما يقول ناسخها ، وتاريخ نسخها قريب من عهد المؤلف . فلم نعتمد على النسخة الأخرى لأنها لا تمتاز في شيء عن الأصلية ، اذ صورها ناسخها كما هي بكمالها ونقصها ـ وبهذه النسخة عيب واحد : هو نخر السوس الذي ذهب بجمل وكلمات كثيرة في آخر الكتاب وبعض صفحاته .

وفي تحقيقنا لهذا المخطوط لم نعتمد الا على أقوال العلماء الواردة في نص هذا الكتاب ، فرجعنا الى ما وجدناه وسهل تناوله من استشهاداته في كتب اخرى . وقد صادفنا الكثير من الأخطاء النحوية والرسمية والتحريف والتصحيف وأظنها من الناسخ ، فصححنا ما أمكن ، وجعلناه بين قوسين . وما لم نهتد اليه كتبناه كما هو ، وأردفناه أحيانا بعلامة استفهام . كما أنا لم نكثر في الحواشي التعليقات على هذه الأخطاء . واني أعتبر هذا العمل المتواضع خطوة اولى لتحقيق هذا المخطوط . فمن كانت بيده نسخة اخرى بالشرق او الغرب فليتفضل بنشرها ويقوم أخطاء هذه الطبعة وله شكرنا واعترافنا .



ابن عـــــربي

حيـــاتـــه

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن احمد بن علي الحاتمي الطائي الاندلسي المشهور بمحي الدين ابن عربي .

ولد بمرسية (الاندلس) في 17 رمضان سنة 560 (28 جويلية 1165) . ورحل مع والده الى اشبيلية وهو في الثامنة من عمره اين سكن أبوه ، وهناك تعلم القرآن والحديث والفقه (1) ، ثم رحل الى سبتة لاتمام دراسته بها .

وفي سنة 580 أخذ يخالط الصوفية (2) ويأخذ عنهم ، فكان يكثر التروض ويديم الخلوة الى أن أخذت طريقة القوم من نفسه مأخذها . فشرع يتصل بالمتصوفة والصلحاء من أبنــاء المغرب ، ونجده عند أحد شيوخه عبد العزيز المهدوي بتونس سنة 590 = 4 - 1193 (3) . وكان اقامته لم تطل بهــا ـ فعــاد الى المغرب والاندلس ، اذ يــروي أستاذنا M. Brunshvig (4) أن اقتبال الفقهاء له لم يكن حارا ، فرحل راجعا من حيث أتى .

وفي سنة 598 رحل الى المشرق ووصل مكة في نفس السنة .

وفي سنة 601 في شهر صفر وصل بغداد وأقام بها أياما قلائل ، ثم رحل عنها الى الموصل أين نزل عند شيخ مشائخ الصوفية في عصره ، علي بن جامع ، الذي أعطاه خرقة التصوف المسماة عندهم بخرقة الخضر . ونجده في سنة 602 بجامع الخليل ببيت المقدس ، ثم عــاد الى القاهرة في سنة 603 أين اقتبله فقهاء البلد بعد أن بلغهم بعض آرائه ، اقتبالا مزريا ، وصبوا عليه جــام غضبهــم وانتقاداتهم حتى تــوصل بعضهــم الى بعض الأمـــراء يطلب اعدامه ، ففــر هاربا راجعــا الى المشرق . وتزوج بامرأة نبيلــة هي أم المتصوف الكبير صدر الدين محمد بن اسحاق القونوي ، الذي كان أحد تلاميذ ابن عربي وعلى يده تخرج . ثم استقر بدمشق سنة 620 الى ان مات بها سنة 638 في ربيع الثاني ـ اكتوبر 1240 ودفن بسفح قاسيون .

وبهــذا تكون حياته على ثلاث مراحل : الفترة الأولى ، المغربية وتبدا من ميلاده الى 598 . والثانية من 598 الى 620 وفيها رحل الى تونس والحجاز

---

(1) نفح الطيب ، ج 7 ، ص 3 ـ 92 ط . الحلبي

(2) الفتوحات المكية ، ج 1 ، ص 331 . و ج 2 ، ص 425

(3) R. BRUNSHvig, La Berberie orientale, II, 322

(4) المصدر نفسه ص 323 .

وبغداد والموصل وبلاد الروم ثم مر بالشام ودخل مصر وهى مرحلة تجواله . والمرحلة الثالثة وهى فترة استقراره واتخاذه دمشق محطا لرحاله ، الى أن توفى بها .

آثــــــــاره

لابن عربى تواليف كثيرة أنهاها بعضهم الى خمسمائة مصنف ، ولكن لم يعش منها الا القليل . طبع بعضهــا ، وبقى البعض الآخر مخطوط مبعثر فى مكتبات مختلفة من العالم .

فمن آثــاره المطبوعــة :

1) الفتوحات المكية . كتبه عندما كان مجاورا بمكة . طبع ببولاق سنة 1274 وبالقاهرة سنة 1929 . اختصره الشعرانى المتوفى سنة 973 هـ .

2) فصوص الحكم . كتبــه فى دمشق حوالى سنة 627 ـ 1229 وطبــع ببولاق مــع تعاليــق وشروح بالتركية سنة 1252 ، وشرح عبد الرزاق الكاشانى بالقاهــرة سنة 1309 ـ 1321 هـ . ونشره أبو العــلاء عفيفــى بالقاهرة سنة 1946

3) ترجمان الأشواق . كتبه عندما كان بمكة وتعرف هناك على أمراة اشتهرت بالعلم والصلاح والجمال ، فنظم فيها أشعارا يتغزل بهــا تــارة ويمدح علمها وعفافها أخرى . نشره المستشرق نيكلسون ، لندن 1911 (1) .

4) كتاب الآجوبة على المسائل المنصورية . وهو مائة سؤال سأله عنها صديق له اسمه منصور . ظهر فى المجلة الاسيوية الملكية لسنة 1901 عن مخطوط غلاسكو .

5) محاضرات الأبرار ومسامرة الأخيار . طبع بالقاهرة 1282 ـ 1305

6) كتاب الأخلاق او الأعلاق فى مكارم الاخلاق . طبع بالقاهرة بدون تاريخ . ومحاسن الاخلاق طبع باستنبول مــع ترجمة تركية لاحمد مختار سنة 1314 هـ

7) كتاب التحفة والطرفة . ولعله تحفة السفرة الى الحضرة البررة . المطبوع فى استنبول سنة 1300 وبترجمة تركية سنة 1303

8) مجموعة الرسائل الالاهية . طبع بالقاهرة سنة 1325

9) مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم . طبع بالقاهرة سنة 1325

10) اجازة ابن عربى للملك المظفر ـ نشرها الدكتور عبد الرحمان بدوى

11 . رسائل ابن عربى (حيدر آباد 1948

---

(1) نيكلسون :

The Tarjumân al Ashwâq. A Collection of mystical odes, Londres, 1911. New Series, Vol, XX.

12) فهرست كتب ابن عربى (مخطوطة الآصفية حيدر أباد ، نشراها . أبو العلاء عفيفى وكوركيس عواد

أما مصنفات ابن عربى كما رواها أحد محبيه هو : ابراهيم بن عبد الله القارىء البغدادى المتوفى سنة 821 ــ 1418 ، فهى الآتية (1) كما نقلها من رسالة لابن عربى نفسه

1) فى كتاب الحديث ، اختصرت (ابن عربى) فيه المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج

2) كتاب فى الحديث ايضا ، اختصرت فيه مصنف أبى عيسى الترمذى

3) كتاب المصباح فى الجمع بين الصحاح بدأه ولم يتمه

4) اختصار المحلى لابن حزم لم يتم

5) كتاب الاحتفال فيما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنن الأحوال ، وأما ما كان منها فى علوم الحقائق فى طريق الصوفية . فمن ذلك :

6) كتاب الجمع والتفصيل فى أسرار معانى التنزيل . أكملت (ابن عربى) منه الى سورة مريم وجاء بديعا فى شأنه

7) كتاب الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة

8) كتاب مفتاح السعادة فى معرفة المدخل الى طريق الارادة

9) كتاب المثلثات الواردة فى القرآن ، مثل قوله تعالى : لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ، ومثل قوله تعالى : ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ؛

10) وكتاب المسبعات الواردة فى القرآن مثل قوله تعالى : سبع بقرات سمان ، وسبع سموات وسبعة اذا رجعتم

11) كتاب مبايعة القطب بحضرة القرب ، يحتوى على مسائل جمة من مراتب الأملاك والمرسلين والنبيين والعارفين والروحانيين

12) كتاب الأجوبة المنصورية

13) مناهج الارتقاء الى افتضاض أبكار البقاء

14) كتاب كنه ما لا بد للمريد منه

15) كتاب المحكم فى المواعظ والحكم وآداب رسول الله صلى الله عليه وسلم

16) كتاب الحلى فى أسرار روحانيات الملا الأعلى

17) كتاب كشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى

---

(1) مناقب ابن عربى ، تحقيق ونشر الدكتور صلاح الدين المنجد . بيروت 1959

18) كتاب الدليل فى ايضاح السبيل • فى الوعظ
19) كتاب عقلة المستوفر • فى أحكام الصنعة الانسانية
20) كتاب جـلاء القلوب
21) كتاب التحقيق فى بيـان السر الـذى وقـر فى نفس ابى بكر الصديق رضى الله عنه
22) كتاب الاعلام باشارات أهل الالهام
23) كتاب السراج الوهاج فى شرح كلام الحلاج
24) كتاب الافهام فى شرح الاعلام
25) كتاب المنتخب فى سائر القرب
26) كتاب نتائج الأذكار وحدائق الأزهار
27) كتاب الميزان فى صفة الانسان

قـال ابن عربى : فصل فى الكتب التى بأيـدى النـاس اليوم ممـا ينسب الينا •

فمنها فى الحديث :

28) كتاب المحجة البيضاء • صنفته بمكة شرفها الله تعـالى على طريق الفقهاء ، أكملت فيـه كتاب الطهارة والصلاة فى مجلدين ، وبيدى المجلد الثالث ، وأنا فى كتاب الجمعة منه

29) كتاب مفتـاح السعادة • جمعت فيـه بين متون مسلم والبخارى وبعض أحاديث من الترمذى

30) كتاب كنز الأسرار فيما روى عن النبىء المختار من الأدعية والاذكار
31) كتاب مشكاة الأنوار فيما روى عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار
32) كتاب الأربعين المتقابلة
33) الاربعين الطوال
34) كتاب العـين

قال ابن عربى : وأما ما بأيدى الناس من كتبنا فى طريق الحقائق فمنها :

35) كتاب الاسراء الى المقام الأسرى
36) وكتاب سبب عشق النفس للجسم وما تقاسى من الألم عند فراقه
37) كتاب انزال الغيوب على مراتب القلوب
38) كتاب الاسرار الى المقام الأسرى
39) كتاب مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الالاهية
40) كتاب الجلى فى الكشف عن الولى
41) كتاب المنهج السديد الى ترتيب أحوال الامام البسطامى أبى يزيد
42) كتاب أنس المنقطعين برب العالمين • وضعته لنفسى ولغيرى

43) كتاب الموعظة الحسنة . وضعته بمكة شرفها الله تعالى
44) كتاب البغية فى اختصار كتاب الحلية لأبى نعيم الأصفهانى
45 . كتاب الدرة الفاخرة فى ذكر من انتفعت به فى طريق الآخرة
46) كتاب المبادىء والغايات فيما تحتوى عليه حروف المعجم من العجائب والآيات
47) كتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم
48) كتاب الانزالات الوجودية من الخزائن الجودية
59) كتاب حلية الأبدال وما يظهر منها من المعارف والأحوال
50) كتاب أنوار الفجر فى معرفة المقامات والعاملين على الأجر
51) كتاب الفتوحات المكية
52) كتاب تاج الرسائل ومنهاج الوسائل • مخاطبات بين المؤلف وبين الكعبة شرفها الله
53) كتاب روح القدس فى مناصحة النفس
54) كتاب التنزيلات الموصلية فى أسرار الطهارات والصلوات الخمس والأيام المقدرة الأصلية (1)
55) كتاب الاشارات القرآنية او اشارات القرآن فى عالم الانسان
56) كتاب القسم الالاهى بالاسم الربانى
57) كتاب الجلال والجمال
58) كتاب المدخل الى العمل بالحروف
59) كتاب المقنع فى السهل الممتنع
60) كتاب الأمر المربوط فى معرفة ما يحتاج أهل طريق الله من الشروط
61) كتاب رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة على الترتيب من الأسرار
62) كتاب عنقاء مغرب
63) كتاب المعلوم فى عقائد علماء الرسوم
64) كتاب الايجاد الكونى والمشهد العينى بحضرة الشجرة الانسانية والطيور الاربعة الروحانية
65) كتاب انشاء الجداول والدوائر فى الرقائق والحقائق
66) كتاب الأعلاق فى مكارم الأخلاق
67) كتاب روضة العاشقين
68) كتاب ستة وتسعين • تكلم فيه ابن عربى على الواو والميم والنون لانعطاف أوائلها على أواخرها • هكذا . . م ى م . واو نـ و ن

---

(1) توجد منه نسخة بالزيتونة رقم 1588 ـ حسب بروكلمان ج 3 ر ص 176 •

69) كتاب الاشارات فى أسرار الأسماء الالاهيات والكنايات
70) كتاب الحجب المعنوية فى الذات الهوية
71) كتاب الرسالة • أرسلها ابن عربى لفخر الدين الرازى (1)
72) كتاب المبشرات ، ذكر فيه كل رؤية رآها
73) كتاب ترتيب الرحلة • ذكر فيه رحلته للمشرق وما لاقاه من الشيوخ
74) كتاب روايته للاحاديث

قال ابن عربى : وأما الكتب التى أمرنى الحق سبحانه وتعالى بوضعها ولم يأمرنى باخراجها للناس وبثها فى الخلق • فمن ذلك :

75) كتاب الأحدية • وهو كتاب يتضمن الاحدية والوحدانية والفردانية ، ونفى الكثرة من الوجود العددى ، وأن الواحد مظهر فى مراتب الأعداد ، وتغيب فيبقى
76) كتاب الهو • ويتضمن هذا الكتاب معرفة الضمائر واضافات النفس
77) كتاب الجامع • يتضمن معرفة الجلال بما يدل عليه من الجمع والاطلاق
78) كتاب الرحمة • يتضمن معرفة التخصيص فيهـا والتعميم والعطف والحنان
79) كتاب العظمة • يتضمن اشارات من الجلال والكبرياء والجبروت والهيبة
80) كتاب المجـد
81) كتاب الديمومية • يتضمن هذا الكتاب مسائل من السرمدية والخلود والأبد والبقاء
82) كتاب الجود • يشار فيه الى العطاء والوهب والمنح والكرم والسخاء
83) كتاب القيومية
84) كتاب الاحسان
85) كتاب الفلك والسماء
86) كتاب الحكمة المحتوية
87) كتاب العزة • يشار فيه الى المنع والقهر والغلبة والحمد والعجز والقصور
88) كتاب الأزل
89) كتاب النور • يشار فيه الى الضياء والظلال والظلمة والاشراق والظهور
90) كتاب السر
91) كتاب الابداع والاختراع
92) كتاب الأمر والخلق

---

(1) قال بروكلمان ج 3 ــ ص 176 : توجد منها نسخة بالزيتونة بتونس تحت رقم 1588

93) كتاب الصادر والوارد
94) كتاب القدح
95) كتاب الملك
96) كتاب القدس
97) كتاب الحياة
98) كتاب العلم
99) كتاب المشيئة
100) كتاب الفهوانية • وربما يقع اسمه كلمة الحضرة ، وربما وقع اسمه القول ، يشار فيه الى الكلام والنطق والحديث والسمر .
101) كتاب الرقم • يشار فيه الى الخط والكتابة والاشارة والحروف الرقمية
102) كتاب الرقيم
103) كتاب العين • يشار فيه الى الرؤيا والمشاهدة والمكاشفة والتجلي وللمح واللمع والطالع والذوق والشرب والباده والهاجم وشبه هذا
104) كتاب الباء • يشار فيه الى التوالد والتناسل
105) كتاب كن • يشار فيه الى حضرة الأفعال والتكوين
106) وكتاب المبادىء • يشار فيه الى ان الاعادة مبدا ، وأن العالم فى كل نفس فى مبدا
107) كتاب الولاية
108) كتاب الدعاء والاجابة
109) كتاب الرمز فى حروف أوائل السور
110) كتاب الرقية
111) كتاب البقاء
112) كتاب القدرة
113) كتاب الحكم والشرائع الصحيحة والرئاسة والسياسة
114) كتاب مفاتيح الغيب
115) كتاب الخزائن
116) كتاب الرياح اللواقح
117) كتاب الريح العقيم
118) كتاب الكتب • الفرقان والقرآن وأصناف الكتب كالمسطور والمرقوم والحكيم المبين والمحصى والمتشابه وغير ذلك
119) كتاب التدبير والتفصيل
120) كتاب اللذة والألم
121) كتاب الحق

122) كتاب الحمـد
123) كتاب المؤمن والمسلم والمحسن
124) كتاب القـدر
125) كتاب الشـأن
126) كتاب الـوجـود
127) كتاب التحويـل
128) كتاب الحيـاة
129) كتاب الوحـى
130) كتاب الانسان
131) كتاب يشتمل على ذكر التحليل والتركيب
132) كتاب المعـراج
133) كتاب الروائح والأنفاس
134) كتاب الملـك
135) كتاب الأرواح
136) كتاب الهياكـل
137) كتاب التحفـة والطرفـة
139) كتاب الفرقـة والحرقـة
139) كتاب الأعراف
140) كتاب زيـادة كبـد القـول
141) كتاب الأسفار عن نتائج الأسفار
142) كتاب الأحجار المتفجرة والمتشققة والهابطة
143) كتاب الجبـل
144) كتاب الطـور
145) كتاب أدب النمل
146) كتاب البـروج
147) كتاب الحشرات
148) كتاب القسطاس
149) كتاب القلـم
150) كتاب اللـوح
151) كتاب العرش
152) كتاب الفلـك
154) كتاب الهبـاء
155) كتاب الجسم

156) كتاب الزمــان
157) كتاب المكــان
158) كتاب الحركـة
159) كتاب العالــم
160) كتاب الآباء العلويات والأمهات السفليات والبنات والمولدات
161) كتاب النجم والشجر
162) كتاب سجود القلب
163) كتاب الأسمــاء
164) كتاب النحــل
165) كتاب الرسالة والنبوة والولاية والمعرفة
166) كتاب الغايات
167) كتاب العشــق
168) كتاب السبعة عشر
169) كتاب المنــار
170) كتاب الجنــة
171) كتاب الحضرة
172) كتاب المناظرة بين الانسان والحيوان
173) كتاب المفاضلــة
174) كتاب الانسان الكامل والاسم الأعظم
175) كتاب المبشرات
176) كتاب محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار
177) كتاب الأولــين
178) كتاب ترجمان الأشواق
179) كتاب العبادلــة
180) كتاب تاج التراجم
181) كتاب ما لا يعول عليه فى طريق الله
182) كتاب ايجاز البيان فى الترجمة عن القرآن
183) كتاب المعرفــة
184) كتاب شرح الاسماء
185) الذخائر والأعلاق فى شرح ترجمان الأشواق
186) كتاب النصائح فيما يقرب فى طريق الله تعالى
187) كتاب اللوائح فى شرح النصائح
188) كتاب الوسائل فى الأجوبة عن عيون المسائل
189) كتاب النكاح المطلق

190) اختصار سيرة النبيء صلى الله عليه وسلم
191) كتاب المنيع الحمى البصير فيه أعمى ، فكيف حل به العمى ؟
192) كتاب فصوص الحكم

هذا ما وصل الينا من ذكر تآليف ابن عربي ، وهي تدل على معرفة واسعة وخيال خصب واتساع أفق صاحبها · وان كان قراءه بين مريد معجب وخصم مزدرى ، بل وصل خصومه الى أن قالوا قولتهم فيه بالتكفير ، وعدم النظر في كتبه واحراقها ، وذلك لحشو هذه الكتب بآراء صاحبها المتمثلة في الاتحاد او قوله بوحدة الوجود · فالرجل عندما كان بالأندلس في شبابه يبدو أنـه كان ظاهرى المذهب ، ثم لما انتقل الى المشرق واتصل ببعض الصوفية فيه ، وصلته شطحات المتقدمين منهم كرابعة العدوية وأبي يزيد البسطامي والحلاج على الاخص ومعه الشبلي ، الذى نجد بذور وحدة الوجود في شطحاته (1) ، فكان ابن عربي مع اتساع معارفه وكبر مواهبه قد أغرم بأقوال هؤلاء المتصوفة المتأثرين بآراء الجهمية الأول ، والقائلين بأن الله تعـالى حال بذاته في كل شيء · فقال بهـذا الحلاج وابن سبعين والصدر الرومى ولم يعتقدها الشبلي وان كانت تبـدو في شطحاتـه · ثم أن ابن عربي أعجب بألغـاز الاسماعيلية وتفاسيرهم للقرآن الكريم ، حتى أن القارىء يخيل له أن ابن عربي اسماعيلي باطني ، ولا يبعد ان يكون ذلك · فآراء الباطنية وفلسفة اخوان الصفا تبدو فيما يكتبه ابن عربي لا سيما كتابـه الكبير : الفتوحات المكية · هذه المعلومات الجمـة والمتنافرة في تكوين ابن عربي جعلت الرجل يبدو تارة ظاهريا وأخرى باطنيا ومرة فيلسوفا وأخرى متصوفا ، وحينا سنيا وأحيانا فوق المذاهب والاديان · ولذا كان في ما يكتب عارفا عند البعض مارقا عند آخرين ، فاختلف الناس فيه بين معجب مبالغ يجعله في مصاف الأقطاب الصالحين وبين خصم يحط عليه ويضعه جانب الكفرة والشياطين ·

فمن أعجب بـه ودافع عنه : مجـد الدين الفيروزا بادى من القرن الثامن ·
الصلاح الصفدى في الوافي بالوفيات
احمد بن علي بن الحسين النجار محب الدين البغدادى المتوفى سنة 643 (2)
كمال الدين الزملكاني المتوفى سنة 651
احمد بن عطاء الله الاسكندرى المتوفى سنة 709
ابراهيم بن عبد الله القارىء البغدادى المتوفى سنة 821 صاحب الدر الثمين في مناقب الشيخ محى الدين · (مطبوع) وهو من المتعصبين الى ابن عربي وممن ينسبون اليه الكرامات الخوارق كقوله : انه كان يجتمع برسول الله صلى

(1) عبد الرحمن بدوى : شطحات أبي يزيد · القاهرة 1949 · ص 34
(2) شذرات الذهب ـ ج 5 ـ 226

الله عليه وسلم متى شاء . ويرد على خصومه ردا أحيانا يخرج بـه عن حدود اللياقـة (2)

وكذلك شهاب الدين السهروردى شيخ شيوخ الصوفية فى عصره المتوفى سنة 632 .

والصوفى الزاهد سعد الدين بن محمد بن المؤيد . المتوفى سنة 652 (3)

وقاضى قضاة الشافعية بدمشق شمس الدين الخويى (4)

وعبد الغنى النابلسى (5) المتوفى سنة 1143 ـ 1730 : ذكره عواد فى الفهرسة

ومحمد بن سعيد الدبيثى ، صاحب الذيـل على تاريخ بغـداد (6) المتوفى سنة 637

وأبو يحى زكريـاء بن محمد بن محمود الأنسى القزوينى المـؤرخ الجغرافى القاضى المتوفى سنة 682 ، فى آخرين . وقد عد له عثمان يحيى 138 خصما و33 معجبا . (7)

أما من ألفوا فى الرد على ابن عربى فكثيرون وصل القليل من تواليفهم وبقى الأكثر مذكورا فى كتب التراجم . فممن ألفوا ردا عليه : محمد بن عمر بن على الكاملى الدمشقى المتوفى سنة 652 ـ 1254 : كتب رسالة فى ذم ابن عربى . مخطوطة بالقاهرة . الوطنية . رقم 816

ومحمد بن احمد بن على القسطلانى المالكى . له النصيحة الصريحة . ذكرها السخاوى فى القول المنبى عن ترجمة ابن عربى (8)

وكذلك التقى الفاسى المتوفى سنة 831 ـ 1428 فى كتابه العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين (9) سفه ابن عربى فى آرائه الوجودية

بيان حكم مـا فى الفصوص من الاعتقادات المفسودة لعبـد اللطيف بن على السعودى المتوفى سنة 736 ـ 1336 . ذكره السخاوى فى القول المنبى .

---

(2) نشره الدكتور صلاح الدين المنجد . بيروت 1959 ـ ذكره كوركيس عواد فى الفهرست

(3) انظر عنه : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ج 165/6

(4) المصدر السابق ج 31/7

(5) ترجمته فى قضاة دمشق ص 65 تحقيق المنجد

(6) الوافى ج 102/3 ـ ط ـ دمشق

(7) Othmân Yahiya; I - Arabi, sa vie et son œuvre. thèse, dactylographiée, B. Université de Paris, W - 105, 1958

(8) مخطوط برلين رقم 2849

(9) مخطوط باريس رقم 2123 ورقة 196 وما بعدها .

وفتح النبى فى الرد على ابن سبعين وبن عربى لمحمد بن احمد بن عثمان الصباطى المالكى المتوفى فى سنة 842 ـ 1438 . ذكره السخاوى فى القول المنبى ٠

وحجة الصفاء البررة على المبتدعة الفجرة الكفرة لمنصور القزرونى المتوفى سنة 860 ـ 1456 ذكره السخاوى ايضا ٠

تنبيه الغبى على تكفير ابن عربى لابراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة 885 ـ 1480 ٠ ذكره بروكلمان 582 ر 1

وله ايضا : تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد ٠

والحسين بن عبد الرحمن ... ابن الأهدل المتوفى سنة 855 ـ 1480 ٠ كتاب كشف الغطاء عن حقائق التوحيد والموحدين والرد على ابن عربى وجماعته الزنادقة الملحدين مؤلف هذا الكتاب

وكتب احمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى المتوفى سنة 973 ـ 1565 مسألة فيما تحصل فى كلام الناس فى محى الدين ابن عربى (1)

ومن الذين أفتوا بفساد عقيدة ابن عربى من المذاهب السنية :

محمد بن عبد الغنى البغدادى الحنبلى المتوفى سنة 629 (القول المنبى للسخاوى)

عثمان بن محمد بن الحاجب المالكى المتوفى سنة 646 (1) ٠ (القول المنبى)

ابن الصلاح المتوفى سنة 643

على بن عبد القوى القرشى المهدوى المتوفى سنة 649

عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الشافعى المتوفى سنة 660

عبد الحق بن ابراهيم بن سبعين المتوفى سنة 669

محمد بن احمد القسطلانى المالكى المتوفى سنة 686

عبد الغفار بن احمد القوصى سنة 708

احمد بن ابراهيم الواسطى الشافعى سنة 711 (العقد الثمين للتقى الفاسى ورقة ب 196)

مسعود بن مسعود الحارثى الحنبلى المتوفى سنة 711 (العقد الثمين)

على بن يعقوب البكرى الشافعى سنة 724 (العقد الثمين)

أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى الحنبلى ٠ المتوفى سنة 728 (مجموعة الرسائل والمسائل ص 1 الى 157 ٠)

على بن اسماعيل القونوى الشافعى المتوفى سنة 729 (القول المنبى)

محمد بن يوسف بن يعقوب الجندى الشافعى المتوفى سنة 730 (القول المنبى)

محمد بن يوسف بن يعقوب الجندى الشافعى المتوفى سنة 730 (القول المنبى)

---

(1) مخطوط باريس ٠ الوطنية 1338

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الصفاقسي المالكي المتوفى سنة 724 (القول المنبى)

أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي المالكي المتوفى سنة 764

قوام الدين أمير كاتب بن عمر الاتقاني الحنفي المتوفى سنة 758 (القول المنبى)

عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن عيسى الزواوى المالكي المتوفى سنة 789 (القول المنبى)

محمد بن عبد الدائم المصرى الشاذلي الشافعي سنة 797 (القول المنبى)

محمد بن محمد بن عرفه الورغمي التونسي المتوفى سنة 803 (القول المنبى)

ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي سنة 808

فى آخرين كثيرين ممن أفتوا بزيغه واحراق كتبه وعدم النظر فيها ٠



ورقــة 1 وجــه : بسم الله الرحمان الرحيم وبـه استعين . رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى امرى . الحمد لله الذى تعرف الى خلقه باحديته ليجمع القلوب مناودية تفرقها ، واتصف بكمال الصمدية لترجع مقاصد الكل اليه بتعلقها ، وارتضى لهم دين الاسلام الحقيقى وهو افضل من توسلت به البرية لتقربها ، واول ما دعت اليه الانبياء المرسلون بحكم نبوتها ، ولم يرض لاحد من خلقه غير طريقة الاسلام تنويها بفصيلتها . هو الله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلــد ولم يولــد ، ولم يكن لـه كفـوًا احـد . واشهد ان لا اله الا هو الحى العليم المتكلم المريد القدير الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . تعالى وتقدس فى صفاته ، وانفرد وعـز بالاهيته عن الاحتياج الى احـد ، واختص بالملك الاعـز الاحمى ، وتعرف الى خلقه بالصفات والاسماء ، ووسع كل شىء رحمــة وعلمـا واسبغ على اوليائـه نعما عما ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، بعثه فى الامين رسولا من انفسهم انفسهم عربـا وعجما ، وازكاهم محتدا ومنمى ، وارجحهم عقـلا وحلما ، واوفرهم علما وفهما ، واقواهم يقينا وعزما ، واشدهم بهم رأفـة ورحما . صلى الله عليه صلاة تنمى وتنما وعلى آله وصحبه وتابعهم باحسان عملا وعلما ، وسلم تسليما كثيرا ، لا ينقضى عددما . اما بعد فان الله سبحانه وتعالى قد اوضح الدين بكتابه المبين ، وبكلام رسوله خاتم النبيين صاحب الناموس الأعضم والشرح المحكـم ، فبحق قـال صلى الله عليـه وسلم تركت فيكم ثقلين لن تضلوا ما اخذتم بهما : كتاب الله وسنتى . فوجبت العصمة لمن تمسك بهما وجرى على الوجه المعروف من (**فهمهما**) فحقائق الحق فيهما مشهودة وعلوم الأولين والآخرين فيهما موجودة . فهم ذلك على وجوهه من جعل الله له فى مغنم السعادة قسما وتأوله وصرفه عن وجوهه من كتب الله عليه الشقاء حتما ، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة اعمى . فكما أيد الله سبحانه وتعالى الصحابة رضى الله عنهم للجهاد على تنزيله كذلك أيــد العلماء الصادقين من اتباعهم للجهاد على تأويله ليظهر بقاء صدق خبر محمد رسوله ، ويتضح وجه رأيه بنحو قوله صلى الله عليه وسلم : (**ورقــة 1 ظهــر**) لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم الى قيام الساعة ، متفق عليه . وفى رواية لا يضرهم خذلان من خذلهم وفى رواية للبخارى رحمه الله لا تزال من امتى امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى امر الله وهم على ذلك وهم اهــل العلم

كما قاله البخارى رحمه الله وغيره من الايمة الكبار كعبد الله بن المبارك ويزيد ابن هارون وابراهيم بن الحسين ويزيد الهمدانى ان المراد بهم اهل الحديث والأثر قال الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه ان لم يكونوا اهل الحديث فلا ادرى من هم . قال القاضى عياض رحمه الله تعالى . انما اراد الامام احمد اهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب اهل الحديث . وبنحو قوله صلى الله عليه وسلم : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين . وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين . رواه الأيمة من طرق وصححه الامام احمد وابن عبد البر وغيرهما . قال الامام أبو طالب المكى (1) وغيره فالغالون هم المجاوزون للسنن والآثار ، والمبطلون هم المبتدعون بالرأى والقياس ، والجاهلون هم الشاطحون من الصوفية الضلال ، وعدول كل خلف من اتبع سنة صالحى من سلف ، فلم يبتدع فى الدين ولا اتخذ وليجة دون طريق المؤمنين ، وهم رواة صحاح الاخبار ، وحملة الآثار من المحدثين والمفسرين وفقهاء المسلمين رضى الله عنهم . انتهى . وقال الامام محيى الدين النووى رحمه الله تعالى : هذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة العلم وعدالة ناقليه ، وان الله تعالى يوفق له فى كل عصر خلفا من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف وما بعده ، وقد وقع ذلك كذلك بحمد الله سبحانه وتعالى وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم انتهى . وكما أيد الله تعالى العلماء فى الجهـاد على الدين بالحجة والبرهان أيـد الخلفاء وأتباعهم الناصرين لهم بالسيف والسنان ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس (2) . فالميزان عبارة عن العدل الذى تقوم بـه الحجة والبرهان لتحصل السلامة من الجور والعدوان **(ورقـة 2 وجـه)** فى المعاملات الدنياوية والاديان . وقال سبحانه وتعالى : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . فمن الناس من تفيد فيه الدعوة بالموعظة ومنهم من لا تفيد فيه الا الحكمة ، وهى الحجة والبرهان ومنهم من لا يفيد فيه الا الحديد الذى فيه بأس شديد . فمن لم يرده التعنيف لم يقطعه الا السيف ، ومن لم يزجره البرهان لم يزبره الا السنان وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . معنى يزع يحمى ويمنع ويكون ايضا لمعنى يجمع . الا وان مما وقع فيه الالتباس وكثر فيه الاختلاف بين الناس مقالات ابن عربى المودعة فى كتبه المكثر فيها من هذيانه وشغبه . فجاء فيها بالطامات الكبر ودواهى الفقر واعنى بالمخالفين من الناس : المتصوفة الجاهلين والضعفاء القاصرين عن معرفة اصول الدين وعقائد الموحدين ومذاهب الفلاسفة والملحدين والا فلا

---

(1) من تلاميذ مالك توفى سنة 184 هـ ــ 797 م . ترجمته فى الديباج 130 وابن خلكان وفيات . 2 ص 9 ــ 237 والمالكية فى الشرق بالفرنسية للناشر .

(2) 57 ــ الحديد 25

خلاف عند المتحققين بين اهل السنة اجمعين فى تكفير من يعتقد تلك المقالات ، وينتحل تلك الضلالات ، او يدعى تأويل تلك الجهالات ومن العجب تلقيبه بمحيى الدين وقد حاول اجتثاث اصله بتلبيسه او تدليسه وخدعه وتدسيسه . لو لا ضمان الله لحفظه وحراسته لتأسيسه وهل محيى الدين الا من اوضح رسومه ، ونقح علومه ، فبين قواعد الاسلام ودعائم الايمان العظام ، وعين الفرائض والسنن من الاحكام وميز الحلال من الحرام ، وقال بالحق وصدع . (**صائــلا**) بالحق على باطل من ابتدع . فذلك يدعى عظيما فى الملكوت ويحيى (**بعد الموت**) ذكره فلا يموت ، كامامنا الشافعى ، ومالك ، واحمد ، والنعمان ، وداوود ، وسفيان (1) (**الثورى**) والبخارى ومسلم وابى داوود والترمذى والنسائى وسائر المحدثين ، واكابر المفسرين كالثعلبى ، والواحدى والبغوى ونظـار المتكلمين فى اصول الدين كامامنا ابى الحسن الاشعرى وصاحبه ابى الحسن الباهلى وابن الباقلانى وابن فورك والرازى وسائر اصحابنا الأصوليين ، وفقهاء المسلمين المصنفين فى فروع الدين بعد الاحاطة بعلوم الأولين كالشيرازى والغزالى والرافعى ومحيى الدين النووى وسائر الفقهاء المحققين الذين حرروا المسائل فصححوها للمتقين فى احكام الدنيا والدين من الطهارات والصلوات (**ورقــة 2 ظهــر**) والصيام والزكوات ، والحج وسائر ابواب المعاملات والديانات فبالذى صححوه نعبـد ربنـا ونؤدى فرضنا ، ونفصل كل خصومة بيننا . فجزاهم الله افضل الجزاء عنا . اللهم وفق ولاة امور المسلمين لنصرة علماء الدين على المشبهة والمجسمة والحلولية والاتحادية المارقين من المتصوفة الجاهلين ، الشطاح الضالين ، وسائـر المبتدعين . فاخمد اللهم نارهم . وطمس آثارهم . وطوح منارهم . اللهم وأيد من قام فى اماتـة بدعهم من علمـاء الدين . وأيـد من انهى ذلك منهم الى خليفة المسلمين ، وقام بالفرض عن النائبين ، فكان المنهى قوالا والخليفة فعالا ، والفعال ابلغ فى نصرة الدين . اللهم فانصر انصار دينك ، واجزهم افضل جزاء الناصرين ، وأنلهم افضل رجاء الراجين واجعلهم فى امورهم اليك من اصدق اللاجئين ، ولا تكلهم الى كلاءة المخلوق ، واجعلنا من خواصهم يا رب العالمين آمين آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خـاتم النبيئين وعلى سائـر النبيئين وآلهم وصحبهم اجمعين . اعلموا رحمكم الله انه لما كثر الجهل وأضلت الفتن وافتن بالمفتونين من افتتن ، ألهمنى الله الى تصنيف مختصر يقع بـه أداء فرض النصيحة ، والبيان لحقائق التوحيد والصواب ، ويكشف غطـاء الجهل والتمويه ، ويدحض الارتياب مشتملا على بيان قواعد العقائد الصحيحة ، التى بعث الله بها النبيئين وقاتلوا على الاقرار بها المشركين ودان بها اتباعهم من الصحابة والتابعين والسلف وفقهاء لامة المبرزين ونظار المتكلمين ومشائخ الصوفية المحققين ، الجامعين بين الشريعة والحقيقة ، هى معرفة معانى الشرع

(1) اى الامام ابا حنيفة النعمان ، وداوود بن على الظاهرى ، وسفيان الثورى

وحقائق الدين ، والعمل بها حقيقة العبودية عند العارفين ، وعلى فضل اعتقاد الامام الاشعرى وذكر اعيان الايمة الاشعريين ، وشيء من تصانيفهم فى الرد على المخالفين الخارجين عن الملة والداخلين ، وذكر من خالفهم من المبتدعين والصوفية الشطاحين وعلى بيان حال ابن عربى واتباعه المارقين وبيان شيء من مقالاته وتحريفه كتاب الله المبين وعلى بيان شيء من فتاوى (**العلماء**) المحققين فيهم والنصوص الشاهدة بضلالهم ومروقهم (**ورقة 3 وجه**) من الدين ، وبيان حصول الوهم على من اغتر بهم فاحسن الظن بهم من المتأخرين ، وعلى الحث على ملازمة السنة والاتباع والتحذير من الابتداع ومخالفة الاجماع وينتظم ذلك بعون الله تعالى فى خمسة ابواب وسميته كتاب كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الايمة الاشعريين ومن خالفهم من المبتدعين ، وبيان حال ابن عربى واتباعه المارقين ، وبيان كفر الحشوية المشبهة والمجسمة والحلولية والاتحادية الملحدين من المتصوفة المارقين ، وسائر المرتدين فاقول مستمدا من الله المعونة والتوفيق ، والهداية والعصمة والرعاية ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وأسأله ان ينفعنى به والمسلمين ، وان يميت به البدع ويحلى به الدين ، باسرار اسمائه الحى الحق المبين .

الباب الاول

فى قواعد العقائد الصحيحة التى هى حقائق التوحيد .

اعلم ان اول الواجبات على المكلفين المعرفة بالله تعالى ورسله عليهم السلام، ودينه ثم التعبد له لقوله سبحانه وتعالى : وما خلقت الجن والانس (1) الا ليعبدونى . اى ليعرفونى . قاله مجاهد (2) وغيره . والآية على العموم فى المؤمنين والكافرين عند المحققين وعليه جرى الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره والبيضاوى والسجاوندى والزمخشرى وعز الدين بن عبد السلام وغيرهم واختار الواحدى التخصيص وقال النووى رحمه الله: فى الآية تصريح بانهم خلقوا للعبادة . وعن على رضى الله عنه معناه الا لآمرهم ان يعبدونى ويؤيده ، وما أمروا الا ليعبدوا الاها واحدا لا الاه الا هو . والعبادة لا تتصور الا بعد المعرفة بالمعبود فحقيقة معرفة الله تعالى توحيده والتعبد له ، ولهذا قال مجاهد وغيره : معنى ليعبدونى : ليعرفونى . وقال البغوى رحمه الله . وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده . وقيل ليعبدونى ليوحدونى . قال ابن عباس : كل ما وجد فى القرآن من ذكر العبادة فمعناه التوحيد . فالمؤمن يوحده فى الشدة والرخاء ، والكافر يوحده فى الشدة

---

(1) 51 . الذاريات . 56

(2) مجاهد بن جبير . ابو الحجاج المكى مولى بنى مخزوم . توفى سنة 104 هـ و 722 م . الزركلى اعلام

والبلاء . قال الله تعالى : واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين . الآية . ولقوله تعالى : الله الذى خلق سبع سماوات **(ورقة 3 ظهر)** ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما . (1) قال الغزالى رحمه الله : فللعلم او العبادة خلقوا ، فاعظم بامرين هما المقصود من خلق الداربن . وقال الامام عبد الجليل بن موسى القصرى : فى شعب الايمان : أول ما يجب على العبد معرفة صانعه ، وكيف كان صنعه له ثم التعبد له . وهذان الامران علة خلق الاشياء كلها . انتهى ، مختصرا . واستدل بعضهم على هذه القاعدة بقوله تعالى : فاعلم انه لا الاه الا الله . وبوب البخارى رحمه الله باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى : فاعلم انه لا الاه الا الله واستغفر لذنبك . (2) فبدأ بالعلم قبل العمل . قال البيهقى (3) رحمه الله . والا فى الكلمة أى لا الاه الا الله بمعنى غير لا لمعنى الاستثناء ومن ادلة الحديث قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا الاه الا الله وفى رواية حتى يشهدوا ان لا الاه الا الله وأنى رسول الله وفى رواية ويؤمنون بى وبما جئت به قال الامام النووى (4) رحمه الله تعالى فيه دلالة لمذهب الجماهير من السلف والخلف ان الانسان ان اعتقد دين الاسلام اعتقادا جازما اى مع التلفظ بالشهادتين فهو مؤمن موحد ولا يجب عليه تعلم ادلة المتكلمين ، ومن اوجب ذلك من المعتزلة وغيرهم من اصحابنا فقد أخطأ انتهى مختصرا . وقال الامام ابو القاسم الجنيد (5) رحمه الله ورضى عنه . اول ما يحتاج اليه المريد فى عقد التحكيم معرفة المصنوع صانعه ، والمحدث اين كان احداثه . فيعرف صفة المخلوق من صفة الخالق ، وصفة القديم من المحدث ، فيذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته . فان من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه وقال الامام ابو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى : يجب على المريد البداية بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه ، خال عن الضلال والبدع . صادر عن البراهين والحجج انتهى . وقال الغزالى رحمه الله تعالى فى المنهاج : يجب عليك اولا ان تعرف المعبود ثم تعبده . وكيف تعبد منَ

(1) 56 . الطلاق . 12

(2) 47 . محمد . 19

(3) البيهقى : احمد بن الحسين بن على .... ابو بكر البيهقى . نسبة الى بيهق من قرى نيسابور . من علماء الشافعية الكبار . توفى سنة 458 هـ و 1066 م . ترجمته فى شذرات الذهب ج 3 . 304 . طبقات الشافعية . ج 3 . ص 3 .

(4) محيى الدين : ابو زكرياء يحيى بن شرف ... الشافعى وفاته 676 تذكرة الحفاظ ج 8 . ص 250 .

(5) ابو القاسم بن الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز — امام الصوفية . توفى سنة 297 . وفيات الاعيان 1 — 117 .

لا تعرفه باسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما (**يستحيل**) قيل فى نعته فربما تعتقــد (**شيئا**) وفى صفاته شيء والعيــاذ بالله ممــا يخالف الحق (**فتكون**) لا **ورقــة 4 وجــه**) عبادتك هباء منثورا ، وقد شرحنا ما فى ذلك من الخطر فى كتاب الخوف من احياء علوم الدين . انتهى . وقال البيهقى رحمه الله تعالى فى شعب الايمان ما حاصله : ان العلم ان اطلق فهو علم الدين ، واوله علم الأصلْ وهو معرفة البارى جل ثناؤه . ثم معرفة ما جاء من عنده من الكتاب والسنة ، فينبغى لمن طلب العلم وليس من اهل اللسان العربى ان يتعلم لسان العرب . ثم يطلب علم القرآن ، ولا يصح له علم القرآن الا بمعرفة السنن والآثار ، ولا معانى السنن والآثار ، الا بمعرفة اخبار الصحابة . ولا معرفة اخبار الصحابة الا بمعرفة ما جاء عن التابعينْ . انتهى . واذا تقرر وجوب المعرفة فهى فطرة كل احد كما ورد فى الكتاب والسنة ونبه عليه المحققون من المفسرين . ثم من المحدثين منهم الخطابى فى كتاب المعالم ، وشعار الدين . ومنهم الشيخ ناصر الدين بن بنت الميلق الشاذلى رضى الله عنه . فقال فى كتابه الموارد : ولا شك فى ان الفطر مدركة لوجود فاطرها وفى ان ناصب الادلة وموجدها غنى عنها . ثم ليست المعرفة كافية حتى يصدق بقلبه ويقر بلسانه على ما سيأتى فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى . فيجب التعبير عن هذه المعرفة بكلمتى الشهادة عند بلوغ سن التكليف ، ويستحب ان يلقنهما الصبى اول ما يفصح بالكلام ويفهم معناهما عند بلوغ سن الفهم ، ليتمكن الاسلام من ذهنه ويرسخ فى قلبه . فقد روى ابن عباسْ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : افتحوا على صبيانكم اول كلمة بلا اله الا الله ، ولقنوها عند الموت لا اله الا الله ، فانه من كان اول كلامه لا اله الا الله وآخر كلامه لا اله الا الله ، ثم عاش الف سنة ما سئل عن ذنب واحد . اسنده الامام البيهقى فى كتابه شعب الايمان . وقــالْ غريب لمْ نكتبه (**بهــذا**) الاسناد . فــاذا بلــغ مثــلا ضحوة النهار فاول ما يجب عليه النطق بكلمتى الشهادة وفهم معناهما اى انه لا معبود يستحق العبادة الا الله . وان محمدا صادق فى ما جاء به . قال الغزالى : وليس عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث ، وتحريرْ الادلــة . بل يكفيه التصديق الجازم من غير (**شك**) واضطراب يقين وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غيرْ بحث ولا اقامة برهان اذ اكتفا رسول الله صلى الله عليه وسلم (**بالتلفظ بالشهادة**) والتصديق ( ) من غير تعليم دليل ، انتهى . ثم بعد الشهادتين . مــا توجه عليه فعله وجب (**ورقــة أربعة ظهــر**) عليه تعلمه ، وتعلم ما لا يتم الا بــه ظاهرا كالطهارة ، وباطنا ، كالنية . والاخلاص وغير ذلك . قال القشيرى رحمه الله تعالى : فيجب ان يحصل من علم الشريعة اما بالتحقيق واما بالسؤال من الايمة ما يؤدى به فرضه ويحتاط فى مواضع الخلاف ويقصد ابــدا الخروج من الخلاف ، فــان رخص الشرع للضعفاء واصحاب

الاشغال ، والمريد ليس له شغل سوى القيام بحقوق ربه . انتهى . وابعد بعض الاصوليين ، فقال : اول الواجبات النظر . الاستدلال بالمصنوعات على صانعها . وزاد بعضهم على قانون علم الكلام . وهذا القول مأخوذ من كتب الفلاسفة في زمن الفترة حيث لا دعـوة ، وقد تقدم تخطئة النووى لقائله ، والأصح مـا قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام والنووى فى مقدمة شرح المهذب انه لا يجب النظر على احـد من المكلفين الا ان يعرض لأحد شك فى ما يجب اعتقاده من المعاني التى تدل عليها كلمتا الشهادة . فيجب عليه تعلم ما يزيل به الشك ، انتهى . ويوضح عدم وجوب النظر اولا عدم تصور كونه اول الواجبات لان النظر المطلوب يحصل للاطفال فى سن التمييز قبل سن التكليف فانه يعلم بمقتضى الفطرة والتسامع انـه مخلوق مرزوق ، وان الخالق الرزاق هو الله تعالى . فياتى عليه سن التكليف وقد تقرر ذلك عنده ، ولهذا قال الامام ابو حنيفة رضى الله عنه لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه وقال أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب مراسم العمر : وليعلم البالغ انه من يوم بلوغه قد وجب عليه معرفة الله بالدليل لا بالتقليد ويكفيه من الدليل رؤيته لنفسه وترتيب اعضائه فيعلم انه لا بد للبناء من بـان . انتهى . فيجب عليه بالسمع لا بالعقل اعتقاد الاهيته ووحدانيته ويجب الاعـراب بكلمتـى الشهـادة وتفهـم معناهما يحتـوى على جميـع معانى الاسماء الحسنى ، ومعانى الاسماء الحسنى تحتوى على جميـع معانى الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام . والعلم بهذه الجملة افضل العلوم وافضلها ، بعدها العلم بالاحكام الشرعية التى تعبد الله بها البرية وجميع العلوم المحمودة وسيلة الى هذين العلمين ، وهى وسيلة الى طاعة الله والقرب منه ، وهو المقصود وافضل الاعمال الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وقدره وخيره وشره ، ومعرفة شرائعه التى جـاءت بهـا رسله ، التعبد له بدوام طاعته فى أوامره ونواهيه وكل ذلك مندرج تحت كلمتى الشهادتين وهما اساس الشريعة المحمدية التى هى **(ورقـة 5 وجـه)** خلاصة الشرائع والعلم افضل من العقل . ولكن لا ينفع العلم الا بالعقل . ولذلك قالوا لا يضر نقصان الوجد مع زيادة العلم . وانما يضر زيادة الوجد مع نقصان العلم ، وفضل العلم اتم من فضل الوجد . وهذا لقول الجمهور ان المعرفة افضل من المحبة وسيأتى ما يوافق ذلك ان شاء الله تعـالى . وقـد ترجم الغزالى وغيره العقائد على معنى الشهادتين . وقالوا انهمـا تتضمنان اثبات ذات الله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم . والقاضى عياض رحمه الله استخرج العقيدة من كلمات الاذان وتبعه النووى فى شرح صحيح مسلم وشرح المهذب وترجمها الشيخ عز الدين بن عبد السلام على الباقيات الصالحات وهـن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر . وقال انهما تندرج تحتها جميع اسماء الله سبحانه وتعالى التسعة والتسعين . وبهذا يعرف ان كلمة الشهادة من جوامع الكلم

التى بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى التى شهد الله بها لنفسه وشهدت بها الملائكة والانبياء والعلماء والامم المهتدون . قال الحليمى والبيهقى وهى الكلمة الباقية فى عقب ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهى كلمة التوحيد وكلمة الاخلاص ودعوة للحق وامر المأمورين بالايمان ان يقولوها ويعتقدوها وهى افضل شعب الايمـان وهى بضع وسبعون شعبة وهى كلمة الاسلام الذى هو دين الله فى الارض والسماء ، وامـر النبى صلى الله عليه وسلم بقتال الناس حتى يقولوها . فهى تكفى للانسلاخ بها من جميع اصناف الكفر ما لم يناقض قوله مناقض فيسلم امرا ويجحد مثله . او يعطى اصلا ، ويمنع فرعه . وقد علم آدم عليه السلام لابنيه فى وصية لهما ، وذكر لهما ثوابهما . وسأل النبىء موسى صلى الله عليه وسلم ربه ان يعلمه شيئا يذكره به ويدعوه به ، فقال يا موسى : قل لا اله الا الله . فقال يا رب كل عبادك يقول هذا . انما اريد شيئا تخصنى به . فقال يا موسى لو ان السماوات السبع وعامرهن غيرى والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة ، مالت بهم لا اله الا الله . ذكره البيهقى . وعقد بابا لفضلها فى كتاب الاسماء والصفات . فهى اول الواجبات والزمها ، واولاها . واشرفها واعلاها . واستدامتها واجبة ، وذلك بان لا يأتى (   ) (   ) الـردة والعياذ بالله ولا بما يناقضها مما يقتضى التكفير (**ورقـة 5 ظهـر**) شرعا . وان ادعا انه ان شاء الله تعالى . وختم العمر بها واجب ايضا . فهى ايضا آخر الواجبات. وكل كلام تجده فى توهينها او توهين ثوابها فلا تلتفت اليه ولا تعبأن به . وان نسب الى بعض الاولياء فهو غلط والحاد فى الدين . ولا يرى الله فى الدار الآخرة الا من جاء بها خالصا من قلبه . عليها نحيا وعليها نموت ، وعليها نبعث انشاء الله . اللهم اجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها . مخلصين . بطمانينة ويقين آمين . آمين . وما ذكرناه من ان اول الواجبات المعرفة هو الصحيح الذى رجحـه المحققون من الاصوليين الفقهـاء كالغزالى والخطابى والبيهقى والقاضى عياض ، وفخـر الدين الـرازى وابن الجـوزى والشيخ عز الدين ابن عبد السلام ، ومحيى الدين النووى والقمولى وعبد الجليـل القصرى صاحب شعب الايمان ، وتقى الدين السبكى وولده تاج الدين صاحب جمع الجوامع فى الأصول . قال ابن الزركشى فى شرحه وهو المشهور عن ابى الحسن الإشعرى وهو مذهب السلف والمحدثين . وانكر على من يقول من الأصوليين اول الواجبات النظـر فى علم الكلام وانكارهم من حيث انه بدعة وايضا من حيث ان الله غنى عن دليل يدل عليه عند الخاصة وانما استدل عليه بمخلوقاته العوام من الناس ، ولهذا قال بعض المحققين اثبت الله للعامة المخلوق فاثبتوا به الخالق واثبت خاصة نفسه ، فاثبتوا به المخلوق . ويرد على القول بان النظر اول الواجبات اشكالات تـدل على ضعفه . فان ورود الاشكالات على القول يدل على تنزلزله وضعفه . فمنها انه يلزم عليه ان من نشأ على الاسلام حتى بلغته دعوة نبينا محمد صلى الله.

عليه وسلم بلاغا لا يحتملُ الكذب ، وغلط فله ان يؤخر النطق بالشهادتين بسنين وهو بعد فى تصحيح النظر . فان التزم قائله ذلك فهو خطأ فاحش وجهل قبيح . وقال له ما عسى ان يحصل من النظر التوحيد او غيره فان لم يكن الا التوحيد فليكن من الآن وان كان غيره فاستحق الله هـذا ( ) ويقال لـه ايضا النظر انمـا يكون فيما يحتمل الصواب والخطأ وطريق ( ) قد أمن فيها الخطأ فالوجوب الهجوم على (مخالفيهـا) (ورقـة 6 وجـه) تهريج على نظـر سوى مـا تقتضيه الفطرة السليمة فهى بخلافها علمـه . فمعرفة الله تعالى ومعرفة النبوة اول طريقها العقل ، لا السمع ولا الضرورة كما قاله الامام فخر الدين الرازى (1) فى مناقب الشافعى رضى الله عنه . ومنها ان جمهور السلف على منع تعلمه فضلا عن وجوبه وعن كونـه اول الواجبات ومنها عدم تصور اوليته كما سبق ، واعلم ان بعض فقهاء الوقت اعترض على جوابى فى بعض الفتاوى بان اول الواجبات المعرفة . وقـال بل اولهـا النظر تقليدا منه لمـا وجده لبعضهم غير عارف بالراجح ولا بما يلزم عليه من الاشكالات ، فلما اوردنا عليـه بعض الاشكالات جعـل يذهب فى تفسير النظر الواجب كل مذهب كخابط ليل . وقد كتبت اليه رسالة مختصرة بليغة فى رد ما ذهب اليه حتى يرجع وبالله التوفيق . واعلم ان بعض من قال بذلك من الاصولين قاله تبعا للفلاسفة الذين كانوا فى زمن الفترة فقالوا : الواجب على العبد النظر فى حقيقة الصانع والمصنوع وطريق سعادة العبد ونجاته .

فاما بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وظهور ملته فالصواب ان اول الواجبات المعرفة بالله ورسوله ودينه ثم التعبد له . ومن الأصوليين من قاله تفخيما لعلم الأصول ومبالغة فى الرد على من يقول بتحريم تعلم علم الكلام . فحصل غلـو من الفريقين والصواب التوسط بينهما . وحاصل الصواب فى ذلك ما قاله الغزالى فى الاحياء . فقال : الحق فيه ان اطلاق القول بذمة أو بحمده مطلقا خطأ . لا بد من تفصيل ، فنقول : فيه ، منفعة ومضرة فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حـلال وواجب كما يقتضيه الحال . وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار ومحله حرام . فمضرته اثـارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل فى الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ، ويختلف فيه الاشخاص . فهذا ضرره فى اعتقاد الحق وله ضرر آخر فى تأكيد اعتقاد المبتدعة . وتثبيته فى صدورهم بحيث يشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر يكون بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل . واما منفعته فشىء واحد وهو حراسة العقيدة التى تأتى ترجمتها وحفظها على العوام عن تشويشات المبتدعة والناس بهذه العقيدة أن ورد الشرع بها لما فيها من صلاح(**دينهم**) ودنياهم ، واجمع عليـه السلف والعلمـاء متعبدون بحفظها على العوام من

(1) محمد بن عمر بن الحسن البكرى : فخر الدين الرازى . الامام المفسر . يقال له ابن خطيب الرى :.توفى سنة 606 هـ و 1216 م . ترجمته فى الواقيات ج 1 . 474 وبروكلمان ج 1 . 666 والملحق . 1 . 920 . والزركلى

تلبيسات (ورقة 6 ظهر) المبتدعة ، كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب . قال العلماء : ويجب على علماء الشريعة ان يتصدوا للقعود للخلق ليعلموهم امر دينهم ويحذروهم من الوقوع فيما لا يجوز من العقائد والاعمال . قال ابن الصلاح : ولا يجب ذلك على مشائخ الصوفية ارباب الاحوال والمقامات لان فى الشريعة كفاية لارشاد الخلق . قال العلماء : ودعاء من لم تبلغه الدعوة مستحق ، ودعاء من بلغته الدعوة اذا لم يحتج الى التبييت فى قهرهم مستحب . قال الغزالى رضى الله عنه : فينبغى ان يكون العالم بالاصول كالطبيب الحاذق فى استعمال الدواء المخطر لا يضعه الا فى موضعه فى وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة . وتفصيله ان العوام المشغولين بالحرف يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم مهما اعتقدوا . والحق فان تعلمهم الكلام ضرر محض فى حقهم واما العامى المعتقد للبدعة فيدعى للحق بالتلطف وبالكلام المقنع المؤثر فى القلب القريب من سياق الادلة الواردة فى القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير . فان ذلك انفع من الجدل المصوغ على طريق المتكلمين وكذا من وقع له شك ان تجب علينا ازالته عنه باللطف والوعظ والادلة القريبة . فاما من اعتقد البدعة وعرف نوعا من الجدل فقد اسهى الى حالة لا يشفيه الا الجدل . فينبغى ان يداوى به . واما البلاد التى تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة العقيدة التى ستأتى ترجمتها ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة ، فان وقعت ذكر تعدد الحاجة . فان كانت البدعة شائعة وخيف على الصبيان ان يخدعوا فلا بأس ان يعلموا ما ينبههم على الحذر منها لئلا تؤثر مجادلات المبتدعة فى قلوبهم . فان كان فى بعض الصبيان ذكاء وتنبه لموضع السؤال ، او ثار فى نفسه شبهة اجيب عن سؤاله . وأزيلت شبهته بالاقتصاد ان أعلمت ذلك ، فاعلم ان الحق انه من فروض الكفايات فلا بد فى كل بلد من قائم بهذا العلم يدفع شبهة المبتدعة التى ثارت فى تلك البلد وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كالفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء الا يحذر وضرر الدواء (1) يحذر فالعالم به (ينبغى ان يخصص) (2) هذا العلم من فيه (ثلاث خصال احداها) (2) (ورقة 7 وجه) العلم والحرص والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة ، فان البليد لا ينتفع بفهمه . والفدم لا ينتفع بحجاجه . فيخاف عليه من ضرر الكلام ، ولا يرجى فيه نفعه . والثالثة ان يكون فى طبعه الصلاح والتقوى ولا تكون الشهوة غالبة عليه . فان الفاسق بادنى شبهه ينخلع عن الدين ، ويرفع السد بينه وبين الملاذ ، فيغتنم الشبهة ليتخلص من أعباء التكليف . اذا عرفت ذلك عرفت ان الشافعى رضى الله عنه وكافة السلف انما منعوا منه للضرر الذى نبهنا عليه ، وان ما نقل عن ابن عباس من مناظرة للخوارج وما نقل عن على رضى الله عنه من المناظرة فى القدر وغيره كان من الكلام

(1) فى الاحياء وضرر الداء .

(2) تصحيح من الاحياء . ص 64 . طبعة قديمة مصرية بدون تاريخ .

الجلي ، وفى محل الحاجة الظاهرة ، وذلك محمود فى كل حال ، فهذا حكم العقيدة التى تعبد الخلق بها وطريق النضال عنها وحفظها . فاما ازالة الشبهة وكشف الحقيقة عن اسرارها فموهبة من الله تعالى مفتاحها المجاهدة والاقبال على الله تعالى بالكلية وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات . وهى رحمة من الله تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وطهارة القلب ، وذلك البحر الذى لا يدرك غوره وبالله التوفيق . انتهى مختصر كلام الغزالى رحمه الله . ثم ترجم هذه العقيدة على كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الاسلام فقال رضى الله عنه : معنى الكلمة الأولية ، الحمد لله المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، ذى العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادى صفوة العبيد الى المنهج الرشيد ، والمسلك السديد ، المنعم عليهم بعـد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السائق لهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثار صحبه الأكرمين ، المكرمين بالتأييد والتسديد ، والمتجلى لهم فى ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه ، التى لا يدركها الا من ألقى السمع وهو شهيد . المعرف لهم اياه فى ذاته انه واحد لا شريك له . فرد لا مثل له . صمد لا ضد له . منفرد لا ند له . وانه قديم لا اول له . ازلى لا بداية له . مستمر الوجود لا آخر له . ابدى لا نهاية له . قيوم لا انقطاع لـه . دائم لا انصرام لـه . لم يزل . ولا يزال موصوفا بنعوت الجـلال . لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال . بتصرم الآمـاد وانقضاء الآجال . بل هو الأول والآخر . والظاهر والباطن . وهو بكل شىء عليم . التنزيه . وانـه ليس بجسم مصور . ولا جوهر محدود مقدر . ولا تحله الجواهر . ولا بعرض ولا تحله الاعراض . بل لا يماثل موجودا ولا يماثله **(ورقـة 7 ظهـر)** موجود . ليس كمثله شىء ولا هو مثل شىء وانه لا يحده المقـدار ولا تحويه الاقطار . ولا تحيط بـه الجهات ، ولا تكتنفه الارضون والسموات . وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله . والمعنى الذى اراده استواء منزها على المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال . لا يحمله العرش . بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته . مقهورون فى قبضته . وهو فوق العرش وفوق كل شىء . الى تخوم الثراء ، فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء . بل هو رفيع الدرجات على العرش . كما انه رفيع الدرجات عن الثرى . وهو مع ذلك قريب من كل موجود . وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد . وهو على كل شىء شهيد لا يماثل قربه قرب الاجسام . كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام . وانه لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء تعالى ان يحويه مكان . كما تقدس ان يحد بزمان بل كان قبل ان يخلق الزمان ، والمكان . وهو الآن على ما عليه كان . وانه بائن من خلقه بصفاته ، ليس فى ذاته سواه . ولا فى سواه ذاته وانه مقدس عن العوارض من التغير والانتقال . لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض ، بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال . وفى صفات كماله مستغنيا عن

زيادة الاستكمال . وانـه في ذاتـه معلوم الوجود بالعقول . مرای الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار ، في دار القرار ، واتماما منه للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم . **القـدرة** وانه حي قادر جبار قاهر . لا يعتريه قصور ولا عجز . لا تأخذه سنة ولا نوم . ولا يعارضه فناء ولا موت . وانه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت . له السلطان والقهر وله الخلق والأمر . والسماوات مطويات ، بيمينه . والخلائق مقهورون في قبضته . وانه منفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع . خلـق الخلق واعمالهم ، وقدر ارزاقهم وآجالهم . لا يشذ عن قبضته مقدور ولا تغرب عن قدرته تصاريف الامور . ولا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته . **العلـم** وانه تعالى عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى في تخوم الارضين الى اعلى السموات . لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء . بل يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ويدرك حركة الطير في جو الهواء . ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر ، بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في (**أزل**) (1) (**الآزال**) (1) حاصل في ذاته بالحلول والانتقال . **الارادة** وانه (**ورقة 8 وجه**) مريد لجميع الكائنات . مدبر للحادثات . لا يجرى في الملك والملكوت قليل او كثير ، صغير او كبير ، خير او شر . نفع او ضر . ايمان او كفر . عرفان او نكر . فوز او خسران . زيادة او نقصان . طاعة او نسيان . الا بقضائه وقدره ، وحكمه ومشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا تخرج عن مشيئته لفتة ناظر . ولا فلتة خاطر . هو المبدىء المعيد الفعال لما يريد . لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته . ولا قوة له على طاعة الا بمحبته وارادته . لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك . ون ارادته قائمة بذاته ، في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفا بها ، مريدا بها ، في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها ، التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تأخر . بل وقعت على وفق عمله وارادته من غير تبدل ولا تغير . دبر الأمور لا بترتيب افكار وتربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن . **السمـع والبصر** ، وانـه تعالى سميع بصير . يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي . ولا يغيب عن رؤيته مرأى وان دق ، ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام . يرى من غير حدقة واجفان ، ويسمع من غير اصمخة وآذان . كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلـة ، لا تشبه صفاته صفات الخلق . كما لا تشبه ذاته ذات الخلق . **الكـلام** . وانه متكلم آمر نـاه ، واعد متوعد بكلام أزلي قديم ، قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت

(1) من الاحياء باب العلم .

يحدث من انسلال لهوات واصطكاك اجرام بحرف تتقطع باطباق شفة ، او تحريك لسان ، وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله . وان القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب ، وانه مع ذلك قديم بذات الله لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب ، والاوراق . وان موسى عليه السلام سمع كلام الله عز وجل بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله عز وجل من غير جوهر ولا عرض . واذا كانت له هذه الصفاة كان حيا عالما قادرا مديرا سميعا بصير متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام ، لا بمجرد الذات . **الافعال** . وانه لا موجود سواه الا وهو . حادث بفعله في افعاله ، عادل في اقضيته لا يقارن عدله بعدل العباد ، اذ العبد يتصور منه الظلم لتصرفه في ملك غيره ، ولا نتصور الظلم من الله تعالى فانه **(لا يصادف)** (1) لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه سواه من جن **(ورقة 8 ظهر)** وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجماد وعرض ومدرك ومحسوس حادث . اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا ، وانشاءا بعد ان لم يكن شيئا . اذ كان في الازل موجودا وحده ، ولم يكن معه غيره ، فاحدث الخلق بعد اظهارا لقدرته ، وتحقيقا لما سبق من ارادته ، وانما حق في الأزل في كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته ، وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ، ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم . فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان . كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ، ويبتلي بضروب الآلام والاوصاب ، ولو فعل ذلك لكان ذلك منه عدلا ، ولم يكن قبيحا ولا ظلما . وانه يثيب عباده على الطاعة بحكم الكرم والوعد ، لا بحكم الاستحقاق واللزوم . اذ لا يجب عليه فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يجب عليه لأحد حق . وان حقه واجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة . فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به .

معنى الكلمة الثانية : وهي شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وانه بعث النبيء الأمّي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع ، الا ما قرره وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قول محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والآخرة . وانه لا يقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبره عنه بعد الموت ، واوله سؤال منكر ونكير ، وهما : شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له : من ربك ؟ من دينك ؟ ومن نبيك ؟ وهما فتانا القبر وسؤالهما اول فتنة بعد الموت ، وان تؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمة ، وعدل على الجسم والروح على من يشاء ،

---

(1) من الاحياء باب الصفات .

كما يشاء . ويؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان ، وصفته فى العظم انه مثل طباق السماوات والارض ، توزن فيه الأعمال بقدرة الله والصبح يومئذ مثاقيل الـذر والخردل تحقيقا لتمام العدل (**وتطرح صحائف**) (1) الحسنات فى صورة حسنة فى كفة (**النور**) (1) فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله ، وتطرح صحائف السيئات (**ورقـة 9 وجـه**) فى كفة الظلمة ، فيخف بها الميزان بعدل الله . ويؤمن بان الصراط حق . وهو : جسر ممدود على متن جهنم ، أحد من السيف وأدق من الشعر تزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله فتهوى بهم الى النار ، وتثبت عليه اقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار . ويؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يضمأ بعدها ابدا ، عرضه مسيرة شهر ، اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل . حوله أباريق عدد نجوم السماء فيه مزابان يصبان من الكوثر . ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيــه الى مناقش فى الحساب والى متسامح والى من يدخل الجنـة بغير حساب ، وهم المقربون . فيسال من يشاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين . ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمون عن الاعمال ويؤمن باخراج الموحدين من النار ، بعـد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى . ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ، ثم الشهداء ثم سائـر المؤمنين كل على حسب جاهـه ومنزلته ومن بقـى من المؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار مؤمن . بل يخرج منهـا من كان فى قلبـه مثقال ذرة من الايمان . وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم ، وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ، ثم عمـر ، ثم عثمان ثم علي ، رضوان الله عليهم . وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما اثنى الله ورسوله عليهم اجمعين . فكل ذلك مما وردت به الأخبار ، وشهدت به الآثار . فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة ، وفارق رهط الضلال والبدعة ، فنسأل الله تعالى كمال اليقين والثبات فى الدين ، لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين . انتهت عقيدة الامام الغزالي رحمه الله تعالى محررة على مذهب اهل السنة الأشعرية جامعة بين المنقول والمعقول ، وهى اول كتاب قواعد العقائد من جملة كتب احياء علوم الدين والناس كلهم متعبدون باعتقادها على ظاهرها وانها ليس فى باطنها ما يخالف ظاهرها ، فالعامة يعتقدونها تقليدا جزما من غير اختلاج ريب واضطراب عقد . والعلماء يعتقدونها بادلتها وتختلف مراتبهم فى العلم والثبـات والتيقن ، جعلنا الله من خواصهم بفضله آمين (**آمين**) هذه العقيدة تحت الشهادتين كما تقدم (**فى**) اثبات ذات الله واثبات صفاتـه ، واثبات افعالـه ، واثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(1) من الاحياء . ص . 60

ورقة 9 ظهر . فكلمة لا اله الا الله تنتظم خمس عقائد وهى اثبات الاهية الله تعالى ونفى الاهية غيره . فيخرج من قال لا اله الا الله بالاثبات من التعطيل وبالنفى من التشريك ، ويثبت باسم الاله ابداعه جميع ما سواه ، وتدبيره فيما ابدع ايضا ، ويثبت بذلك ايضا نفى التشبيه فان اسم الاله والتشبيه لا يجتمعان ، كما ان اسم الاله ونفى الابداع لا يأتلفان . وقول محمد رسول الله يتضمن تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى كل ما جاء به عن الله تبارك وتعالى . قال الغزالى رحمه تعالى واعلم انما ذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى ان يقدم الى الصبى فى اول نشوئه ليحفظه حفظا ، ثم لا يزال ينكشف له فى كبره شيئا فشيئا ، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به ، وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهان بل من فضل الله عز وجل على قلب الانسان يشرحه فى اول نشوئه من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد ، والتعليم المحض ، نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى الابتداء ، على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه ، لو القى عليه ولا بد من تقويته واثباته فى نفس الصبى والعامى حتى يرسخ ، ولا يتزلزل وليس الطريق فى تقويته واثباته ان يعلم صنعة للجدل والكلام ، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره ، وقراءة الحديث ومعانيه ، وبالعبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسخا بما يقرأ سمعه من ادلة القرآن ومن حججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها ، وبما يسطع عليه من انوار وظائف العبادات ، وبما يسرى اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسماهم وهيئاتهم فى الخضوع لله تعالى ، والخوف منه والاستكانة له . فيكون اول التلقين على لقاء البذر فى الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقى والتربية له ، حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ، ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان يشوشه انما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده . وما يفسده اكثر مما يصلحه وتقوية الاعتقاد بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء ان تقوى بان تكثر اجزاؤها . وربما يفنيها ذلك ويفسدها . وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك فى هذا بيانا ، وناهيك بالعيان برهانا . فقس عقيدة اهل التقى والصلاح من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمتجادلين فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهى والصواعق (**وعقيدة المتكلم**) (1) الحارس عقيدته بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء ، تقلبه الريح هكذا وهكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد (**فتلقفه تقليدا**) (1) ، (**ورقة 10 وجه**) تلقف نفس الاعتقاد تقليدا . ولا فرق بين التقليد فى تعلم الدليل او تعلم المدلول . فتلقين الدليل (**شيء**) (1) والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ، ثم الصبى ان اوقع نشوؤه على هذه العقيدة فان اشتغل بالدنيا لم

(1) من الاحياء ص 60

ينفتح لـه غيرها . ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد اهل الحق ، ان لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد ، فاما البحث والتفتيش فلم يكلفوه اصلا ، وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة ، انفتح له ابواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة ، بنور الاهي يقذف في قلبه ، بسبب المجاهدة تحقيقا لوعد الله تعالى ، لقوله تعالى : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . (1) وانكشاف تلك الاسرار لها درجات بحسب درجات الفطنة والذكاء ، وبحسب درجات المجاهدة وطهارة القلب عما سوى الله . وبالله التوفيق . هذا كلة من كلام الغزالي رحمه الله تعالى في الاحياء . وقال ايضا في كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة : الايمان المستفاد من الدلائل الكلامية ضعيف ، مشرف على التزلزل بكل شبهة . بل الايمان الراسخ هو ايمان العوام الحاصل في قلوبهم ، في الصبي بتواتر السماع والحاصل بعد البلوغ بقرائن لأحوال ، لا يمكن العبادة عنها وتمام تأكده بملازمة الذكر والعبادة المؤدية الى حقيقة التقوى وتطهير الباطن عن كدورات الدنيا وتجلي انوار المعرفة فتصير الامور التى كان اخذها تقليدا عنده كالمشاهدة . انتهى . وما ذكره الغزالي رحمه الله تعالى من تقويـة الاعتقاد واثباته بتلاوة القرآن وتفسيره وسماع الحديث ومعانيه وحراسة سمعه عن البدع فهو الصواب . لان في الكتاب والسنة اصول الدين ولكن المعتمد من التفاسير وشروح الحديث على كتب أيمة اهل السنة كالامام الواحدي والبغوي وامثالهما ، فان للمبتدعة من المعتزلة والحنابلة تفاسير وشروحا للحديث ، لا يرتضى اهل السنة الاخذ منها لمـا فيهـا من تحريف القرآن والحديث على وفق عقائدهم ومذاهبهم كما أخبر الله عنهم بقوله : فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه (2) . بل تعدوا من المتشابه الى تحريف البين المحكم كما فعل ابن عربي وامثاله من الملاحدة ، كما سيأتي التنبيه عليه ، فيجب التحرر من كتب المبتدعة وكتب الضعفاء كلها ، فرب مسالة واحدة للمبتدعة هدمت أصلا من أصول الدين وكانت سببا لادخال الفتنة في قلوب الضعفاء وامـا قلوب (   ) في الايمان القابلة لعلوم القرآن والسنة على وجوهها فانهـا تنكر كل بدعة صغرت او كبرت (**ورقـة 10 ظهـر**) قوة كانت او فعلا ، او اعتقادا ، وتتلقى كلام أهل السنة بالقبول فتبقى بيضاء نقية لا يعلق بها سواد بدعة ، كما روينا معنى ذلك في صحيح البخاري ومسلم رحمهما الله ، واللفظ المسلم في باب رفع الامانة والايمان من بعض القلوب ، وعرض الفتن على القلوب ، وذلك قول حذيفة رضي الله عنه : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال . فعلموا من القرآن والسنة . ثم حدثنا عن

(1) 29 . العنكبوت 69

(2) 3 . آل عمران 7

رفع الامانة قال : ينام الرجل فتقبض الأمانة من قلبه . ثم ينام فتقبض الامانه من قلبه ، الى قوله فلا يكاد احد يؤدى الأمانة والمراد بالأمانة : الايمان ، والطاعات . وقوله صلى الله عليه وسلم تفرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فاى قلب أشرب بها نكت فيه نكتة سوداء واى قلب انكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، على ابيض مثل الصفاء لا تضره فتنة ما دامت السماوات والارض والآخر أسود مرباد كالكون مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا . الا ما أشرب من هواه انتهى . وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : فى آخر القواعد الكبرى الطريق فى اصلاح القلوب التى تصلح الأجساد بصلاحها ويفسد بفسادها تطهيرها من كل ما يباعد عن الله وتربيتها بكل ما يقرب اليه من الاحوال والاقوال والاعمال ، ودوام الاقبال عليه من غير أداء الى السآمة والملال ، ومعرفة ذلك هى الملقبة بعلم الحقيقة ، وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة طافحة باصلاح القلوب ، فالمعارف والاحوال والعزوم والنيات وغير ذلك . فمعرفة احكام الظواهر معرفة تجلى الشرع ، ومعرفة احكام البواطن معرفة لدقائق الشرع ، ولا ينكر شيئا منها الكافر او فاجر . انتهى . قلت ولا يعتقد مخالفة الحقيقة للشريعة الا ملحد مارق ، او غالط او جاهل مقلد للملاحدة ، كما سيأتى التنبيه عليه فى مواضع ان شاء الله تعالى ولنتتبع هذا والعقيدة بعقائد جماعة من ائمتنا الاشعرية الجامعين بين الشريعة والحقيقة رضى الله عنهم . اخبرنا شيخنا الفقيه الاجل العلامة مفتى الأنام شيخ الاسلام ابو الحسن على بن ابى بكر الازرق فيما اجاز فيه وقرأته على غيره بالاسناد المتصل الى الاستاذ الامام ابى القسم القشيرى صاحب الرسالة رضى الله عنه قال :

فصل فى بيان اعتقاد هذه الطائفة فى مسائل الاصول **(ورقة 11 وجه)** اعلموا رحمكم الله ان شيوخ هذه الطائفة يعنى الصوفية بنوا قواعد امرهم على أصول صحيحة فى التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف واهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القدم ، وتحققوا ما هو نعت الموجود عن العدم ، ولذلك قال سيد هذه الطائفة الجنيد رحمه الله : التوحيد افراد القدم عن الحدث . واحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال ابو القاسم الجريرى رحمه الله : من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرر فى مهواة من التلف . يريد بذلك ان من ركن الى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد ، سقط عن سنن النجاة ووقع فى أسر الهلاك . كذا قال القشيرى رحمه الله : قلت يعنى من قلد غير اهل السنة الائمة الأعلام المشهورين فلا يسقط عن سنن النجاة ، وان لم يعرف ادلتهم تفصيلا لانه يعرفها اجمالا والغلط عليه مأمون بحمد الله فان الله لا يجمع امة محمد على ضلالة ابدا . رواه الحاكم وصححه من رواية ابن مسعود واوله ، عليكم بمعظم امة محمد . وعندى ان فى كلام الجريرى

وجها آخر احسن من ذلك وهو ان من لم يقف على حد علم التوحيد الذى تشهد به الشريعة وادعى طورا وراء ذلك من اطوار المعرفة سقط عن سنن النجاة كشطاح الصوفية . وكذا الحشوية الذين تمسكوا بالظواهر الموهمة للتمثيل والتشبيه والتجسم ، ولم يرجعوا بها الى شواهد الشريعة . وكذا الفلاسفة والمعتزلة الذين يحكمون بالمعقول على المنقول من اصول الشريعة كما هو معروف من مذاهبهم فى كتب اصحابنا رحمهم الله ورضى عنهم . ثم قال القشيرى رحمه الله : ومن تأمل الفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق متامله بان القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شأو ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير يعنى اهل السنة منهم . قال ونحن نذكر فى هذا الفصل جملا من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول ، ثم نحرر على الترتيب بعدها ما يشتمل على ما يحتاج **(ورقة 11 ظهر)** اليه فى الاعتقاد على وجه الايجاز والاختصار ان شاء الله تعالى . قال : الشبلى (1) رحمه الله : جل الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف . قال القشيرى : هذا من الشبلى صريح ان القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلامه . وسئل رويم عن أول فرض افترض الله على خلقه فقال هو المعرفة لقوله جل ذكره : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدونى (2) . قال ابن عباس رضى الله عنهما : الا ليعرفونى . قلت كذا نقله القشيرى مقتصرا عليه . وتقدم نقله عن مجاهد وغيره . ثم قال الاستاذ نقلا عن ابى الطيب المراغى ، للعقل دلالة وللحكمة اشارة وللمعرفة شهادة . فالعقل يدل والحكمة تشير . والمعرفة تشهد ان صفاء العبادات لا ينـال الا بصفاء التوحيد . وسئل الجنيد عن التوحيد ، فقال : افراد الموحد بتحقيق وحدانيته وبكمال احديته . انه الواحد الذى : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد ينفى الاضداد والأنداد والأشباه ، بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وسئل ابو بكر الروذبادى عن المعرفة : فقال المعرفة اسم ومعناه وجـود تعظيم فى القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه . وقال ابو الحسن البوشنجى : التوحيد ان يعلم ان غيره مشبه للذوات ولا منفى الصفات . وقال بعضهم الزم الكل الحدث لان القدم له فالذى بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه ، والذى بالادوات اجتماعه فقواها تمسكه والذى يؤلفـه وقت يفرقه وقت ، والذى يقيمه غيره فالضرورة تمسكه ، والذى الوهم يظفر به فالتصوير يرتقى اليه . ومن آواه محل ، ادركه أين . ومن كان له جنس طالبه مكيف

(1) الشبلى : دلف بن جحدر ابو بكر المتوفى سنة 334 هـ . و 945 م انظر عنه الديباج ، 116 . والبداية ج 11 ص 6 ـ 215 ، طبقات الصوفية ص 5 ـ 340 . بروكلمان ج 1 ص 199 والملحق 1 ، 357 .
للناشر

Histoire de l'Ecole Mâlikite en Orient, page 196

(2) 51 ـ الذاريات 56

بتيف . انه سبحانه لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ، ولا يزاحمه عند ، ولا يأخذه خلف ، ولا يحده امام ولا يظهره قبل ، ولم يفته بعد ، ولم يجمعه كل ، ولم توجده كان ، ولم يفقده ليس . وصفه لا صفة له ، وكونه لا ابد ، وفعله لا علة له ، تنزه عن احوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ، ولا فى فعله علاج باينهم بقدمه ، كما باينوه بحدوثهم . ان قلت متى ؟ فقد سبق الوقت كونه ، وان قلت هو فالهاء والواو خلقه . وان قلت أين فقد تقدم المكان وجوده ، فالحروف ( ) ووجوده اثباته ، ومعرفته توحيده . وتوحيده تمييزه عن خلقه ، ما تصور فى الاوهام فهو بخلافه ، وكيف يحل به ما منه بدا ويعود اليه ما هو انشأ ، تماثله العيون ولا تقابله الظنون . قربه كرامته وبعده اهانته ، علوه من غير (**ورقة 12 وجه**) ترقل ، ومجيئه من غير تنقل ، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ، القريب البعيد الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وقال ذو النون المصرى . التوحيد ان يعلم ان قدرة الله تعالى فى الأشياء بالأمزاج وصنعه الأشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ، ولا علة لصنعه ، وليس فى السماوات العلى ولا فى الارضين السفلى مدبر غير الله عز وجل . وكلما تصور فى وهمك فالله تعالى . بخلاف ذلك كله . وقال الجنيد : التوحيد علمك واقرارك بان الله واحد فرد فى أزليته لا ثانى معه ، ولا شيء ، يفعل فعله . وقال ابو عبد الله بن حفيف : الايمان تصديق القلوب بما اعلمها الحق من الغيوب . وقال ابو العباس السيارى : عطاؤه على نوعين كرامة واستدراج . فما ابقاه عليك ، فهو كرامة . وما أزاله عنك ، فهو استدراج . فقال أنا مؤمن ان شاء الله ، وابو العباس السيارى كان شيخ وقته ، غمز رجل رجله فقال : تغمز رجلا ما نقلتها قط فى معصية الله . وقال ابو بكر الواسطى : من قال انا مؤمن بالله حقا قيل له : الحقيقة تشير الى اشراف ، او اطلاع او احاطة . فمن فقده بطل دعواه فيها . يريد بذلك ما قاله اهل السنة من ان المؤمن الحقيقى من كان محكوما بانه من اهل الجنة فمن يعلم ذلك من سر حكمة الله فدعواه بانه مؤمن حقا غير صحيحة . وقال سهل بن عبد الله التسترى : ينظر الله المؤمنون بالأبصار من غير احاطة ولا ادراك نهاية . وقال ابو الحسين احمد ابن النورى : شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فاكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وقال ، محمد المجبوب ( ) خادم الى عثمان المغربى قال لى ابو عثمان المغربى (1) يوما يا محمد : لو قال لك احد اين معبودك ايش تقول ؟ قلت اقول حيث لم يزل . قال فان قال لك ، فاين ؟ كان فى الأزل . قلت اقول حيث هو الآن يعنى

---

(1) ابو عثمان سعيد بن سلام المغربى المتوفى سنة 373 هـ و 983 م من قرية كركر بالساحل التونسى مات بنيسابور وكان من اعلام الصوفية فى عصره . انظر عنه طبقات الصوفية 19 ـ 505 ـ 49 ـ 435 وبالفرنسية تاريخ المالكية فى الشرق

انــه كان ولا مكان فهو الآن كما كان على مــا كان . قال فارتضى ذلك منى ونزع قميصه واعطانيه . وقال الامام ابو بكر بن فورك : سمعت ابا عثمان المغربى يقول كنت أعتقد شيئا من حديث للجهلة كلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى فكتبت الى اصحابى بمكة انى اسلمت اسلاما جديدا . وسئل المغربى ايضا عن الخلق فقال : قوالب واشباح تجرى عليهم احكام القدرة . وقال **(ورقــة 12 ظهــر)** الواسطى : لما كانت الارواح والاجساد قامتا بالله وظهرتا به لا بذواتها كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها . ان الحركات والخطرات فروع الاجساد ولأرواح ، فصرح فى هذا الكلام بان اكساب العباد مخلوقة لله وكما انه لا خالق للجواهر الا الله ، فكذلك لا خالق للأعراض الا الله . وقال ابو سعيد الخراز من ظن انه يبذل الجهد يصل فمتعان . ومن ظن انــه بغير بذل الجهــد يصل فمتن . وقال الواسطى : اقسام قسمت ونعوت اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات . وسئل الواسطى عن الكفر بالله . او الله . فقال : الكفر والايمان والدنيا والآخرة من الله والى الله وبالله ولله من الله . ابتــدأ وانشأ او الى الله مرجعــا وانتهــاء . وبالله بقاء وفناء . ولله ملكا وخلقا . وقال الجنيد : سئل بعض العلماء عن التوحيد فقال : هو اليقين . فقال السائل بين لى ما هو . فقال : هو معرفتك ان حركات الخلق وسكونهم فعل الله تعالى يخلقه وحده لا شريك له . وان أعلمت ذلك فقد وحدته . وقال ذو النون المصرى لرجل جاءه فقال له ادع الله لى . فقال : ان كنت قد أيدت فى علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك . والا فان الند الا ينقذ الغرقى . وقال الواسطى : ادعى فرعون الربوبية على الكشف اى « ظاهرا » وادعته المعتزلة على الستر . تقول ما **(ذا)** فعلت ؟ وقال ابو الحسين النورى : التوحيد كل خاطر يشير الى الله تعالى . بعد ان لا تزاحمه خواطر التشبيه . وسئل ابو على الروذبادى عن التوحيد . فقال : التوحيد استقامة القلب باثبات الواحد الحق بمفارقة التعطيل ، وانكار التشبيه والتوحيد فى كلمة واحدة . كلما صورته الأوهام والافكار . فالله بخلاف ذلك بقوله ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (1) . وقال ابو القاسم النصراباذى : الجنة باقية بابقائه . وذكره لك ورحمته ومحبته لك باق ببقائه فشتان مــا هو باق ببقائه وبين مــا هو باق بابقائه قال القشيرى رحمه الله وهذا غاية التحقيق : فان اهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه **(ورقة 13 وجه)** باقيات ببقائه تعالى فنبه على هذه الملة وبين ان الباقى باق ببقاء بخلاف ما قاله مخالفو الحق . وقال النصراباذى ايضا انت تتردد بين صفات الفعل وصفات الذات وكلاهما على الحقيقة صفته . فاذا هيبك فى مقام التفرقة قربك من صفات فعله . فاذا بلغك الى مقام الجمع قربك بصفات ذاته . قال القشيرى رحمه الله : سمعت الاستاذ الامام ابــا اسحاق الاسفراينى رحمه الله تعالى يقول : لما قدمت من بغداد أدرس فى

(1) 42 ـ الشورى ـ 11

جامع نيسابور مسألة الروح وأصرح القول في انها مخلوقة وكان ابو القاسم النصراباذي قاعدا متباعدا عنا يصغي الى كلامي فاجتاز بنا بعد ذلك اليوم بايام قلائل فقال لمحمد الفراء . اشهد أني قد أسلمت جديدا على يدي هذا الرجل • وأشار الي • قال القشيري رحمه الله وكان النصراباذي شيخ وقته • وقال الجنيد متى يتصل من له شبيه ونظير بمن لا شبيه له ولا نظير ؟ هيهات هذا الظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان . وقيل ليحيى بن معاذ اخبرنا عن الله : فقال اله واحد . فقيل له كيف هو ؟ فقال : ملك قادر . فقيل له اين هو ؟ فقال بالمرصاد . فقال السائل لم أسألك عن هذا . فقال ما كان غير هذا . كان صفة المخلوق . فاما صفته فما أخبرت عنه . وقال ابو علي الروذبادي : كلما توهم متوهم بالجهل انه كذلك ، فالعقل يدل على انه بخلافه . وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة . قال الله تعالى : انني معكما اسمع وارى . ومع العامة بالعلم والاحاطة . قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم (1) . الآية . فقال ابن شاهين مثلك يصلح ان يكون دالا للامة على الله . وسئل ذو النون المصري عن قوله الرحمان على العرش استوى . فقال اثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والاشياء موجودة . بحكمته كما شاء ، وسئل الشبلي عن قوله تعالى الرحمان على العرش استوى . فقال الرحمان لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمان استوى . وسئل جعفر بن بصير عن قوله الرحمان على العرش استوى . فقال استوى علمه بكل شيء ، فليس شيء اقرب اليه من شيء . وقال جعفر بن محمد الصادق : من زعم ان الله في شيء او من شيء او على شيء فقد أشرك . لانه لو كان على شيء لكان مجهولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا . وقال جعفر الصادق في قوله ثم دنا فتدلى من توهم انه (**ورقة 13 ظهر**) بنفسه دنا جعل ثم مسافة . انما التداني انه كان كلما قرب منه ، بعده من انواع المعارف . اذ لا دنو ولا بعد . قيل لصوفي أين الله ؟ فقال للسائل : أسحقك الله أتطلب مع العين أين . وقال ابو سعيد الخراز حقيقة القرب فقد حس الاشياء من القلب وهدو الضمير الى الله . وقال ابراهيم (**الخواص**) أنهيت الى رجل قد صرعه الشيطان فجعلت أؤذن في اذنه فناداني الشيطان من فوقه دعني اقتله ، فانه يقول القرآن مخلوق . وقال ابن عطاء : ان الله لما خلق الاحرف جعلها سرا له . فلما خلق آدم بث فيه ذلك السر ، ولم يبث ذلك السر في احد من ملائكته فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان ، وفنون اللغات فجعلها الله صورا لها . صرح ابن عطاء بان الحروف مخلوقة وقال سهل بن عبد الله : ان الحروف لسان فعل لا لسان ذات . لانها فعل في مفعول . قال الاستاذ

(1) . المجادلة 58 . 7 .

وهذا ايضا صريح بان الحروف مخلوقة . وقال الجنيد فى جوابات مسائل الشاميين التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب . قال القشيرى رحمه الله وهذا قول اهل الأصول ان الكلام هو المعنى الذى قام بالقلب من معنى الامر والنهى والخبر والاستخبار . وقال الجنيد ايضا تفرد الحق بعلم الغيوب فعلم بما كان وبما يكون وما لا يكون ان لو كان كيف كان يكون . وقال بعضهم : من عرف الحقيقة فى التوحيد سقط عنه كيف ولم . وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد . وقال الواسطى : ما احدث الله شيئا اكرم من الروح . صرح بان الروح مخلوقة . روى القشيرى رحمه الله هذه المقالات عنهم بأسانيد متصلة . ثم قال دلت هذه المقالات على ان عقائد مشائخ الصوفية توافق أقاويل اهل الحق فى مسائل الأصول . قال وقد اقتصرنا على هذا القدر خشية خروجنا عن الاختصار انتهى . وقال الجنيد فيما تقدم متى يتصل من له شبيه ونظير بمن لا شبيه له ولا نظيره الى آخره . تنبيه على انه ليس المراد بالاتصال بين العبد وبين الله تعالى اتصال الذات بالذات . قالوا واعتقاد توهم ذلك فى حق الله تعالى كفر . بل اتصال العبد بربه هو معرفته به واشتغاله به عما سواه . فعلى مقدار انقطاعهم عن غير الحق يكون اتصالهم بالحق . وقد كثرت عبارات (**ورقـة 14 وجـه**) المشائخ فى الوصول . قال الشيخ شهاب الدين السهروردى : واذا تحققت الحقائق تعلم العقيدة مـع هـذه الأحوال الشريفة انه بعد فى اول المنزل فاين الوصول . انتهى المقصود من كلامه وفى كتاب التعرف للكلاباذى ان معنى الاتصال ان ينفصل العبد بسره عما سوى الله تعالى . فلا يرى بمعنى التعظيم غيره ، ولا يسمع الا منه ، وكلما نقل عن المشائخ من ذكر المشاهدة والتجلى فهو محمول على تجلى نور الحق سبحانه ، عن ان تراه العيون فى الدنيا (   ) علم ذلك موقنا والله اعلم . ثم قال القشيرى رحمه الله فى فصل يشتمل على بيان عقائدهم فى التوحيد على سبيل الترتيب . قال شيوخ هذه الطائفة على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتها فى علم التوحيد ان الحق سبحانه وتعالى موجود قديم ، واحد حكيم ، قادر عليم ، قاهر رحيم ، مريد سميع ، مجيد رفيع ، متكلم بصير ، متكبر قدير ، حى أحد ، باق ، صمد ، وانه عالم بعلم ، قادر بقدرة ، مريد بارادة ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، متكلم بكلام ، حى بحياة ، باق ببقاء ، وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء على التخصيص . وله الوجه وصفات ذاته مختصة بذاته لا يقال هى هو ولا يقال هى أغيار له . بل هى صفات له أزلية ، ونعوت سرمدية ، وانـه أحدى الـذات ، ليس يشبـه شيئا من المصنوعات ، ولا يشبهه شىء من المخلوقات ، ليس بجسم ولا جوهر ، ولا لصفاته اعراض ، ولا يتصور فى الأوهام ، ولا يتقدر فى العقول ، ولا له جهة ومكان ، ولا يجرى عليه وقت وزمان ، ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان ، ولا تخصه هيئة وقـد ،

ولا تقطعه نهاية وحد ـ ، ولا يحلـه حادث ، ولا يحمله على الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ، ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون ، ولا يخرج عن قدرته مقدور ، ولا ينفك عن حكمه مفطور ، ولا يقرب عن عمله معلوم ، ولا هو على فعله كيف يصنع ، وما يصنع معلوم . لا يقال أين ولا حيث ولا كيف ؟ ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان ؟ ولا ينتهى له بقاء فيها فيقال استوفى الأجل والزمان ولا يقال له لم فعل ما فعل ؟ اذ لا علة لأفعاله ، ولا يقال ما هو اذ لا جنسله فيتميز بأمارة عن اشكاله . يرى عن مقابلة ، ويرى لا على مقابلة ، ويصنع لا بمباشرة ، ومزاولة . له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، يفعل ما يريد ويذل لحكمه العبيد . لا يجرى فى سلطانه الا ما يشاء ، ولا يحصل فى ملكه الا ما سبق به القضاء ، ما علم انه يكون من الحادات اراد ان يكون وما علم (**ورقة 14 ظهر**) انه لا يكون مما حان ان يكون اراد ان لا يكون ، خالق أكساب العبد خيرها وشرها ، ومبدع ما فى العالم من الآثار والأعجاب قلها وكثرها . ومرسل الرسل الى الامم من غير وجوب عليه ، ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه . ومؤيد نبينـا محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الطاهرة والآيات الزاهرة بما أزاح به العذر ، واوضح به اليقين والذكر ، وحافظ بيضه الاسلام بعد وفاته صلى الله وسلم بخلفائه الراشدين ، ثم حارس الحق وناصره مما يوضحه من صحح الدين على ألسنة أوليائه ، عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على الضلال ، وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالات وانجز ما وعده من نصرة الدين بقوله تعالى ليظهره على الدين كلـه ولو كـره المشركون (1) . انتهى . وقوله حارس الحق وناصره بما يوضحه من صحح الدين على ألسنة أوليائه يعنى أولياءه من العلماء . وهذا قول الشافعى وأبى حنيفـة رضى الله عنهما ان لم يكن العلمـاء العاملون أولياء الله فليس لله ولى . انتهى . وقوله عالم بعلم قادر بقدرة الى قوله باق ببقاء . اراد به اثبات الصفات الفعلية وصفات الذات المتفق عليها عند الايمة الاشعرية سبع وهى قديمة قائمة بالذات زائدة عليها . وقد أشرنا الى عددها فى اول خطبة الكتاب . واختلفوا فى الثامنة وهى صفة البقاء فاثبتها الاشعرى والجمهور ، وعليه جرى القشيرى هنا . وذهب القاضى (1) والامامان (2) والبيضاوى الى نفى تلك الصفة . وقالوا انه تعالى باق لذاته لبقاء زائد على الذات ، وعلى هذا جرى الشاطبى رحمه الله فى نظمها فى بيت واحد من قصيدته العقيلة . فقال حى عليم قدير والكلام له *** فرد سميع بصير ما اراد جرى وعليه جرى ايضا اليافعى فى قصيدته الموسومة بشمس الايمان التى ضمنها عقيدة اهل الحق فى خمسة عشر بيتا منها فقال :

---

(1) 61 ، 1 الصف . 9

(1) الباقلانى

(2) القشيرى والغزالى .

مريـد وحـي عـالم متكلـم   قدير على ما شاء سميع ومبصر
بسمع وعلم مـع حيـاة وقدرة   كذلك باقيها يـلي الكل مصدر

وستأتي الابيات . بجملتها ان شاء الله تعالى ، وهي اول شيء قرأته من العقائد على شيخي وجدي الفقيـه الصالح المعمر ابى بكر بن ابى القاسم الاهدل وذلك فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة فى بدايتى فى القراءة وكان أمرنى بتكريرها على سمعه وقد كف بصره . ويقول لى يا ولدى كان **(ورقـة 15 وجـه)** اليافعي اماما وما نحن الا مقلدون . وهو كما قال وقد ظهرت على بركة هذه الابيات الخمسة عشر وبركة من كررتها عليه . وكانت مفتاحا لمعرفة العقائد والنظر فى كتب الأصول وتمييز عقائد الاشعرية اهل السنة من غيرها بتوفيق الله تعالى والحمد لله رب العالمين على ما فهم وعلم . ونظمها ايضا اليافعي رحمه الله فى قصيدة اخرى وسماها بعقد اللآلى المفصل بالياقوت الغالى . ولكن على قافية اخرى

فقال : تعال الاه عن شريك ووالد   وولـد وزوجـات وكفـؤ ممثـل
سميـع بصـير عـالم متكلـم   وحـي مريـد كلهـا مصدر يـلي
بقدرته العظمى واتقـان حكمة   برى الكون فى كن كان بالقهر معتلى

واعلم ان اصول الاسلام وفروعه معلومة محققة ، والاسلام والايمان عباراتان عن دين واحد وكل مؤمن مسلم على الحقيقة مؤمن فلا ايمان لمن لا اسلام له . ولا اسلام لمن لا ايمان له . فاحدهما مرتبط بالآخر فهما كشيء واحد معنى وحكما . فالاسلام ظاهر الايمان وهو اعمال الجوارح والايمان باطن الاسلام وهو اعمال القلوب . هذا هو الصحيح او الصواب ، ولا نقول الاسلام والايمان شيء واحد فيذهب التفاوت بين المقامات كقول المرجئة ولا نقول الايمان غير الاسلام فيدخل التضادد والتغاير . وكـذا لا نقول المعرفة غير العلم ولا الحقيقة غير الشريعة ولا التوحيد غير الاسلام . فاعتمد ما ذكرته فهو أصل محقق واف يقع به توافق نصوص الكتاب والسنة التى طال الخوض فيها حتى اختلف العلماء فى الاسلام والايمان وعمومهما وخصوصهما وان الايمان يزيد وينقص ام لا . وان الاعمال من الايمان ام لا . قال الشيخ محيى الدين النووي رحمه الله : وقد اكثروا القول فى كل ما ذكرناه وهو كما قال . وممن نقل الخلاف فى ذلك ابو طالب المكى (1) فى القوت والغزالى فى الاحيـاء

---

(1) محمد بن على بن عطية : ابو طالب المكى . توفى سنة 386 هـ و 996 م . واعظ بغداد . كان يرمى بالاعتزال . له قوت القلوب ــ ترجمته فى الذهبى ، ميزان الاعتدال ج 3 . ص 107 .

فقال اختلف فى ان الاسلام او الايمان او غيره فان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او مرتبط به يلازمه . قال وموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكأنه اشرف اجزاء الاسلام . واما الشرع فقد ورد باستعمالهما على الترادف والتوارد ، وورد على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل . وقال الامام البخارى رحمه الله : بـاب اذا لم يكن الاسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام او الخوف من القتل كقوله تعالى : قالت الاعراب آمنـا قـل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا (1) . واذا كان على الحقيقة فهـو على قوله ان الدين عند الله الاسلام . ومن يبتغ غير الاسلام دينا الآية . انتهى . وقال ابو عبد الله الحليمى فى شعب الايمـان وتبعـه الامـام البيهقى الاسلام **(ورقـة 15 ظهـر)** والايمان عبارتان عن دين واحد . قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام . وقال تعالى : قولوا آمنا بالله الى قوله ونحن له مسلمون (2) . وقال فى قصة قوم لوط عليه السلام فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (3) . فسماهم مرة مؤمنين ومرة مسلمين . وفى الصحيح تسمية الايمان والاسلام لمسمى واحد كحديث بنى الاسلام على خمس وفى رواية بنى الايمان على خمس . والايمان هو التصديق والتحقيق . فكأن المؤمن من آمن نفسه باعتقاد الحق من ان يكون مكذوبا او ملبسا عليه . وقيل آمن مخبره او الداعى له من التكذيب والايمان الذى يراد به التصديق يتعدى بالباء وباللام . تقول آمنت بالله وآمنت لله . فالايمـان بالله اثباتـه والاعتراف بوحدانيته والايمان لله القبول عنه والطاعة لأمره . والايمان بالنبىء صلى الله عليه وسلم اثباته والاعتراف بنبوته . والايمان له ، اتباعه وطاعته . ثم الايمان بالله وبرسوله ينقسم الى ظاهر وهو الاقرار والشهادة . والى باطن وهو اعتقاد القلب . وكذلك الايمان لله ولرسوله ، ينقسم الى جلى وخفى . فالخفى هو النيات والعزائم التى لا تجوز العبادات الا بها ، واعتقاد الواجب واجبا ، والمباح مباحا ، والرخصة رخصة ، والمحظور محظورا ، والعبادة عبادة ، والمعصية معصية والحد حدا ، ونحو ذلك . والجلى ما يقام بالجوارح اقامة ظاهرة كالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله . فكل ذلك ايمان لله اى طاعة لله وعبادة لـه وايمان للرسول ، اى قبول عنـه والايمان بالله وبرسوله أصل ، وهو الذى يخرج به العبد من الكفر عند الامكان والايمان لله ولرسوله فرع ، وهو الذى يكمل الايمان بكماله وينقص بنقصانه ، واصل الايمان اذا حصل ثم تبعته طاعة ، زاد الايمان المتقدم بها ثم اذا تبعته طاعة اخرى زاد الايمان حتى انه يزيد بمذاكرة خصال الايمان ، وعلى هذا الى ان تكمل شعب الايمان . ونقصان الايمان هو انفراد أصله عن فروعه او عن بعض فروعه ، فمن آمن وترك الصلاة او غيرها من الفروع مع القدرة عليها

---

(1) . 49 . الحجرات . 14

(2) . 2 . البقرة 136 .

(3) . 51 . الذاريات . 36 ــ 37

فهو عاص فاسق واما التطوع اذا تركه فيجوز ان يسمى نقصانا لا عصيانا وضد الايمان الاصلى هو الجحود والتكذيب . وضد الايمان لله ولرسوله المعاصى الواقعة من المؤمن . فتسمى شقاقا وعصيانا ، لا كفرا . والايمان ينور القلب والكفر يسوده فلو شق عن (ورقة 16 وجه) قلب المؤمن لوجد ابيض او عن قلب المنافق لوجد اسود . وفى اسلام الصبى المميز استقلالا خلاف . والمعروف فى المذهب انه لا يصح . واما اسلام على بن ابى طالب كرم الله وجه وهو ابن عشرة سنين فيحتمل انـه خاصة له وقيل يطرد القياس وكل صبى مميـز واختاره بعضهم ، وقد قدمنا ان الانسان اذا نطق بالشهادتين واعتقد دين الاسلام اعتقادا جازما فهو مؤمن موحد . وتخرج منه مسألتان احداهما المقلد الذى يدين بدين آبائه وقرابته وآل بلده ، وليس عنده جزم بصحة دين الاسلام . والثانية المرتاب الذى يقول أتابع المسلمين احتياطا لنفسى ، فان كان حقا فزت وان لم ين كذلك فلا يضرنى فكل واحد من هذين ليس بمسلم جزم به الحليمى والبيهقى ، وجعلا المؤمن الذى ليس بمقلد ولا مرتاب بمسلم احدهما رجل عرف الله تعالى بالدلائل معرفة تامة لا شك فيها ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدلائل على صدقه وقبل عنه جميع ما جاء به وأسلم نفسه لطاعته فى أمره ونهيه والآخر من آمن بالله اجابة لدعوة نبيه بعد الجزم بصحة نبوته والدليل على هذه الجملة قول الله تعالى . الا من شهد بالحق وهم يعلمون . اى يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم . وقوله تعالى : انمـا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا (1) . قال الامام الواحدى (2) فى الآية الأولى دليل على انه لا يتحقق ايمان ولا شهادة حتى يكون ذلك عن علم بالقلب ، لان الله شرط مع الشهادة العلم وقد قال اصحابنا شرط الايمان طمأنينة القلب على ما اعتقده ، بحيث اذا شكك لا يتشكك واذا حرك لا يتحرك انتهى . قـال علماؤنا والايمان يزيد وينقص . والمؤمنون متفاضلون فى الايمان والاعمال ويحرم ان يقول قـائل ايمانى وايمـان الملائكة والنبيئين واحد ، وذكروا الدلائل على ذلك . وقال النووى رحمه الله فى شرح مسلم بعد حكاية الخلاف فى أصل الملة . قال الخطابى ما اكثر ما يغلط الناس فى هذه الملة فالزهرى يقول الاسلام الكلمة والايمان العمل . وذهب غيره الى ان الاسلام والايمان شيء واحد . والصحيح ان يقيد الكلام فى ذلك ولا يطلق ، فالمسلم قد لا يؤمن . واما المؤمن فمسلم . فعلى هذا لا تختلف الآيات والأدلة وأصل الايمان التصديق ، وأصل الاسلام الاستسلام والانقياد . فقد سلم ظاهرا لا باطنا وقد يصدق فى الباطن ولا ينقاد فى الظاهر ، وقال ايضا الخطابى رحمه الله فى قوله صلى الله عليه وسلم : الايمان بضع وسبعون

(1) . الحجرات . 49 . 15

(2) الواحدى : على بن احمد بن محمد بن على .... مفسر اديب توفى سنة 468 م و 1076 م . وفيات الاعيان ج 1 . ص 333 ــ انبـاه الرواة للقفطى ج 2 . 223 ــ اعلام ــ الزركلى .

شعبة . فيه بيان ان الايمان الشرعى اسم . ورقة 16 ظهر . لمعنى ذى شعب واجزاء له أعلى وأدنا والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها . والحقيقة تقتضى جميع شعبه وتستوفى جملة اجزائه كالصلاة الشرعية لهـا شعب واجزاء ، والاسم يتعلق ببعضها والحقيقة تقتضى جميع اجزائها وتستوفيها ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ، الحياء شعبة من الايمان ، وفيه اثبات التفاضل فى الايمان وتباين المؤمنين فى درجاته . انتهى . وقال الامام ابو محمد البغوى رحمه الله تعالى : فى حديث سؤال جبرائيل صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان وجوابه ، قال جعل النبىء صلى الله عليه وسلم الاسلام اسما لمـا ظهر من الاعمال وجعل الايمان اسما لمـا بطن من الاعتقاد . وليس ذلك ، لان الاعمال ليست من الايمان والتصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجمل هى كلهاشيء واحد وجماعها الدين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل اتـاكم ليعلمكم دينكم . والتصديق والعمل يتناولهمـا اسم الايمان والاسلام جميعا لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام (1) . ورضيت لكم الاسلام دينا (2) . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (3) . فاخبر سبحانه وتعالى ان الدين الذى رضيه وتقبله من عباده هو الاسلام . ولا يكون فى محل القبول والرضا الا بانضمام التصديق الى العمل . انتهى . وقال الامام ابو الحسن بن بطال المالكى فى شرح البخارى : مذهب اهل السنة من سلف الامة وخلفها ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، والحجة على ذلك ما اورده البخارى يزيد بالطاعات وينقص بنقصانها . فاما نفس التصديق بالله وبرسوله فلا ينقص ولذلك توقف مالك رحمه الله فى رواية عن القول بالنقصان ، لان التصديق اذا نقص صار شكا . وقيل انما توقف خشية ان يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصى من المؤمنين . وقد قال مالك بنقصان الايمان كقول الجماعة ، والمعنى الذى به يستحق المدح والولاية من المؤمنين هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح ، ولا خلاف انه لو أقـر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق اسم مؤمن ، ولو عرفه وعمل وجحد بلسانه ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم مؤمن ، وكذلك اذا أقر بالله وبرسله ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنا بالاطلاق ، واذا كان فى اللغة يسمى مؤمنا بالتصديق فذلك غير مستحق فى كلام الله تعالى . انتهى . وقال ايضا فى باب من قال الايمان : هو العمل ان التصديق اول منازل الايمان . ويوجب للمصدق الدخول فيه ولا يوجب له استكمال منازله ولا يسمى مؤمنا مطلقا فان الايمان عند اهل السنة قول وعمل وهذا المعنى اراد البخارى اثباته فى كتاب الايمان ، وعليه بوب ابوابه كلها ردا على المرجئة فى قولهم أن الايمان قول بلا عمل . فخالفوا الكتاب والسنة

(1) ــ 3 آل عمران ــ 19
(2) ــ 5 ــ المائدة ــ 3
(3) ــ 3 ــ) آل عمران ــ 85

ومذاهب الائمة ثم نقل عن الكرامية ورقة 17 وجه وبعض المرجئة ان الايمان هو الاقرار باللسان وان لم يكن معه عقد القلب ورد عليهم باجماع الأمة على اكفار المنافقين المظهرين للشهادتين الذين قال الله فيهم ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره آنهم كفروا بالله ورسوله الى قوله وتزهق انفسهم وهم كافرون (1) . انتهى كلام ابن بطال رحمه الله مختصرا . وقال ابن الصلاح فى شرح حديث الاسلام والايمان وهو قوله صلى الله عليه وسلم : الاسلام ان يشهد ان لا انه الا الله وان محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان . وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . والايمان ان تؤمن بالله . وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله . قال هذا بيان لأصل الايمان وهو التصديق الباطن وبيان لأصل الاسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر وحكم الاسلام يثبت بالشهادتين وأضاف اليهما الصلاة والزكاة والصوم والحج لكونهما اظهر شعائر الاسلام وبها يتم استسلامه . وبتركها ينحل قيد القيادة ثم ان اسم الايمان يتناول ما فسر به الاسلام فى هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن . ولهذا فسر صلى الله عليه وسلم الايمان فى حديث (   ) عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان ، واعطاء الخمس من المغنم ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة او ترك فريضة ، لان اسم الشىء مطلقا يقع على الكامل منه ولا يستعمل فى الناقص ظاهرا الا بقيد . ولذلك جاز نفيه عنه فى قوله صلى الله عليه وسلم : لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن . واسم الاسلام يتناول ايضا ما هو أصل الايمان وهو التصديق الباطن ويتناول أصل الطاعة فذلك كله استسلام . فالاسلام والايمان يجتمعان ويفترقان فكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمنا . وهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات النصوص التى فى الكتاب والسنة فى بيان الايمان والاسلام التى طال ما غلط فيها الخائضون وما حققناه من ذلك موافق لجماعة العلماء من اهل الحديث وغيرهم . انتهى . وما قاله ابن بطال من ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص قد قاله محققون من اصحابنا المتكلمين كما نقله النووى فى شرح مسلم . ثم قال والأظهر ان نفس التصديق يزيد وينقص يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة فيكون ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم . ولا يشك مؤمن عاقل فى ان نفس تصديق ابى بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق أحاد الناس ولهذا قال البخارى فى صحيحه قال ابن ابى مليكة أدركت ثلثين من اصحاب ورقة 17 ظهر النبىء صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ما منهم أحد نقول انه على مثل ايمان جبريل وميكائيل والله اعلم . وذلك ان ايمان الصديقين بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل ايمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منشرحة مستنيرة وان اختلفت عليهم الأحوال . انتهى . وذكر النووى ايضا نحو هذا

(1) ـ 9 ـ التوبة 84 ـ 85

في فتاويه . واعلم ان اسلام العبد وايمانه ومعرفته وسائر طاعاته كل ذلك خلق الله وكسب العبد . فمنه مـا هو خير من الثواب كالمعرفة والايمـان ومنه ما الثواب خير منه كالنظر الى وجه الله الكريم ورضاه ، فاعلم ذلك . واما شعب الايمان ففي صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها بضع وسبعون شعبة . وفي رواية بضع وسبعون او بضع وستون على الشك وفي البخاري في اول الكتاب بضع وستون وفي سنن ابي داوود والترمذي وغيرهما بضع وسبعون بلا شك . قال القاضي عياض رحمه الله الصواب بضع وسبعون وصححها ايضا الشيخ ابو عمرو وابن الصلاح واختارها الحليمي . قال القاضي عياض : والكلام في تعيين هذه الشعب يطول ومن اغزر المصنفات فيها فوائد كتاب الحليمي وكتاب البيهقي الجليل الحفيد في شعب الايمان . قلت وهو احسن من الاحياء للغزالي عند المحدثين . قال القاضي (1) : والبضع ما بين الثلث والعشر والشعبة القطعة من الشيء فمعنى الحديث ان الايمان بضع وسبعون خصلة والايمان في الشرع تصديق القلب واللسان فظواهر الشرع مطلقة على الأعمال كما وقع هنا أفضلها لا اله الا الله . وهو التوحيد المتعين على كل أحد والذي لا يصح شيء من الشعب الا بعد صحته وآخرها وأدناها اماطة الأذى عن الطريق وهو كل ما يتوقع ضرره بالمسلمين في طريقهم ويقي بين هذين الطرفين أعداد تدرك بالتتبع ، وقد جعل ذلك بعض من تقدم . وفي الحكم بان ذلك مراد النبيء صلى الله عليه وسلم صعوبة ، ثم انه لا تلزم معرفة اعيانها ولا يقدح جهـل ذلك في الايمان لان أصول الايمان وفروعه معلومة محققة والايمان بانها هذا العدد واجب في الجملة هذا كلام القاضي عياض رحمه الله . وقال الامام الحافظ ابو حاتم بن حبان بكسر الحاء عددت الطاعات فزادت على هذا العدد شيئا كثيرا . ثم عددت كل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان فـاذا هي تنقص عن البضع والسبعين فرجعت فتدبرت كتاب الله فعددت كل طاعة عدها الله من الايمان (   ) ايضا فضممت ما في الكتاب الى ما في السنن وأسقطت المكرر فاذا هي تسع وسبعون لا تزيد ولا تنقص فعلمت ان مراد النبيء صلى الله عيه وسلم ان هذا العدد في الكتاب والسنن وذكر ابو حاتم جميع ذلك في كتاب وصف الايمان **(ورقـة 18 وجـه)** وشعبه وصنف ايضا فيها الحليمي والبيهقي وعبد الجليل القصري من المتأخرين وكان من ذوي المعارف والأحوال وكتابه في ذلك مجلدان مترجما بالشعب لا بالأبواب كما فعل الحليمي والبيهقي . وهذا فهرسه : شعب الايمان على ما ذكره القصري رحمه الله شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله . غسل الجنابة والوضوء . الصلاة . الزكاة . صوم رمضان . الحج . الجهاد . الهجرة . الاستقامة . الجماعة وهي الألفة . النصيحة . الأمر بالمعروف . النهي عن المنكر . العدل . الأمانة . الصدق . الوفاء . كف الاذى . البر ورأى بـر الوالدين وغيرهما . صلـة الرحم . اكـرام الجـار . اكـرام الضيف الصمت . الغيرة . تـرك مـا لا يعني . التقوى الورع القناعة . الايمان بالله

---

(1) عياض

بالقلب وهو التصديق . الايمان بأسمائه وصفاته . الايمان بالأقدار الجارية على الخلق ، وهو نظام التوحيد كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنه . الايمان بالأنبياء والرسل بالقلب . الايمان بكتب الله المنزلة على الأنبياء الايمان بالملائكة . الايمان بالجن والشياطين . الكف عن من قال لا اله الا الله . فلا يكفر بالذنوب . النية . الاخلاص . التوبة الصبر . الشكر . الزهد التوكل . الرضى . الخوف . الرجاء . محبة الله . محبة الرسول صلى الله عليه وسلم . الحب فى الله . البغض فى الله . الحياء . حسن الخلق . الاحسان وهو على مقامين فصار شعبتين مقام أحمد الله كأنك تراه ومقام فان لم تكن تراه فانه يراك ، أدناهما الينا ، علمنا بانه يرانا . الذكر . الحلم . اليقين كراهية الكفر بالله . الامامة . الايمان بفناء العالم الدنياوى . الايمان بدار **البرزخ** واحواله من بقاء الأرواح والعذاب والنعيم وسؤال منكر ونكير ، وسائر احوال البرزخ . الايمان بالبعث من القبور . اى بعث الأجسام والأرواح وخروجها من دار البرزخ الى دار الخلود . الايمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة الذى يكون بعث الأجساد وغيره من الكائنات الأخروية . الايمان بالحساب ووقوعه على حسب أحوال الخلق وعلى ما أراد به الله من الخفة والتيسر لمن يشاء . والمناقشة والشدة لمن شاء . الايمان بالميزان وأنه حق وعدل . الايمان بالشفاعة . الايمان بالصراط . الايمان بالحوض المورود . الايمان بالجنة . الايمان بالنار . . الايمان بالنظر الى وجهه الكريم . اماطة الاذى عن الطريق انتهت . وجملتها أربع وسبعون وقد يكون فى الباب شعبتان وأكثر كالخمس فى الزكاة . والتبرى من الحول والقوة الذى يقتضى الاستثناء فى الايمان وفى كل شىء وحب . (**ورقة 18 ظهر**) العرب الداخل فى حب النبىء صلى الله عليه وسلم . لأنه رأس العرب وفى حبه حب نسبه الذى هو منه وكاشراط الساعة وغير ذلك مما يبلغ البضع والبضع ما بين الثلث الى التسعة ويدخل فى الشعب جميع شرائع الايمان ، ولا يخرج عنها شىء من أمور الدين فان كل شعبة تشتمل على ابواب وفصول من العلم لا غاية لها . لانه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم . واختصرت له الحكمة اختصارا . وحديث بيان الاسلام والبيان والاحسان مجمل ورد بيانه فى الحديث الايمان بضع وسبعون شعبة . وكل شعبة تنقسم على مقام الاسلام والايمان والاحسان . انتهى . وقد تقدم عن القاضى عياض رحمه الله ان لا اله الا الله هو التوحيد المتعين على كل أحد ، والذى لا يصح شىء من شعب الايمان الا بعد صحته . وتقدمت مقالات كثيرة فى التوحيد وكل ما جاء فى هذا الباب عن السلف وأئمة اهل السنة فهو صحيح لا يخرج عن الحق واما من عداهم ممن تكلم فى التوحيد فقد وقع فى كلامهم خبط فان قوما من المبتدعة المتصوفة تكلموا فى التوحيد وتصرفوا فيه بحسب عقائدهم من الفلسفة والجبر والارجاء والاعتزال وغير ذلك وربما وقع كلامهم الى من لا يميزه لقصور او ذهول فيوقعه فى شبه مذهبهم. فليوزن كل كلام بميزان الشرع المستقيم وليميز العالم المحقق بين الصحيح

والسقيم وفقنا الله واياكم وهدانا للصواب وهداكم . وقد قسموا التوحيد أقساما فبعضها يصح عند الاعسار بالشرع وبعضها لا يصح . فمن أحسن التقسيم فى ذلـك ان يقول الناس فى التوحيد عموم وخصوص . فتوحيد عامة المسلمين الشهادة لله عز وجل بالواحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم . مـع تصديق القلب وتوحيده وتوحيد الخاصة يزيد على العامة بافراد الحق بالعبادة واخلاصها لوجهه . وافراده بان الأمور كلها بيده وان الخير والشر بتقديره ، فله الخلق والأمر لا شريك له فى شيء من ذلك . ومن ثمرات هذا التوحيد التوكل على الله والرضاء بقضائه والتسليم لحكمه ، وترك شكاية الخلق والغضب عليهم . وقد ذكر الغزالى التوحيد بهذا المعنى فى كتاب المعلم من الاحياء . ومن ذلك ما قاله الامام القشيري رحمه الله فى رسالته فى باب التوحيد ، فقال : واعلم ان التوحيد ثلاثة اقسام : الاول توحيد الحق للحق وهو علمه سبحانه بانه واحد وخبره عنه بأنه واحد والثانى توحيد الحق للخلق وهو حكمه او قال علمه بان **(ورقـة 19 ظهـر)** العبد موحد خلقه توحيد العبـد . والثالث توحيد الخلق للحـق وهـو علـم العبد بـان الله واحـد وحكمه واخباره عنه بأنه واحد . انتهى . فهذا تقسيم لا يختلف فيه المحققون ولا يرده المشرعون ، والناس فيه عموم وخصوص كما تقدم عن الغزالى . واما صاحب منازل السائرين وهو ابو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى المالينى المعروف بابن مت فجعل التوحيد ثلاثة اقسام : اولها توحيد عامة المسلمين وهو التوحيد الظاهر الجلى الذى نفا الشرك الأعظم ، وعليه نصبت القبلة وبه حقنت الدماء والأموال وانفصلت دار الاسلام من دار الشرك بصدق شهادة صححها قبول القلب وهو الذى يصح بالشواهد . والشواهد هى الرسالة والصنائع يجب بالسمع اى يجب قبوله بادلة السمع ، ويوجد بتبصير الحق وينمو على مشاهدة الشواهد . والثانى توحيد الخاصة الذى يثبت بالحقائق وهو اسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد . فلا يشهد فى التوحيد دليلا ولا فى التوكل سببا ولا للنجاة وسيلة فيكون مشاهد اسبق الحق بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها وتعليقه اياها بأحايينها واخفائه اياها فى (   ) ويحقق معرفة العلل وسلك سبيل اسقاط الحدث ويصح هذا التوحيد بعلم الفناء ، ويصفو فى علم الجمع ، ويجذب الى توحيد أرباب الجمع . وهو التوحيد الثالث توحيد خاصة الخاصة وهو توحيد اختصه الله لنفسه واستحقه بمقدرة والآخر منـه لائحـا الى اسرار طائفـة من صفوته . وأخرسهم عن نعتـه و(   ) عن بثه ويشار اليه بأنه اسقاط الحدث واثبات القدم على ان هذا الرمز فى ذلك التوحيد علة لا يصح ذلك التوحيد الا باسقاطها . هذا قطب الاشارة اليه على ألسن علماء الطريق ، وان زخرفوا لـه نعوتا وفصلوه فصولا . فالعبادة تزيده خفاءا والصفة نفورا . او البسط صعوبة واليه شخص اهل الرياضة والأحوال ولم ينطق عنه لسان ولم نشر اليه

اشارة ، فانه وراء ما يشير اليه مكون او يتعاطاه (   ) او يقله سبب . انتهى . قلت والصحيح من هذه الاقسام الثلاثة على الاطلاق هو القسم الاول وهو المطابق للشرائع ظاهرا وباطنا واما الثاني فانما يصح اذا كان **ورقة 19 ظهر** المراد باسقاط الأسباب من حيث غلبة الارادة الربانية ، ونفوذ المشيئة الالهية مع اثبات الأسباب من حيث اثبتها الله والا فاسقاط الأسباب مذهب الجبرية الجهمية لا سيما المتصوفة منهم كابن عربي وامثاله فلا بد في هذا التوحيد من علم الفرق والجمع اخلاصا للتوحيد وحفظا للعبودية ولا يخفى هذا التوحيد على عامة المسلمين ولكن يتفاوتون في معرفته ودوامه ، واما القسم الثالث وهو اسقاط الحدث واثبات القدم فهو تحريف لقول المحققين . التوحيد افراد القدم عن الحدث فان اسقاط الحدث رأسا معناه انكار وجود الخلق وذلك لا يصح للعبد وجودا بل قد يلحظه شهودا ويشترط في صحة شهوده مراعاة أحكام الشريعة وهو الفرق الثاني الذي بينه الجنيد رضي الله عنه لمن غلط فيه من الصوفية . فمن كان على طريق الجنيد رضي الله عنه في مراعاة الفرق الثاني فهو مهتد ، ومن لم يراع الفرق في الجمع فهو ضال او ملحد . وما اكثر غلط الصوفية في هذا المقام ويسمونه مقام الجمع وجمع الجمع ، ولم تتكلم الأنبياء ولا أتباعهم فيه مجردا وتجريده عن علم الفرق هو باب الضلال او الالحاد وقد أكثر الأنصاري في كتابه هذا من وقوعه لأسماء من القوافي الثلاث التي ختم بها كتابه وضمنها ابطال توحيد الموحدين وهي قوله :

ما وحد الواحد من واحد   اذ كل من وحده جاحد
توحيده اياه توحيده   ونعت من ينعته لاحد
توحيده من ينطق عن نعته   عار به أبطلها الواحد

ومما يشبه هذا ما حكى القشيري عن الشبلي : أنه قال : ما قال الله أحد سوى الله . وعلله الشبلي بأن من قاله قاله بحظ وأنى تدرك الحقائق بالحظوظ وقد استشكله القشيري رحمه الله ، ومشى على تأويله هذا . وزاد القشيري فقال : أراد ان ذكر الخلق لله لا يشبه ذكر الله الله والشيء الذي يقل قدره لا يعد شيئا بالاضافة الى ما له قدر . انتهى . ويفهم من تعليلهما ان مسلك الشبلي في هذه المقالة غير مسلك اهل الاتحاد ويحتمل ان أصلها من مقالاتهم من كلام الحلاج وأمثاله او مقالات الحشوية القائلين بان سبحانه هو المتكلم على لسان كل متكلم (**ورقة 20 وجه**) والشبلي لا يقول بذلك . فقد صح عنه رضي الله عنه القول بنفي الحروف عن كلام الله سبحانه وتعالى . بقوله جل الواحد المعروف قبل الحدود ، وقبل الحروف . قال القشيري هذا من الشبلي صريح في ان القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلامه . انتهى . ويحتمل ان

المقالة المشكلة لم تصح عن الشبلى او أنه قالها فى وقت حال طرقه . او أنه تعرف عليه قول الجنيدى ما عرف الله أحد سوى الله . وهذه التأويلات يحتاج اليها فى ما أشبه هذه المقالة كقول بعضهم حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو ان يكون القائم به واحدا . ويحتمل ان التفسير لغير المتكلم فان نسيان التوحيد من باب عدم الاعتداد بالأعمال خوفا من الاعجاب . واما كون القائم به واحدا فتفسير غير مطابق فيشبه انـه من مقالات اهل الاتحاد ولا بأس بالتأويل لمن لم يعرف باعتقاد الاتحاد او اعتقاد الحشوية فقد يغتر السنى بكلام يجده فى كتب هؤلاء فينقله ويدخله فى كلامه ذاهلا عن مغزاه وحقيقة معناه ، كما يوجد فى كتب بعض أكابر المتأخرين انهم قد نقلوا كلام الأنصارى فى التوحيد الثالث وأقروه وهو مردود كما سبق . فاعلم ذلك وتحفظ عن الغلط وبالله التوفيق . وما عللوه به من الحظ فيجب تنزيه الأنبياء والعلماء والأولياء عن الحظ القادح فى التوحيد بل لا يجوز القدح فى توحيد سائر المسلمين بهذا التأويل من الحظ الذى غايته خوف العقاب او الطمع فى الثواب . فانه مقتضى العبودية من الربوبية . وقد صرح الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتابه الرعاية بأنه غير قادح فى العمل ، وهو الظاهر من الكتاب والسنة . وقد قضى القاضى ابو بكر الباقلانى بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ . وقال هذا من صفات الالاهية قال الغزالى : وما ذكره فهو حق ولكن القوم أرادوا البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة فى الجنة اما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجـه الله الكريم فهو حظ . هؤلاء ولكن لا (**يقول**) الناس حظا بل يتعجبون منه . انتهى . ما ذكره الغزالى فى كتاب الاخلاص من الاحياء . فيخرج من مجموع هذا ان قول القائل ما قال الله أحد سوى الله لان من قالـه قالـه بحظ (**ورقـة 20 ظهـر**) فسقط قولـه لوجود حظـه غلـو وأنـه دعوى البـراءة من الحظوظ ايضا غلـو ايضا . يخشى فيه التكفير والطريق الحق عليهما وهو الاعتداد بأعمال العباد شرعا مع ملاحظة حظ العبودية من فضل الربوبية على آختلاف درجات الاخلاص ويجب التحرز عن تعمقات الغالين كما هو مذهب السلف . وكرهه البخارى رحمه الله وغيره فى أقرب درجات التعمق فى الأعمال . وعقدوا له التراجم والأبواب . فنسأل الله التوفيق والعصمة ، وصاحب منازل السائرين قد صرح فيما تقدم عنه أن هذا التوحيد لم ينطق عنه لسان ولم نشر اليه اشارة ، فلم يبق الا أنه بدعة مخترع من خيال فاسد . وقد قال الذهبى رحمه الله : لا ريب أن فى كتابه أشياء من محض المحور والفناء وأنه لون آخر غير الذى كان عليه صوفية التابعين ونساك المحدثين . والأنصارى هذا ، كان فى أواخر المائة الخامسة توفى سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وكان يوصف بشيخ الاسلام وكان من كبار الحنابلة يحط على الامام الأشعرى وآتهم بمذهب أصحاب التشبيه والتجسيم ، وشكاه أيمة الحنفية والشافعية إلى الوزير نظام الملك وعرض على السيف خمس

مرات . ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ مع تعصب له لكونه حنبليا في العقائد . وتأول كلامه بأنه في مقام الفناء عن رؤية السوى لا عن وجود السوى . وهذا التأويل يدفع تفسير المصنف للفناء كما سيأتي ولعله اغتر بكتب الحلاج ونحوه ، ولم يعرف أنه أعتقد مذهب الاتحاد وقد قيل أنه ذهب في كتابه مذهب البلاغة باستعمال المجاز وهذا ينافي الكلام في الحقيقة والانتساب الى أهلها ، ويلزم قائله أن يقول به في كثير من مقالات الصوفية ، وذلك يؤدي الى نوع من التدليس المذموم أعظم من النوع المذموم عند المحدثين وسيأتي في الاصطلاحات أن لهم ألفاظا يستعظمها سامعوها ولا يردون ظاهر معناها ، ومن أنصف علم أنها من النوع المذموم من الكلام ، سامح الله مخترعها . ومن هذا القبيل ما أخذ العلماء على الغزالي رحمه الله مما نقله من كلام المشائخ أطلقه في الاحياء وسكت عليه كما سيأتي في الاشارة على ذلك وقد تعلق ابن عربي وأتباعه الملاحدة بهذا الكتاب وشرحه ، منه ، ابن التلمساني المعروف بالعفيف وغيره ، وابن التلمساني هذا أحد زنادقة الصوفية كما قاله الذهبي وغيره من المحققين وزاد **(ورقة 21 وجه)** شراحه عليه بالتوغل في الاتحاد بدعوى وحدة الوجود ونحو ذلك مما سيأتي عنهم ونسبوا الى علي كرم الله وجهه مقالات في الحقيقة ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه بها . وكل ذلك كذب باتفاق أيمة المحدثين وقد آعترض المحققون على الهروي في ختمه التوحيد بالجمع المجرد عن الفرق ، وقطعه الكلام على التوحيد الصرف وجعله أعلى المقامات وأجاب عنه بعض شراحه بأنه قد ذكر الفرق الثاني في كتاب البقاء بعد الفناء في باب التلبيس في الدرجة الثالثة . وفيه نظر لا يخفى على محقق . وعلى الجملة فهؤلاء تارة يقولون بقدم العالم وجواز اتصاف الخلق بصفات الحق حقيقة وعكسه . وتارة يقولون ببطلان وجود العالم رأسا . وأنه انما هو خيال . والوجود الحق هو الله وحده . وهو عندهم عين كل موجود . ولهم مقالات أخرى شنيعة متناقضة ستأتي حكاية بعضها ، وقد لفقوا مذهبهم من الفلسفة والسفسطة ومذهب الباطنية والجبرية والجهمية وأبرزوه في قالب الحقيقة ، وفيه من التناقض والفساد ما لا يخفى على لبيب . ولهذا قال مريد لشيخ منهم ، وقد قال له من قال لك ان في الوجود غير الله فقد كذب . فقال المريد ومن هو الذي كذب فانقطع الشيخ . واعلم أن الفرق المتكلمة في معرفة الله تعالى وتوحيده وأسمائه وصفاته ست فرق ، وهم : الفلاسفة والأصوليون والفقهاء والمحدثون ، والصوفية والباطنية . وأعلمهم بذلك الفقهاء العارفون بالكتاب والسنة والفقه والأصول والتصوف ، واصطلاح الفرق مع لزوم **التقوى والاتباع ومجانبة الزيغ والابتداع . ومن عداهم فقد كثر سقطه ، وظهر** خلطه ، ومنهم من ابتدع ومنهم من كفر مع دعواه الاسلام كفلاسفة الأمة والباطنية وعلاة المتصوفة . وذكر الغزالي أن الحق لا يعد ؟ وأربع فرق . فذكر من سوى الفقهاء والمحدثين وكأنه رأى أنهم يدخلون في الأصوليين والا فلا يجوز أن يظن

بهم أنهم ممن يعدوه الحق بل هم أهله ، ان جمعوا ما ذكرناه من العلوم وقال : ان اهل السنة من المتكلمين عرفوا الحق من وراء حجاب وأن الصوفية بل لمن جمع ما ذكرنا . فافهم . وسيأتي بيان مراتب التوحيد ومراتب أهله أيضا ان شاء الله تعالى ومن مقالاتهم في التوحيد أيضا **قول الواسطي ليس كذاته ذات ولا كاسمه (ورقة 21 ظهر)** اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة . كما (استحال) أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة . قال القاضي عياض رحمه الله وهذا مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضى الله عنهم . قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله في كتابه التحبير في علم التذكير ، وهو شرح أسماء الله الحسنى : وهذه المقالة تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية عن كل غير بكل وجه (فهي) بذاتها قائمة وباستحقاق نعت صمديتها دائمة ، والا غيار الى الايجاد والابدا مفتقة كما تكون الى الادامة والابقاء محتاجة حتى (تدوم) وكيف يسبق فعله فعل الخلق وهو لا لعلة فعل ما فعل لا لجلب أنس ولا لدفع نقص حصل ولا لخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة أو معالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوحدة واليه أشار ذو النون المصرى رحمه الله حيث قال : حقيقة التوحيد أن تعرف أن قدرة الله تعالى على جميع الأشياء بلا علاج ، وصنعه للأشياء بلا مزاج ، وعلة كل شيء صنعه ، ولا علة لصنعه ، وما (تصور) في وهمك فالله تعالى بخلافه . قال القشيري رحمه الله : قوله وعلة كل شيء وصنعه ولا علة لصنعه أنه ما ظهر حادث الا والله عز وجل صانعه ولا علة لفعله أى لم يحمله على الفعل غرض (دعاه) . الى الايجاد محرك انتهى . فالعلة التى نفاها الأشعرية هى الموجبة للفعل من الله سبحانه وهى غير الحكمة . ولهذا قال الكرماني في شرح البخاري في كتاب الاعتصام : ان الأشعرية لا (ينكرون) جواز التعليل وانما ينكرون الوجوب . وأراد بجواز التعليل ذكر الحكمة في ايجاد ذلك الفعل ، فيقال مثلا ما الحكمة في خلق الخلق وارسال الرسل ؟ وتكليف التكاليف ! الشرعية ؟ فيقال مثلا في الجواب اظهار السعادة والشقاوة ليتميز أهل الجنة من أهل النار بالفضل والعدل والله أعلم . وقد تقدم ذكر هذه المقالة عن ذى النون ببعض اختلاف في اللفظ لا يغير المعنى . ونقله القاضي (عياض) في (الشفاء) بنحو هذا اللفظ المنقول ههنا . وقال : هذا كلام عجيب نفيس محقق ، قال والفصل الأخير تفسير لقوله تعالى : ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون . وقال في أول حكايته .

وما أحسن قوله ذى النون المصرى . قال القشيري رحمه الله أيضا في التحبير في باب معنى قوله تعالى رب السماوات (1) والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر

---

(1) مريم 65

لعبادته ، هل تعلم له سويا . جاء في (التفسير) هل تعلم له نظيرا . وقيل معنـاه هـل تعلم أحـدا يسمى الله سوى الله . وقيل هـل تعلم أحـدا استحـق من الصفـات مـا يستحقه الله ، قـال ودلت الآيـة على نفى التشبيه وأن المعبود لا يشبـه شيئا من الموجودات ولا يشبهه شيء من المدركات ، لأن من شرط التماثل التساوى بكل وجه وما سواء مصنوع ويستحيل أن يكون الصانع كالمصنوع لا ستحالة القول بحدوثه كما يستحيل ان يكون المخلوق كالخالق لفساد القول . بقدمه ، وعليه دل قوله تعالى كمثله شيء ، ثم قال فهو سبحانه لا يشبه أحد ، ولا توجد من دونه ملتحدا وكيف لا وهو أحد لا يجمعه عدد ، وصمد لا يقطعه أمد انتهى . وقال الامام ابو الحسن الواحدى فى قوله تعالى والاهكم الاه واحد عبر بعض أصحابنا عن التوحيد فقال : هو نفى الشريك والقسيم والشبيه ، فالله تعالى واحد فى أفعاله لا شريك له فى اثبات المصنوعات وواحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا يشبه الخلق فيها انتهى وفى معناه أنشدوا :

يامن اذا قلت يامن لا نظير له ... فى عزه قيل لى ياأصدق البشر

قال علماؤنا واسم الالاه والشبيه لا يجتمعان . كما أن اسم الاله نفى الابداع لا يأتلفان . قلت : ولقد جهل ابن عربى وأتباعه المشبهة المجسمة والاتحادية جهلا عظيما ، وأخبروا على الله افتراءا مبينا وهم يدعون انهم عرفوا الله حق معرفة ومـا عرفوه ولا عرفوا حقيقة الاسلام . فتارة يشبهون تشبيها قبيحا وتـارة يجسمون تجسيما صريحـا وتـارة يصرحون باتحـاد الخالـق والمخلوق كما سنأتى حكاية الفاظهم ونقـد قـال ابو الفرج ابن الجوزى فى أمثالهم هؤلاء متلاعبـون ومـا عرفـوا الله ولا عندهم من الاسلام خبـر ولا يحدثـون ، فانهـم يكابرون العقـول وكأنهـم يحدثون ، الصبيان والمجـانين وكلامهم المحبة لشخص وتحقق فيها حتى هجر الأوطان وفارق الأقران واغترب عن كل صريح فى التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام وفضح التابع والمتبوع . انتهى ، وما أحسن استنباط الشيخ أبى على الدقاق حيث قال : مجنون بنى عامر ادعى المحبة لشخص وتحقق فيها حتى هجر الأوطان وفارق الأقتران واغترب عن كل شيء حتى اسمه فلما خرج الى الصحراء رأى ضبيا فقال :

عينـاك عيناهـا وجيـدك جيدهـا ... سوى أن عظم الساق منـك دقيق

فقال له أهل التحقيق أف لك من محب قاسيت ما قاسيت وتحملت ما تحملت فلما خرجت الى الصحراء رأيت أمثالها ما لا يحصى . انتهى ، وهذا يصدق على هذه الطائفة المقطوع بجهلهم بالله والله المستعان ، والمقالات المفردات فى التوحيد كثيرة فمنها ما يرجع الى توحيد الذات ومنها ما يرجع الى توحيد الصفات ومنها ما يرجع الى توحيد الأفعال فلذلك كثرت مقالاتهم فيه فلنكتف بهذا القدر منها ولنعد الى سرد العقائد المجموعة المحررة ولـنذكر خطبة للشيخ الامـام حـافظ الشام أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر وهى خطبة كتاب (تبيين) كذب المفترى فيما نسب الى أبى الحسن الأشعرى لمـا فيهـا من التعريف بقدر

امامنا أبي الحسن الأشعري رحمه الله ورضي عنه ، وبانتصاره من المعتزلة والحشوية وسائر المبتدعة ثم يذكر عقيدة الأشعري نفسه ثم عقيدة الامام الشافعي ثم عقائد جماعة من الأيمة فأما الخطبة فهي هذه .

بسم الله الرحمان الرحيم ، الحمد لله الذي منح أهل التحقيق في توحيده بصائر وأحلاما ، وشرح صدورهم للتصديق بتمجيده توفيقا منه لهم والهاما . وفتح : اقفال قلوبهم للايمان به بالغيب وكان لغيبها علاما ، ومسح عنها بلطفه من الشك والارتياب في أمره أسقاما . أحمده على نعمه التي تظاهرت على خلقه عظاما ومننه التي تواترت من ادرار رزقه جساما واشهد أن لا الاه الا هو الاها أحدا فردا صمدا ، قدوسا سلاما ، قاهرا قادرا ، عظيما ، حليما ، خبيرا قديرا ، حيا قيوما ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي محق به أوثانا وأصناما ، ازهق ببعثه رسولا انصابا ، وأزلاما ، وغفر به (لمن) آمن بنبوته ، واقتدى بشريعته (آصارا) وآثاما ، وكفر عمن صدقه في دعوته ايجابا لشفاعته ذنوبا واجراما . صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ما أساغ طاعم طعاما واستعذب ضمان شرابا والتذ مسهد مناما

أما بعد ، فان الله سبحانه خص من بريته بنبوته أقواما وجعلهم على خليقته في الدعاء الى شريعته قواما . وأحكم ما شرع لهم من الدين القويم احكاما . وجعل لكل نبي منهم بالقسطاس المستقيم شرعة وأحكاما ، وفرض على الأنام الاقتداء بهداهم وشرعتهم الزاما و (الاقتفاء) بنهجهم .

فيما نهجوه لهم نقضا وابراما ، واصطفى منهم محمدا وجعلهم للنبيئين كلهم ختاما ، ونصبه صلى الله عليه وسلم للمتقين اماما . واختار له ملة أبيه ابراهيم وسماها اسلاما ، وأوجب على الخلق طاعته انقيادا واستسلاما فجلى بنور فجره من غياهب الشرك ظلاما وأذهب بيقين برهانه من سباسب الشك قتاما ، وأسبغ به على كافة المسلمين نعمته برابهم وانعاما . حتى أوضح لهم ما أباحه حلالا وما حظره حراما ، فصلى الله عليه وعليهم صلوات تزداد على ممر الأوقات دواما ولقاهم يوم يلقونه في الفردوس تحية وسلاما ، وجزاهم الجنة بما صبروا (فكم) تحملوا في طاعته ممن خالفهم متاعب وآلاما ، وأجلهم دار المقامة بفضله وحسنت مستقرا ومقاما ، ثم ان الله وله الحمد أكمل دينه وأتمه اتماما ونصب له من العلماء به أيمة يقتدى بهم وأعلاما ، وآتاهم بصائرنا فئة عند الشبهات ورزقهم أفهامها فانتدبوا التبصير المستبصرين حين أصبحوا متخيرين افصاحا وافهاما لما هما سحاب الباطل وهطل بعد ما صار ركاما ، وقام سوق البدع عند ولاة المسلمين في الخافقين قياما ، وحاد أهل الاعتزال عن سنن الاعتدال جرأة منهم على رد السنن واقداما . فنفوا عن الرب سبحانه ما أثبت لنفسه من صفاته . فلم يثبتوا له صفة ولا كلاما ، وتمادى اهل التشبيه في طرق التمويه واحجموا عن الحق احجاما فشبهوا ربهم حتى توهموه (جسما) يقبل تحيزا او افتراقا وانضماما . وغلوا في اثبات كلامهم حتى حسبوه بجهلهم لا يحتمل تجزؤا وانقساما . وظنوا

اسم الله القديم ألفاء وهاء تتلو لاما ولاما ، فامتعض العلماء من المثبتين من تفاوت مذهبهم واعتصموا بالسنة اعتصاما وألجموا العوام عن الخوض فى علم الكلام خوف العثار الجاما . فكان ابو الحسن الاشعرى رحمة الله عليه ورضوانه أشدهم بذلك اهتماما وألدهم لمن حاول الالحاد فى أسماء الله وصفاته خصاما . وأمدهم سنانا لمن عاند السنة . وأحدهم حساما وأمضاهم جنانا عند وقوع المحنة ، وأصعبهم مراما . فألزم الحجة لمن خالف السنة والمحجة الزاما فلم يسرف فى التعطيل ولم يغل فى التشبيه وابتغى بين ذلك قواما ، وألهمه الله نصرة السنة بحجج العقول حتى انتظم شمل أهلها بـه انتظاما وقسم الموجودات من المحدثات أعراضا وجواهر وأجساما . وأثبت لله سبحانه مـا أثبته لنفسه من الأسماء والصفات اعظاما . ونفى عنه ما لا يليق بجلاله من شبه خلقه اجلالا له واكراما . ونزهه عن سمات الحدث تغيرا وانتقالا وادبارا واقبالا . وأعضاء او أجراما . وأتم به من وفقه الله لاتباع الحق فى التمسك بالسنة ائتماما . ولما انتقم من أصناف اهل البدع بايضاح الحجج والأدلة انتقاما ووحدوه لدى الحجاج فى تبيين الاحتجاج فيما ابتدعوه هماما . قالوا فيه حينئذ من البهتان ما لا يجوز لمسلم ان ينطق به استعظاما . وقرفوه بنحو ما قرفت به اليهود عبد الله بن سلام وأباه سلاما . فلم ينقصوه بذلك عند اهل التحقيق بل زادوه بما قالوه فيه تماما ، ومدحوه بنفس ذمهم ، وقد قيل فى المثل لن تعدم الحسناء ذاما . وقل ما انفك عصر من الأعصار من غاو يقدح فى الدين و يغوى ايهاما . وعاو يجرح بلسانه أئمة المسلمين ويعوى ابهاما ، ويستنزل من العامة طوائف جهالا وزعانف أعتاما . ويحمل بجهله على سب العلمـاء والتشنيع عليهم سفهاء طغاما . لكـن العلماء اذا سمعوا بمكرهم عدوه منهم غراما . واذا مروا بلغوهم فى الكبار من الأيمة مروا كراما . واذا خاطبهم الجاهلون منهم قالوا لهم سلاما . ولن يعبـأ الله بتقولهم فيه ، وتكذيبهم عليه ، فسوف يكون لزاما . ولولا سؤال من رأيت لحـق سؤاله اياى ذماما فألزمت نفسى امتثال ما أشار به على احتراما ، لصدفت عن ذكر وقيعة ذوى الجهـل فى الأيمة احتشاما . لكنـى اغتنمت الثواب فى ايضاح الصواب ، فى علو مرتبته (اغتناما) ، ومع ما عرف من تشنيعهم فاصحاب الحق بحمد الله قد أصبحوا على أعدائهم ظاهرين ولمن ناوءهم من أصحاب البدع ممن خالفهم فى جميع البلاد قاهرين . وعلى الانتقام ممن يظهر لهم العداوة للعناد قادرين . وكيف لا يكون كذلك والله مولاهم وناصرهم وهو خير الناصرين . وقدر ابى الحسن رحمه الله عما يربونه بـه اعلاء ، وذكر فضائله والترحم عليه من الانتقاص له عند العلما أولى ، ومحله عند فقهاء الأمصار فى جميع الأقطار مشهور وهو بالتبريز على من عاصرهم من أهـل صناعته فى العلم مذكور موصوف بالدين والرجاحة والنبل معروف شرف الأبوة والأصل وكلامه من حدوث العالم ميراث له عن آبائه وأجداده وتلك رتبة ورثها ابو موسى

الأشعرى رضى الله عنه لأولاده وتصانيفه بين أهل العلم مشهودة معروفة ، وبالاجادة والا (فادة) (1) للتحقيق عند المحققين موصوفة ، ومن وقف على كتابه المسمى بالابانة ، عرف موضعه من العلم والديانة . ومن عرف كتابه الذى ألفه فى تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الافك والبهتان علم كونه من ذوى الأتباع والاستقامة واستحقاقه التقدم فى الفضل والامامة . وسأذكر ما حضرنى من ذكره ، وأبين ما وقع الى من أمره ، راغبا الى الله فى ايضاح التحقيق ، وطالبا منه المعونة والتوفيق . وهـو جدير بتحقيق الرجاء قدير على استجابة الدعاء ، وهو حسبنا ونعم الوكيل وعليه فى كل ملم مؤلم التعويل . انتهت الخطبة المذكورة . ومن التعريف بمذهبه فى الاعتقاد ومذاهب المبتدعة ايضا ما رواه ابن عساكر ايضا رحمه الله تعالى قال : كتب الى الشيخ ابو القاسم نصر بن نصر الواعظ يخبرنى عن القاضى ابى المعالى يعنى عزيزى بفتح العين المهملة كما ضبطه الأسنوى فى طبقاته بن عبد الملك المعروف شيذله وذكر ابا الحسن الأشعرى رضى الله عنه فقال نظر الله وجهه وقدس روحه فانـه نظر فى كتب المعتزلة والجهمية والرافضة وانهم عطلوا وأبطلوا وقالوا : لا علم لله ولا قدرة . ولا سمع ولا بصر . ولا حياة ولا بقاء . ولا ارادة . وقالت الحشوية والمجسمة والمكيفة المحددة ان الله علما كالعلوم ، وقدرة كالقدر ، وسمعا كالأسماع وبصرا كالأبصار . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما فقال : ان لله علما لا كالعلوم وقدرة لا كالقدر وسمعا لا كالأسماع ، وبصرا لا كالأبصار ، وكذلك قال جهم ابن صفوان : العبد لا يقدر على احداث شىء ولا على كسب شىء . وقالت المعتزلة هـو قـادر على الأحداث والكسب معا . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما وقال العبد لا يقدر على الاحداث ويقدر على الكسب . وقالت الحشوية المشبهة ان الله سبحانه يرى مكيفا محدودا كسائر المرئيات . وقالت المعتزلة والجهمية والنجارية لا يرى بحال . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما فقال : يرى من غير حلول ولا حدود ولا تكييف كما يرانا هو سبحانه وهو غير محدود ولا مكيف . وقالت النجارية انه سبحانه بكل مكان من غير حلول ولا جهة . وقالت الحشوية والمجسمة أنه سبحانه حال فى العرش وللعرش مكان له وهو جالس عليه . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما فقال كان ولا مكان فخلق العرش والكرسى فلم يحتج الى مكان وهو بعد خلق المكان كما كان قبل ان يخلقه . وقالت المعتزلة له يد قدرة ونعمة . ووجه وجه وجود وقالت الحشوية يده يد خارجة . ووجه وجه صورة . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما فقال يده يد صفة ووجهه وجه صفة كالسمع والبصر . وكذلك قالت المعتزلة النزول نزول بعض آياته او ملائكته والاستواء بمعنى الاستيلاء . وقالت الحشوية والمشبهة : النزول نزول ذاته بحركة ، وانتقال من مكان الى مكان والاستيواء جلوس على العرش ، وحلول فيه . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما . فقال : النزول صفة

(1) من ابن عساكر ، تبين كذب المفترى .

من صفاته والاستواء صفة من صفاته . وفعل في العرش فعلا يسمى استواء ، وكذلك قالت المعتزلة كلام الله تعالى مخلوق مخترع ، مبتدع . وقالت الحشوية المجسمة الحروف المقطعة والأجسام التى يكتب عليها والألوان التى يكتب بها .

ورقــة 24 ظهــر

وما بين الذمتين كلها قديمة أزلية . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما . فقال : القرآن كلام الله قديم غير مغير ، ولا مخلوق ولا حادث ، ولا مبتدع . فاما الحروف المقطعة والأجسام والألوان والاصوات والمحدثات وكل ما فى العالم من الكيفيات فهــو مخلوق مبتدع مخترع ، وكذلك قالت المعتزلة ، والجهمية والنجارية : الايمان مخلوق على الاطلاق وقالت الحشوية المجسمة الايمان قديم على الاطلاق . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما وقال : الايمان ايمانا : ايمان هو صفة لله فهو قديم لقوله تعالى : المؤمن المهيمن (1) . وايمان هو صفــة للخلق فهو مخلوق . لأنــه منهم يبدو وهم مثابون على اخلاصه يعاقبون على شكه ، وكذلك قالت المرجئة من أخلص لله مرة فى ايمانه لا يكفر بارتداد ولا كفر ولا تكتب عليه كبيرة قط . وقالت المعتزلة ان صاحب الكبيرة مع ايمانه وطاعاته ما به سنة لا يخرج من النار قط . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما وقال المؤمن الموحد الفاسق هو فى مشيئة الله تعالى ، ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة ، وان شاء عاقبه لفسقه ثم أدخله الجنة ، واما عقوبة متصلة مؤبدة فلا يجازى بها كبيرة منفصلة منقطعة ، وكذلك قالت الرافضة ان للرسول صلى الله عليه وسلم ولعلى عليه السلام شفاعة من غير أمر الله ولا اذنه . حتى لو شفعا فى الكفار قبلت شفاعتهما وقالت المعتزلة : لا شفاعة له بحال فسلك رضى الله عنه طريقة بينهما فقال بأن للرسول صلوات الله وسلامه عليه شفاعــة مقبولة فى المؤمنين المستحقين للعقوبة فيشفع لهم بأمــر الله واذنه . ولا يشفع الا لمن ارتضى . وكذلك قالت الخوارج بكفر عثمان وعلى رضى الله عنهما . ونص هو رضى الله عنه على موالاتهما وتفضيل المقدم على المؤخر ، وكذلك قالت المعتزلة . ان أمير المؤمنين معاوية وطلحــة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وكل من تبعهم رضى الله عنهم على الخطا ولو شهدوا كلهم لحبة واحدة لم تقبل شهادتهم وقالت الرافظة ان هؤلاء كلهم كفار ارتدوا بعد اسلامهم وبعضهم لم يسلموا . وقالت الأموية لا يجوز الخطأ عليهم بحال . فسلك رضى الله عنه طريقة بينهم فقال كل مجتهد مصيب وكلهم على الحق ، وانهم لم يختلفوا فى ألاصول وانما اختلفوا فى الفروع ، فادى اجتهاد كل واحد منهم الى شىء فهو مصيب ، وله الأجر والثواب على ذلك الى غير ذلك من الأصول التى يكثر تعدادها وتذكارها . وهذه الطرق التى سلكها لم يسلكها شهوة وارادة ولم يحدثها بدعة واستحسانا ولكنــه أثبتها ببراهين عقلية مخبورة وأدلة شرعية مشهورة (ظاهرة) . هادية الى الحق . وحجج داعية الى الصواب والصدق ، هى الطرق الى الله والسبيل الى النجاة والفوز من تمسك بها فاز ونجا . ومن حاد عنها ضل ، وغوى . وهذه عقيدة الشيخ الكبير الامام ابى الحسن على بن اسماعيل بن ابى بشر واسمه

ورقــة 25 وجــه

(1) 59 . الحشر _ 23

اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابى بردة ابن ابى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، قال رضى الله عنه فى أول كتابه الابانة ، كما نقل منها بالأمانة : الحمد لله الأحد الواحد العزيز الماجد المنفرد بالتوحيد المتمجد بالتمجيد الذى لا تبلغه صفات العبيد وليس له مثل ولا نديدوهو المبدىء المعيد جل عن اتخاذ الصاحبة والأبناء وتقدس عن ملامسة النساء . فليست له عزة تنال ، ولا حد تضرب له فيه الأمثال . لم يزل بصفاته أولا قديرا ، ولا يزال عالما خبيرا . سبق الأشياء علمه ، ونفذت فيها ارادته . فلم تغرب عنها خفيات الأمور ولم تغيره صروف الدهور ، ولم يلحقه فى خلق شىء مما خلق كلال ولا تعب ، ولا مسه لغوب ولا نصب . خلق الأشياء بقدرته ، ودبرها لمشيئته ، وقهرها بجبروته ، وذللها بعزته . فذل لعصمته المتكبرون واستكان لعظم ربوبيته المتعظمون ، وانقطع دون الرسوخ فى علمه المتميزون . وذلت لـه الرقاب ، وحارت فى ملكوته فطن ذوى الألباب . وقامت بكلمته السماوات السبع واستقرت الأرض المهاد وثبتت الجبال الرواسى ، وجرت الرياح اللواقح ، وسار فى جو السماء السحاب وقامت على حدودها البحار ، وهو اله قاهر . يخضع له المتعززون ويخشع له المترفعون ، وتدين طوعا وكرها له العالمون . نحمده كما حمد نفسه وكما (ربنا له) اهل ونستعينه استعانة من فوض أمره اليه وأقر أنه لا ملجأ ولا منجا منه الا اليه ونستغفره استغفار مقر بذنبه معترف بخطيئته ، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك لـه اقرارا بوحدانيته واخلاصا لربوبيته وأنه العالم بمـا تبطنه الضمائر وتنطوى عليه السرائر ومـا تخفيه النفوس ومـا (توارى) البحار توارى الأسرار . وما تغيض الأرحام وما تزاد . وكل شىء عنده بمقدار . لا توارى منه كلمة ولا تغيب عنه غائبة . ومـا تسقط من ورقة من شجرة الا بعلمه ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين . ويعلم ما يعمل العاملون والى اين سينقلب المنقلبون ونستهدى الله بالهدى ، ونسأله التوفيق لمجانبة الردى ، ونشهد أن محمدا عبده ونبيه ورسوله ، وأمنـه على وحيـه أرسلـه بالنور الساطع ، والسريع اللامـع والحجج الطاهـرة ، والبراهين الزاهرة والأعاجيب القاهرة . فبلغ عن الله رسالاته ونصح له فى بريته وجاهد فى الله حق الجهاد ، ونصح له فى البلاد ، وقابل أهل العناد حتى تمت كلمة الله وظهر أمـره ، وانقاد الناس للحق أجمعين حتى أتـاه اليقين . لا وانيا ، ولا مقصرا ، فصلوات الله عليه من قائد الى الهدى ، ومبين عن ضلاله وعمى ، وعلى أهل بيته الطيبين وعلى الصحابة المنتخبين وعلى أزواجه

ورقـة 25 ظهـر

الطاهرات أمهات المؤمنين . صلوات الله على من أظهر الشرائع والأحكام والحلال والحرام . وبين لنـا شريعة الاسلام حتى انحلت بـه عنـا طنحياء الظلام . وانحسرت به عنا الشبهات وتكشفت به عنا الغيابات وظهرت لنا به البينات جاءنا بكتاب عزيز لا يأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . جمع الله لـه علم الأولين والاخرين ، وأكمل بـه الفرائض

والدين . وهو صراط الله المستقيم وحبله المتين من تمسك به نجا ، ومن خالفه ضل وغوى ، وحثنا فى كتابه على التمسك به وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (1) . وقال : فليحذر الذين يخالفون عن أمره (2) . وقال : ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (3) . وقال : وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله (4) . يقول الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وقال : ومـا ينطق عن الهوى أن هو الا وحى يوحى (5) . وقال : قل ما يكون لى ان أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى (6) . وقـال : انما كان قول المؤمنين اذا دعـوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا (7) . وأمرهم ان يسمعوا قوله ويطيعوا أمره فقال تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (8) . فأمرهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بطاعته ودعاهم الى التمسك بسنة نبيـه صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بالعمل بكتابه فنبذ كثيرا مما غلبت عليه شقوته واستحوذت عليه بليته سنة نبـى الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم . ومالوا الى مذاهب أسلافهم فقلدوهم فى دينهم ودانوا بديانتهم . وأبطلوا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضوها وأنكروها وجحدوها بافتراء منهم على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين . وأوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة تضر أهلها وتخدع سكانها قال تعالى : واضرب لهم مثل الحيـاة الدنيـا كما انزلنـاه من السماء فاختلط بـه نبـات فأصبح هشيما تـذروه الرياح وكـان الله على كل شىء مقتدرا . ان امـرأ لم يكن فيهـا فى حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهورا . غرارة غرور ما فيها فانية . فان ، من عليها . كما حكم عليها ربها بقوله : كل من عليها فان . فاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمة والخلود الأبد فان الدنيا تنقضى عن أهلها وتبقى ، واعلموا أنكم ميتون ثم انكم من بعد موتكم الى ربكم تصيرون ليجزى الذين أساءاو بمـا عملوا ويجزى الـذين أحسنوا بالحسنى (1) . وكونوا لطاعة ربكم عاملين وعما نهاكم عنه منهين . أما بعد فان كثيرا من المعتزلة وأهل العدل مالت بهم أهواهم الى التقليد لرؤسائهم

ورقـة 26 وجـه

---

(1) 59 ــ الحشر 7
(2) 24 ــ النور 63
(3) 4 ــ النساء 83
(4) 42 ــ الشورى 10
(5) 53 ــ النجم 3 ــ 4
(6) 10 ــ يونس 15
(7) 24 ــ النور 51
(8) 47 ــ محمد 33

ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله بـه سلطانا . ولا أوضح به برهانا . ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا رواية الصحابة رضى الله عنهم عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فى رؤية الله عز وجل بالأبصار ، وقد جاءت فى ذلك الروايات من الجهات المختلفات وتواترت بـه الآثار ، وتتابعت بهـا الأخبار . وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين. وردوا الرواية فى ذلك عن السلف المتقدمين ، وجحدوا عذاب القبر وان الكفار فى قبورهم يعذبون . وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون . ودانوا بخلـق القرآن نظيرا لقـول اخوانهم من المشركين الذين قالوا ان هذا الا قول البشر (1) . فزعموا ان القرآن كقول البشر ، وأثبتوا ان العباد يخلقون الشر نظيرا لقـول المجوس الذين يثبتون خالقين أحدهما يخلق الخير والآخر يخلـق الشر . وزعمت القدرية أن الله تعالى يخلق الخير وان الشيطان يخلق الشر . وزعموا ان الله عز وجل يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء . خلافا لما اجمع عليه المسلمون من ان ما شاء الله كان ، وما لا يشاء لا يكون . وردا لقول الله عز وجل وما تشاؤون الا ان يشاء الله (2) . فأخبر انا لا نشاء شيئا الا وقد شاء أن نشاءه . ولقوله تعالى : ولو شاء الله ما اقتتلوا (3) . ولقوله : ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها (4) . ولقوله تعالى : فعال لما يريد (5) . ولقوله مخبرا عن شعيب عليه السلام . وما يكون لنا ان نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا (6) . ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة . لانهم دانوا بديانة المجوس ، وضاهوا قولهم ، وزعموا أن للخير والشر خالقين كما زعمت المجوس ، وانه يكون من الشر ما لا يشاؤه الله . كما قالت المجوس ذلك . وزعموا انهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم ردا لقوله عز وجل قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله (7) . وانحرافا عن القرآن وعن ما اجمع عليه المسلمون وزعموا انهم ينفردون بالقدرة على اعمالهم دون ربهم ، واثبتوا لأنفسهم غنى عن الله عز وجل . ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفو الله بالقدرة عليه . كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوا لله عز وجل ، فكانوا مجوس هذه الأمـة . ان دانوا بديانة المجوس ، وتمسكوا بأقوالهم ومالوا الى أضاليلهم وقنطوا الناس من رحمـة الله ، وآيسوهم من روحـه وحكموا على العصاة بالنار والخلود خلافا لقول الله عـز وجل ويغفر ما دون

ورقـة 26 ظهـر

ذلك لمن يشاء وزعموا ان من دخل النار لا يخرج منها خلافا لمـا جاءت بـه

(1) 14 ـ المدثر 25

(2) 76 ـ الانسان 20

(3) 2 ـ البقرة 253

(4) 32 ـ السجدة 13

(5) 85 ـ البروج 16

(6) 7 ـ الاعراف 89

(7) 10 ـ يونس 49

الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله يخرج أقواما من النار بعدما امتحشوا فيها وصاروا حمما ودفعوا أن يكون لله عز وجل وجه مع قوله : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (1) . وأنكروا ان تكون لله يدان مع قوله : بما خلقت بيدى . وانكروا ان تكون لله عينان مع قوله : تجرى بأعيننا . ولتصنع على عينى . ونفوا ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله ان الله ينزل الى سماء الدنيا وأنا ذاكر ذلك ان شاء الله تعالى بابا بابا . وبه المعونة والتأييد ومنه التوفيق والتسديد . فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون ؟ قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها : التمسك بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . وما روى عن الصحابة والتابعين ، وأيمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل رضى الله عنه ونضر وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجنبون لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين وجملة قولنا ان نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئا وان الله اله واحد فرد أحد صمد لا اله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق والنار حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور . وأن الله مستوى على عرشه كما قال : الرحمان على العرش استوى (2) . وان له وجها كما قال : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . وأن له يدين كما قال : بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء . وقال لما خلقت بيدى . وان له عينين بلا كيف كما قال : تجرى بأعيننا . وأن من زعم أن اسم الله غيره كان ضالا . وأن لله علما كما قال : أنزله بعلمه . وقال : وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه . ويثبت لله قوة كما قال : او لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة . ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج . ونقول : ان كلام الله

ورقة 27 وجه

---

(1) 55 ـ الرحمن 26

(2) 20 طه 5

غير مخلوق وأنه لم يخلق شيئا الا وقد قال له كن فيكون . كما قال انما قولنا لشيء اذا أردنا أن نقول لـه كن فيكون • وانه لا يكون فى الأرض شيء من خير وشر الا ما شاء الله وان الأشياء تكون بمشيئة الله وان أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله الله ولا يستغنى عن الله ولا يقدر على الخروج من علم الله وأنه لا خالق الا الله وان أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة لـه كما قـال : والله خلقكم وما تعملون . وان العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون . وكما قال : أفمن يخلق كمن لا يخلق . وكمـا قـال : أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . وهـذا فى كتاب الله كثير .وان الله وفق المؤمنين لطاعتـه ونظف بهم ونظر لهـم وأصلحهم وهـداهم وأظـل الكافرين ولـم يهـدهم ولم يلطف لهـم بالايمـان . لا كما زعم أهل الزيغ والطغيان ولو لطف لهم وأصلحهم كانوا صالحين . ولو هداهم كانوا مهتدين . كما قال الله تعالى : من يهـد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هـم الخاسرون . وان الله يقـدر أن يصلـح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم أنه خذلهم وطبع على قلوبهم ، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره . وانا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره ، حلـوه ومره . ويعلم أن مـا أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا . وانا لا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله . وانا نلجيء أمورنا الى الله . ونثبت الحاجة والفقر فى كل وقت اليه ونقول ان القرآن كلام الله غير مخلوق وان من قال بخلق القرآن كان كافرا وندين بأن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلـة البدر . يـراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول : ان الكافرين اذا رآه المؤمنون عنـه محجوبون كما قـال عـز وجـل : كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . وان موسى سأل الله الرؤية فى الدنيا وأن الله تجلى للجبل فجعله دكا . وأعلم بذلك موسى أنه لا يـراه فى الدنيا ونرى أن لا نكفر أحدا من اهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر كما دانت بذلك الخوارج ، وزعموا أنهـم بذلك كافرون • ونقول أن من عمل كبيرة من الكبائر وما أشبهها مستحلا لهـا كان كافرا اذا كان غير معتقد لتحريمها ونقول ان الاسلام أوسع من الايمان وليس كل اسلام ايمانا وندين بانه يقلب القلوب وأن القلوب بين اصبعين من اصابعه وأنه يضع السموات على اصبع والارضين على اصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وندين بأن لا تنزل أحدا

ورقـة 27 ظهـر

من الموحدين المستمسكين بالايمان جنة ولا نارا . الا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ونرجو الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا

بالنار معذبين . ونقول ان الله يخرج من النار قوما بعدما امتحشوا بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ونؤمن بعذاب القبر ونقول ان الحوض والميزان حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق وأن الله يوقف العباد بالموقف ويحاسب المؤمنين وأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص . ونسلم الروايات الصحيحة فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رواها الثقاة عدل عن عدل حتى تنتهى الرواية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وندين بحب السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونثنى عليهم بما أثنى الله عليهم ونتولاهم ؛ ونقول ان الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر رضى الله عنه ، وأن الله تعالى أعز به الدين وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون للامامة كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة . ثم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ثم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قتله قاتلوه ظلما وعدوانا . ثم على بن ابى طالب رضى الله عنه فهؤلاء الائمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النبوة ونشهد للعشرة بالجنة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . ونتولى سائر اصحاب النبىء صلى الله عليه وسلم ونكف عما شجر بينهم وندين الله أن الائمة الأربعة راشدون مهذبون فضلاء لا يوازنهم فى الفضل غيرهم ونصدق بجميع الروايات التى أثبتها اهل النقل من النزول الى سماء الدنيا . وأن الرب يقول هل من سائل هل من مستغفر ، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل . ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين وما كان فى معناه ولا نبتدع فى دين الله بدعة لم ياذن الله بها ولا نقول على الله ما لا نعلم . ونقول ان الله تعالى يجىء يوم القيامة كما قال : وجاء ربك والملك صفا صفا (1) . وأن الله تعالى يقرب من عباده كيف شاء كما قال : ونحن أقرب اليه من حبل الوريد (1) . وكما قال : ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى (2) . ومن ديننا أن نصلى الجمعة والأعياد خلف كل بر وغيره . وكذلك سائر الصلوات الجماعات ، كما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . أنه كان يصلى خلف الحجاج . وأن المسح على الخفين جائز فى الحضر والسفر خلافا لمن أنكر ذلك . ونرى الدعاء لائمة المسلمين بالصلاح والاقرار بامامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم ، اذا ظهر منهم ترك الاستقامة . وندين بترك الخروج عليهم بالسيف

ورقة 28 وجه

وترك القتال فى الفتنة . ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونؤمن بعذاب القبر ومنكر نكير ، ومسائلتهم المدفونين فى قبورهم ونصدق بحديث المعراج . ونصحح كثيرا من الرؤيا فى

(1) 86 ـ الفجر 22

المنام . ونقول ان لذلك تفسيرا . ونرى الصدقة عن موتى المسلمين ، والدعاء لهم . ونؤمن أن الله ينفعهم بذلك . ونصدق بأن فى الدنيا سحرة وأن السحر كائن موجود فى الدنيا . وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة . مؤمنهم وفاجرهم ومواريثهم . ونقر أن الجنة والنار مخلوقان . وأن من مات او قتل فبأجله مات او قتل . وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل يرزقها عباده حلالا وحراما . وان الشيطان يوسوس للانسان ويشككه ويخبطه ، خلافا لقول المعتزلة والجهمية . كما قال الله عـز وجل : الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الـذى يتخبطـه الشيطان من المس . وكما قـال : من شر الوسواس الخناس الـذى يوسوس فى صدور الناس من الجنـة والناس . ونقول ان الصالحين يجوز ان يخصهم الله بآيات يظهرها عليهم . وقولنا فى أطفال المشركين ان الله عز وجل لهم نارا فى الآخرة ثم يقول اقتحموها فيردها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل به ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل به . فيقول الله تعالى : اياى عصيتم فكيف رسلى لو أتتكم . وهو حديث غير ثابت ، قرطبى . كما جاءت الرواية بذلك . وندين بأن الله تعالى يعلم ما العباد عاملون والى ما هم صائرون وما يكون وما لا يكون ان لو كان كيف كان يكون وبطاعة الأيمة ونصحة المسلمين . ونرى مفارقة كل داعية لبدعة ، ومجانبة اهل الآهواء . وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقى منه ، وما لم نذكره بابا وشيئا فشيئا . انتهى ما نقله الحافظ الامـام ابو القاسم بن عساكر عن كتاب الابانة للأشعرى رضى الله عنه . ولنلحق عقائد جماعة من الأيمة منها عقيدة الامام الشافعى رضى الله عنه وهى مروية عنه بالاسناد الى ابى على الحسن بن هاشم بن عمرو البلدى ، قال : هذه وصية الامام ابى عبد الله محمد بن أدريس الشافعى رضى الله عنه . أوصى أنه يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين (وأن الله) يبعث من فى القبور وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن عذاب القبـر والحساب والميزان حق ، وأن الله يجزى العباد بأعمالهم عليه أحيا وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله .

ورقـة 28 ظهـر

وأشهد ان الايمان قول وعمل ، ومعرفة بالقلب يزيد وينقص ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق . وأن الله عز وجل يرى فى الآخرة . ينظر اليه المؤمنون عيانا جهارا . ويسمعون كلامه . وأنه فوق عرشه ، وأن القدر خيره وشره

(2) 53 ـ النجم 8 ـ 9

من الله عز وجل . لا يكون الا ما أراد الله عــز وجل وقدره وقضاه ، وأن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الأمة ابوبكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم أجمعين . وأتولاهم وأستغفر لهم ولأهل الجمل وصفين والقاتلين والمقتولين وجميع أصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم . والسمع والطاعة لأولى الأمر مـا داموا يصلون ، والولاة لا نخرج عليهم بالسيف ، والخلافة فى قريش . وأن قليل ما أسكر كثيره خمر . والمتعة حرام ، وأوصى بتقوى الله عــز وجل ، ولزوم السنة والآثار عن رسول الله صلى عليه وسلم وأصحابه ، وترك البدع والأهواء واجتنابها . فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . فانها وصية للأولين والآخرين ، وأنه من يتقى الله يجعل لـه مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . فاتقوا الله مـا أستطعتم . وعليكم بالجمعة والجماعة ولزوم السنة والايمان والتفقه فى الدين ، من حضرنى منكم

ورقـة 29 وجـه

فليلقنى قول لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . وتعاهدوا الأظفار والشارب قبل الوفاة ان شاء الله تعالى . واذا حضرت وفاتى وكانت عندى حائض فلتقم . وان تطيبوا وتدخنوا حول فراشى الى ههنـا فى كتاب ابن هاشم . ونسب الى الشافعى رضى الله عنه عقيدة أطول من هذه مشتملة على الأدلة فاكتفينا بهذه عنها وبالله التوفيق . وهذه عقيدة الشيخ الامام ابى النجيب السهروردى الشافعى عم الشيخ شهاب الدين صاحب عوارف المعارف وهى بسم الله الرحمان الرحيم . الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على خاتم النبيئين سيدنا محمد النبيء الأمى وآلـه أجمعين . اعلم أرشدك الله أن كل طالب لشيء لا بد له أن يعلم ماهيته وحقيقته حتى تتكامل له الرغبة فيه . ولا يصلح لأحد أن يسلك طريق الصوفية حتى يعرف عقائدهم وآدابهم فى ظاهرهم وباطنهم . ويفهم اطلاقاتهم فى محاوراتهم . ويعلم اصطلاحاتهم فى كلماتهم . حتى يصح له أن يحذو حذوهم ويقفوا اثرهم فى أقوالهم وأفعالهم ، فانه من كثرة المدعين جهل حال المحققين وفساد الفاسدين ، يعــود اليهم ولا يقدح فى صلاح المصلحين ، فنبدأ اولا بذكر مذهبهم فى أصل الاعتقاد . أجمعوا على أن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك لــه

(1) 50 ــ ق 16

ولا ضد له ولا ند له موصوف بما وصف به نفسه ، مسمى أسمى به نفسه ليس بجسم . فان الجسم ما كان مؤلفا والمؤلف يحتاج الى مؤلف ولا بجوهر فان الجوهر ما كان متحيزا والرب سبحانه ليس بمتحيز بل هو خالق كل متحيز وحيز . ولا هو بعرض فان العرض لا يبقى زمانين والرب سبحانه واجب البقاء لاجتماع له ولا افتراق ولا ابعاض له لا يزعجه ذكر ولا يلحقه فكر ولا تبلغه العبارات ولا تعينه الاشارات . ولا تحيط به الأفكار ولا تدركه الأبصار . وكل مـا تصور فى الوهم او حواه الفهم فالله تعالى بخلافه . ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت كيف فقد احتجب عن الوصف ذاته وان قلت أين ؟ فقد تقدم المكان . علة ، كل شيء صنعه ولا علة لصنعه . ليس لذاته تكييف ولا لفعله تكليف . احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وكل شيء عنده بمقدار . ليس ذاته كالذوات ولا صفاته كالصفات وليس معنى العلم فى حقه نفى الجهل . ولا القدرة نفى العجز . وأجمعوا على اثبات ما ذكر الله عز وجل فى كتابه ، وما صح عن النبىء صلى الله عليه وسلم في أخباره . ممن ذكر الوجه واليد والنفس والسمع والبصر من غير تمثيل ولا تعطيل . كما قال عـز وجل : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (1) . سئل بعضهم عن الله عز وجل ، فقال : ان سألت عن ذاته فليس كمثله شيء . وان سألت عن صفاته فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد . وان سألت عن اسمه ، فهو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمان الرحيم . وان سألت عن فعلـه فكل يوم هو فى شأن . وقولهم فى الاستواء مـا قال مالك ابن أنس رضى الله عنه . حين سئل عن ذلك فقال : الاستواء معلوم غير مجهول ، والكيف غير معقول والايمان به واجب . والسؤال عنه بدعة . وكذلك مذهبهم فى النزول ، وأجمعوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق . مكتوب فى مصاحفنا متلو بألسنتنا ، محفوظ فى صدورنا ، من غير تعرض للكتاب ولا للتلاوة . فان السنة لم ترد بذلك . وأجمعوا على جواز رؤية البارى تعالى بالأبصار فى الجنة وانما نفى الله عز وجل الادراك بالأبصار ، لانه يوجب كيفية واحاطة وليس كذلك الرؤية . والنبيء صلى الله عليه وسلم شبه النظر بالنظر لا المنظور بالمنظور فى قوله صلى الله عليه وسلم : سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون فى رؤيتـه . وأجمعوا على الاقرار والايمان بحمله ما ذكره الله تعالى فى كتابه وجاءت به الروايات عن النبـيء صلى الله عليه وسلم فى الجنـة والنار واللوح . والقلم والحوض ،

ورقـة 29 ظهـر

والصراط والشفاعة والميزان والصور وعذاب القبـر وسؤال منكر ونكير واخراج قـوم من النار بشفاعة الشافعين ، والبعث بعـد الموت وان الجنـة والنار خلقتا للبقاء وان أهلهما فيهما مخلدون ومنعمون ومعذبون غير أهل الكبائر من المؤمنين ، فانهم فى النار لا يخلدون ، وأجمعوا على أن الله تعالى خالق لأفعال عباده كما هو خالق لأعيانهم . قـال تعالى : والله خلقكم ومـا تعملون . وان الخلـق كلهم يموتون بآجالهم ، وأن الشرك والمعاصى كلهـا

بقضاء الله وقدره من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة . بل الله الحجة البالغة . وانه لا يرضى لعباده الكفر والمعاصي ، والرضا غير الارادة ويرون الصلاة خلف كل بر وفاجر ، ولا يشهدون لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به ، ولا يشهدون على أحد بالنار لكبيرة أتى بها ، ويرون الخلافة فى قريش ليس لأحد منازعتهم فيهــا ، ولا يرون الخروج على الولاة وان كانوا ظلمة . ويؤمنون بالكتب المنزلة وبالأنبياء والمرسلين ، وانهم أفضل البشر وان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم ، وان الله تعالى ختم بــه الأنبياء عليهم عليهم الصلاة والسلام ، وأفضل البشر بعده ابو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، عليهم السلام . ثم تمام العشرة ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، ثم أفضلهم الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . ثم القرن الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم العلماء العاملون ثم أنفعهم للناس وأجمعوا على تفضيل الرسل على الملائكة واختلفوا فى تفضيل الملائكة على المؤمنين ، وبين الملائكة تفاضل كما بين المؤمنين . وأجمعوا على أن طلب الحلال ولا يطالبهم الا بما يمكن . الا أنه يقل فى موضع ويكثر فى موضع للحلال ولا يطالبهم الا بما يمكن . الا أنه يقل فى موضع ويكثر فى موضع فمن كان ظاهره جميلا فـلا يتهم فى ماله وكسبه . وأجمعوا على أن كمال الايمان اقرار باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان . فمن ترك الاقرار فهو كافر ، ومن ترك التصديق فهو منافق ، ومن ترك العمل فهو فاسق ، ومن ترك الاتباع فهو مبتدع ، وان الناس يتفاضلون فى الايمان وان المعرفة بالقلب لا تنفع ما لم يتكلم بكلمتى الشهادة الا أن يكون له عذر ثبت بالشرع ، ويرون الاستثناء فى الايمان من غير شك بل على سبيل التأكيد والمبالغة ، ولأن الأمر مغيب . سئل **حسن البصرى** رضى الله عنه أمؤمن أنت حقا ؟ قال : ان أردت ما يحقن بــه دمى وتحل بــه ذبيحتى ومناكحتى فأنا مؤمن حقا . وان أردت ما أدخل به على الجنان وأنجو به من النيران ويرضى به منى الرحمان فأنا مؤمن ان شاء الله . والله سبحانه وتعالى استثنى فى قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (1) . وليس هناك شك . وسئل بعضهم عن هذا الاستثناء من الله تعالى فقال أراد بذلك أدبـا لعباده وتنبيها لهم على أنــه سبحانه اذا أستثنى مع كمال علمه لا يجوز لأحــد من غير استثناء لقصور

ورقـة 30 وجـه

علمه . وكذلك قال النبىء صلى الله عليه وسلم فى أهل المقابر وانا ان شاء الله عن قريب بكم لاحقون . ولم يكن شاكا فى المـوت واللحوق بهم . وأجمعوا على اباحة الكسب والتجارات والصناعات على سبيل التعاون على البر والتقوى ، من غير أن يرى فى ذلك سببا لاستجلاب الرزق وان السؤال آخـر كسب المـرء ، ولا تحل المسألة لغنـى ولا لذى مره سوى . **فصـل** وأجمعوا على أن الفقر أفضل من الغنى اذا كان مقترنـا بالرضى . ولذلك

---

(1) الفتح ــ 48 27

اختاره النبيء صلى الله عليه وسلم ، وأشار به عليه جبريل عليه السلام حين عرضت عليه مفاتيح خزائن الأرض على انه لا ينقص لـه مما عند الله جناح بعوضة فأشار اليه جبرائيل أن تواضع . فقال : أريد ان أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك وذكرتك وبهذا يحتج من يرد ما يعرض عليه من الدنيا . وقول النبيء صلى الله عليه وسلم : اللهم أحييني مسكينا وأمتني مسكينا وأحشرني في زمرة المساكين . ولو سأل الله أن يحشر المساكين في زمرته لكان لهم الفخـر العميم والفضل العظيم ، فكيف وقد سأله أن يحشر في زمرتهم وأمره الله سبحانه بالصبر معهم . فقال : واصبر نفسك مـع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه (1) . الاية . فان احتج من يحتج بقوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى . وقال اليد العليا هي المعطية والسفلى هي السائلة . قيل له اليد العليا تنال الفضل باخراج ما فيها واليد السفلى كنا لها المنقصة بحصول الشيء فيها . ففي تفضيل السخاء والعطاء دليل على تفضيل الفقر ، لأنـه لو كان ملك الشيء محمودا لكان تركه بالعطاء مذموما . فمن فضل الغناء للانفاق والعطاء على الفقراء كان كمن فضل المعصية على الطاعة ، لفضل التوبة وانما فضل التوبـة لترك المعاصي المذمومة . وكذلك فضل العطاء والانفاق انمـا هو لاخراج المـال الملهي عن الله تعالى . **فصـل ، الفقر غير** التصوف . وكذلك الزهد غير الفقـر . وليس الفقر عندهم الفاقة والعدم فحسب ، بل الفقر المحمود الثقة بالله والرضى بما قسم الله والصوفية غير الملامتية ، فان الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا . والصوفي هو الذي لا يشتغل بالخلق ولا يلتفت الى قبولهم ولا الى ردهم . واجمعوا على ان ترك الاشتغال بالمكاسب والصناعات والتفرغ للطاعات أجل وافضل ، لمن سلم الاهتمام لطلب الرزق ، واتكل على مضمون الله تعالى الا أن تستوى عنده الخلوة والجلوة والمخالطة والعزلة ، ويصير مشاهدا للقدرة في كل حال . قال بعضهم لا يكونوا بالرزق مهتمين ، فتكونوا للرزاق متهمين ولضمانه غير واثقين وقيل لبعضهم من أين تأكل ؟ فقال لو كان من أين لفني وقيل لآخر

ورقـة 30 ظهـر

من أين تأكل ؟ فقال سل من يطعمني من أين يطعمني . وأجمعوا على ان أفعال العباد ليست سببا للسعادة ولا للشقاوة لقوله صلى الله عليه وسلم : السعيد من سعد في بطن أمه ، والشقي من شقي في بطن أمه . وأن الثواب فضله والعقاب عدله . والرضى والسخط نعتان قديمان لا يتغيران بأفعال العباد فمن رضى الله عنه استعمله بعمل أهل الجنة ، ومن سخط عليه استعمله بعمل أهل النار . ويرون الرضى بالقضاء والصبر على البلاء والشكر على النعماء واجبا على كل أحد . وأن الخوف والرجاء زمامان للعبد يمنعانه من سوء الأدب . فكل قلب خلا منهما فهو خراب وان الأمر والنهي واحكام العبودية لازمة للعبد ،

(1) الكهف 18 ـ 28

ما دام عاقلا ، غير أنه اذا صفى قلبه مع الله سقط عنه كلفة التكليف لأنفس وجوبها . وان البشرية لا تزول عن أحد ولو تربع في الهواء ، غير انها تضعف تــارة وتقوى أخرى . والحرية من رق النفوس جائز في حــق الصديقين ، والصفات المذمومة تفنى من العارفين . وتخمد في حق المريدين الصادقين ، وأن العبد تنقل في الأحوال حتى يصير الى نعت الروحانيين . فتطوى لــه الأرض ونمشي على الماء ونغيب عن الأبصار . وأن الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الايمان . وان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على من أمكنه بما أمكنه . وأجمعوا على اثبات الكرامات للأولياء وجوزها في عصر النبيء صلى الله عليه وسلم وفي غير عصره ، ونبوة الأنبياء لم تثبت بالمعجزات ، ولكن بارسال الله اياهم وانما تظهر للخلق ما كان عند الله ثابتا ، والفرق بين المعجزة والكرامة أن النبيء يجب عليه اظهار المعجزات ، والولى يجب عليه ان يكتم الكرامة الا أن يظهرها الله عليه . وأنكروا المراء في الدين . وندبوا الى الاشتغال بما لهم ، وعليهم . وأجمعوا على اباحة سائر الأنواب من الثياب الا ما حرمت الشريعة على الرجال لبسه وهو ما كان أكثره أبريسم . ويرون الاقتصار على الأدون من الثياب والخلقان والمرقعات ألمرقعات أفضل ، لقوله صلى الله عليه وسلم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . ولأنها من الدنيا التى حلالها حساب . وحرامها عقاب . ولقوله صلى الله عليه وسلم من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة . ويختارون لبس المرقعات لمعان منها أنها أقل مؤونة . وأقل تخرقا وأبقى على صاحبها ، وأقرب الى التواضع ، وأصبر على الكد ، وتدفع الفقر والحر ولا مطمع لأهل الشر فيها . وتمنع من الكبر والفساد ، وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أمرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أطرح درعا حتى أرقعه . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : في حديث ذكره . رأيت النبيء صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ورأيت أبا بكر يتجلل بالعباءة ، ورأيت عمر يرقع جبته برقاع ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضر وثياب أهل الجنة وأما ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : خيرثيابكم البياض . فمعناه

ورقــة 31 وجــه

أجمل ثيابكم وأليقها بسائر الناس . اذا تجملوا بها البياض وأجمعوا على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخل بالمعاني . لقوله صلى الله عليه وسلم : زينوا القرآن بأصواتكم . وقولــه صلى الله عليه وسلم : ان لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن . ويكرهون القراءة بالألحان المقطعة . وأما القصائد والأشعار فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر ، فقال كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح . فالحسن منه ما كان من المواعظ والحكم وذكر (آلاء) الله ونعمائه ، ونعت الصالحين وصفة المتقين وما كان من ذكر الأطلال والمنازل والأزمان والأمم فسماعه مباح وما كان من وصف الخدود والقدود والشعور وما يوافق الطباع والنفوس فمكروه . ولا يصلح السماع المباح الا

لعالم ربانى يميز بين الطبع والشهوة وبين الالهام والوسوسة . قد أمات نفسه بالرياضات والمجاهدات وحمدت بشريته وفنيت خطوطـه ، وبقيت حقوقه ، فهو كما قال الله تعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وعلامة من هذه صفته أن يستوى عنده (المدح) والذم والعطاء والمنع والجفاء والوفاء وسئل بعض المشائخ عن السماع فقال : مستحب لأهل الحقائق ، مباح لأهل الشك والورع ، مكروه لأهل النفوس والحظوظ . وسئل الجنيد عنه فقال كل ما يجمع العبد بين يدى الله فهو مباح اما سماع الصوت الحسن والنغمة الطيبة فهو حظ الروح فهو مباح . لأن الصوت الطيب فى ذاتـه محمود . وقيل فى قوله تعالى : يزيد فى الخلق ما يشاء . انه الصوت الطيب وقال بعضهم : ان الصوت الطيب لا يدخل فى القلب شيئا وانما يحرك ما فى القلب . ثم ان أهل السماع فى سماعهم متفاوتون فمنهم من يغلب عليه فى حال الحزن والخوف والشوق فيؤدى بـه ذلك للبكاء والأنين ، والشهقة وتمزيق الثياب . والغيبة والاضطراب . ومنهم من يغلب عليـه الرجـاء والفـرح والاستبشار فيؤدى بـه ذلك الى الطرب والرقص والتصفيق كما روى ان داوود عليه السلام استقبل السكينة بالرقص فأنكرت عليه زوجته ، فقالت لـه : أترقص مقابلة العدو ؟ فقال لها أنت طالق تحكمين على قلبى لما رأى آية ربى . وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال : أتينا الى النبىء صلى الله عليه وسلم أنا وجعفر وزيد فقال لجعفر : أشبهت خلقى وخلقى فحجل فرحا لقوله . وقال لزيد أنت أخونا ومولانا . فحجل وقال لى : أنت منى وأنا منك فحجلت . قال ابو عبيدة الحجل أن ترفع رجلا وتقفز على الأخرى ، ويكون بالرجلين جميعا . الا أنه قفز وليس بمشى ، وقد يحدث للمستمع فى حال الاستماعة شوق الى ما يذكر فيثب من مكانه فعل من يريد الذهاب الى محبوبه

ورقـة 31 ظهـر

فاذا علم أنه لا سبيل اليه كرر الوثوب مرارا ويدور دورانا متتابعا . وقد يكون ذلك على تردد يظهر فى حال السماع بين الروح والجسد وذلك لأن الروح روحانى علوى خلق من الفرح . سفلانى خلق من التراب . فالروح يعلو الى فوق لأنه عالمه والجسد ينزل الى محله الا أن يقع السكون وقد يكون ذلك منهم على سبيل التفرح والتفسح فى حال السماع وليس بمحظور ، الا أنـه ليس من صفات المحقين . حكى عن أبى عبد الله احمد بن عطـاء الروذبارى أنه قال : شرط الصادق فى السماع ثلاثة العلم بالله والوفاء بما هو عليه وجمع الهمة فى المكان الذى يسمع فيه . ويحتاج الى طيب الروائح وحصول الوقار ، وعـدم الأضداد ، ورؤيته من يلتهى ويتبسم ويسمع على ثلاثة . على المحبـة والخوف والرجاء . والحركة فى السماع ثلاثة أنواع الطرب والوجل والخوف . فالطرب لـه ثلاث علامات : الرقص والتصفيق والوثب . والوجل لـه ثلاث علامات : الغيبـة والاصطلام والصرخات . والخوف له ثلاث علامات : البكاء واللطم والزفرات . **فصـل** . فاما فروع

الدين وأحكامه فقد أجمعوا على وجوب تعلم مـا لا يسع جهله من أحكام الشريعة ، وما يحل ويحرم ليكون العمل موافقا للعلم . فقد قيل ، اذا تجرد العلم عن العمل كان عقيما . واذا خلى العمل عن العلم كان سقيما . وقال صلى الله عليــه وسلم . طلب العلم فريضة على كل مسلم . فاختاروا من المذاهب مذهب فقهاء أصحاب الحديث . ولا ينكرون الاختلاف بين العلماء فى الفروع لقولــه صلى الله عليه وسلم : اختلاف العلماء رحمــة . وسئل بعضهم عن العلماء الذين اختلافهم رحمــة من هم ، فقــال : هم المعتصمون بكتاب الله المجاهدون فى متابعــة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المقتدون بالصحابة رضى الله عنهم ، وهم ثلاثة أصناف أصحاب الحديث ، والفقهاء ، وعلماء الصوفية . وأما أصحاب الحديث فانهم تعلقوا بظاهر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أساس الدين . ولأن الله سبحانه وتعالى يقول : وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (1) . فاشتغلوا بسماعه ونقله وتدبره وتمييز صحيحه من سقيمه . وهم حراس الدين . وأما الفقهاء ففضلوا على أصحاب الحديث بعــد قبول علمهم بمـا خصوا بــه من الفهم والاستنباط فى فقه الحديث . والتمييز بين الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والمجمل والمفسر والخاص والعام والمحكم والمتشابه . فهم حكام الدين وأعلامه . وأما الصوفية فاتفقوا مع الطائفتين فى معانيهم ورسومهم ، اذا كان مجانبا للهوى ، ومنوطا بالاقتداء . فمن لم يحط من الصوفية علما بما أحاطوا به يرجعون فيه اليهم فى أحكام الشرائع وحدود الدين . فاذا أجمعوا فهم على اجماعهم واذا اختلفوا أخــذ الصوفية بالأحسن والأولى ، وليس من مذهبهم دأب التأويل وركوب الشهوات ، ثم انهم خصوا بعــد ذلك بعلوم عالية

ورقــة 32 وجــه

وأحوال شريفة وتكلموا فى علوم المعاملات وعيوب الحركات والسكنات . وشريف المقامات وذلك مثل التوبــة والزهد والورع والصبر والرضى ، والتوكل والمحبة والخوف والرجاء والمشاهدة والطمأنينة واليقين والقناعة ، والصدق والاخلاص والشكر والــذكر والفكر والمراقبة والاعتبار والوجــل والتعظيم والاجلال ، والندم والحيــاء والجمع والتفرقة والفناء والبقاء ومعرفة النفس ، ومجاهداتها ورياضتها ، ودقائق الرياء ، والشهوة الخفية والشرك الخفى ، وكيفية الخلاص منها . وهم ايضا مستنبطات من علوم مشكلة على الفقهــاء ، وذلك مثل العوارض والعوائق وحقائق الاذكار وتجديد التوحيد ومنازل التفريد ومقامات السر ، وتلاشى الحديث اذا قوبل بالقديم . وعيوب الاحوال وجمــع المتفرقات والاعراض عن الأعراض ، بتــرك الاعتراض فهم مخصصون بالوقوف على المشكل من ذلك بالمنازلة والمباشرة . و (   ) بيــذل المهج حتى طلبوا من ادعا حــالا منها بدلائلها وتكلموا فى صحيحها وسقيمها ، فهم حماة الدين وأعيانه وأعوانه . ثم ان كل من أشكل عليه علم

(1) 59 ــ الحشر 7

من العلوم الثلاثة فعليه أن يرجع فيه الى أئمتهم كما يرجع الى علماء الشريعة في علومهم . فمن أشكل عليه شيء من علوم الحديث ومعرفة الرجال يرجع فيه الى أئمة الحديث ، لا الى الفقهاء . ومن أشكل عليه شيء من دقائق الفقه يرجع فيه الى أئمة الفقهاء . ومن أشكل عليه شيء من علوم الأحوال والرياضات ودقائق الورع ومقامات المتوكلين ، يرجع فيه الى أئمة الصوفية لا الى غيرهم . فمن فعل غير ذلك فقد أخطأ . قلت وانما يرجع في ذلك الى علمائهم المحققين السالمين من الشطح والغلو ، كالقشيري والسهروردي . وسيأتي تأويل التجلي والمشاهدة والمخاطبة وعدم رؤية الخلق والفناء والبقاء وغير ذلك مما يعرف أنهم لم يريدوا ظاهر معناه . فافهم وفقنا الله واياك . وسيأتي أن فضل العلم أتم من فضل الوجد . ولا يضر نقصان الوجد مع زيادة العلم . وهو حال الصحابة وكبار السلف وانما تضر زيادة الوجد مع نقصان العلم وآثار ذلك معلومة عند الاعتبار ، فافهموا وبالله التوفيق . وقد بين الشيخ عز الدين بن عبد السلام في آخر القواعد أنواع الأحوال وآثارها ومراتبها في الفضل وتفاضل أهلها . فيطلبه منه من أراد ذلك . وقول الشيخ رضي الله عنه في اصطلاحهم تجريد التوحيد ومنازل التفريد الى آخر الكلمات ، هي محل مغاليط أهل الحلول والاتحاد . فاعلم ذلك . ثم قال الشيخ رضي الله عنه : فصل في ذكر أقاويلهم في التصوف وآدابه . اختلفت أجوبة المشائخ في التصوف لاختلاف الأحوال ، فكل أجاب على قدر حاله او على قدر ما

ورقة 32 ظهر

يحتمل مقام السائل . فان كان مريدا مجيبا على ظاهر المذهب من حيث المعاملات وان كان متوسطا اجيب من حيث الاحوال وان كان عارفا أجيب من حيث الحقيقة ، وأظهروا ما قال بعضهم : أول التصوف علم وأوسطه عمل ، وآخره موهبة . فالعلمُ يكشف عن المرادُ ، والعمل يعين على الطالب والموهبة تبلغ غاية الأمل وأهله على ثلاثة طبقات . مريد ، طالب ومتوسط سائر ومنته واصل ، فالمريد صاحب وقت والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب يقين وأفضل الاشياء عندهم عد الانفاس فالمريد متعوب في طلب المراد والمبسوط مطالب بآداب المنازل ، وهو صاحب تلوين لانه يرتقي من حال الى حال . وهو في الزيادة . والمنتهى الواصل المحمول قد جاوز المقامات وهو في محل التمكين لا تغيره الأحوال ولا تؤثر فيه الأهوال . كما قيل أن زليخا لما كانت صاحبة تمكين في محبة يوسف عليه السلام لم تؤثر فيها رؤية يوسف عليه السلام كما أثرت في اللواتي قطعن أيديهن . وان كانت أتم في حبه منهن . فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتجرع المرارات ومجانبة للحظوظ وما للنفس فيه متعة ، ومقام المتوسط ركوب الأهوال في طلب المراد ومراعاة الصدق في الأحوال واستعمال الأدب في المقامات . ومقام المنتهى الصحو والتمكين ، واصابة الحق من حيث دعاه قد استوى في حاله الشدة والرخاء ، والمنع والعطاء ، والجفاء والوفاء . آكله كجوعه ، ونومه كسهره ، قد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه ، ظاهره مع الخلق ، وباطنه مع الحق . وكل ذلك منقول من أحوال النبيء صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم . أول من كان متخليا في غار حراء ثم صار مع الخلق ولا فرق عنده بين الخلوة والجلوة .

وكذلك أصحاب الصفة صاروا فى حال التمكين أمراء ووزراء ، فان المخالطة لا تؤثر فيهم والله أعلم . فهذا آخر ما قصدناه من كلام الشيخ الى النجيب السهروردى الذى ذكره فى صدر كتابه آداب المريدين ، وناهيك بهذه العقيدة حسنا وتحقيقا وان كان فيها مواضع فيها مجال للنظر نفعنا الله بها . وقد صرح فيها بفضل الصوفية وتفسير التصوف بالعلم والعمل والموهبة وصرح ايضا بتفسير العلماء العاملين بعد خير القرون وكأنه يعنى التابعين ثم الذين يلونهم على ما ورد فى الحديث الصحيح وهذا تنبيه على ينبوع الفضائل وهو العلم بالله وبأحكام الله الذى هو مقصود النبوات والشرائع والعمل به سبب السعادة فى الدارين . فلنلحق به ما يناسبه ، ولنبدأ بذكر ينبوع العلوم والأحوال ألا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ورقة 33 وجه

وكيفية استمداد الخلق منه ، وبيان ذلك فيما رويناه بالأسانيد المتصلة فى صحيحى البخارى ومسلم رضى الله عنهما . عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منه طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب . وروى أخاذات أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ، ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله ، ارسلت به . قال الشيخ الامام محيى الدين النووى رضى الله عنه فى شرحه مقصود الحديث بالتمثيل أن الارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد ان كان ميتا وينبت الكلأ فينتفع به الناس والدواب بالشرب والرعى والزرع وغير ذلك . وكذلك النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه به ، ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به ، وينتفع . والنوع الثانى من الارض ما لا تقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة وهى امساك الماء وغيرها فينتفع بها الناس والدواب . وكذا النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة . ولا رسوخ لهم فى العلم يستنبطون به المعانى والأحكام وليس عندهم اجتهاد فى الطاعة والعمل به فهم يحفظونه حتى يأتى طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم أهل للنفع والانتفاع فيأخذه منهم فينتفع به . فهؤلاء نفعوا بما بلغهم . والنوع الثالث من الارض السباخ التى لا تنبت ونحوها فهى لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها . وكذا النوع الثالث من الناس ، ليست لهم قلوب حافظة ولا واعية ، واذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ، ولا يحفظونه لينفع غيرهم . وفى هذا الحديث انواع من العلم منها ضرب الأمثال ومنها فضل العلم والتعليم وشدة الحث عليها ، وذم الأعراض عن العلم . انتهى كلام النووى رحمه الله ورضى

عنه . وقال الشيخ شهاب الدين السهروردى رحمه الله ورضى عنه فى عوارف المعارف فى اثبات الأول منه فى منشا علوم الصوفية بعد روايته لهذا الحديث : أعد الله تعالى لقبول ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم اصفى القلوب وأزكى فظهر تفاوت الصفاء والتزكية فى تفاوت الفائدة والنفع . فمن القلوب مـا هى بمثابة الارض الطيبة التى تنبت الكلأ والعشب الكثير وهذا مثل مـا انتفع بالعلم فى نفسه واهتدى وهدى ومن القلوب بما هى

ورقـة 33 ظهـر

بمثابة الاخاذات أى الغدران . جمع أخاذ وهو المصنع والغدير الذى يجتمع فيه الماء . انتهى كلامه على لفظ الآخاذات . والمعروف فى الرواية أجادب بالجيم وعليه جرى الشارحون . قاله القاضى عياض ، والنووى رحمهما الله : ولسنا بصدد ايضاح الروايات ههنا . قـال السهروردى رحمه الله فنفوس العلماء والزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت قلوبهم صفت واختصت بمزيد الفائدة فصاروا أخاذات . قال مسروق : صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لأن قلوبهم كانت واعية انتهى . فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم . وفى الحديث لما نزلت ، وتعيها أذن واعية (1) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه : سألت الله ان يجعلها اذنك يا على . قال على رضى الله عنه فما نسيت شيئا بعد . ومـا كان لى أن أنسى . قال الواسطى : آذان وعت عن أسراره . وقال ايضا واعية عن الله فى معادنها ليس فيها غير ما أشهدها شىء فهى الخالية عما سواه ، فما اضطراب الطبائع الا ضرب من الجهل ، فقلوب الصوفية وعت لأنهم زهدوا فى الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى فبالتقوى زكت نفوسهم . وبالزهد فى الدنيا صفت قلوبهم . فانفتحت مسامع بواطنهم ، وسمعت آذان قلوبهم . فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الاسلام أحاطوا علما بالكتاب والسنة ، واستنبطوا منهما الأحكام وردوا الحوادث المتجددة الى أصول من النصوص ، وحمى الله بهم الدين ثم عرف علماء التفسير وجه التفسير ، وعلم التأاويل ومذاهب العرب فى اللغـة ، وغرائب النحـو والتصريف وأصول القصص واختلاف وجـوه القرآن ، وصفوا فى ذلـك الكتب ، فاتسع بطريقهم علوم القرآن على الأئمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان ، وتفردوا بمعرفة الرواة وأسامى الرجال ، وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم. فتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع فى المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع الى الأصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث ، بحكم النصوص . وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقـه وعلـم الخلاف ، وتفـرع من علـم الخـلاف علـم الجـدل ، واأحوج علم أصول الفقـه الى شىء من علم أصول الدين ، وكـان من علمهم علـم الفرائض ولـزم منـه علم الحساب والجبر والمقابلـة الى غير

(1) 69 ـ الحاقة 12

ذلك ، فتمهدت الشريعة وتأيدت واستقام الدين الحنيفي وتأصل الهدى النبوى المصطفوى ، فأنبتت أراضى قلوب العلماء الكلأ والعشب بما قبلت من مياه الحيـاة من العلم والهدى . قال الله تعالى : أنـزل من السماء ماءا فسالت أودية بقدرها (1) . قال ابن عباس الماء العلم والأودية القلوب ، قال ابوبكر الواسطى : خلـق الله درة صافية ، فلاحظها بعين الجـلال فذابت حياءا منه فسالت فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فصفاء القلوب من وصول ذلك الماء اليها وقال بن عطاء أنزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله للعبد ، فانـه اذا سال السيل فى الأودية لا تبقى فى الأودية نجاسة الا كنسها وذهب بهـا . كذلك اذا سال النور الذى قسم الله للعبد فى نفسه لا تبقى فيه غفلة ولا ظلمة . أنزل من السماء ماءا يعنى قسمة النور فسالت أودية بقدرها يعنى فى القلوب ، الأنوار على مـا قسم الله لها فى الأزل . فأما الزبد فيذهب جفاءا (1) . فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . تذهب البواطل وتبقى الحقائق . وقال بعضهم : أنزل من السماء ماء يعنى أنواع الكرامات ، فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه ، فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء والزاهدين فى الدنيا المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها . فمن كان فى باطنه لوث محبة الدنيـا من فضول المال والجـاه وطلب المناصب والرفعـة سال وادى قلبـه بقـدره فأخـذ من العلم طرفـا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم . ومن زهـد فى الدنيـا اتسع وادى قلبه فسالت فيه ميـاه العلوم واجتمعت ، فصارت أخاذات . فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم العمل ثم أفادهم العمل على الوراثة النبوية ، فهم مـع سائر العلماء فى علومهم وتميزوا عنهم بسر، زائدة وهى علوم الوراثة . وعلم الوراثة هو الفقـه فى الدين . قال الله تعـالى : ليتفقهوا فى الدين وليتذروا قومهم . فصار الانذار مستفادا من الفقـه . والانذار احيـاء المنذر بماء العلم ، والاحياء بالعلم رتبـة الفقيه فى الدين . فالفقه فى الدين من آكمل الرتب وأعلاها ، وهو علم العالم الزاهد فى الدنيا ، المتقى الذى تبلغ رتبته الانذار بعلمه ، قال الحسن البصرى : انما الفقيه الزاهد فى الدنيا . فمورد الهدى والعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا ، ورد عليه العلم والهدى من الله عز وجل فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا . فظهر من ارتواء ظاهره الدين ، والدين هو الانقياد والخضوع . كذا قال فى هذا الباب . وقال فى باب أخلاق الصوفية ، وشرح الخلق : الدين هو مجموع الأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، وهو بمعنى قول غيره ، الدين ما شرعه الله لعباده على ألسنة أنبيائه . واستدلوا عليه بقوله تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا (2) . الآية ولقوله تعالى : وما أمروا

(1) 13 ـ الرعـد 17

(2) 42 ـ الشورى

الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (1) . أى الملة المستقيمة ، ثم قال فى هذا الباب الدين مشتق من الدون وكل شيء اتضح فهو دون و الدين أن يضع الانسان نفسه لربه عز وجل . قال الله تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا . الى

ورقة 34 ظهر

قوله ولا تفرقوا فيه (2) . فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى والعلم بحرا مواجا . ثم وصل من بحر قلبه الى النفس ، فظهر على نفسه الشريفة نظارة العلم وريه فتبدلت نعوت النفس وأخلاقها ثم وصل الى الجوارح جدول فصارت ريانة ناظرة . فلما استتم نظاره وامتلأ بعثه الله الى الخلق فأقبل على الأمة بقلب مواج بمياه العلوم ، واستقبلته جداول الفهوم ، وجرى من بحره فى كل جدول قسط ونصيب . وذلك القسط والنصيب الواصل الى الفهوم هو الفقه فى الدين . لحديث من يريد الله به خيرا يفقهه فى الدين ولحديث ما (   ) عبد الله لشيء أفضل من فقه فى الدين .

ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه . ولما قال الأعرابى حسبى عند سماع قوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (3) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل وروى ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العبادة الفقه فى الدين . فكل من كان أفقه كانت نفسه أسرع اجابة وأكثر انقيادا لمعالم الدين وأوفر حظا من علم اليقين . فالعلم جملة موهوبة من الله تعالى للقلوب والمعرفة تمييز تلك الجملة ، والهدى وجدان القلوب . ذلك ولما خاطب الله سبحانه السموات والأرض بقوله : ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين (4) . نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة وما يحاذيها من السماء . كذا قال ههنا . وقال فى الباب العاشر والله تعالى نظر الى الأجزاء الأرضية فصار فيها من مواقع نظره خاصية السماع من الله تعالى والجواب حيث خاطبهما بقوله : ائتيا طوعا او كرها . فحصل أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصية السماع انتهى . ثم قال هاهنا : وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة . فقال بعضهم أجاب من الأرض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن موضع الكعبة دحيت الأرض ، فرسول الله صلى عليه وسلم هو الأصل فى التكوين والكائنات تبع له واليه الاشارة لقوله صلى الله عليه وسلم : كنت نبيا وآدم بين الماء والطين . وفى رواية بين الروح والجسد وتربة الشخص مدفنه . وكان الأثر يقتضى أن يكون مدفنه بمكة . فقيل الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحى

---

(1) 98 ــ البينة 5

(2) 42 ــ الشورى 13

(3) 99 ــ الزلزلة 7 ــ 8

(4) 41 ــ فصلت 11

فوقعت جوهرة النبيء صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذى تربته بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيـا حنينه الى مكـة وتربته بالمدينة وذرته صلى الله عليه وسلم هى المجيبة من الأرض . وكان ابليس لعنه الله ، قد وطىء الأرض بقدمين فصار بعض الأرض بين قدميه وبض الارض موضع أقدامه فخلقت النفس مما مس قدم ابليس لعنه الله . فصارت مأوى الشر

ورقـة 35 وجـه

وبعضها لم يصل اليه قدمه فمن تلك التربة أصل الأنبياء والأولياء . وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله من قبضة عزرائيل ، فلم فلم يصبه حظ من الجهل . وكل ما كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظا من قبول ما جاء به صلى الله عليه وسلم وتلك قلوب الصوفية . قـال الشيخ رضى الله عنه ونعنى بهم المقربين المذكورين فى القرآن ، وكل حال شريف يعزى الى الصوفية ، فهو حال المقرب والصوفى هو المقرب وأسم الصوفى ترك ووضع للمقرب . وكم من الرجال المقربين من يسمى صوفيا ، ومن تطلع الى مقام المقربين من جملة الأبرار فهو متصوف ما لم يتحقق بحالهم ، فـاذا تحقق بحالهم صار صوفيا ، وممن عداهما ممن يتزيى بزيهم ونسب اليهم فهـو متشبه ، وفـوق كل ذى علم عليم . انتهى المقصود من كلامه رحمه الله ورضى عنه . قال الشيخ اليافعى رحمـه الله ما معناه : ان أكابر العلماء المتقين الذين حفظ الله بهم الدين على الأمة كلهم صوفية . أما ظاهرا وباطنا وأما باطنا ، وان اشتغل بالعلم الظاهر . وصدق اليافعى رضى الله عنه فان التصوف هو التخلق بكل خلق سنى ومجانبة كل خلق دنىء كما نقله النووى رضى الله عنه فى أماليه وهذا وصفهم رضى الله عنهم : واذا عرفت ذلك بفوائده فاعلم أن العلماء ثلاثة عالم بالله وعالم بأحكام الله وعالم بهما وهو أفضلهم كما تقدم . وأفضل الأولين أولهما وخلو الثانى عن العلم بالله غادر ، والمعرفة على لسان العلماء هى العلم ، فكل علم معرفة وكل معرفة علم . لكن المعرفة أخص من العلم وعند الصوفية المعرفة صفة من عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته . ثم صدق الله فى معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته وطال بالباب وقوفـه ، ودام بالقلب عكوفه ، وصار محدثا من قبل الحق بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره ، فيسمى عند ذلك عارفا والمعرفة أفضل من المحبـة والحقيقة هى حقيقة الدين والعبودية هى الانقياد لأحكام الربوبية بالاخلاص فى العمل اذا علمت ذلـك فهاك مقاصد **عقيدة الشيخ شهاب الدين السهروردى** الشافعى الموسومة بأعلام الهدى وعقيدة أربـاب التقى . قال رضى الله عنه : الحمد لله الذى رفـع غشاوة الغمة عن بصائر أهل الوداد وهداهم بنور اصطفائه الى أقوم مناهج الرشاد ، وزكى نفوسهم عن الميل الى الدنيا حتى سلكوا أعدل طرق الزهاد ، وحمى قلوبهم عن الزيغ

بالأهـواء المردية لصحيح الاعتقـاد ، وأوردهم (مورد صدق) وصفـو اليقين حتى انحسمت من بواطنهم مادة الريب والعناد وأترعت لهم كؤوس الفهوم من كوثر غرائب العلوم مما ترادف عليهم من الأمداد تعرف في وجوههم

ورقـة 35 ظهـر

نظرة نعم المعرفة ، وبشر الظفر بالمراد ونودى في سرهم أخفا من زرهم ان هذا لرزقنا ما له من نفاذ (1) . وبعد فقد التمس منى وأنا مجاور بمكة حرسها الله وزادها شرفا أخ من المسلمين ، وأنا واياه فى الطواف حول الكعبة المقدسة المعظمة أن أكتب له عقيدة يتمسك بها ، وكان من قبله سبق هذا الالتماس من غيره ، ولم يشرح صدرى للاجابة فلما وردت على مسألة هذا الأخ وجدت من باطنى مجيبا الى ذلك ، ثم انى رأيت الوقت بمكة عزيزا جـدا يعـز أن نشغل بغير الصلاة والطواف مـع مـا بى بـه الانسان من صرف بعضه الى الأكل والنوم والاهتمام بمصالح ضرورية ، ومسألة الأخ المسلم تتقاضى بأداء حقـه . ثم علمت أنـى ان أرخيت عنـان المراد بمـا اتسعت النفس وجذبت الى مطالعة الكتب واستخراج المسموعات المسندة لتقييد ما أذكره بالأحاديث المسندة ومطالعة أقاويل الفرق وتصير لما خطر لى شعب لا يفى بهـا الوقت ، فاستخرت الله تعالى ودعوته فى الملتزم والمستخار وتمسكت بالأركان والأستار وسألت الله أن ينفع بما أذكره ويجعله خالصا لوجهه عز وجل ويحرسنى فيه من الخطا والزلل وبعـد الاستخارة والدعاء استمليت هذا المستخر من باطنى وشرطت على نفسى أن يكون القلب ناظرا الى الله عـز وجل مستعينا بـه وربما كان الخاطر يقف فى شيء منه فأطوف حول الكعبة حتى ينشرح الصدر للقول وسميته أعـلام الهدى وعقيدة أربـاب التقى وهى هذه الله لا اله الا هو لا ضد له ولا ند له ، ولا شبه له ولا مثل له ولا ولد له ولا وزير له . ولا نظير له لا تدرك كنه عظمته الأوهام ولا تبلغ حقيقة شأنه وكبريائه الأفهام ولا يعترى ذاته المقدسة التأثر والآلام والتغير والأسقام والسنة والمنام والافتراق والالتئام . جل عما يجول به الوسواس وعظم عما تكيفـه الحواس ، وكبر عما يحكم بـه القياس ، لا يصوره خيال ولا يشاكله مثال ولا ينوبـه زوال ولا يشوبه انتقال ، ولا يلحقـه فكر ولا يحضره ذكر ، قيوم أزلى ديوم سرمدى . لا تحـد أزليته بمتى ولا تقيد أبديته بحتى .لا ينطلق عليه التعيين ولا يتطرق اليه التأمين . ان قلت أين فقد سبق المكان ، وان قلت متى فقد سبق الأزمان . وان قلت كيف فقد جـاوز الأمثال ، والأشباه والاقران . وان طلبت الدليل فقد غلب الخبر العيان وان رمت البيان فترتيب الكائنات أبين برهان . أول آخـر ظاهر باطن تفانت الأوائل والأواخر فى أزليتـه وأبديته تفـرد فى الاول بنعت

ورقـة 36 وجـه

العظمة والجـلال قبـل الكون والمكان ، والدهور والأزمان ، والحين والأوان

(1) 38 ــ ص 54

فالمكان جواهر وأجسام خلقها ، والدهر أوقات وأزمان قدرها . كل ذلك موسوم بالحدث عرفنـا الزمان والمكان بتعريفه ايانا . ولو شاء كوننا ولم نعرف زمانا ولا مكانا . وكوننا في المكان من قضايا عقلنـا وهذه القضايا هيأها لنا نعقل بها المعقول ونعلم بها المعلوم ولو شاء هيأ لنا غير هيأتنا فعوالم قدرته غير مخصورة ، وغرائب مشيئته غير منكورة . وما نحن فيه من العالم بما نحن فيـه من العقول والعلم عنم من عوالمه ولا تستبعد قولي ولو شاء كوننا في غير مكان ، فقد كون المكان لا في مكان اذ لو كان في مكان لتسلسل فلا تحصر القدرة بعقلك ، ان العقل قوته أن يحصر الحكمة ، وامـا القدرة فلا يحصرها فحدث عن البحر ولا حرج . ومن هـذا الأساس تمشت وثبتت الأمور الأخروية وعلمها من علمها . وأنكرها من عجز عقلـه عن ادراكها ، فمن يكون المكان والمكون فيه ؟ والزمان والمقدور فيه ؟ عالما من عوالمه وسيرا من عظيم قدرته ؟ كيف يحصره الزمان والمكان ؟ فما أظهره في عالم الملك والشهادة عالم الحكمة والعقل الموهوب لنا الذى نتصرف به موكل بهذا العالم ، وهذا العالم من العرش الى الثرى مع العقل الذى فهمه وعقله وعلمه وقسمه اجساما وجواهر وأعراضا . عـالم من عوالمه فصور العالم وكل ما حواه وهو الذى عقله العقلاء بما فيه من الأرض والسماء ، والمـاء والنار والهـواء ، والعرش والكرسي والجن والانس ، والأملاك والأفلاك والاكوان والاجرام ، والاصطكاك والشمس والقمر والنجوم الى أعماق أطباق التخوم ، بالنسبة للعظمة الالاهية أقل وأحقر من خردلة ، بالنسبة الى جميع العالم ، ففرغ بالك عند ذلك من قياسك أنـه سبحانه داخل العالم أو خارج العالم فمـا أحقرك وأحقـر علمك فلـو فتحت عين بصيرتك استحييت من قياسك وفكرك ووهمك وخيالك . أيهـا المحدود المحصور لا ينتج فكرك الا محدودا محصورا ، وأيها المحيط به الجهات لا يحكم علمك ألا بالجهات ، فالجهات من جملة العالم وقد علمت نسبته الى عظمة الله تبارك الله رب العالمين . ثم قال بعد ذكر اختلاف الأشعرية الحنابلة في الصفات وليقولا جميعا اثباتا غير تشبيه ونفيا من غير تعطيل آمنا بما قال الله على ما أراد الله ويليق بالله ، وآمنا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلم تلك الأسرار موكول الى الله تعالى وما أحسن قول القائل الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة . وقال ايضا بعد ذكر اختلافهما في القرآن . ولا يخفى أن العبد اذا قال القرآن كلام الله واعتقد أنه يجب عليه اتباع أمره ونهيه ، والالتزام بأحكامه وحلاله وحرامه ، واسماع وعـده ووعيده ، والقيام بحقوقه وحدوده ، ولا يتعرض بعد ذلك لقدم ولا لحدوث وتلاوة ومتلو وحرف وصوت ، لا يضره ذلك شيئا ولا تفوته مما وجب عليه شيء ، ولا يصور من المسألة من أنه ان لم نقل كذا يلزم منه كذا ، فلعله يعيش مائة سنة ، ولا يخطر بباله شيء مما تصوروه ، فدعه يمضي لسبيله فهذا الطريق القويم وبالله التوفيق . ثم قال رضى الله عنه في القدرة وخلق

الأفعال : ليس لأحد من الخلق قدرة الا بما أقدره الله تعالى ، فالله خالق القادر وخالق قدرته ، فقدرة القادر وفعل الفاعل كتأثير الشمس بالحرارة . فالشمس خلق الله وتأثيرها فى الأشياء ايضا خلق الله . لأن المؤثر اذا كان خلقا يكون الأثر خلقا . فاذا كان الفاعل خلقا يكون الفعل خلقا . فان ظن الظان أن الفاعل ذو ارادة . بخلاف الشمس يقال تلك الارادة ايضا أثر من المريد . والمريد خلق فتكون ارادته خلقا . فان أسند الارادة الى العلم فنقول العلم أثر ووصف للعالم . فاذا كان الموصوف خلقا ، كان الوصف ايضا خلقا . فان قال اذا كـان الله تعالى خالق الفعل فكيف يعاقب على فعل خلقه ؟ فنقول كما يعاقب خلقا خلقه فليس عقوبته على ما خلق ما بعد من عقوبته من خلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (1) . قال رضى الله عنه ثم يقول أعلم بأن الله خلق الكافر وكفره والفاسق وفسقه ، ثم أمـر الكافر بالايمان ولم يخلق له ايمانا فأمره بالايمان قهر محض ، وعدم خلقه لايمانه قهر محض وادخاله النار حيث خلق له الكفر قهر محض . لأنه قهار وصفة القهر اقتضت ذلك . وخلق المؤمن وخلق له ايمانا وخلق الطائع وخلق له طاعة . ولم يكن للمؤمن والطائع فى ذلك منة . وأضاف العمل اليه تكرما محضا ، ولم تكن طاعته الا خلق الله وأسكنه الجنة لمحض الرحمة والفضل ، لأنه الرحمن الرحيم . الغفور الودود أما ترى كيف جعل الادمى ذا مال ؟ فقال : من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا (2) . والمال والمـــول ملكــه فقياسك ان هـــذا كيف و ( ) وأن هـــذا يكون

ورقـــة 37 وجـــه

ظلما لضيق وعائك ، وقصور فهمك اذا لم ينكشف لك سر ذلك . تقيس أمره على الخلق جل أمره على القياس . وعظم عن أن تحيط بحقيقته الأفكار وما اشتبه على الخلق من سر القدر فمنع الخلق عن الخوض فيه لموضع اشكاله . قال : وقد يكشف لبعض العلماء الراسخين باطلاع الله اياهم على ذلك منحة منه سبحانه : ثم أعلم أنه لا يكون منك فعل الا بحركة جارحتك ، وجارحتك لا تتحرك الا بارادة شيئا ينشأ من القلب ، فلولا ارادة القلب مـا تحركت الجارحة حركة مخصوصة فى محـــل مخصوص ، وأمر مخصوص ، ولكانت الجارحة كالجماد فما صار الفعل فعلا الا بارادة القلب ، والقلب أمير الجوارح فجارحتك جماد لولا قلبك ، ونسبة قلبك الى الله كنسبة جارحتك الى قلبك ، فلولا احداث الارادة وخلق الله اياها لكان القلب ايضا جمادا ، فصارت الجارحة ذا فعل بالقلب ، وصار القلب ذا ارادة بالله تعالى . فالله سبحانه وتعالى خلق الارادة فى القلب وأحدثها ، فيكون الفعل بارادة القلب وتكون ارادة القلب بالله فيكون الفعل اذا بالله . فـــان قلت فكيف يضاف الى ضمان المتلفات وأروش الجنايات وتقام على الحدود والفعل من الله ؟ قلنا الفعل من الله تعالى

(1) 21 ـ الأنبياء 23

(2) 2 ـ البقرة 245

خلقـا ومنك كسبا لأن الله سبحانه خلـق عـالم الحكمة ودبـره بالأسباب والوسـائط والالات والأدوات ، وخلق كل شيء وأضاف كل شيء الى شيء والكل منه وبه فلا يجعل للشيء وجوداً على الاستقلال والاستبداد ، ولا تكن قاصر النظر فأي فعل لك وأي وجود لك الا ما وهب لك واهب الوجود . او قال أوجد لك موجد الوجود سبحانه وتعالى . ولا تعلم غير هـذا حتى لا يكون ما تقوله وما تنويه اشراكا فى الربوبية ، والله يتـولى الصالحين . وقال رضى الله عنه فيما يتعلق بالموت وما بعده : اعتقد أن الميت سمع ما يقال عنده ، وتقال له كما كان في حياته ويتأثر بالعنف واللطف من الغاسل وممن يباشر جسمه ، وكأن الحواس التى أنعدمت انكمنت فيه ، ولا تشك فى الميت وسماعه ورؤيته ، فقد دلت الأخبار على ذلك اذا فتشت وجدت وقد وجد أهل الله وخاصته ذلك ذوقـا وعلموه وأيقنوا بمـا أظهر الحق لهم وأطلعهم عليه ، والملكان منكر ونكير يسألانه ، وما وردت المساءلة الا للمقبور وظاهر الأمر أن المساءلة تكون للحريق والغريق ايضا ، ومن أكلته السباع . وكيفما مات على اختلاف الأحوال فان ذلك ابتلاء من الله لعباده وهو من جملة منازل الآخرة ومواقعها ونعتقد ضغطة القبر وانه روضة من رياض الجنة وحفرة من حفر النار وان الأرواح والاجساد تشترك فى النعيم

ورقـة 37 ظهـر

المقيم والعذاب الأليم . وان القالب بعد أن يصير ترابا ويتخذ منه الخزف ويضرب منـه اللبن يشترك مع الروح فى النعيم والعذاب ، وان الله تعالى يجمع بين كل قالب وروح ليوم العرض والنشور ، وفى أخذ ابراهيم صلى الله عليه وسلم أربعة من الطير وقصته كان اظهارا لهذا السر فكون عقلك لا يكيف ذلك لما سبق من النقول وانك محصور فى معقولك مقيد بعقال عقلك وما مثالك أيها المحبوس فى عالم الحكمة الا مثل الجنين فى بطن الأم . لو قال له قائل ان الله خلق السموات والأرض والعرش والكرسى والقمر والشمس والنجوم ما تكون له ذلك ولا آهتدى اليه ، فأنت أيها المعتقل بعقلك ذلك الجنين ما انشقت عنك مشائم عالم الشهادة ولا آنفقأت وتفقصت بيضة وجودك وبعد ما ولدت من رقدتك ، فاذا مت يقال : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (1) . فتستيقظ من رقدتك بموتك ، وترى عالما ما رأيته قط ، وترى الجنة والنار . واعتقد أنهما موجودتان مخلوقتان . وكلما ورد من عظيم أمر الجنة حق من الحوز والقصور والولدان والغلمان والأنهار والأشجار ، وقس جميع أمر الجنة على ما ورد فأن القائل اذا قال لا الاه الله يعطى بقوله شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام فاعلم أن ذلك حق . فهنالك ، أعظم من ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وانما أخبرت بشيء يسير من كثير على قدر فهمك وخيالك وضيق وعائك ، لأنك مـا دمت فى هذا العالم فوعاء فهمك على قدر ضيق هذا العالم ، والمقيدون

(1) 50 ـ ق 22

بعقولهم ـــ' يقبلون الشيء الا اذا دل عليه البرهان العقلي وما عداه فهو عندهم تخشف وهذيان . فهم الملاحدة الزنادقة أجهل خلق الله بالله ما لهم في الآخرة من نصيب ، ويدلك على وهــن بنيانهم وفساد أمرهم اختلافهم في الآراء ، ويدل على صحة أمر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم آتفاقهم على أصول ما آختلفت ، آتفق عليها أتباعهم وأشياعهم الى يوم القيامة ، واعتقد أن الله يبعث الخلائق يوم الحساب ويجمع الخلق في صعيد ويحاسب على النقير والقطمير ، ففريق في الجنة أبد الآباد وفريق في السعير . وضرب دونهم بستائر الأبعاد مخلدون في النار .. وأخطأ من قال لا يخلدون . وأما أهل الإسلام من أهل الكبائر فلا يخلدون فقوم منهم يذوقون النار ، وقوم يمكثون قليلا وآخرون كثيرا على قدر ذنوبهم . وأهل البدع سبيلهم سبيل أهل الكبائر لا يخلدون في النار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ستفترق أمتي أثبت أنهم من الأمـة . وقوله صلى الله عليه وسلم الناجية واحدة والفرقة الناجية لا يذوقون النار ولا يدخلونها الا تحلة (1) القسم . والسباقون يدخلون النار ثم يخرجون . فلا نعتقد أن من صام وصلى للقبلة

ورقـة 38 وجـه

(الكعبة) وحج وزكى يخلد في النار على ما يكون منه من الكبيرة والبدعة . ونعتقد أن للأنبيـاء شفاعة يـوم القيامة يخرج بشفاعتهم خلق من النار . وللأولياء والمؤمنين شفاعة وجاه عند الله على قدر رتبهم ونعتقد أن الصراط حق أدق من الشعر ، وأحد من السيف . وأن الميزان حق وله كفتان ولسان . وكل الذي يخامر سرك فقد بهت على الطريق الذي أثبت منــه . وأي شيء تنكر من قدر الله على وزن الأعمال . فيأيها الرجل صاحب العقل والعلم اليسير ، عقلك لا يعلم الا الجواهر والأعراض . فنقول الأعراض كيف توزن وهي لا تقوم بذواتهـا وتضحك من القائل لذلك . فمن أطلعه الله على الأسرار وعجائب الاقتدار يضحك ايضا من قصور عقلــك ، ويزرى على ركاكة فهمك فاليوم الـــذين آمنـــوا من الكفار يضحكون (2) . فمــن علــم ذلــك العلم واتخــذه الله أمينـا وأطلعـه على الأمـور الأخرويـة وكشف لـه عالم القدرة يرى المقيــد بعقلــه كالصبي الــذي يتحرك بحركات ، ويعتقــد اعتقادات ويظن ظنونا يضحك العاقل البالغ من آعتقاده وصاحب العقل المنكر للأمور الاخروية عند صاحب هــذا الفن من العلم ، والكشف أقــل عقلا من الصبي مع ما يعتقد فيه أنــه سبر الأرض بأسرها ووزنها ، وعلم حركات الافلاك وتأثيرات الكواكب ، ووقف مع علم الهيئة على أتم غاية وأكمل نهاية ، واعتقد في نفسه ومن سلك مسلكه أن ليس على وجه الأرض من هو أعلم منه ، مع ذلك كله هو أجهل خلق الله بالله حيث جهل الأمور الأخروية ، لكن تلك العلوم كلما أكثر منها ازداد جهلا بالله وبأمره ، فان سبق له من الله الحسنى

---

(1) اشارة الى قول الله تعالى : وان منكم الا واردها .

(2) 83 ــ المطففين 34

فهو ينقذه من الضلال ، فقد أنقـذ خلقا كثيرا خاضوا تلك الغمرات وعاينوا تلك الهلكات ، وقد رأينا منهم وسمعنا بهم ، وما ذلك على الله بعزيز . ونعتقد أن الحوض المورود المخصوص به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حق . ونعتقد أن أهل الكبائر لا بد لهم من دخول النار ولا نقطع عليهم ، بل نجوز أن الله تعالى يتجاوز عنهم او آطلع على ما يكفر عنهم سيئاتهم ولا يقطع لأحد بالجنة لما ترى . منه من الأعمال الصالحة والطريق الحميدة ، بل نرجو له الجنة ويجوز أن الله تعالى سوف يورده النار الا من نص عليهم التنزيل بالرضوان . قال الله تعالى : لقد رضى الله عن المؤمنين (1) اذ يبايعونك تحت الشجرة . وقال رضى الله عنه ايضا فى الرؤية . رؤية العيان متعددة فى دار الفناء اذ لو كشف سبحانه حجا (به) لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه من خلقه ، كما ورد فى الحديث وهو مشترك الدلالة فهو دليل لمن أنكر الرؤية ، من حيث أنه لو كشف أحرق . ودليل لمن أثبت الرؤية حيث جعل الكشف معدوما بالاحراق والافناء والاهلاك ، فيكون ذلك اذا وردت الرؤية على محل قابل للفناء . فاذا تبوأ العبد دار القرار وألبس خلع البقاء ينطلق من وثاق الفناء والزوال ، فتنكشف حينئذ الحجب ، وتتجلى السبحات فتصادف محلا قد آمن الاحتراق والآفات . وقد صارت الصفات على غير طبيعة **الصفات** . وكلما أترعت له كؤوس التجلي استفات بهلم وبهات . فسبحانه تراه القلوب فى الدنيا بنظر الايمان وتراه الأنظار فى الأخرى بنظر العيان ، كما صح فى الخبـر أنكم سترون (ترون) ربكم كما ترون القمر ليلـة البدر لا تضامون فى رؤيته . شبه النظر بالنظر لا المنظور بالمنظور ، فلقوم من العلماء نصيب من علم اليقين فى الدنيا ولآخرين أعلى منهم رتبة نصيب من عين اليقين كما قال قائلهم . رأى قلبى ربى . وكما قـال حارثـة رضى الله عنـه أصبحت مؤمنا حقا حيث كشف له فى الايمان رتبة غير الرتبة التى علمها . ولهذه المطالعة كان معاذ رضى الله عنه يقول : تعالوا حتى نؤمن ساعة . وهذا يدلك على تفاوت الايمان وزيادته ، وهو مذهب بعض العلماء . وبعضهم يقول : لا يزيد ولا ينقص ولكل قائل وجه . فقد يصير لجمع من العلماء المتقين الزاهدين عين اليقين بحيث يناهز ايمانهم المحسوس كما قال قائلهم : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . يصير الغيب عندهم كـالعين ويزدادون فى القمة رتبة غير مـا وصلوا اليها فى الدنيا . فأيها الأخ المنكر للرؤية ليس الأمر على ما بلغه فهمك . لأنك ما فهمت الرؤية الا بواسطة الأشعة المنبعثة من الحدقة ، وشرط اعتدال المسافة والهواء الشفاف ، وهذا فى عالم الشهادة والملك والعين والحدقة يوم القيامة لا تبقيان على يـد الطبيعة المفهومة فى الدنيا ، وتنحرق القدرة الى الحكمة ، والحكمة الى القدرة والقلب الى العين والعين ، الى القلب . ويكون الهواء غير ما علمته والشعاع

(1) 48 الفتح 18

غير مـا فهمته والالـوان والاكوان على غـير مالوفـك . وتبـدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار . فأيها الاخ المحصور فى عالم الملك والشهادة أبرز الى عالم الملكوت والغيب واصعد من متوعر الجهات والادوات والآلات . وقل آمنت بأن الله يراه المؤمنون ، والكفار عنه محجوبون . كما أخبر به التنزيل وهذا الفن علم مستقل بنفسه وله علماء موجودون فى الدنيا فأطلبهم وآصحبهم حتى تشملك بركتهم وتنفتح بصيرتك ، فتعلم كيف تنحرق القدرة الى الحكمة . وكل هذا الذى تسمعه تراه وتشاهده ولا تجنح الى ظاهر قوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار : فليس ذلك ينفى الرؤية ، واعلم ان العين فى الآخرة بمنزلة القلب فى الدنيا ، والقلب يعلم ويرى ، ولكن لايدرك اذ الادراك غير الرؤية . فهو سبحانه مرئى القلب معلومه غير مدرك له . فهكذا فى القيامة مرئى العين غير مدرك . اذ جل سبحانه عن الادراك والخلق ، متفاوتون فى رتب الرؤية ، كتفاوتهم فى العبودية ومنازل القربة فللأنبياء عليهم السلام رتبة فى الرؤية وللأولياء رضى الله عنهم رتبة وللعوام رتبة . ولا تجنب القياس فى هذا الفن والتلقى من التوقيف أمكن أن يقال : يراه المؤمنون يوم القيامة كما يراه الأولياء فى الدنيا . ولكن تكون الرؤية باشتراك البصر والبصرة ويصيران بطبع واحد ، وصفة واحدة ، ويراه الأولياء كما يراه الأنبياء فى الدنيا ويتفاوتون على رتبهم فى النبوة والرسالة . ويراه خواص الأنبياء كما رآه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، ويزداد صلى الله عليه وسلم رتبة فى الرؤية فلا تنحصر فى مضيق فهمك وعلمك ، جل الملك القدوس كما تكيفه النفوس . انتهى

واعلم أن فى حقيقة رؤية المرئيات أربعة أقوال أحدها اتصال الشعاع بالمرئى والثانى انطباع صورة المرئى فى الرطوبة الجلدية كانطباع الوجه فى المرآة . والثالث أنه نور يخرج فيدرك به المرئى . وهذا يشبه الأول والرابع أنه علم يخلقـه الله فى النفس للـرأى مقارنـا للرؤيـة ، وهـذا مذهب محققـى المتكلمين . والقولان الأولان محال فى حق الله تعالى . وللأشعرى رحمه الله فى فى ما هية الرؤية عبارتان احداهما أنه علم مخصوص يتعلق بالموجود دون العدم والثانية أنه ادراك وراء العلم يقتضى تأثير المدرك أى بكسر الراء لا تأثيرا عنه ، وما اليه كثيرون من أصحابنا فقالوا : انه يحصل لنا علم برؤية العين كما فى غيره من المرئيات مع تنزهه عن الجهات والكيفيات ، وهو أمر زائد على العلم . وقال الغزالى رضى الله عنه : الرؤية نوع كشف وعلم ، الا أنه أتم وأوضح من العلم . فاذا جاز تعلق العلم سبحانه وليس فى جهة جاز تعلق الرؤية به سبحانه وليس فى جهة . ومن غير كيفية ولا صورة.. وقال الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه : معنى الرؤية حصول حالة فى الانكشاف نسبتهـا الى ذاته المخصوصـة ، كنسبة الأبصار الى المرئيات . قال والرؤية المنزهة عن الكيفية والجهة لا يقول بها الا أصحابنا نعنى أهل السنة الأشعرية .

وقال الامام النووى رضى الله عنه مـذهب أهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه يخلقها فيهم للبقاء الأبدى يرونه بها ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئى . ولا غير ذلك مما جرت به العادة فى رؤية بعضنا بعضا ، لوجود ذلك على سبيل الاتفاق لا على سبيل الاشتراط ، فيراه المؤمنون لا فى جهة كما يعلمونه ، لا فى جهة ، انتهى . وما ذكـره الشيخ من أن رؤية الله تعـالى متعددة فى الدنيا فهو الصواب عند جميع الطوائف من السلف والخلف . وما نقل عن الأشعرى من تحوير ذلك فى أحد قوليه فمنكر لا يعرف ولا يصح القول به عمن يقتدى به . وقد قال الكلاباذى فى كتاب التعرف بمذهب التصوف : لا نعلم أحدا من المحققين ولم نر فى كتبهم ورسائلهم ولا فى الحكايات الصحيحة عنهم ، ولا سمعنا ممن أدركنا منهم من يزعم أن الله تعالى يرى فى الدنيا ، أورآه أحد من الخلق الا طائفة لم يعرفوا بأعيانهم . بل يزعم بعض الناس أن بعضهم ادعى الرؤية وأطبق المشائخ على تضليل من قال ذلك ، وتكذيب من آدعاه ، وصنفوا فى ذلك كتبا منهم أبو سعيد الخراز والجنيد . انتهى . ونقل الأنصارى فى شرح الارشاد عن جماعـة انهـم نقلـوا الاجماع عن آمتناعها للأولياء فى الدنيـا وآمتناعها بالسمع والا فهى ممكنة فى الدنيا بالعقل . وبالغ الشيخ ابن الصلاح فى الانكار على من يدعى ذلك فى الدنيا يقظة وأفتى بنحره الشيخ عز الدين بن عبد السلام والامام المقرىء أبو شامة . وقد سبق الى مثل ذلك الامام الواحدى وغيره ، وقد ذكرت ذلك فى كتاب مسألة الرؤية من تاليفى وفيه فوائد جمة والله أعلم . ولنعد الى بقية كلام السهر وردى رحمه الله قال ونعتقد أن عيسى عليه السلام ينزل وأن الدجال يخرج والشمس تطلع من مغربها كل ذلك حق لا شك فيه انتهى كلامه رضى الله عنه فيما يتعلق بأمور الآخرة وقوله لا نعتقد أن أهل الكبائر لا بد لهم من دخول النار الى آخره . قال الشيخ اليافعى (1) رحمه الله نريد جميعهم أما بعضهم من غير تعيين فنصوص الكتاب والسنة قاطعة فيهم بدخول النار ، ثم الجنة قلت ولذلك قال ابو عبد الله القرافى المالكى (2) وعز الدين بن عبد السلام لا يجوز الدعاء لجميع المؤمنين والمؤمنـات بغفران جميع الذنوب وبعدم دخولهم النار لأنا نقطع بخبر الله تعالى وخبر رسوله صلى الله عليـه وسلم ، أن منهم من يدخـل النار . وقـول الشيخ ايضا فى الفرقـة الناجيـة لا يذوقون النار الا تحلـة القسم ، يحتمل أن المـراد المتقـون .

---

(1) أبو السعادات عبد الله بن سعد اليافعى اليمنى . توفى سنة 771 ، له كتاب الارشاد والتطريز انظر عنه كشف الظنون 68،1 . والمقرى نفح الطيب 382،2 .

(2) احمد بن ادريس شهاب الدين مـات سنة 684/1285 انظر عنه تـاريخ المالكية فى الشرف بالفرنسية ص 169 والفهرس .

والفرقة المذكورة أهــل الكبائر منها ، فهم في مشيئة الله كذا قــال اليافعي رحمه الله .

ويحتمل اجراء كلام الشيخ على ظاهره لأن الفرقة الناجيــة موصوفــون في الحديث بما أنا عليه اليوم وأصحابي أي صفتهم الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ومن حم على ذلك حقيقة . فلا كبائر لهم والله أعلــم . وهــذه عقيدة الشيخ الجليل شرف العارفين أبي عبد الله محمد القرشي (1) رضي الله عنه . الحمد لله الذي تقدست عن سمة الحدث ذاته وتنزهت عن التشبيه بصفة الجثث صفاته . ودلت على وجوده محدثاته وشهدت بوحدانيته أياته . الأول الذي لا بداية لأزليته . الآخر الذي لا نهاية لصمديته . الظاهر الذي لا شك فيه . الباطن الذي ليس له شبيه . الحي الذي لا يموت ولا يفنى . القادر الذي لا يعجز ولا يعيى . المريد الذي أضل وهدى ، وأفقر وأغنى . السميع الذي يسمع السر وأخفى ، البصير الذي يدرك دبيب النمل على الصفا . العالم الذي لا يضل ولا ينسى . المتكلم الذي لا يشبه كلامه كلام موسى كلم موسى بكلامه القديم المنزه عن التأخير والتقديم ، لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع ولا بحروف ترجع كل الحروف والأصوات والنداء . محدثه بالنهاية والابتداء جل ربنا وعلا وتبارك وتعالى . له العظمة والكبرياء وله القدرة والسناء . وله الأسماء الحسنى والصفات العلى . حياته ليست لهــا بداية . فالبداية بالعدم مسبوقة . قدرته ليست لها نهاية فالنهاية بالتخصيص ملحوقة ارادته ليست بحادثة فالحادثة بالاضداد مطروقــة . سمعــه ليس بجارحــة فالجارحــة مخروقــة . بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة . علمــه ليس بكسبي فالكسب بالتأمل والاستدلال يعلــم ولا بضروري فالضرورة على الارادة والالــزام تلــزم . كلامــه ليس بصوت ، فالأصوات توجد وتعدم . ولا بحرف فالحروف تؤخر وتقدم جل ربنا عن التشبيه بخلقه وكل خلقه عن القيام بكنه حقه . بل هو القديم الأزلي الدائم الأبدي الذي ليس لذاته قد ولا لوجهه خد ولا لبدنه زند . ولا له قبل ولا بعد ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف . ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف . ولا بجسم . فالجسم بــالجهة محفوف هو خــالق الأجسام والنفوس ورازق أهل الجود والبؤس. ومقدر السعود والنحوس. ومدبر الأفلاك والشموس هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس على العرش استوى ، من غير تمكن ولا جلوس لا العرش له من قبل القرار ولا التمكن من جهة الاستواء . العرش له حد ومقدار ظهر ، والرب سبحانه لا تدركه الأفكار . العرش تكيفه حوا ( )

---

(1) القرشي ــ ابو عبد الله محمد ، مات سنة 633 ــ 1235 ، انظر عنه ، الديباج 67،8 .

العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول والقديم لا يحول ولا يزول . العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان . وكان الله ولا مكان . وهو الآن على ما عليه كان . ليس له تحت فيقله ولا فوق فيظله ، ولا جوانب فتعدله ، ولا أمام فيحده ولا خلف فيسده ، جل عن التحديد والتكييف والتقدير والتأليف والتغيير والتصوير والشبيه والنظير . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . انتهت وقد استحسنها العلماء المحققون والمشائخ العارفون وكذلك عقيدة الشيخ عز الدين بن عبد السلام السلمى الشافعى الأشعرى نفع الله وهى هذه : الحمد لله ذى العزة والجلال والقدرة والكمال والانعام والافضال الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ، ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر . ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون والسموات ، كان قبل أن كون المكان ودبر الزمان وهو الآن على ما عليه كان ، خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم . وكل نعمة فهى منه عدل . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . استوى على العرش المجيد على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار . والتمكن والحلول والانتقال فتعالى الله الملك الكبير المتعال عما يقوله أهل الغى والضلال . لا يحمله العرش بل العرش وجملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون فى قبضته . أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا . مطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر . حى مريد سميع بصير عليم قدير متكلم ، بكلام أزلى قديم . ليس بحروف ولا صوت ولا يتصور فى كلامه أن ينقلب مدادا فى الألواح والأوراق شكلا ترمقه العيون والأحداق ، كما زعم أهل الحشو والنفاق ، بل الكتابة من أفعال العباد ولا يتصور فى أفعالهم أن تكون قديمة . ويجب احترامها لدلالتها على كلامه سبحانه وتعالى ، كما يجب احترام أسمائه لدلالتها على ذاته ، وحق لما دل عليه وانتسب اليه أن تعتقد عظمته وترعى حرمته ولذلك يجب احترام الكعبة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعباد والعلماء .

أمر على الديار ديار ليلى	أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما تلك الديار شغفن قلبى	ولكن حب من سكن الديارا

ورقة 41 وجه

ولمثل ذلك يقبل الحجر الأسود ويحرم على المحدث أن يمس المصحف أسطره وحواشية التى لا كتابة فيها وجلده وخريطته التى هو فيها فويل لمن زعم أن كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد ، أو رسم من أشكال المداد واعتقاد الأشعرى رضى الله عنه مشتمل على ما دلت عليه أسماء الله التسعة والتسعون التى سماها نفسه فى كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأسماؤه سبحانه مندرجة فى أربع كلمات هن الباقيات الصالحات الكلمة الأولى قول سبحان الله ومعناها فى كلام العرب التنزيه والسلب فهى مشتملة على سلب النقص والعيب.

عن ذات الله وصفاته ، فما كان من أسمائه سلبيا فهو مندرج تحت هذه الكلمة ، كالقدوس وهو الطاهر من كل عيب ، والسلام وهو الذى سلم من كل آفة . الكلمة الثانية قول الحمد لله وهى مشتملة على اثبات ضروب الكمال بذاته وصفاته فما كان من أسمائه متضمنا للاثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير ، فهو مندرج تحت الكلمة الثانية فقد نفينا بقولنا سبحان الله كل عيب عقلناه ، وكل نقص فهمناه ، وأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه ، وكل نقص فهمناه ، وأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه ، وكل جلال أدركناه ووراء ما نفيناه وأثبتناه شأن عظيم ، قد غاب عنا وجهلناه فتحقيقه من جهة الاجمال بقولنا الله أكبر وهى الكلمة الثالثة بمعنى أنه أجل مما نفيناه وأثبتناه ، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . فما كان من أسمائه متضمنا لمدح فوق ما عرفناه وأدركناه كالأعلى والمتعالى ، فهو مندرج تحت قولنا الله أكبر فاذا كان فى الوجود من هذا شأنه نفينا أن يكون فى الوجود من يشاكله ، ويناظره : فحققناه ذلك بقولنا لا اله الا الله وهى الكلمة الرابعة فان الألوهية ترجع الى استحقاق العبودية فلا يستحق العبودية الا من اتصف بجميع ما ذكرناه فما كان من أسمائه متضمنا للجميع على الاجمال كالواحد والأحد وذى الجلال والأكرام فهو مندرج تحت قولنا لا اله الا الله . وانما استحق العبودية لما وجب له من أوصاف الجلال ونعوت الكمال الذى لا يصفه الواصفون ولا يعده العادون

حسنك لا تنقضى عجائبه كالبحر حدث عنه بلا حرج

فسبحان من عظم شأنه وعز سلطانه يسأله من فى السماوات والأرض لافتقارهم اليه كل يوم هو فى شأن ، لاقتداره عليه . له الخلق والأمر والسلطان

ورقة 41 ظهر

والقهر . فالخلائق مقهورون فى قبضته والسموات مطويات بيمينه يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون . فسبحان الأزلى الذات والصفات ومحى الأموات وجامع الرفات . العالم بما كان وبما هو آت . ولو أدرجت الباقيات الصالحات فى كلمة منها على سبيل الاجمال وهى الحمد لله لاندرجت كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لو شئت أن أوقر بعيرا من قولك الحمد لله لفعلت فان الحمد هو الثناء . والثناء يكون باثبات الكمال تارة وبسلب النقص أخرى ، وتارة بالاعتراف بالعجز عن درك الادراك وتارة باثبات التفرد بالكمال . والتفرد بالكمال من أعلى مراتب المدح والكمال . فقد اشتملت هذه الكلمة على ما ذكرناه فى الباقيات الصالحات ، لأن الألف واللام فيها لا ستغراق جنس المدح . والحمد فيما علمناه وجهلناه ولا خروج للمدح عن شىء مما ذكرناه . ولا يستحق الالاهية الا من اتصف بجميع ما قررناه فلا يخرج عن هذا الاعتقاد اعتقاد ملك مقرب ، ولا نبىء مرسل ولا أحد من أهل الملك الا من خذله الله ، فاتبع هواه وعصى مولاه أولئك قوم قد غمرهم ذل الحجاب وطردوا عن الباب . وبعدوا عن

ذلك الجنان وحق لمن حجب فى الدنيا عن جلاله ومعرفته أن يحجب فى الآخرة عن كرامته ورؤيته .

ارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه

فهذا اجمال من اعتقاد الأشعرى رحمه الله . واعتقاد السلف وأهل الطريقة والحقيقة نسبته الى التفصيل الواضح كنسبة القطرة الى البحر الطافح .

يعرفه الباحث من حسنه وسائر الناس له منكر
لقد ظهرت فلا تخفى على أحد الا على أكمة لا يعرف القمرا
ثم آستترت عن الأكوان يا صمدا فكيف يعرف من بالعزة استترا

والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله عز وجل بخلقه ضربان احدهما لا يتحاشى من اظهار الحشو ويحسبون أنهم على شىء (1) ألا انهم هم الكاذبون . والآخر يتستر بمذهب السلف لسحت يأكله او حطام يأخذه

أظهروا للناس نسكا وعلى المنقوش داروا

يريدون أن يأمنوكم ويأمنون قومهم ومذهب السلف انما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه . وكذلك جميع المبتدعة يدعون أنهم على مذهب السلف. وهم كما قال القائل :

وكل يدعون وصال ليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

وكيف يدعى على السلف أنهم يعتقدون التشبيه والتجسيم . أو يسكتون عند اظهار البدع او يخالفون قوله تعالى : ولا تلبسوا (2) الحق بالباطل وتكتموا

(ورقة 42 وجه)

الحق وأنتم تعلمون . وقوله تعالى : واذ أخذ الله ميثاق (3) الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولتكتمونه . وقوله تعالى : لتبين للناس ما نزل اليهم (4). والعلماء ورثة الأنبياء ، فيجب عليهم من البيان ما وجب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقال الله تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (5). ومن أنكر المنكرات التجسيم والتشبيه . ومن أفضل المعروف التوحيد والتنزيه ، وانما سكت السلف قبل ظهور البدع . فورب السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع لقد شهر السلف للبدع . لما ظهرت فقمعوها أتم القمع ، وردعوها أشد الردع فردوا على القدرية والجهمية والجبرية وغيرهم من أهل البدع ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، والجهاد ضربان بالجدل والبيان وضرب بالسيف والسنان . فليت شعرى ما الفرق بين مجادلة الحشوية وغيرهم من أهل

---

(1) 58 ـ المجادلة 18
(2) 2 ـ البقرة 42
(3) 3 ـ آل عمران 187
(4) 16 النحل 44
(5) 3 ـ آل عمران 104

البدع لولا خبث فى الضمائر . وسوء اعتقاد فى السرائر . ويستخفون (1) من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم . اذ يبيتون ما لا يرضى من القول . واذا سئل أحدهم عن مسألة من مسائل الحشو آقر بالسكوت فى ذلك . واذا سئل عن غير الحشو من البدع آجاب بالحق فيه ، لولا ما أنطوى عليه باطنه من التجسيم والتشبيه لأجاب فى مسائل الحشو بالتوحيد والتنزيه . ولم تزل هذه الطائفة المبتدعه قد ضربت عليهم الذلة انما كلما أوقدوا (2) نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين . لا تلوح لهم فرصة الا طاروا اليها ولا فتنة الا أكبوا عليها ، واحمد بن حنبل وفضلاء أصحابه وسائر علماء السلف براء مما نسبوا اليهم . واختلقوه عليهم وكيف نظن بأحمد أو غيره من العلماء أن يعتقدوا أن وصف الله القديم بذاته هو عين لفظ اللافظين وصداء الكاتبين ، مع أن وصف الله قديم وهذه الألفاظ والأشكال حادثه بضرورة العقل وصريح النقل . وقد أخبر الله عز وجل عن حدوثها فى ثلاثة مواضع من كتابه أحدها قوله تعالى ما يأتيهم (3) من ذكر من ربهم محدث جعل الآتى محدثا فمن زعم انه قديم فقد رد على الله عز وجل . وانما هذا الحادث دليل على القدرة كما أنا اذا كتبنا اسم الله عز وجل فى ورقة لم يكن الرب القديم حالا فى تلك الورقة فكذلك اذا كتب الوصف القديم فى شىء لم يحل الوصف المكتوب حيث حلت الكتابة ، الموضع الثانى : قوله تعالى : فلا أقسم . بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم . أقسم على القرآن انه لقول رسول كريم . وقول الرسول صفة للرسول ووصف الحادث حادث يدل على الكلام القديم ، فمن زعم أن قول الرسول قديم فقد رد على رب العالمين ولم يقتصر سبحانه على الأخبار بذلك حتى أقسم على ذلك بأتم الأقسام . فقال : فلا أقسم بما تبصرون . أى تشاهدون وما لا تبصرون أى ما لم تروه . فاندرج من هذا القسم ذاته وصفاته وغير ذلك من مخلوقاته . الموضع الثالث : قوله تعالى : فلا أقسم بالخنس (4) الجوارى الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ، والعجب ممن يقول القرآن مركب من حرف وصوت ثم يزعم أنه فى المصحف وليس فى المصحف الا حرف مجرد لا صوت معه ، اذ ليس فيه حرف ممكن عن صوت ، فان الحرف اللفظى ليس هو الشكل الكتابى . ولذلك يدرك الحرف اللفظى بالآذان . ولا يشاهد بالأعيان ويشاهد الكتابى بالأعيان ولا يسمع بالآذان ، ولا يشاهد بالأعيان ولا يسمع بالآذان . ومن توقف فى ذلك لم يعد من العقلاء فضلا عن العلماء . فلا كثر الله فى المسلمين من أهل البدع والأهواء والاضلال والاغواء ، ومن قال بأن الوصف القديم حال فى المصحف لزمه اذا

(1) 4 ــ النساء 108

(2) 5 ــ العقود 64

(3) 21 ــ الأنبياء 2

(4) 81 ــ التكوير 14 ــ 15 ــ 16

احترق المصحف أن يقول بأن وصف الله القديم احترق. سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . ومن شأن القديم أن لا يلحقه تغير ولا عدم . فان ذلك مناف للقدم فان زعموا أن القرآن مكتوب فى المصحف غير حال فيه كما يقوله الأشعرى رضى الله عنه فلم يلعنون الآشعرى رحمه الله ورضى عنه . وان قالو بخلاف ذلك فانظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة (1) أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين . وأما قوله تعالى : انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون (2) . فلا خلاف بين أيمة العرب أنه لا بد من كلمة محذوفة يتعلق بها قوله فى كتاب مكنون ويجب القطع بأن ذلك المحذوف تقديره مكتوب فى كتاب مكنون لما ذكرناه . ولما دل عليه العقل الشاهد بالوحدانية وبصحة الرسالة وهو مناط التكليف باجماع المسلمين ، وانما لم لم نستدل بالعقل على القوم وكفى به شاهدا لأنهم يسمعون شهادته مع أن الشرع قد عدل العقل وقبل شهادته واستدل به فى مواضع من كتابه العزيز كالاستدلال بالانشاء على الاعـادة ، وكقوله تعـالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (3) . وقوله تعالى : وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . وقوله : أو لم يتفكروا فى أنفسهم أو لم ينظروا فى ملكـوت السموات والارض وما خلق الله من شىء ، فياخيبة من رد شاهد اقبله الله عز وجل وأسقط دليلا نصه الله جل وعلا . فهم يرجعون الى المنقول فلذلك استدللنا عليهم بالمنقول وتركنا المعقول كمينا ان احتجت اليـه أمررناه ، وان لم تحتج اليه أخرناه وقد جاء فى الحديث الصحيح من قرأ القرآن وأعربه كان له بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه ولم يعرفه فله بكل حرف حسنة . والقديم لا يكون معيبا باللحن وكاملا بالاعراب . وقد قال الله تعالى : ومـا تجزون الا ما كنتم تعملون فاذا اخبر رسول الله عليه وسلم بأن الجزاء على قراءة القرآن دل على أنها من أعمالنا وليست أعمالنا بقديمة وانما أتى القوم من قبل جهلهم بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صل الله عليه وسلم ولسان العرب وسخافة العقل وبلادة الذهن ، وان لفظ القرآن يطلق فى الشرع واللسان على الوصف القديم ، ويطلق على القراءة الحادثة . قال الله تعالى : انا علينا جمعه وقرآنه (4) أراد بقرآنه ، قراءته . اذ ليس للقرآن قرآن اخر . فاذا قرأناه فاتبع قرءانه (5) . أى قراءته . فالقراءة بخير المقرو والقراءة حادثة والمقرو قديم : ثم كما أنا اذا ذكرنا الله عـز وجل كان الذكر حادثا والمذكور قديما . فهذه نبـذة من مذهب الأشعرى رضى الله عنه كما قيل :

اذا قالت حذام فصدقوها	فان القول ما قالت حذام

(1) 39 ـ الزمر ـ 60

(2) 56 ـ الواقعة 77 ـ 78

(3) 21 ـ الأنبياء 22

(4) 75 ـ القيامة 17

(5) 75 ـ القيامة 18

فالكلام في مثل هذا يطول ، ولولا ما وجب على العلماء من اعزاز الدين واخمال المبتدعين وما طولت به الحشوية ألسنتهم في هذا الزمان من الطعن في أعراض الموحدين والازراء على كلام المنزهين . لما أطلت النفس في مثل هذا مع اتضاحه ، ولكن قد أمر بالجهاد في نصرة دينه الا أن سلاح العالم علمه ، ولسانه . كما ان سلاح الملك سيفه وسنانه . وكما لا تجوز للملوك اغماد أسلحتهم عن الملحدين والمشركين لا تجوز للعلماء اخماد ألسنتهم عن الزائفين والمبتدعين . فمن ناضل عن الله وأظهر دين الله كان جديرا أن يحرسه الله بعينه التي لا تنام ، ويعزه بعزه الذي لا يضام ، ويحوطه بركنه الذي لا يرام ، ويحفظه من جميع الأنام ، ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ، وما زال العلماء المنزهون

(ورقــة 43 ظهــر)

والموحدون يفتون بذلك على رؤوس الاشهاد في المحافل والمشاهد ، ويجهرون به في المدارس والمساجد ، وبدعــة الحشوية كامنة خفية لا يتمكنون من المجاهرة بها ويدرسونها الى جهلة العوام وقد جهروا بها في هذه الأوان فنسأل الله أن يعجل باخمادها كعادته ، ويقضي باذلالها على ما سبق من مشيئته وعلى طريقة المنزهين والموحدين . درج السلف والخلف رضي الله عنهم أجمعين . والعجب أنهم يذمون الأشعري بقوله ان الخبز لا يشبع والماء لا يروي والنار لا تحرق وهذا كلام أنزل الله معناه في كتابه فان الشبع والري والاحراق حوادث انفرد الرب سبحانه . بخلقها . فلم يخلق الخبز الشبع ولم يخلق الماء الري ولم تخلق النار الاحراق ، وان كانت أسبابا في ذلك فالخالق سبحانه هو المسبب دون السبب كما قال تعالى : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (1) . نفى أن يكون رسوله صلى الله عليه وسلم خالقا للرمي وان كان سببا فيه . وقد قال تعالى : وأنه هو أضحك وأبكى (2) . وأنه هو أمات وأحيا . فاقتطع الاضحاك والابكاء والإماتة والاحياء عن أسبابها ، وأضافها اليه سبحانــه ، وكذلك اقتطع الأشعري رحمــه الله الشبع والري والاحراق وأضافها الى خالقها لقوله تعالى : خالق كل شيء (3) . وقوله : هل من خالق غير الله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله (4) . أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون (5) كما قال :

---

(1) 8 ـ الأنفال 17

(2) 53 ـ النجم 43

(3) 13 ـ الرعد 16

(4) 10 يونس 39

(5) 27 ـ النمل 84

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

فسبحان من رضى عن قوم فأدناهم وسخط على آخرين فأقصاهم . لا يسأل (1) عما يفعل وهم يسألون . وعلى الجملة ينبغى لكل عالم اذا أخل بالحق وأخمل الصواب أن يبذل جهده فى نصرهما ، وأن يجعل نفسه بالذل والخمول أولى منهما ، وأن أعز الحق وأظهر الصواب أن يستظل بظلهما . وأن يكتفى بالتستر من رشاش عزهما كما قيل :

قليــل منك يكفينى ولكن قليلك لا يقال له قليل

والمخاطرة مشروعة ، بالنفوس فى اعزاز الدين ، ولذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمر فى صفوف المشركين . وكذلك المخاطرة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونصرة قواعد الدين بالحجج والبراهين . فمن خشى على نفسه سقط عنه الوجوب ، وبقى الاستحباب . ومن قال ان التغرير بالنفوس لا يجوز فقد بعد عن الحق ونأى عن الصواب ، وعلى الجملة فمن آثر الله على نفسه أثره الله

(ورقـة 44 وجـه)

ومن طلب رضاه بما يسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس . ومن طلب رضى الناس بما يسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس . وفى رضا الله كفاية عن رضاء كل أحد .

فليتك تحلو والحيــاة مريرة وليتك ترضى والأنــام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر وبينــى وبين العــالمين خراب

غيره :

من كل شىء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : احفظ الله يحفظك . أحفظ الله تجده أمامك وجاء فى الحديث ذكروا الله بأنفسكم فان الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من نفسه ، حتى قال بعض الأكابر من أراد أن ينظر منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده . اللهم فانصر الحق واظهر الصواب وأبرم لهذه الامة أمرا (رشد) يبدا يعز فيه وليك ويذل فيه عدوك ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك والحمد لله الذى اليه استنادى وعليه اعتمادى وهو حسبى ونعم الوكيل .

(1) الأنبياء 21 ـ 23

ونعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنـا محمد النبى الأمى كلما ذكـره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون صلاة دائمة والحمد لله رب العالمين . انتهت . وما أبلغها فى التنزيه والرد على أهل الحشو والتشبيه . ولقد أحسن الشيخ عز الدين بأخذه العقائد من الباقيات الصالحات ، وقد قدمنا ان القاضى عياضا استخرجها من كلمات الأذان والاقامة وذلك أنه قال قوله صلى الله عليه وسلم : اذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر . فقال احدكم الله أكبر الله أكبر الى آخره ثم قال فى آخره من قلبه دخل الجنة . انما كان كذلك لأن ذلك توحيد وثناء على الله وانقياد لطاعته وتفويض اليه بقوله لا حول ولا قوة الا بالله ، فمن حصل هذا فقد حـاز حقيقة الإيمان وكمال الاسلام واستحق الجنـة بفضل الله وهـذا معنى قوله فى الرواية الأخرى رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا . قال واعلم أن الآذان كلمة جامعة لعقيدة الايمان مشتملة على نوعيه من العقليات والسمعيات فأوله اثبات الذات وما تستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها وذلك بقوله الله أكبر . وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه . ثم صرح باثبات الوحدانية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة فى حقه سبحانه وتعالى ، وهذه عمدة الايمان والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين ثم صرح باثبات الوحدانية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة فى حقه سبحانه وتعالى ، وهذه عمدة الايمان والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين . ثم صرح باثبات النبوة . والشهادة بالرسالة لنبينا صلى الله عليه وسلم وهى قاعدة عظيمة بعد الشهادة . بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد ، لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع وتلك المقدمات من باب الواجبات . وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز فى حقه سبحانه وتعالى . ثم دعا الى ما دعاهم اليهم من العبادات فدعاهم الى الصلاة وعقبها بعد اثبات النبوة لأن معرفة وجوبها من جهة النبى صلى الله عليه وسلم لا من جهة العقل . ثم دعا الى الفلاح وهو الفوز والبقاء من النعيم المقيم ، وفيه اشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء وهو آخر تراجم عقائد الاسلام ، ثم كرر ذلك باقامة الصلاة بالاعلام بالشروع فيها وهو متضمن لتأكيد الايمان . وتكرار ذكره عند الشروع فى العبادة بالقلب واللسان ، وليدخل المصلى فيها على بينة من أمره وبصيرة من ايمانه ، ويستشعر عظم ما دخل فيه ، وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه . هذا آخر كلام القاضى رحمه الله ورضى عنه ، ونقله عنه النووى رحمه الله ، فى شرح صحيح مسلم ، قال : وهو من النفائس ، الجليلة ، وكذلك نقله فى شرح المهذب ايضا .

وهذه عقيدة الشيخ الامـام ابى سليمان داود الداخلى الاسكندرى الشاذلى

الأشعرى صاحب كتاب عيون الحقائق ، وغير ذلك من التصانيف رضى الله عنه رأيت اثباتها ههنا لتكون عنوانا على عقائد أصحابه الشاذلية فان عامتهم أشاعرة وكراماتهم ظاهرة . قال رضى الله عنه : الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، الحى القيوم ، العليم القدير ، المريد المتكلم ،السميع البصير وصلواته وسلامه على محمد خاتم النبيئين ، المبعوث رحمة للعالمين ، السراج المنير . وبعد فيعتقد المؤمن أن البارى تعالى متصف بما يليق بجلاله منزه عن التشبيه والنظير كما أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله ليس كمثله (1) شىء وهو السميع البصير . لا اله معه ولا شريك ولا ظهير ، وما اتخذ الله من ولد ﴿2) ، وما معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ، فهو المنفرد بذاته وصفاته عن كل شىء والذى افتقر اليه كل شىء فلا مثل له ولا كفؤ ، ولا والد ولا ولد كما وصف نفسه تبارك وتعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد (3) . جاء فى الحديث تفسيره : لم يكن له شبيه ، ولا عدل ليس كمثله شىء .

الحيـاة : وانه موجود حى على عظيم ، هو الأول (4) والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم . تعالى عن صفات المخلوق وتقدس عن سمات المحدثات .

﴿ ورقـة 45 وجـه ﴾

متصف بكل كمال مبرأ من كل نقص ، تبارك اسم ربك (5) ذى الجلال والاكرام ، قـل لو كـان معـه آلهـة كمـا يقولون اذا لابتغـوا الى ذى العرش سبيـلا ، سبحانـه وتعـالى عمـا يقولـون علـوا كبيرا . وليس بجوهر ولا جـسـرم ، ولا عـرض ولا جسم ولا تماثلـه الأجسام ولا تحلـه الأعراض والأجرام . ولا يحل هو فيها ولا تحيط بـه الجهات ولا تكتنفه الارضون والسماوات ، بل السماوات والارضون وما بينهما وما فيهما فى وسع احاطته والخلق عاجزون أن يعرفوه حق معرفته ، قال الله تعالى : ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم (6) . وقال تعالى وما قدروا (7) الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون . استوى

(1) 42 ـ الشورى 11
(2) 23 ـ المؤمنون 91
(3) 112 ـ الاخلاص 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5
(4) 57 ـ الحديد 3
(5) 55 ـ الرحمن 78
(6) 2 ـ البقرة 255
(7) 39 ـ الزمر 97

على العرش استواء منزه عن الحلول مقدسا عما تصوره الأوهام وتكتنفه العقول وكذلك كلما أشكل علينا نؤمن به كما يليق بعلو ذاته ، مع التقديس عن مشابهة مخلوقاته ايمانا بما أخبر ، وكما علم وأراد ، لا يحمله شيء بـل هو الحامـل بقدرته لكل شيء ، فوق كل شيء عزة وقهرا . قريب من كل شيء احاطة وعلما ولمن يشاء رحمه وبرا . قـال الله تعالى : ولقد خلقنـا (1) الانسان ونعلـم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد . لا يشبه قربه ، قرب كما لا يشبه ذاته ، ذات . باين خلقه بذاته وصفاته وتقدس عن الزمان والمكان ، لأنهما من بعض مخلوقاته . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان الله ولم يكن معه شيء لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال معلوم الوجود بالعقول والايمان مرئى الذات بالأبصار في دار البقاء والاحسان ، قال الله تعالى وجوه يومئذ (2) ناضرة الى ربها ناظرة .

القـدرة : وانه حي قادر له السلطان والقهر والخلق والأمر كل موجود من السماوات العلى والأرضين السفلى وما بينهما فى قهر قبضته وما من شيء برز من العدم الى الوجود الا بخلقه وقدرته . تفرد باختراع كل شيء فقدره وأحدثه وخلق كل شيء ساكن ومتحرك ، وسكونه وحركته . قال الله تعالى : قل الله خالق كل شيء (3) وهو الواحد القهار .

العلم : وانه علم بكل معلوم فى الأرض والسماء مطلع على كل شيء وان دق وخفى ، يعلم هواجس الضمائر وخفيات السرائر بعلم قديم صفة من صفاته لم يزل موصوفا به قبل وجود مخلوقاته ، قـال الله تعالى ألا يعلم من خلـق وهو (4) اللطيف الخبير .

الارادة : وانه مريد لكل شيء مدبر لكل حادث من جماد وحي ، فلا يكون خير ولا شر ولا نفع ولا ضر ولا كفر ولا ايمان ولا طاعة ولا عصيان الا بقضائه وارادته ومشيئته . دبر كل شيء فكان كما شاء ، وقدر ووقع على حسب علمه وارادته ، لم يتقدم ولم يتأخر ، بارادة قديمة بذاته لا بفكر وتربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن . قال الله تعالى وخلق كل شيء فقدره (5) تقديرا ، وقال تعالى انا كل شيء (6) خلقناه بقدر .

---

1) 30 ق 16

2) 75 القيامه 22 ـ 23

3) 13 الرعد 162

4) 67 الملك 14

5) 25 الفرقان 2

6) 34 القمر 49

السمع والبصر : وانه سميع بصير، يسمع ويرى كل مرئي ومسموع بعد أودنا وسمعه وبصره صفتان من صفاته لا تشبهان صفات مخلوقاته قال الله تعالى : ليس كمثله (1) شيء وهو السميع البصير .

الكلام : وانه متكلم بكلام قديم قائم بذاته ، ليس بحرف ولا صوت ولا خلق من مخلوقاته ، بل هو كلام عظيم كما يليق بجلاله وعلو صفاته ، قال الله تعالى : فأوحى (2) الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى . والكلام والسمع والبصر والعلم والقدرة والارادة وكل صفة تثبت لله تعالى نؤمن بتقديسها واثباتها مع عجز العقل عن معرفة ذاتها . قال الله تعالى : ولا يحيطون به علما (3) . وانه لا موجود سواه ، الا حدث بفعله لا لافتقاره اليه ولكن بجوده وفضله وانه عادل في حكمه، وليس عدل العباد كعدله، اذ العبد يظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور منه تعالى ظلم لأن العالم ملكه والخلق عبيده ، لأن الكل آثار فعله فان آثاب فبفضله وان عذب فبعدله فما سواه من انس وجان وملك وسماء وأرض وحيوان وجماد حادث اخترعه بعد عدمه اذ كان وحده بذاته وصفاته في أزله وقدمه وانه أنزل الكتب وبعث الرسل عليهم السلام فضلا منه ونعمة على الأنام وختمهم بسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم وسيد البشر . فنسخ بشرعه صلى الله عليه وسلم كل شرع الا ما ثبت وقرر، وأنزل عليه كلامه العظيم وهو القرآن الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل من حكيم حميد . وأعجز الخلق أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولم يقبل ايمان عبد حتى يؤمن به وانما أخبر به من حشر ونشر وعذاب قبر وصراط وميزان وجنات ونيران ، وان العبد يسأل ، في قبره عن التوحيد والرسالة وان حشر العباد يوم معادهم بأرواحهم وأجسادهم وأن كلا من نعيم وعذاب مدرك ومحسوس، وأن الميزان له كفتان يثقل بأعمال أهل الاحسان ويخف بأعمال أهل الخسران وان الجنة والنار مخلوقتان ، وان الصراط جسر ممدود على متن جهنم تزل عليه أقدام أهل الكفران وتثبت عليه أقدام أهل الايمان والحوض يشرب منه قبل دخول الجنان فمن الناس مناقش ومسامح ومنهم من يدخل النار بذنبه ويخرج منها بالشفاعة أو بغفر ذنبه . ويشفع كل من نبي وصديق وشهيد ومؤمن على حسب منزلته ومن لا يشفع له يخرج بالعفو فلا يبقى في النار مؤمن موحد وما يكون من وزن أعمال وايتاء كتب ونطق جوارح وتفاصيل أحوال يوم القيامة وما بعد الموت كل ذلك كما جاء عن الله وعن رسوله اقتداء بالسلف الصالحين والعلماء العارفين . مع الاعتراف بعجز عقول العموم عن ادراك كنه ذلك، والتمسك بعروة التسليم والايمان وكف الوهم وزجر الخيال فيما لم يكن

(1) 42 ـ الشورى 11

2) 53 النجم 9 ـ 10 ـ 11

3) 20 ـ طه 110

عن الله تعالى : قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون (1) أجمعين . انتهت .

ونعتقد فضل الصحابة على من بعدهم وان أفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم على رضى الله عنهم وثبت قلوبنا على دينه وكتابه وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالحين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وصحبه أجمعين . انتهت .

وهـذه عقيـدة قـاضى القضاة تـاج الـدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة تقى الدين السبكى رضى الله عنهما

ذكرها فى آخـر كتابـه جمـع الجوامع فى الأصول القواطـع . فقال مسألة : اختلف فى التقليد فى أصول الدين وقيل النظر فيه حرام وعن الأشعرى لا يصح ايمان المقلد . وقال القشيرى مكذوب عليه . والتحقيق ان كان أحدا يقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفى ، وان كان جزما فيكفى . خلافا لأبى هاشم فليزم عقده بأن العالم محدث ، وله صانع وهو الله عز وجل . الواحد ، والواحد هو الذى لا ينقسم ولا يشبه بوجه والله تعالى قديم لا ابتداء لوجوده ولا قسيم له فى ذاته ولا مشبه ولا شريك حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق ، قال المحققون ليست معلومة الآن . واختلفوا هل يمكن علمها فى الآخرة ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ، لم يزل وحده ولا مكان ولا زمان ، ولا قطر ولا أوان ، ثم أحدث هذا العالم من غير احتياج ، ولو شاء ما آخترعه ولم يحدث بابتداعه حادث ، فعال لما يريد ليس كمثله شيء ، القدر خيره وشره منه علمه شامل لكل معلوم . جزئيات وكليات ، وقدرته لكل مقدور ما علم ان يكون أراده . وما لا ، فلا ، بقاؤه غير مستفتح ولا متناه ، لم يزل بأسمائه وصفاته وصفات ذاته ما دل عليها فعله من قدرة وعلم وحياة وارادة . والتنزيه عن النقص من سمع وبصر وكلام وبقاء ، وما صح فى الكتاب والسنة من الصفات نعتقد ظاهر المعنى وننزه عند سماع المشكل ثم اختلف أيمتنا أنؤول ؟ أم نفوض ؟ مع اتفاقهم على أن جهلنا بتفصيله لا يقدح . القرآن : كلامه غير مخلوق على الحقيقة لا المجاز . مكتوب فى مصاحفنا محفوظ فى صدورنا مقرؤ بالسنتنا . يثيب على الطاعة ويعاقب الا ان يغفر غير الشرك على المعصية وله اثابة العاصى وتعذيب المطيع وايلام الذوات والأطفال ويستحيل وصفه بالظلم . يراه المؤمنون يوم القيامة واخت (لفوا) هل تجوز الرؤية فى الدنيا وفى المنام ؟ السعيد من كتبه فى الأزل سعيدا . والشقى عكسه ثم لا يتبدلان ومن علم موته مؤمنا فليس بشقى . وابو بكر رضى الله عنه ما زال بعين الرضى منه . والرضا والمحبة غير المشيئة . والارادة فلا يرضى لعباده الكفر ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، هو الرزاق والرزق ما ينتفع به ولو حراما . بيده الهداية والاضلال . خلق الضلال والاهتداء . وهو الايمان والتوفيق . خلق القدرة والدعاية الى الطاعة . وقال امام الحرمين خلق الطاعة والخذلان ضده واللطف .

(1) 7 الاعراف 23

ما يقع عنده صلاح العبد أخرة والختم والطبع والاكنه خلق الضلالة فى القلب والماهية مجهولة وثالثها أن كانت مركبة . أرسل الرب رسله بالمعجزات الباهرات وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم النبيئين المبعوث الى الخلق أجمعين المفضل على جميع العالمين ، وبعده الأنبياء ثم الملائكة عليهم السلام . والمعجزة أمره حارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة . والتحدى الدعوى ، والايمان : تصديق القلب ولا يعتبر الا مع التلفظ بالشهادتين من القادر وهل التلفظ شرط أو سبب فيه تردد . والاسلام اعمال الجوارح ولا يعتبر الا مع الايمان والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، والفسق لا يزيل الايمان والميت مؤمنا فاسقا تحت المشيئة . اما أن يعاقب ثم يدخل الجنة ، واما أن يسامح

ورقة 47 وجه

بمجرد فضل الله أو مع الشفاعة ، وأول شافع وأولاه حبيب الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم ولا يموت أحد الا بأجله ، والنفس باقية بعد موت البدن وفى فنائها عند القيامة تردد قال الشيخ الامام والأظهر لا تفنى أبدا . وفى عجب الذنب قولان قال المازنى : الصحيح يبلى وتأول الحديث وحقيقة الروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها . وكرامات الأولياء حق ، قال القشيرى : ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد . ولا يكفر أحد من أهل القبلة ولا يجوز الخروج عن السلطان ، ونعتقد أن عذاب القبر وسؤال الملكين والحشر والصراط والميزان حق ، والجنة والنار مخلوقتان اليوم . ويجب على الناس نصب امام ولو مفضولا . ولا يجب على الرب سبحانه شىء ، والمعاد الجسمانى بعد الاعدام حق . ونعتقد أن خير الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم خليفته أبو بكر فعمر فعثمان فعلى أمراء المؤمنين رضى الله عنهم ، وبراءة عائشة رضى الله عنها من كل ما قذفت به ونمسك عما جرى بين الصحابة ونرى الكل مأجورين وأن الشافعى ومالكا وأبا حنيفة والسفيانين وأحمد والأوزاعى واسحاق وداود وسائر أيمة المسلمين على هدى من ربهم . وأن أبا الحسن الأشعرى امام فى السنة مقدم . وأن طريق الشيخ الجنيد وصحبه رضى الله عنهم وأرضاهم طريق مقوم . ثم قال ، فيما ينفع علمه ولا يضر جهله : الأصح أن وجود الشىء عينه ، وقال كثير منا غيره ، فعلى الأصح المعدوم ليس بشىء ولا ذات ولا ثابت ، وكذا على الآخر عند أكثرهم وان الاسم المسمى وان أسماء الله تعالى توقيفية وان المرء يقول أنا مؤمن ان شاء الله خوفا من سوء الخاتمة والعياذ بالله ، لا شكا فى الحال . وان ملاذ الكافر استدراج وان المشار اليه بأنا الهيكل المخصوص وان الجوهر الفرد وهو الجزء الذى لا يتجزأ ، ثابت . ثم قال : خاتمة أول الواجبات المعرفة وقال الأستاذ النظر المؤدى اليها . والقاضى أول النظر . وابن فورك وامام الحرمين القصد اليه وذو النفس الأبية يربأ بها عن سفساف الأمور ويجنح الى معاليها . ومن عرف ربه تصور تبعيده وتقريبه . فخاف ورجا فأصغى الى الأمر والنهى فامتثل واجتنب فأحبه مولاه فكان سمعه وبصره ويده التى يبطش بها واتخذه وليا ، ان سأله

أعطاه ، وان استعاذبه أعاذه ، ودنيء الهمة لا يبالى فيجهل فوق الجاهلين ، ويدخل تحت ربقة المارقين فدونك صلاحا او فسادا ، او رضى او سخطا وقربا او بعدا

ورقـة 47 ظهـر

او سعادة أو شقاوة . ونعيما أو جحيما واذا اخطر لك أمر فزنه بالشرع فان كان مأمورا فبادر فانه من الرحمان وان خشيت وقوعه لا ايقاعه على صفة منهية فلا عليك واحتياج استغفارنا الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار ، ومن ثم قال السهروردى اعمل وان خفت العجب مستغفرا منه وان كان منهيا فاياك ، فانه من الشيطان فان ملت فاستغفر وحديث النفس ما لم تتكلم أو تعمـل ، والهـم مغفوران فان لم تطعك الأمارة فجاهدها ، فان فعلت فتب فان لم تطعك لاستلذاذ أو كسل فتذكرها ذم اللذات وفجأة الفوات أو لقنوط فخف مقت ربك ، واذكر سعة رحمته واعرض التوبة ومحاسنها وهى الندم ويتحقق بالاقلاع ، واعزم أن لا تعود ، وتدارك ممكن التدارك ، وتصح ولو بعد نقضها عن ذنب ولو صغيرا مع الاصرار على آخر ، ولو كبيرا عند الجمهور . وان شككت أمامور ؟ أم منهى ؟ فامسك ومن ثم قال الجوينى فى المتوضيء يشك أيغسل ثالثة أم رابعة ، لا يغسل . وكل واقع بقدرة الله وارادته هو خالق كسب العبد قدر له قدرة هى استطاعة ، تصلح للكسب لا للابداع فالله تعالى خالق غير مكتسب . والعبد مكتسب غير خالق . ومن ثم الصحيح أن القدرة لا تصلح للضدين وأن العجز صفة وجودية تقابل القـدرة . تقابل الضدين لا العدم والهلكة . ورجح قـوم التوكـل . وآخرون الاكتساب . وثالث الاختلاف باختلاف الناس وهو المختار . ومن ثم قيل ارادة التجريد مع داعية الأسباب شهوة خفية . وسلوك الأسباب مع داعية التجريد انحطاط عن الذروة العلية . وقد يأتى الشيطان لعنه الله باطراح جانب الله فى صورة الأسباب أو بالكسل والتماهن فى صورة التوكل . والموفق يبحث عن هذين ويعلم أنه لا يكون الا ما يريد ، ولا ينفعنا علمنا بذلك الا أن يريد سبحانه وتعالى ، انتهى . وما أجزل فوائدها وقد شرح ابن الزركشى كتاب جمع الجوامع بمجلدين وحصة العقيدة من الشرح نحو نصف المجلد الثانى ، وكل هؤلاء الذين ذكرنا عقائدهم من أيمة الشافعية سوى القرشى والشاذلى فمالكيان أشعريان . ولنتبع ذلك بعقيدة المالكية وعقيدتين للحنفية ليعلم ان غالب أهل هذين المذهبين على مذهب الأشعرى فى العقائد وبعض الحنبلية فى الفروع يكونون على مذهب الأشعرى فى العقائد كالشيخ عبد القـادر الجيلانى وابن الجـوزى وغيرهمـا رضى الله عنهـم . وقد تقدم وسيأتى أيضا أن الأشعرى والامام أحمد كانا فى الاعتقاد متفقين حتى حدث الخلاف من أتباعه القائلين بالحرف والصوت والجهة وغير ذلك فلهذا لم نذكر عقائد المخالفين واقتصرنا على عقائد أصحابنا الأشعرية ومن وافقهم من المالكية والحنفية رضى الله عنهم .

فاما عقيدة المالكية فهى تاليف الشيخ الامام الكبير الشهير أبى محمد عبد الله بن أبى زيد المالكى ذكرها فى صدر كتابه الرسالة فقال : باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب الديانات من ذلك الايمان بالقلب والنطق باللسان أن

الله تعالى واحد لا اله غيره ولا شبيه له . ولا ولد له ولا صاحبة ولا شريك له . ليس لأوليته ابتداء ولا لآخرته انقضاء ، لا يبلغ كنه صفاته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون يعتبر المتفكرون فى آياته ولا يتفكرون مائية ذاته ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم (1) ، العالم الخبير ، المريد العزيز السميع البصير ، العلى الكبير ، وانه فوق عرشه المجيد بذاته وهو فى كل مكان بعلمه خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين . على العرش استوى وعلى الملك احتوى وله الأسماء الحسنى والصفات العلى . لم يزل بجميع صفاته وأسمائه ، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة ، كلم موسى بكلامه الذى هو صفة ذاته لاخلق من خلق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد . والايمان بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وكل ذلك قد قدره ربنا ومقادير الأمور بيده ، فيصدرها عن قضائه ، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره لا يكون من عبادة قول ولا عمل الآ وقد قضى بـه وسبق علمه به ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدى من يشاء فيوفقه بفضله فكل ميسر بتيسير (. .) الى ما سبق وعلمه وقدره من شقى وسعيد تعالى أن يكون فى ملكه ما يريد ، أو يكون لأحد عنه غنى ، أو يكون خالق لشيء الا هو رب العالمين ورب أعمالهم ، والمقدر لحركاتهم وآجالهم ، الباعث الرسل اليهم لاقامة الحجة عليهم ، ثم ختم الرسالة والنذارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فجعله آخر المرسلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وأنزل عليه كتابه الحكيم وشرح به دينه القويم ، وهدى به الصراط المستقيم وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور . كما بدأهم يعودون وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات ، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات وغفر الصغائر باجتناب الكبائر ، وجعل من لم يتب من الكبائر صائرا الى مشيئته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن عاقبه بناره أخرجه منها بايمانه وأدخله به جنته ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يـره ، ويخرج بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من شفع له من اهل الكبائر من أمته ، وان الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه ، وأكرمهم فيها بالنظر الى وجهه الكريم وهى التى أهبط منها آدم نبيه وخليفته صلى الله عليه وسلم الى أرضه بما سبق فى سابق علمه ، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد فى آياته ، وكتبه ورسله وجعلهم محجوبين عن رؤيته ، وأن الله تبارك وتعالى

1) 2 ـ البقرة 233

2) 22 الحج 6

يجيء يوم القيامة والملائكة صفا لعرض الأمم وحسابها ، وعقوبتها وثوابها ، وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد . فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ويؤتون صحائفهم بأعمالهم فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرا . وان الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم ، وقوم أبقتهم فيها أعمالهم . والايمان بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده أمته لا يضمأ من شرب منه ويذاد عنه من بدل وغير وأن الايمان قول باللسان واخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالأعمال وينقص بنقصها ، فيكون فيها النقص وبها الزيادة ولا يكمل قول الايمان الا بالعمل . ولا قول وعمل الا بنية ، ولا قول وعمل ونية الا بموافقة السنة وانه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة وان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة الى يوم يبعثون ، وأرواح أهل الشقاء معذبة الى يوم الدين وان المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

ورقة 49 وجه

الآخرة وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم فلا يسقط منها شيء عن علم ربهم وان ملك الموت يقبض الأرواح باذن ربه وان خير القرون الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم ، وافضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهذبون رضى الله عنهم ، وأن لا يذكر احد من الصحابة الا بأحسن الذكر ، والامساك عما شجر بينهم وانهم أحق الناس بأن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب والطاعة لأيمة المسلمين وولاة أمرهم وعلمائهم واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم وترك المراء والجدال في الدين وترك كل ما أحدث المحدثون انتهت وما أحسنها وسيأتي في التنبيه على قوله فوق عرشه بذاته .

واما عقيدتنا الحنفية فأولهما عقيدة الامام أبي جعفر بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي نسبة الى طحا بفتح الطاء والحاء المهملتين قرية بصعيد مصر ، وهو ابن أخت المزني الشافعي وقد كان تفقه عليه بمذهب الشافعي ثم تفقه بمذهب أبي حنيفة وصار صدر الحنفية بمصر وصنف كتبا مفيدة منها هذه العقيدة قال رضى الله عنه هذا بيان ذكر ما يعتقده أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري

وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضى الله عنهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين نقـول فى توحيد الله تعـالى معتقدين بتوفيق الله : أن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا اله غيره ، قديم بلا ابتداء دائم بلا آنتهاء لا يفنى ولا يبيد ولا يكون الا ما يريد . لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا يشبهه الأنام ، خالق بلا حاجة رازق بلا مؤونة ، مميت بلا مخافة ، باعث بلا مشقة ، ما زال بصفاته قديما قبل خلقهم لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها ابديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارى ، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق . وكما أنه أحيا الموتى بعد اماتتهم استحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل .

انشائهم . ذلك بأنه على كل شيء قدير ، وكل شيء اليه فقير ، وكل أمر عليه

ورقـة 49 ظهـر

يسير لا يحتاج الى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقدارا . وضرب لهم أجالا . لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم ، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم . وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شيء يجرى بقدرته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد الا ما شاء لهم ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . يهدى من يشاء ويعصم ويعافى فضلا ويضل من يشاء ويخذل ويبتلى عدلا ، وكلهم يتقلبون في مشيئته وعدله . لاراد لقضائه ولا مانع لعطائه ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره . آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده ، وأن محمد اعبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى وأنه خاتم الأنبياء وامام الأتقياء المبعوث بالحق والهدى صلى الله عليه وسلم .

فصل وأن القرآن كلام الله تعالى منه سمع بلا كيفية قول وأنزله على نبيه وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا . وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق ، ككلام البرية ، فمن سمع فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده عذابه حيث قال : سأصليه (1) سقر ، فلما أوعد الله تعالى بسقر لمن قال ان هذا الا قول البشر ، علمنا أنه قول خالـق البشر ولا يشبهه قول البشر ومن وصف الله تعالى بمعنى من معانى البشر فقد كفر فمن أبصر هذا أعتبر ، وعن مثل قول الكفار آندحر وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر .

فصل فى الرؤية حق لأهل الجنة بغير احاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا : وجوه (2) يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة . وتفسيره كما أراد الله وعلمه ،

1) 84 المدثر 26

2) 85 القيامة 22 _ 23

وكل ما جاء فى ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال . ومعناه على ما أراد لا يدخل فى ذلك متأولين بارائنا ولا متوهمين بأهوائنا فانه ما سلم فى دينه الا من سلم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ورد علم ما اشتبه عليه الى عالمه ولا يثبت قدم الاسلام الا على ظهر التسليم ومن رام ما حظر عليه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه أزله مرامه عن خالص التوحيد وصافى المعرفـة و (. . .) الايمان ، فيتذبـذب بين الكفر والنفاق والايمـان والتصديق والتكذيب ، والاقرار ، والانكار . موسوسا تائها شاكا ، وأيضا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا . ولا يصح الايمان بالرؤية لأهل دار الاسلام لمن اعتبرها بوهم او تأولها بفهم ، ان كان تأويل الرؤية وتأويل كل على معنى يضاف الى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم ، وعليه دين المرسلين وشرائع النبئين ومن لم يتوق التقى والتشبيه زل ولم يصب التنزيه فان ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية ، منعوت بنعوت الفردانية ، ليس بمعناه أحد من البرية تعـالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والادوات ولا تحويـه الجهات الست كسائر المبدعة .

فصل والمعراج حق ، وقد أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه فى اليقظة الى السماء ثم الى حيث ما شاء الله من العلى وأكرمه بما شاء وأوحى اليه ما أوحى ، والحوض الذى أكرمه الله به غياثا لأمته حق ، والشفاعة التى ادخرها لهم حق ، كما جاء فى الأخبار ، والميثاق الذى أخذه الله تعالى من آدم

ورقـة 50 وجـه

عليه السلام وذريته حق ، وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة والنار جملة واحدة ، فلا يزاد فى ذلك العدد ولا ينقص منه شىء وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوا ، وكل ميسر لما خلق له ، وصائر الى ما خلق له ، والأعمال بالخواتم . والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى ، والشقى من شقى بقضاء الله تعالى .

وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فانحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة . فان الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه فقال عز وجل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فمن سأل لم فعل ؟ . فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب فهو من الكافرين . فهذه جملة يحتاج من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى ، وهى درجة الراسخين فى العلم ، لأن العلم علمان : علم فى الخلق موجود ، وعلم فى الخلق مفقود . فانكار العلم الموجود كفر وادعاء العلم المفقود كفر . ولا يثبت الايمان الا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود .

فصل : ونؤمن باللوح والقلم ، وبجميع ما فيه قد رقم ، فلو اجتمع الخلق كلهم على شىء كتبه الله فيه انه كائن ليجعلوه غير كائن ، لم يقدروا عليه

ولو اجتمع الخلق كلهم على شيء لم يكتبه الله فيه انه غير كائن ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه البتة . وما أخطأ العبد لم يكن ليصبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه وعلى العبد أن يعلم أن الله جل وعلى قد سبق علمه فى كل كائن من خلقه وقدر ذلك بمشيئته تقديرا محكما مبررا ليس فيه ناقض .

ورقـة 50 ظهـر

معقب ولا مزيل ولا مغير ولا معقول ، ولا ناقص ولا زايد من خلقه فى سمواته وأرضه ، وذلك من عقد الايمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته كما قال عز وجل فى كتابه الكريم : وكان (1) أمر الله قدرا مقدورا وقال الله تعالى : وخلق كل شيء (2) فقدره تقديرا ، فويل لمن كان له قلب سقيم ، لقد التمس بوهمه فى محض الغيب سرا كتيما ، وعاد بما قال أفاكا أتيما .

فصل : والعرش حق والكرسي حق ، كما بينه سبحانه وتعالى فى كتابه وهو جل جلاله مستغن عن العرش فما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه ، وقد أعجز عن الاحاطة خلقه .

فصل : ونقول ان الله تبارك وتعـالى اتخـذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما ايمانا وتصديقا وتسليما . ونؤمن بالملائكة والنبيئين والكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين ونسمى أهل قبلتنا مسلمين ما داموا بما جاء به النبيء معترفين ، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين . لا نخوض فى الدين ولا نجادل فى القرآن ، ونعلم أنه كلام رب العالمين . نزل به الروح الأمين ، فعلمه محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين ، وكلام الله عز وجل لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين . ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الايمان ذنب ونرجو للمحسنين من المؤمنين ولا نأمن عليه ولا نشهد لهم بالجنة ولا نقنطهم ونخاف عليهم ونستغفر لمسيئهم ، والأمن والاياس ينقلان عن الملة وسبيل الحق بينهما لاهل القبلة . ولا يخرج العبد من الايمان الا بجحود ما أدخله فيه . والايمان هو الاقرار باللسان ، وتصديقه المعرفة بالجنان وجميع ما أنزل الله فى القرآن ، وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق ، والايمان واحـد وأهله فى أصله سواء والتفاضـل بينهم فى الحقيقة ومخالفة الهوى ، والمؤمنون كلهـم أولياء الرحمـان وأكرمهم أطوعهـم وأتبعهم للقرآن ، وأن الايمان هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى ومن يؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله (3) . ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به .

1) 33 الاحزاب 38

2) 25 الفرقان 2

3) — البقرة 286

فصل : وأهل الكبائر لا يخلدون فى النار اذا ماتوا وهم موحدون وان لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عز وجل عارفين ، وهم (. . .) وعدله ان شاء غفر لهم وعفا عنهم كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (1) .

وان شاء عذبهم فى النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ويبعثهم الى جنته ، ذلك بأن الله تعالى مولى أهل معرفته ولم يجعلهم فى الدارين كأهل نكرته ، الذين خابوا من هدايته ، ولم ينالوا من ولايته . اللهم ياولى الاسلام وأهله مسكنا بالاسلام حتى نلقاك به .

فصل : ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ، ونصلى على من مات منهم ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا ، ولا نشهد عليهم بكبر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شىء من ذلك . ونذر سرائرهم الى الله تعالى.ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا على من وجب عليه السيف ولا الخروج على أيمتنا وولاة أمرنا وان جاروا . ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعـة الله تعالى فريضة . وندعـو لهم بـالصلاح والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة ونقول ان الله تعالى فينا علما اشتبه علينا علمه (2) ونرى المسح على الخفين فى الحضر والسفر كما جاء فى الأثر والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من أئمة المسلمين ، برهم وفاجرهم الى قيام الساعة . لا يبطلهما شىء ولا ينقضهما ، ونؤمن بالكرام الكاتبين ، وأن الله تعالى قد جعلهم علينا حافظين ، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين وبعذاب القبر لمن كـان له أهل وسؤال منكر ونكير للميت فى قبره عن ربـه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب والصراط والميزان ، والجنة والنار مخلوقتان قبل الخلق ، وخلق لهما أهلا فمن شاء منهم للجنة فضلا منه ومن شاء منهم للنار عدلا منه ، والشر والخير مقدران على العباد . والاستطاعة التى يجب بهـا الفعل من نحو التوفيق الـذى يجوز أن يوصف المخلوق به مع الفعل وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الالات فهى قبل الفعل كما قال الله تعالى : لا يكلف الله نفسا الا وسعها . وأفعال العبـاد خلق الله وكسب من العباد ، ولم يكلفهم الله الا مـا يطيقون

---

(1) 4 ـ النساء 48 ـ 116

(2) يبدو أن هنا كلمة ساقطة : والمعنى أن الله أتانا علما اشتبه علينا العلم به . أى معرفة هذا العلم الذى أوتيناه .

عليه ، ولا يطيقون الا ما كلفهم به ، وهو تفسير لا حول ولا قوة الا بالله العلي
ورقـة 51 ظهـر
العظيم . يقول لا حول لأحد ولا حيلة لأحد ولا حركة ولا تحول عن معصية الله الا بمعونة الله تعالى . ولا قوة لأحد على اقامة طاعة الله تعالى والثبات عليها الا بتوفيق الله . وكل شيء بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدرته . غلبت مشيئته المشيات كلها وغلب قضاؤه الحيل كلها ، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . وفى دعاء لأحياء منفعة للأموات ، والله تعالى يجيب الدعوات ويقضى الحاجات ويملك كل شيء ، ولا يملكه شيء ، ولا غنى لأحد عن الله طرفة عين . ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر ، وكان من أهل الحين ، والله تعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى ، ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط فى حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من بغضهم ، ونستنزل الغيرة بذكرهم ولا نذكرهم الا بخير . ونرى حبهم دينا وايمانا واحسانا ، وبغضهم كفرا ونفاقا وطغيانا .

فصل : ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا لأبى بكر رضى الله عنه ، تفضيلا له وتكريما وتقديما على جميع الأمة . ثم لعمر رضى الله عنه ، ثم لعثمان بن عفان رضى الله عنه . ثم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهذبون ، ونشهد للعشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقوله الحق ، ابن عوف الزهرى وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة رضوان الله عليهم أجمعين ومن أحسن القول فى اصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم وأزواجه وذرياته فقد برى من النفاق ، وعلماء السلف من السابقين والتابعين ومن بعد أهل الخير والاثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون الا بالجميل ، ومن ذكرهم بشر فهو على غير السبيل . ولانفضل أحدا من الاولياء على أحد من الانبياء ونقول واحد من الأنبياء أفضل من جميع الأولياء ، ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقاة من رواياتهم ونؤمن بخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها ولا نصدق كاهنا ولا عرافا ولا من يدعى شيئا ، يخالف الكتاب والسنة واجماع الأمة . ونرى الاجماع حقا وصوابا ،
ورقـة 52 وجـه
والفرقة زيغا وعذابا ، ودين الله فى السماء والأرض واحد هو الاسلام ، قال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام (1) دينا فلن يقبل منه ، وقال تعالى ان الدين (2) عند الله الاسلام ، وقال تعالى : ورضيت لكم الاسلام دينا (3) ، وهو بين الغلو والتقصير والتشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن والاياس فهذا ديننا

1 ــ 3 سورة آل عمران 85
2 ــ 3 سورة آل عمران 19
3 ــ 5 المائدة 3

واعتقادنا ظاهرا وباطنا ونحن برآء الى الله من كل من خالف ما ذكرناه وقلناه ونسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه ، ويختم لنابه ويعصمنا من الأهواء المختلفة ، والآراء المتفرقة والمذاهب الرديئة مثل مذهب المشبهة والجهمية والجبرية والقدرية والرافضة وغيرهم من الذين خالفوا الجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم برآء وهم عندنا ضلال أرتياء . وصلى الله على محمد خاتم الأنبيـاء وعلى آله الاصفيـاء الأتقياء ، والحمد لله الذى جعلنا من أهل السنة ولم يجعلنا من أهل البدعة ونسأل الله تعالى اتمام ذلك علينا بمنه ولطفه آمين ، انتهت . وما أحسنها وأما عقيدة الحنفية الثانية فهى تأليف الشيخ الامام نجم الدين عمر بن محمد النسفى السمر قندى رحمه الله ، ذكره الذهبى ، ثم اليافعى فى التاريخ وقالوا : يقال له مائة مصنف ، توفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فهو فى طبقة أصحاب الغزالى فقال رضى الله عنه . قال أهل الحق : حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسوفسطائية ، ثم أسباب العلم للخلق ثلاثة : الحواس السليمة ، والخبر الصادق والعقل . فالحواس خمس : السمع والبصر والشم والذوق واللمس وبكل حاسة منها يوقف على ما وضعت هى له ، والخبر الصادق على نوعين : أحدهما الخبـر المتواتر الثابت على السنـة قـوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب ، وهـو موجب للعلـم الضرورى كالعلم بالملوك الخالية فى الأزمنـة الماضيـة والبلدان النائية . والثانى خبر الرسول ، المؤيد بالمعجزة وهو يوجب العلم الاستدلالى والعلم الثابت به يضاهى العلم الثابت بالضرورة فى التيقن والثبات وأما العقل فهو سبب أيضا وما ثبت به بالبديهة فهو ضرورى كالعلم بأن (. . .) من جزئه وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابى والالهام ليس من أسباب المعرفة لصحة الشيء عند أهل الحق والعالم بجميع أجزائه والعالم بجميع أجزائه محدث اذ هو أعيان وأعراض . فالأعيان ما له قيم بذاته وهو اما مركب وهو الجسم أو غير مركب كالجوهر وهو الجزء الذى لا يتجزأ . والعرض ما لا يقوم بذاته ويحدث فى الأجسام والجواهر كالألوان والآكوان والطعوم والروائح والمحدث

ورقــة 52 ظهــر

[illegible] القديم الحى القادر العليم السميع البصير الشائى المريد [illegible] ولا جسم ولا جوهر ولا مصور ولا معدود ولا محدود ، ولا متبعض ولا متجزىء ولا متركب منها ولا متناه ، ولا يوصف بالمائية ولا بالكيفية ولا يتمكن فى مكان ولا يجرى عليه زمان ، ولا يشبهه شىء ولا يخرج من علمه [illegible] وله صفات ازلية قائمة بذاته ، وهى لا هو ولا غيره ، وهى العلم والقدرة والحياة والقوة والسمع والبصر والارادة والمشيئة ، والفعل والتخليق والترزيق والكلام . وهو متكلم بكلام هو صفة له أزلية ليس من جنس الحروف والأصوات وهو صفة منافية للسكوت والآفة والله تعالى متكلم بها آمرناه مخبر . والقـرآن كـلام الله غير مخلوق وهـو مكتوب فى مصاحفنـا محفوظ

فى قلوبنا مقروء بالسنتنا مسموع باذاننا غير حال فيها والتكوين صفة لله عز وجل أزلية ، وهى تكوينه للعالم ولكل جزء من أجزائه بوقت وجوده ، وهو غير المكون عندنا . والارادة صفة لله تعالى أزلية قائمة بذاته ورؤية الله تعالى جائزة بالعقل واجبة بالنقل ورد الدليل السمعى بايجاب رؤية المؤمنين الله تعالى فى الدار الآخرة . فيرى لا فى مكان ولا على جهة من مقابلة او اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائى وبين الله عز وجل . والله تعالى خلق لأفعال العباد من الكفر والايمان والطاعة والعصيان وهى . بارادته ومشيئته وحكمه وقضيته وللعباد أفعال اختيارية يثابون بها ويعاقبون عليها . والحسن منها برضى الله عز وجل ، والقبيح منها ليس برضاه . والاستطاعة مع الفعل وهى حقيقة القدرة التى يكون بها الفعل ويقع هذا الاسم على سلامة الأسباب والآلات والجوارح وصحة التكليف تعتمد هذه الاستطاعة ولا يكلف العبد بما ليس فى وسعه . وما يوجد فى المضرور من الألم عقيب ضرب أسنان والانكسار فى الزجاج عقيب كسر ( ) وما أشبهه . كل ذلك مخلوق الله تعالى . ولا صنع لعبد فى تخليقه . والمقتول ميت بأجله والأجل واحد . والحرام رزق وكل يستوفى رزق نفسه حلالا كان أو حراما . ولا يتصور أن لا يأكل انسان او يأكل غيره رزقه . والله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وما هو الأصلح للعبد فليس ذلك بواجب على الله تعالى وعذاب القبر للكافرين

ورقة 53 وجه

ولبعض عصاة المؤمنين ، وتنعم أهل الطاعة فى القبر بما يعلمه ويريده ، وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية ، والبعث حق ، والوزن حق ، والكتاب حق ، والسؤال حق ، والحوض حق ، والصراط حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وهما مخلوقتان ، موجودتان باقيتان لا تفنيان ولا يفنى أهلها . والكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الايمان ، ولا تدخله فى الكفر ، والله تعالى لا يغفر الشرك ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الصغائر والكبائر ، ونجوز العقاب على الصغيرة ، والعفو عن الكبيرة اذا لم تكن عن استحلال ، والاستحلال كفر ، والشفاعة ثابتة للرسول والأخيار ، فى حق أهل الكبائر بالمستفيض من الأخبار ، وأهل الكبائر من المؤمنين لا يخلدون فى النار ، والايمان هو التصديق بما جاء من عند الله والاقرار به ، فأما الأعمال فهى تتزايد فى نفسها ، والايمان لا يزيد ولا ينقص ، والايمان والاسلام واحد ، واذا وجد من العبد التصديق والاقرار صح له أن يقول أنا مؤمن حقا ، ولا ينبغى أن نقول ، أنا مؤمن ان شاء الله ، والسعيد قد يشقى ، والشقى قد يسعد . والتغير على السعادة والشقاوة دون الاشقاء والاسعاد ، وهما من صفات الله تعالى . ولا تغير على الله ولا على صفاته وفى ارسال الرسل حكمة وقد أرسل الله رسلا من البشر الى البشر مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون اليه من أمور الدنيا والدين وأيدهم بالمعجزات الناقضات للعادات وأول الأنبياء

آدم . وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم . وقد روى بيان عددهم فى بعض الأحاديث والأولى أن لا يقتصر على عدد فى التسمية ، فقد قال تعالى : منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك (1) . ولا يؤمن فى ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج منهم من هو منهم . وكلهم كانوا مبلغين عن الله تعالى صادقين ناصحين وأفضل الأنبيـاء محمد صلى الله عليه وسلم والملائكة عباد الله العاملون بأمره لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة . ولله تعالى كتب أنزلها على أنبيائه وبين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده. والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بشخصه الى السماء ، ثم الى ما شاء الله من العلى حـق . وكرامات الأولياء حق . فتظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولى من قطع المسافة البعيدة والمدة القليلة . وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاصة والمشى على الماء والهواء . (وتليين) الجماد والعجماء وغير ذلك من الأشياء . ويكون ذلك معجزة للرسول الذى ظهرت (لـه) الكرامة لواحد من أمته لأنه يظهر بها أنه ولى ولن يكون وليا الا وأن يكون محقا فى دينـه وديانته ، والاقرار برسالة رسوله وأفضل البشر بعد نبينا ابو بكر الصديق

ورقـة 53 ظهـر

رضى الله عنه ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى . وخلافتهم على هذا الترتيب ايضا . والخلافة ثلاثون سنة ثم بعدها ملك وامارة . والمسلمون لا بد لهم من امام يقوم بتنفيذ أحكامهم واقامة حدودهم . وسد ثغورهم ، وتجهيز جيوشهم ، وأخذ صدقاتهم ، وقهر المتغلبة والمتلصصة ، وقطاع الطريق واقامة الجمع والأعياد ، وقطع المنازعة الواقعة بين العباد ، وقبـول الشهادات القائمـة على الحقوق ، وتزويج الصغار والصغائر الـذين لا أوليـاء لهـم ، وقسمة الغنائم ثم ينبغى أن يكون الامـام ظاهرا لا مخفيا منتظرا (2) . ويكون من قريش ، ولا يجوز من غيرهم ولا يختص ببنى هاشم وأولاد على رضى الله عنه . ولا يشترط أن يكون معصوما ولا أن يكون أفضل من أهـل زمانه . ويشترط أن يكون من أهل الولاية وسياسيا قادرا على تنفيـذ الأحكام ، وحفظ حـدود دار الاسلام ، وانصاف المظلوم من الظالم ولا ينعزل بالفسق والجورو تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر ، ويصلى على كل بـر وفاجـر ونكف عن ذكـر الصحابة الا بخير ، ونشهد بالجنـة للعشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنـة . ونـرى المسح على الخفين فى الحضر والسفر . ولا نحرم نبيذ الجر . ولا يبلغ ولى درجة الأنبياء عليهم السلام . ولا يصل العبد الى حيث يسقط عنه الأمر والنهى . والنصوص على ظواهرها والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطل . الحاداً بكفر ورد النصوص كفر . واستحلال المعصية كفر والاستهانة بها كفر ، والاستهزاء

(1) 46 ــ سورة غافر 78

(2) رد على الشيعة الـذين يعتقدون بالامـام المنتظر ، ويسمونه المهـدى والحجة وهو غائب عندهم .

على الشريعة كفر ، واليأس من الله كفر ، والأمن من الله كفر ، وتصديق الكاهن بما يخبر عن الغيب كفر ، والمعدوم ليس بشيء . وفى دعاء الأحياء الأموات وصدقتهم عنهم نفع لهم والله تعالى يجيب الدعوات ويقضى الحاجات . وما أخبر عنه به النبيء صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة من خروج الدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج . ونزول عيسى عليه السلام من السماء ، وطلوع الشمس من مغربها فهو حق . والمجتهد قد يخطيء وقد يصيب ، ورسل البشر أفضل من رسل الملائكة . ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة والله تعالى أعلم . انتهت . وقوله الالهام ليس من أسباب المعرفة لصحة الشيء عند أهل الحق ، وهو الصحيح ونحوه قول تاج الدين السبكي فى جمع الجوامع : الالهام شيء يقع فى القلب ( ) لـه الصدر أى يطمئن اليه يخص الله بـه بعض أصفيائه وليس بحجة لعدم ( ) ليس معصوما بخواطره ، خلافا لبعض المتصوفة انتهى . فعلم منه الالهام من جمل الخواطر فيرجح فى تمييزه الى قول الشبلي

ورقة 54 وجه

فى آخر العقائد وان اخطر لك أمر فزنه بالشرع الى آخر ما قال . ونص على مثله الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى فتاويه . والشيخ ابو الحسن الشاذلي والسهروردي فى العوارف . ونقل ابن السمعاني عن الجمهور انه جبار لا يجوز العمل بـه الا عند فقد الحجج كلها فيما أبيح له عمله بغير علم . وأطـال الغزالي فى الاحياء الكلام فى اثباته . والحق أنـه لا يجوز انكار اصله وأنه قليل الوجود وأنه لا يجوز العمل به الا ان يكون مفهوما من كتاب او سنة او ما كان عنهما ولعلي أبسط الكلام فيه فى موضع آخر ان شاء الله تعالى . ومـا أجزل فوائد هذه العقيدة غير أن فيهـا مواضيع تخالف مذهب الأشعرية ، ولكن ليست فى مسائل أمهات تؤدى الى التباين فى أصول الدين ، بل هى من فروع علم الكلام ، وقد يكون الخلاف فى بعضها لفظيـا وقـد عـد بعضهم المسائل التى خالفوا فيهـا فجعلها سبعا وبعضهم أكثر . وقد نظمها تاج الدين السبكي على أكثر ما قيل فيها فقال رضى الله عنه :

يـا صـاح ان عقيـدة النعمـان	والأشعـرى حقيقـة الايقـان
وكـلاهمـا والله صاحب سنـة	بـهـدى نبـى الله مقتـديـان
لا ذا يبـدع ذا ولا هـــذا وان	تحسب سواه وهمت فى الحسبان
من قـال ان أبـا حنيفـة مبـدع	رأيـا فذلـك قائـل الهذيـان
أو ظـن أن الأشعـرى مبـدع	فلقـد أساء وبـاء بالخسران
كـل امـام مقتـدى ذو سنـة	كالسيف مشهورا عـلى الشيطان
والخلف بينهمـا قليـل أمـره	سهـل بـلا بـدع ولا كفـران
عشـر وواحـدة	تبين مسالكا ويهن عند تطاعن الأقران

او قـد يـؤول خلافهـا امـا الى   لفـظ كالاستثناء فـى الايمـان

وكمنعـه أن السعيـد يضـل او   يشقـى ونعمـة كافـر خـوان

وكـذا الرسالة بعـد موت ان تكن   صحت ولا أجمـع الشيخـان

وقـد (اد) عى ابن هوازن أستاذنا   فيـه افتـراء من عـدو شانى

وهـو (   ) الثبت والارا   دة ليس يلزمهـا رضـى الرحمـان

فا (الله   ) يرضى بـه لعبـاده   ويريـد أمـران مفترقـان

(فـأ) بوحنيفـة قائـل ان الارا   دة والـرضى أمـران متحـدان

ورقـة 54 ظهـر.

وبه (ذا) فيهـم من يقـول بأنـه   كـذب عليـه جـاء من فتـان

وكـذا ايمـان المقلـد خلفهـم   فيـه للفـظ عـاد دون معانـى

وكـذاك كسب الأشعـرى وانـه   صعب ولكـن قـام بالبرهـان

من لـم يقـل بالكسب الى اعتـزا   ل او مقـال الجبـرى ذى الطغيـان

او للمعانـى وهـى خمس مسائل   هـانت مداركهـا بـدون هـوان

ايجـاب معرفـة الالـه الأشعـرى   يقـول ذاك بشرعـة الديـان

والعقل ليس بحاكم لكـن لـه الاد   راك لا حكـم على الحيـوان

وظنـوا بأن العقـل موجبها وفى   كتب الفـروع لصحبنـا وجهـاز

وبـأن مكتـوب المصاحف منـزل   عـين الكـلام المنـزل القـرآن

قالـوا وتمتنـع الصغائر من نبـى   لـلالاه وعندنـا قـولان

والبعض أنكـر ذا فان يصدق لقـد   وهنت من التعـداد مسألتـان

وكمـا أنتفت هاتـان عنهـم هكـذا   عنـا انتفـى (من) يقـول اثنـاز

والحـق عنـدى منعهـا كمعتالهـم   رفعـا لرتبتهـم عن النقصـان

الأشعـرى امامنـا لكننـا فـى ذا نخالفـه بكـل لسان

ونقـول نحـن على طريقتـه ولـكـن صحبـه فـى ذاك طائفتـان

بـل قـال بعض الأشعرية انهـم بـرآء معصومون من نسيـان

والكـل معـدودون من أتباعـه لا يخرجـون يـدا عن الاذعـان

وأبـو حنيفـة هكـذا مـع شيخنا لا شـىء بينهمـا من النكـران

مناظـران ولـذا اختـلاف هـين عـار من االتبديـع والخـذلان

هـذا الامـام وقبلـه القاضى يقو لان البقـاء فحقيقـة الرحمـان

وهمـا كبيـرا الأشعرية وهـو قـا ل بزائـد فـى الـذات للامكـان

والشيـخ والاستـاذ متفقـان فـى عقـد وفـى أشيـاء مختلفـان

وكـذا ابن فـورك الشهيد وحجـة الاسلام خصم الافـك والبهتـان

وابـن الخطيب وقولـه ان الوجـو د يزيـد وهـو الأشد (عرى الثان)

الاختلاف فى الاسم هـل هو المسمى   واحـد لا اثنـان (أو غـيران)

والأشعريـة بينهـم خلف اذا   عدت مسائله على الانـ (ـسان) (1)

ورقـة 55 وجـه.

تثرن وكلهم ارتوى من سنة ... خفت على المبعوث من عدنان
وغدا نتادى كلنا من جملة ... الاتباع للاسلاف بالاحسان
والأشعرى امامنا والسنة الغراء سنتنا مدى الأزمان
هذا صراط الله فاتبعه تجد ... فى القلب برد حلاوة الايمان
وتراه يوم الحشر أبيض واضحا ... يهدى اليك رسائل الغفران
وعليه كان السابقون عليهم ... خير الثناء وغاية الرضوان
والشافعى ومالك وأبو حنيفة وابن حنبل الكبير الشان
درجوا عليه وخلفوا اثرهم ... أن نتبعهم نجتمع بجنان
او نبتدع فلسوف نصلى النار مذ ... مومين مدحورين بالعصيان
والكفر منفى فلست مكفرا ... ذا بدعة دخلت الى النيران
ولو أنها عادت بابطال على ... أصل أقيم مشيد الأركان
بل كل أهل القبلة الايمان يجمعهم ويفترقون كالوجدان
فاجارنا الرحمان بالهادى النبىء ... محمد من ناره بامان

انتهت . وهى خمسة وخمسون بيتا (1) . وقوله وبأن مكتوب المصاحف منزل عين الكلام المنزل القرآنى ، هذا أعتقاد الحنابلة ولا نعرفه للحنفية بل يقولون مكتوب فى المصاحف غير حال فيها كما تقدم فى عقيدة النسفى ، وتابعه التفتزانى شارحا وشرحه مختصر محقق قدر اربعين ورقة وكذلك صرح به صاحب الجواهر المنظومة فى العقائد من أيمتهم فقال :

وقال اهل العلم فى القرآن ... بانه الوحى العظيم الشان
وهو كلام الرب معبود الورى ... ليس بمخلوق ولا بمفترى
دل عليه فطن الالباب ... بالصوت والحروف والكتاب
فما تجلى للنهى بالاحرف ... فهو الكلام لا نقوش المصحف
فمن يقول انه **مخلوق** ... فهو على حالاته زنديق

وقال هو فى شرح بيته : وقولى فى البيت هما جهة ما بين شمس وبينها يحول . أعنى : حالت الجهة العلوية القائلين بها من الأقمار الأرضية وبين شمس الحضرة القدسية ، كما فى حيلولة الأرض بين الشمس والقمر على قول من قال ان الأفلاك كرية على وجه استعارة ، على تقدير صحة قول الفلكية . انتهى . المقصود منه وقال الشيخ أبو سليمان الخطابى وابى كثير من شيوخنا ان تكون الأفعال صفة قديمة لله تعالى لأن قيام الفعل بغيره وهو محدث . والله تعالى ليس محلا للحوادث واليه (مال) المحاسبى . انتهى . وقال البيهقى : صفات الله عز اسمه قسمان : أحدهما صفات ذاته وهى ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال . والآخر صفات (افعال) وهى ما آستحقه لا يزال دون الأزل أى مثل خلق ورزق وأمات (وأحيا) . والأفعال

(1) انظر النونية فى طبقات الشافعية ج 2 — ص 263 وما بعدها .

والاولى ان يجعله . . هذا البيت بيت فى ان الايمان لا يزيد ولا ينقص كما هو مذهبهم فيقال مثلا . . بان ايمان العباد جميعهم لم يتصف بالزيادة والنقصان ، وفى عقيدة ابن ابى زيد ما يوهم القول بالجهة وهو قوله وانه فوق عرشه المجيد . . . ، وهو فى كل مكان بعلمه ، قال الشيخ ابن عبد السلام فى فتاويه بعد تنبيهه على كلام ابن ابى زيد ، والأصح ان معتقد الجهة لا يكفى واعلم ان اعتقاد الجهة والحرف والصوت من عقائد الحنابلة وهو اصعب شىء يخالفون به الاشعرية ، وقصارى ذلك جر الحشوية الى العشبيه الفاحش كما سياتى التنبيه عليه ان شاء الله تعالى ، واصعب شىء خالفت به الحنفية اعتقادهم قدم الفاعليه ، وانها من صفات الذات ، وسموها التكوين : وبه صرح النسفى كما سبق وقال صاحب الجواهر فى ذلك :

وانــه الفاعــل والمـوصوف بفعلــه القديــم والمعـروف
وفعلــه الابداء والافتــاء بعلمــه والمنــع والاعطــاء
وفعلــه القديــم نعت ذاتــه ابـدا به العالـم فى اوقـاته

والخلاف فى ذلك لطيف الماخذ ، ومقصودهم بذلك اثبات الفاعليه صفة لله تعالى ، ولكن التفتازانى فى شرحه مال الى مذهب الاشعرى من انها اضافات وصفات للافعال ، وفعله عن المحققين والمتكلمين ، قـال ولا دليل على كون التكوين صفة اخرى سوى القدرة والارادة ، انتهى .

وعلى هذا يرتفع الخلاف او يهون وقد ذكر الشيخ اليافعى ذلك فى قصيدة طويلة فقال رضى الله عنه .

وفــى حنفيــات لطيف سحابــة أتـاهـا من التكوين غـير مبـدل
وفــى حنبليـات كسوفـان أظلمـا سوى بدرها حاشا الامام بن حنبل
هما جهة ما بين شمس وبينها يحول وحرف فـى الكلام المنـزل
رأوا مـد أصوات وبحـة قـارىء وحرفـا كلام الله والعرش معتـلى
تعـالى الـه عن حلـول حـوادث بـه وعـلا ( ) للحوادث يحلل

أمـا اسمه الرزاق والخالق فالمحققون على أنه يستحق هذا الأزل على معنى

ورقـة 56 وجـه

قدرته على الخلق لا لصدور الخلق عنه كالصارم يسمى صارما قبل القطع . ولذلك قال الامام الطحاوى (1) الحنفى رحمه الله فى عقيدته : له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق . وهكذا كالتوسط بين المذهبين

(1) ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة الأزدى الطحاوى توفى سنة 321 ـ تذكرة الحفاظ ج 2 ص 28 ـ 30

وهو حسن والله أعلم . وقال الامام البغوى فى شرح السنة : كان الله خالقا ولا مخلوق ، وربا ولا مربوب ، ومالكا ولا مملوك ، كما هو الآخر قبل فناء العالم ، والوارث قبل فناء الخلق ، والباعث قبل مجيء البعث ، ومالك يوم الدين قبل مجيء يوم القيامة . وأسماء الله تعالى لا تشبه أسماء العباد لأن أفعال البارى مشتقة من أسمائه لقوله تعالى خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى) فبين أن أفعاله مشتقة من أسمائه واسماء العباد مشتقة من أفعالهم ، فلا يجوز أن يحدث لله اسم بحدوث فعله ، ولا نعتقد فى صفات الله تعالى أنها هو ولا غيره ، بل هى صفات له أزلية لم يزل ولا يزال موصوفا بما وصف به نفسه ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . انتهى . قال البيهقى : أبى المحققون من أصحابنا أن يقولوا ان الله لم يزل خالقا . ولكن يقولون خالقنا لم يزل ، ورازقنا لم يزل قادرا على الخلق والرزق والمختار أن الخلاف لفظى يرتفع بقول الطحاوى والبغوى ومن وافقهما والله أعلم . وهذه أبيات للشيخ اليافعى فى عقيدة أهل السنة فقال رضى الله عنه :

وبن بعد حمد الله (هذى) عقيدة — عن السنة الغراء والحق تسفر
وتهدى الى نهج الصواب متابعا — لها وعقيلات المذاهب تهجر
لوا السبل الوسطى الحميدة منهج — شعار لهذى الأشعرية يشعر
وكم فى حضيض الحشو تهبط لكونها — طريقا بها القطاع تسبى وتأسر
ولا آرتفعت عالى غلو اعتزالهم — ففيها ذئاب ثم وعر يكسر
مشت مع سواد معظم أهل منهب — عزيز بحمد الله ما زال ينصر
له بيض رايات العلى مع أئمة — شموس الهدى تعدادهم ليس يحصر
فكم حـ . . . تحقيق العلوم وعارف — لألمرار غيب والحقائق ابجر
وهـ . . . لها الفت فى خمس عشرة — من النظم تجرى من لها يتدبر
علابها عن كيفيت او ، اين او متى — وعن كل ما فى بالنا يتصور
ونقص وشبه او شريك ووالد — وولدون وزوجات هو الله أكبر ،
ونقص وشبه او شريك ووالد — وولد وزوجات هو الله أكبر
قديم كلامه خير لا حرف كائن — ولا عرض حاشا وجسم وجوهر

ورقة 56 ظهر

مريد وحى عالم متكلم — قدير على ما شاء سميع ومبصر
بسمع وعلم مع حياة وقدرة — كذلك باقيها يلى الكل مصدر
وليس عليه واجب بل عقابه — بعدل وعن فضل يثيب ويغفر
محكم شرع دون عقل وقد قضى — بخير وشر للجميع مقدر

ورؤيتــه حــق كــذاك شفاعــة — وحــوض وتعــذيب قبــر ومنكــر
وبعث وميــزان ونــار وجنـــة — وقــد خلقــا ثم الصراط وتصــدر
عظيم كرامات على الأوليــاء وقــد — محــا شرعنا العــالى الزكى المطهر
شرائــع كــل المــرسلين وأحمــد — خيار الورى المولى الشفيع المصدر
وأصحابــه خــير القــرون وخيرهم — على وفق مــا قد قدموا ثم أخروا
نجوم الهدى كل عــدول أولو النــدى — فضائلهــم مشهــورة ليست تنكــر
وأفضلهم صديقهم صاحب العــلى — ورابعهم فى الفضل صــدر ....
وتخليــد نــار ليس الا لكافــر — وقبلتنــا من أمهــا لا يكفــر
ثم! هى حوت مع صغرها ما عساه لا — يــرى فى كثير من عقائــد تكبــر

انتهت .

وهى بعض من قصيدة طويلة سماها شتمس الايمان فى توحيد الرحمن ، وعقيدة أهل الحق والايقان والتشويق الى الجنان والحور الحسان ، والتخويف من النيران ووعظ الاخوان . أولها قوله رضى الله عنه :

تبارك من شكر الورى عنــه ينقص — لكون (صفات) جوده ليس تحصر
وشاكرها يحتاج شكــرا لشكرها — كذلك شكــر الشكر يحتــاج يشكر
ففى كل شكر نعمــة بعد نعمــة — بغير ثنــاء دونهــا الشكر يصغر
فمن رام يقضى حق واجب شكرها — تحمل ضمن الشكر ما هو آكبر
فسبحان من لا قط .يبلغ مدحــه — بلبــغ ومن عنــه الثنــاء متعــذر .

وقد شرح المصنف العقيدة المتضمنة لهذه الأبيات فى كتابه الكبير المسمى با (لمــر) ـــهم ، وتكلم على الفرق الثنتين والسبعين وعلى طرف من مذهب كل فرقة منهم وهو فى مجلدين ضخمين ، وما أحسنه ، وأكثر فوائده ، وعادته فيه ( ) كلام الأئمة وعلماء الشريعة والأصول ثم يتبعه بما يوافقه من كلام الصوفية نفع الله بهم أجمعين آمين آمين . وقد نظم العقيدة ايضا فى خمسة عشر بيتا من قصيدة له أخرى فى مدح مذهب أهل السنة ومدح أعلامه الأئمة فقال رضى الله عنه :

ورقــة 57 وجــه

ويــا طالبــا حفظ اعتقــاد محقــق — خــلا عن غبــار صافيا عذب منهــل
تلق عقيدة الحق فى خمسة عشرة — من النظم تجزى حافظا عن مطول
تعــالى الــه عن شريــك ووالــد — وولــد وزوجــات وكفء ممثــل
سميـــع بصيــر عــالم متكلــم — مريــد وحــى مصدر كلهــا يــلى
بقدرتــه العظمــى واتقــان حكمــة — يرى الكون فى كن كان بالقهر معتلى
عــلا بجمال فيــه مجــد جلالــه — بعــز كمــال الكبريــاء مكلــل
صفات العــلى جلت وجــل جلالها — عقول الــورى معقولة عن تعقــل
وكفهم عن كيف مــع أيــن نافيــا — حروفــا وخلقــا للكــلام منــزل

ولا واجب حاشى عليه وحاكم هو الشرع دون العقل ثم القول واعقل
وفى قدر مع رؤية مع شفاعة وحوض وتعذيب بقبر ومبتلى
وبعث وميزان ونار وجنة وقد خلقا ثم الصراط وللولى
عظيم كرامات وكل شريعة محا خير شرع جاء به خير مرسل
آمن وسلم للصحابة واعتقد جميعا وبجلهم وكالقوم فاعمل
وأقبل على السادة واقبل مقالهم وبين أيادى القوم للأرض قبل
وقدم ابا بكر كما للعلى علا وبالليث ربع ذى المقام العلى على
كما قدموا هم (هم) نجوم الهدى فعن هداهم فلا تعدل بذلك تعدل
وتخليد نار خصه كافرا ولا تكفر لأهل القبلة افهمه واقبل
تناهت وفيها قد يدالى توقف بآخر كتبى بعد جزمى بأول
مجانبة التفصيل فى الآخرين او لثان أرى فى الفضل رابعهم يلى
وفى ذا آختلاف عن ظنون تعارضت ودون جمال العلم ارخاء مسبل
وقد قال منا قائلون بكل ما توقفت عن جزم الأئمة ما حلى
وقد وقف الفاروق فى فضل سنته وذاك الذى القرآن فى وفقه تلى
ومـ (ـا) افترق الملا فى خلافة لذاك وجوه غيرها فى المفضل
( ) حمد الله من جب كلهم وعلم بما جاء فى علا الكل ممثل

انتهى المقصـ (ـود مـ) ـنها وقولهم وقبلتنا من أمها لا يكفر اى لا يكفر بذنب غير الكفر . أما ما (عدا الـ) تكفير من العقائد فيجب التكفير به وان صلى للقبلة كما سيأتى بيانه . والله أعلم . وقد أكثر الايمة من تصنيف العقائد وفيما ذكر كفاية ان شاء الله تعالى والله أعلم فتأمل هذه العقائد ففيها علوم

ورقـة 57 ظهـر

جمة منطوقة ومفهومة وبعضها يفسر بعضا ، ويعضده . وليس فى باطنها ما يخالف ظاهرها وهى عقيدة الخواص والعوام من أهل الاسلام ، فكل مـا آدعى ما يخالف شيئا منها فهو جاهل أو غالط او مبتدع فليعتمد كل مسلم موفق عليها ، وليحذر من قول ابن عربى الملحد أن العقائد ثلاثة عقيدة العوام وعقيدة الخواص وعقيدة خواص الخواص . فانه أراد بالخواص الفلاسفة وبخاصة الخواص أهل الاتحاد وكلا العقيدتين فيهما الكفر الصريح فاعلم ذلك واعتمد عقائد الأئمة المتقدمة فهى الحق والحقيقة ولها شروح يرجع اليها فى البسط والأدلـة . وجواب الاشكالات والاعتراضات ولسنـا بصدد ذلك . فأمـا الصفات الفعلية كالاستواء والنزول والمجيء والقرب والدنو ، وكالوجه والعين واليد وغير ذلك مما ورد فى الكتاب العزيز وصحاح الأحاديث ، فحاصل الأشعرية فى ذلك مـا قاله السبكى فى عقيدته المتقدمة : وهو أن نعتقد ظاهر المعنى اى غير المشكل . وننزه عند سماع المشكل ثم اختلف أئمتنا هل يتكلم فى تأويلها ام يفوض مع إعتقاد (.) أن ظاهرها المتعارف فى صفات المخلوقين غير مراد ، ومع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن سمات الحدث وصفات الخلق واتفقوا على أن جهلنا بتفصيله لا يقدح فى الايمان . انتهى .

وقال الخطابي في معالم السنن : الايمان بها فرض. وترك الخوض فيها واجب والمهتدي من سلك طريق التسليم والخائض فيها زائغ ، والمنكر مبطل والمكيف مشبه ، تعالى عما يقول الظالمون ليس كمثله شيء . انتهى . وقال البغوي في شرح السنة في صفات الله تعالى : يجب الايمان بها على ظاهرها معرضا فيها عن التأويل مجتنبا التشبيه معتقدا أن الباري لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . على هذا مضى سلف الأمة . انتهى مختصرا . ولنذكر طرفا من كلام أهل التأويل في ذلك : فمن ذلك الاستواء (على العرش) في العقائد انه على الوجه الذي قاله ، والمعنى الذي أراده سبحانه استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال . وقال الواحدي معنى استوى على العرش أقبل على خلقه . وقصد الى ذلك وقال ان رأى أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب الايمان به

(ورقة 58 وجه)

ونوكل العلم فيه الى الله تعالى . وقال آخرون . من أهل التأويل : يحمل على القهر والغلبة والاستيلاء . او على قصد الله سبحانه الى أمر في العرش ، وهذا تأويل سفيان الثوري رضى الله عنه ، واستشهد عليه بقوله تعالى : ثم استوى الى السماء وهي دخان (1) . معناه قصد اليها . قال امام الحرمين الجويني بعدما ذكر الظواهر الموهمة : قد ضرى بالاسترواح اليها الحشوية الرعاع المجسمة وأن مذهب أهل الحق قاطبة ان القديم سبحانه يتعالى عن التحيز والتخصيص بالجهات . ثم قال فان قيل : هلا أجريتم الآية على ظاهرها من غير تعرض للتأويل ، مصيرا الى أنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله سبحانه . قلنا ان رام السائل اجراء الاستواء على ما ينبيء عنه ظاهر اللسان وهو الاستقرار فهو التزام التجسم وان قطع باستحالة الاستقرار قد زال الظاهر والذي دعى اليه من جراء الآية على ظاهرها لم يستقم له . وان أزيل الظاهر قطعا فلا بعد في حمله على محمل قويم في العقول مستقيم في موجب الشرع والأعراض عن التأويل حذارا من مواقعة محذور في الاعتقاد يجر الى اللبس والايهام ، واستزلال العوام وتطرق الشبهات الى أصول الدين ، وتعريض بعض آي من كتاب الله لرجم الظنون . قال : والمعنى بقوله تعالى : واخر متشابهات (2) . مراجعة منكرى البعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في استعمال الساعة فالسؤال عن منتهاها ومرساها وموقعها . وقوله : وما يعلم تأويله الا الله . أي وما يعلم مآله الا الله ، ويشهد بذلك قوله تعالى : هل ينظرون الا تأويله (3) . والتأويل منها محمول على الساعة باتفاق الجماعة . انتهى . وقال الامام محي الدين النووي في شرح حديث ينزل

(1) 41 — سورة فصلت 11

(2) آل عمران تقدمت

(3) 7 — الأعراف 153

ربنــا الى السماء الدنيا ، هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيها منهبان مشهوران للعلماء ، مختصرهما ان مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بها بأنها حق (   ) لله تعالى ، وان ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ، ولا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين ، وعن الأنقــال والحركات وسائر سمات الخلق . الثانى مذهب أكبر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكى هنا عن مالك والأوزاعى أنهــا تتأول على ما يليق بهــا بحسب مواطنها . فتأولوا هذا الحديث تأويلين

(ورقــة 58 ظهــر)

أحدهما تأويل مالك بن أنس وغيره ، معناه : تنزل رحمته أوامره او ملائكته كما يقال فعل السلطان كذا اذا فعله أتباعه بأمره . والثانى أنه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف . انتهى . وقال النووى ايضا فى حديث الجارئة ، التى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ قالت فى السماء . قال من أنا ؟ قالت رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم : اعتقها فانها مؤمنة . هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيهــا مذهبان : أحدهما الايمان به من غير خوض فى معناه ، مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شىء وتنزيهه عن سمات المخلوق . والثانى تأويله بما يليق به . فمن قال بهذا ، قال : كأن المراد امتحانها . هل هى موحدة تقر بأن الخالق المدبر الفعال هو الله وحده . وهو الذى اذا دعاه الداعى استقبل السماء ، كما اذا صلى المصلى له استقبل الكعبة ، وليس ذلك لأنه منحصر فى السماء كما أنه ليس منحصرا فى جهة الكعبة ، بل ذلك لأن السماء قبلة الداعين ، كما أن الكعبة قبلــة المصلين أم هى من عبدة الأوثان العابدين للأوثان التى بين أيديهم . فلما قالت فى السماء علم أنها موحدة وليست عابدة للأوثان . قال القاضى عياض : ولا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم ان الظواهر الواردة بذكر الله فى السماء كقوله تعالى : أمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض (1) . ونحوه . ليست على ظواهرها بل هى متأولة عند جميعهم ، فمن قــال باثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من الفقهــاء والمحدثين والمتكلمين ، تأول فى السماء ، أى على السماء . ومن قال من دهماء النظار والمتكلمين وأصحاب التنزيه بنفى الحد واستحالة الجهة فى حقه سبحانه وتعالى ، تأولوها تاويلات بحسب مقتضاها ، وذكر نحو ما سبق . قال : وليت شعرى ما الذى جمع أهل السنة والحق كلهم على وجوب الامساك عن الفكر فى الــذات كما (   ) وسكتوا لحيرة العقل واتفقــوا على تحريم التكييف والتشكل (وقالــوا بأن) وقوفهم وامساكهم غير شك فى الوجود والموجود وغير قادح فى التوحيد ، بل هو حقيقته . ثم تسامح بعضهم باثبات الجهة ، وهل بين التكييف واثبات الجهة

(1) 67 ــ الملك 16

فرق ، لكن اطلاق ما أطلقه الشرع من أنه القاهر فوق عباده ، وأنه استوى على العرش مع التمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذى لا يصح فى معقول

ورقة 59 وجه

غيره ، وهى قوله تعالى : ليس كمثله شىء (1) . عصمة لمن وفقه الله تعالى وهداه . انتهى كلام القاضى الذى نقله النووى رضى الله عنهما ، وحاصل كلامهما : أن المعتقد الحق اثبات ما أطلقه الله ورسوله من أنه استوى على العرش ، وأنه القاهر فوق عباده من غير تسمية حمله فوق بل تعالى ، هو تعالى فوق جميع خلقه ، ولا يزاد على ذلك فمن نفى الجهة وأراد أن الله سبحانه وراء العالم فلا ريب أن الله سبحانه فوق العالم بائن من خلقه ، ومن أثبت الجهة وأراد ان الله تعالى فوق العالم بائن من المخلوقات فهو حق ايضا ، والله اعلم . ويقولون على منهب التأويل فى قوله تعالى : هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام (2) أى يأتيهم عذاب الله او أمر الله ، بحذف المضاف . ومثله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، أى عذاب الله . وفى قوله تعالى : وجاء ربك أى أمر ربك (3) . وقضاء ربك . لأن فى يوم القيامة تجىء جلائل آيات الله وتظهر العظائم . وهذا فى الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : وقال أهل المعانى : وجاء ربك . أى وجاء ظهوره بضرورة المعرفة . وضرورة المعرفة بالشىء تقوم مقام ظهوره ورؤيته . ولما صارت المعارف بالله فى ذلك اليوم ضرورة ، صار ذلك كظهوره وتجليه للخلق . فقيل : وجاء ربك . أى زالت الشبهة وارتفعت الشكوك . انتهى . وأما على منهب الامساك والتفويض فيقال آمنا به كل من عند ربنا . قال البغوى فى تفسير قوله تعالى : الا أن يأتيهم الله . الأولى فى هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الانسان بظاهرها ، ويكل علمها الى الله تعالى ، ونعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث على ذلك مضت أيمة السلف وعلماء السنة . قال الكابى (4) : هذا من المكتوم الذى لا يفسر . وكان مكحول والزهرى والأوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث بن سعد ، وأحمد واسحق يقولون فيها وفى أمثالها : أمروها كما جاءت بلا كيف . قال سفيان : كلما وصف الله سبحانه به نفسه فى كيانه فتفسيره قراءته ، والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره الا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام البغوى . ولم يذكر سواه فى هذه الآية ، ويجرى المنهبان فى سائر الصفات الموهمة التى ورد الشرع بها . وقد اعتنى الامام البيهقى بها فى كتاب الأسماء والصفات . وتكلم فى ذلك بما لا يستغنى طالب الحق عن معرفته . وقد كان بعض شيوخى وعد بتصنيف فى ذلك وتشوفت اليه ، فلما طالعت كتاب البيهقى وحصلته بعون الله استغنيت ولله الحمد . واعلم أنه لا يكفى فى

(1) الشورى ـ تقدمت
(2) 2 ـ البقرة 220
(3) 2 ـ البقرة 220
(4) غير واضحة بالمخطوط أهى الكلبى او الكابى ؟

اعتقاد الحق فى المتشابه أن يقال آمنا به مع اعتقاد شيء من سمات الحدث كما يقوله بعض الحشوية وبواطنهم منطوية على التشبيه بشيء منها ، كالقول بالجهة والحرف والصوت وغير ذلك من سمات الحدث وصفات المخلوقين ، وليس قولهم ذلك باللسان مع انطواء قلوبهم على التشبيه بمزحزهم عن الوقوع فى المحذور ، (قـ) ممن صرح بذلك الشيخ عـز الدين فى أجوبتـه على المسائل الحنبليات التى جاءت من حيلان . وكلامه فى عقيدته السابقة كالفرع فيه ايضا ، مع أن ذلك واضح لا يختلف فيه اثنان من أهل الحق ، وقد تقدم

(ورقـة 59 ظهـر)

عن الامام أن التشكك فى الاعتقاد كالتصميم . وذكره اليافعى فى المرهم فى بيـان الاستدلال على نفى الجهة والجسمية . قال النووى وغيره : ومذهب السلف أسلم ، قالوا ويقفون على قوله تعالى : ومـا يعلم تأويله الا الله . ثم يبتدئون والراسخون فى العلم يقولون آمنا بـه . وهذا عليه جمهور سلف الأمة ، وخلفها ، وهو المأثور عن ابى ابن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ، وذكر ابو العباس ابن تيمية رحمه الله فى مختصر له ونحوه فى تفسير الواحدى من أن قوله تعالى ، والراسخون . ابتـداء لا عطف . ونقله البغوى عن الأكثرين ، منهم ابن عباس ايضا . قال ابن الزركشى : وقول السلف رد على المشبهة . قال : وقول الخلف بالتأويل . شرطوا فيه كون التأويل لائقا بجلال الله وكون المؤول متسعا فى لغات العرب والعلم . ولهذا قال بعضهم : السلف أسلم . ومذهب الخلف أعلم أحوج الى مزيد من العلم واتساع فيه ، وأخبار امام الحرمين فى الرسالة النظامية اتباع السلف ، فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها ، مـع أنهم كانوا لا يألون جهدا فى ضبط قواعد الملة والتواصى بحفظها ، وتعلم الناس ما يحتاجون اليه فيها . فلـو كان تأويل هذه الظواهر مشروعا او محتوما لكان اهتمامهم بهـا فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . وقال ابن القشد ( ) فى تفسيره تعلق قوم باختيار الجهل فى ذلك مع دعوى الأخذ بالظاهر ، ولا يخفى أن الظاهر التشبيه فى كل لفظ لوهم التشبيه ، فان اعترف هو لا بأنهم لا يشبهون فقد تركوا الظاهر بالضرورة ، وعند ترك الظاهر فلا منع من تكلف تأويل ممكن . وقال الشيخ عز الدين فى بعض فتاويه : طريقة التأويل بشرطه أقربهما الى الحق لأن الله تعالى انما خاطب العرب بما يعرفونه . وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأنـه تعالى قال : ثم انا علينا بيانه (1) . وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم : لتبين للناس ما نزل اليهم (2) . وهذا عام فى جميع القرآن . فمن وقف على التأويل فقد أفهمه الله مراده فى آياته . وهو

(1) 75 ـ القيامة 17

(2) 16 ـ النحـل 44

أكمل ممن لم يقف على ذلك ، اذ لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (1) .
وتوسط صاحبه ابن دقيق العيد فى عقيدة له فقال : يقولون فى الألفاظ المشكلة ينزه عما لا يليق بجلال الله ، ويقولون أنها حق وصدق عن الوجه الذى أراد . ومن أول شيئا منها : فان كان تأويله قريبا على ما يقتضيه لسان العرب ونفهم فى مخاطباتها لم نكفره ، ولم نبدعه ، وان كان تأويلا بعيدا توقفنا عنه واستبعدناه ورجعنا الى القول (بأن) الايمان بمعناه والتصديق به على الوجه الذى أريد به مع التنزيه . ومن كان من هذه الألفاظ معناه ظاهرا مفهوما من تخاطب العرب ، قلنا به وأولناه من غير توقف ، كما فى قوله تعالى : يا حسرة على ما فرطت فى جنب الله (2) فنحمله على حق الله وما يجب له او على (شيء) من هذا المعنى ، ولا نتوقف فى ذلك .
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع

(ورقة 60 وجه)

الرحمان . بحمله على أن ارادة القلب واعتقاده مصرفة بقدرة الله . وكذلك سائر الأمور الظاهرة المعنى المعروف عند سمعها ممن يعرف كلام العرب . ويشترط أن لا تقطع بأنه المراد ، والله أعلم بمراده . بل يقال يجوز أن يكون المراد كذا . وقد يرجح بالقرائن المحتفة باللفظ ونحوه . انتهى . نقل ابن الزركشى . ثم قال : وقولهم جهلنا به لا يقدح . أى لأن الايمان الاجمالى كاف فيه ، كالايمان بما أنزل الله من الشرائع وأرسله من الرسل . وكذلك يؤمن بالمتشبهات على الاجمال وان لم يتعين المراد بها على التفصيل . انتهى . وقال الامام شيخ الأنام وعمدة المحدثين قطب الدين محمد بن الشيخ الامام أبى العباس احمد بن على القسطلانى رضى الله عنهما : العجب ممن ينتمى الى أهل السنة ويدعى الاقتداء بالسلف الصالح كيف يخالف قوله قولهم . وينتهى الى ما لم يرد عنهم من الخوض فى كيفية الكلام فيزيد فيه بحرف وصوت . ولم يرد ذلك صريحا فى كتاب ولا سنة او فى كيفية الاستواء ويزيد مستو على عرشه بذاته ، ولم يزد فيها استوى بذاته ، ولا يزال بذاته بل ورد مطلقا وكذلك ما ورد فى الصفات من المجيء والصورة والشخص واليد والوجه والرجل والقدم والغيرة والغضب وغير ذلك يجب الايمان به ، من غير زيادة على ما ورد . قال وما أتى أحد من الفرق المخالفة للحق الا من القصور فى فهم العربية ، والجهل بالفرق بين الالفاظ التى يتطرق اليها الاحتمال ، من العموم والخصوص والمجاز والاضمار والاشتراك والاجمال والتأويل الى غير ذلك مما هو مشهور فى الكتاب والسنة واللغة . فترقت أفهام حذاق النظار الى الجمع بين ما ورد فى الكتاب والسنة ، واللغة والعقل . فاضطروا الى التأويل لقيام الدليل ، وتبلدت أفهام قوم تشابوا ورابوا وفيها راموه خابوا ، فحملوا الألفاظ على حقائقها ، فشبهوا وجسموا واعتقدوا أنهم كذلك غنموا ، وما سلموا ولا بدين الله أسلموا . وفرقة

---

(1) 39 ــ الزمر 9
(2) 39 ــ الزمر 56

اخرى توقفت ، وأشار بذلك الى الكثير من السلف ونسبهم الى الحق والصواب . انتهى . ونقل عنه اليافعي في المرهم ، وعلى مذهب التأويل يقال الوجه واليد والعين صفات ، او يقال الوجه عبارة عن الذات والعين عن الأبصار او العلم ، واليد عن القدرة والنعمة ، والكلام في ذلك معروف في كتب الأيمة الأشعرية . (   ) قال الامام ابو بكر بن فورك في كتاب المشكل . ان كل ما كان لنا طريق الى معرفته من طريق اللغة وأفاد معنى صحيحا اذا حمل عليه ، لا ينكر ان يقال المراد ذلك اذا كان موافقا . لما بنى عليه أصل التوحيد ، ولم يقتض وجها من وجوه التمثيل والتشبيه لله تعالى بخلقه ومنع بعض السلف من الكلام فيه محمول على منع من ليس من

(ورقة 60 ظهر)

أهله ، ويكون عند تعذر الطريق الى معناه ، وأبانوا أن ذلك ليس بفرض وأن من كف عنه تسليما للأمر بعد أن لا يعتقد فيه اعتقادا فاسدا يؤدى الى تشبيه الله تعالى بخلقه ، لم يكن في حرج . وجميع ما جمعه الجامعون في تصانيفهم مما يمكن تخريج معناه على الوجه الصحيح من غير تشبيه ولا تمثيل ، وان لذلك طريقا في اللغة يشهد بصحته ويبين معناه ، وطريقنا التجويز أن يكون لأهل العلم طريق الى معرفة المتشابه من القرآن والسنة يتوصلون اليه بالفكر والاستنباط . ثم تكلم ابن فورك على كثير من ذلك وقد اخذ عليه أنه تكلف التأويل في روايات لم تصح ، كان يكفيه طرحها والله أعلم . وأما القرب والدنو فقد تقدم تفسيره في بعض ألفاظ العقائد ونزيد ههنا ان شاء الله تعالى . قال ابو الحسن النووى رضى الله عنه ، في وصف القرب : اما القرب بالذات ، فتعالى الله الملك الحق عن ذلك ، فانه سبحانه متقدس عن الأقطار والحدود والنهاية والمقدار . ما آتصل به مخلوق ، ولا آنفصل عنه حادث مسبوق ، جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل ، فقرب هو في نعته محال ، وهو تداني الذوات . وقرب هو في نعته واجب وهو القرب بالعلم والرؤية وقرب هو في وصفه جائز يخص به من يشاء من عباده ، وهو قرب الفضل . وقال قرب الحق باللطف . انتهى . وقال الاستاذ الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه : أول رتبة في القرب من طاعته والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته ، وقرب الحق سبحانه من العبد ما يخصه به اليوم من العرفان ، وفي الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان ، وفيما بين ذلك بوجوه اللطف والامتنان ، وقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة . وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين . ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء رضى الله عنهم انتهى . وتقدم الكلام في الاتصال . وأحسن عبارة فيه أن ينفصل العبد بشره عما سوى الله ، فلا يرى لمعنى التعظيم غيره ، ولا يستمد الا منه ، وانه اذا تحققت الحقائق بعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة أنه بعد في أول المنزل فأين الوصول ، ومعنى الاتصال يرجع الى حقيقة المحبة ، وهي استفراغ العبد وسعه في طاعة الله وغايتها أن تنكشف

الحجب عن قلبه حتى يرى ربه ببصيرته ، كما جاء فى حديث كنت سمعه وبصره فهذا أبلغ ما وجدت للقاضى عياض ، ونقله عنه النووى فى شرح مسلم فى باب فضائل ابراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال ايضا : القاضى الامام المحقق عياض بن موسى المالكى الأشعرى رضى الله عنه الدنو والقرب من الله او الى الله تعالى ليس بدنو مكان ولا قرب مدى وانما دنو النبىء صلى الله عليه وسلم من ربه ، وقربه منه ابانة عظيم منزلته واشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته . ومن الله تعالى ميزة وتأنيس وبسط واكرام . وتأويل حديث من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا . ومن أتانى يمشى أتيته هرولة . وهو قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول . انتهى . وذكر الخطابى نحوه فى تأويله وقال لا أعلم أحدا من العلماء أجراه على ظاهره . وقال النووى فى شرح هذا الحديث انه تستحيل ارادة ظاهره بل هو

(ورقة 61 وجه)

على المجاز . وقال القاضى ايضا فى حديث ما تقرب الى المتقربون بمثل اذا ما آفترضت عليهم ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى آخره . قال رضى الله عنه : لا ينبغى أن يفهم منه سوى التجدد الى الله تعالى والانقطاع اليه ، والاعراض عما سوى الله ، وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضى الله عنها فى وصف النبىء صلى الله عليه وسلم : كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط . انتهى . وهذا بمعنى قول الخطابى توقيفه فى الأعمال التى باشرها بهذه الأعضاء وعلى هذا يكون قوله بى يسمع وبى يبصر تفسيرا لقوله كنت سمعه وبصره ، الى آخره . والباء ههنا للمصاحبة . قال الخطابى وقد يكون معناه سرعة اجابة الدعاء وانجاح المطالب . وهذا المعنى قول أبى عثمان الحيرى معناه كنت أسرع الى قضاء حوائجه من حواسه المذكورة . وقال البيهقى فى هذا الحديث معناه أن يتولى الحق سبحانه على العبد حتى لا يسمع الا بمنه ولا ينطق الا عنه بآلائه ونعمائه . ولا يقع نظره على منظور اليه الا رآه بقلبه موحدا . أى دالا على الوحدانية كما قيل : (شعر)

وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

وقال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله الشاذلى : معناه وجود البقاء بعد الفناء . فتمحى أوصافك وتطوى بظهور أوصاف المولى فيك . انتهى . وقوله بظهور أوصف المولى تيد يعنى بأوصاف المولى مواهبه التى وهبها العبد وحلاه بها فجعله عالما بسر اسمه العليم وطهره من دنس المخالفات بسر اسمه الطاهر والقدوس . وجعله فى أعين الناس كبيرا بسر اسمه الكبير ونحو ذلك من مواد الأسماء والصفات الربانية ، وهذا تأويل قول الجنيد رضى الله عنه : ان المحبة دخول صفات المحبوب على البدل من المحب الى تبدل صفات المحب الى تبدل صفات الطبع بصفات التوفيق . والكلام فى الفناء والبقاء من

مصطلحات الصوفية ، وكـذا المعرفة والتحقيق والتلبيس والوجود والتجريد والتفريد والجمع والتوحيد ، وهذه أبواب النهايات عندهم وهي عشرة . وقد اختلفت عباراتهم في ذلك فمنهم المقصر والغالي والمتوسط المحقق المستقيم . واشتبه كلامهم على بعض المصنفين فخلط كلام الغلاة بكلام المحققين وزاد بعض الغلاة على بعض حتى مرق من الدين فليزن العالم كلامهم بميزان الشريعة فلا يخفى الحق على محقق ، ولنورد من أحسن مقالاتهم في الفناء والبقاء . قال ابو القاسم القشيري : وحاصله فناء صفات مذمومة بصفات محمودة فمن فنى عن جهلـه بقى بعلمه ومن فنى عن شهرته بقى بانابته . ومن فنى عن

(ورقـة 61 ظهـر)

رغبته بقي بزهادته . ومن فنى عن أمنيته بقي بارادته وكذلك القول في جميع صفاته وقد يرتقى عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه وأشار قائلهم الى تكرر الفناء بقوله : شعر

فأفنـوا ثـم أفنـوا ثـم أفنـوا وأبقـوا بالبقـاء من قرب قربـه

قال القشيري فالأول فناؤه عن نفسه وصفاته ببقاء صفات الحق ثم فناؤه عن صفات الخلق لشهود الحق ، ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق . انتهى . وقوله ببقاء صفات الحق أي بشهود بقاء صفات الحق ، ولا بد من هذا التأويل ونحوه في هذه المقالات وما أشبهها اذ لا يجوز اتصاف العبد بصفات الحق الذاتية تعالت وجلت صفاته القديمة عن أن يتصف بها العبد المخلوق . وسيأتي بيان غلط الغالطين في ذلك وتكفير من يجوز ذلك من الحشوية والاتحادية . وما أحسن قول الشيخ أبي اسحاق القرميسيني : علم الفناء والبقاء يدور على أصلين اخلاص الوحدانية وصحة العبودية . وما كان غير هـذا فهو المغاليط والزندقة . وهـذا كما قال رضى الله عنه فمن المغاليط قول الهروي الأنصاري صاحب منازل السائرين : الفناء اضمحلال ما دون الحق علما ، ثم جحدا ، ثم حقا . ومن الزندقة قول بعض شراحه : يعني أن يتعلم أن الحق هو عين الوجود . وما عداه العدم المطلق . ثم يجحد ما دون الحق لشهود الحق عين الكل فيجد الحق بالحق غير الكل ، فلا موجود الا هو وحده . انتهى مختصرا بلفظه . وعلى هذا النحو صار الهروي وشارحوه ومنهم ابن عربي ومتابعوه وزادوا على الهروي بالتصريح بالاتحاد ، وادعوا أن الهروي قائل بها . وادعوا أن الحديث المذكور على ظاهره وأن الحق تعالى مـا زال بصرا وسمعا للعبد حقيقة . بدليل قوله كنت . وانما ظهرت له حقيقة حال . قال ابن الزركشي ولا يخفى فساد قولهم لاستحالة كون القديم صفة للحادث . وقال في تأويل الحديث على مذهب أهل السنة : أن من أحبه الله صارت حركاته وسكناته كلها لله كما قال الله تعالى : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (1) . انتهى ، مختصر كلامه . في شرح الجمع ونحوه في شرح

(1) الانفال 8 — 17

التعرف للقونوى شارح الحاوى ، مستندا الى أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى . وذكر ابن الجوزى فى معنى الحديث ما جاء من أنه يجاز ومعناه كنت عنده لسمعه وبصره فى ايثارة أمرى وطاعتى (   ) كليته مشغولة لى فلا يصغى (لأحد) الا الى ما يرضينى وأخص له تقليده التى يدركها بسمعه وبصره . كنت له فى العون والنصرة كجوارحه الخاصة . انتهى . وقال ابو القاسم القشيرى فى كتاب التحبير شرح أسماء الله تعالى فى الكلام على اسمه الباقى سبحانه : البقاء صفة من صفات ذاته ، وهو تعالى باق ببقاء هو قائم به وبقاؤه باق لنفسه لأنه فى نفسه بقاء وصفات ذاته باقية ببقائه تعالى . وحقيقة الباقى من له البقاء . وانما جاز أن يكون بقاؤه بقاء لصفاته ، ولم يجز أن يكون بقاء الجوهر بقاء لأعراضه . لأن

ورقة 62 وجه

الجوهر غير الأعراض . ولا يجوز أن يكون الباقى باقيا ببقاء فى غيره . قال : ومما يجب أن تشتد به العناية أن يتحقق أن العبد لا يجوز أن يكون متصفا بصفات ذات الحق سبحانه . فلا يجوز أن يكون العبد عالما بعلم الله ، ولا قادرا بقدرة الله ولا سميعا بصيرا بسمع الله وبصر الله تعالى ، ولا حيا بحياته ، ولا باقيا ببقائه . لأن الصفة القديمة لا يجوز قيامها فى الذات الحادثة . كما لا يجوز قيام الصفة الحادثة بالذات القديمة وحفظ هذا الباب أصل التوحيد . فان كثيرا ممن لا تحصيل له ولا تحقيق زعموا أن العبد يصير باقيا ببقاء الحق سميعا بسمعه بصيرا ببصره حيا بحياته . وهذا خروج عن الدين وانسلاخ عن الاسلام بالكلية . وهذه البدعة أشنع من قول النصارى أن الكلمة القديمة اتحدت بذات عيسى عليه السلام . وهذه البدعة توازى قول الحلول حيث جوزوا على ذات الحق سبحانه الحلول فى الأشخاص المحدثة . كذلك هؤلاء جوزوا قيام الصفة القديمة بالذات المحدثة . وربما تعلقوا فى نصرة هذه المقالة الشنيعة بحديث : فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فبى يسمع وبى يبصر . ولا حجة لهم فى ظاهره . لأنه ليس فيه أنه قال يسمع بسمعى ويبصر ببصرى . بل قال بى يسمع وبى يبصر . وأتفقنا على أن ذاته سبحانه لا يجوز أن تكون لأحد سمعا وبصرا . فاذا تركوا الظاهرة لم يبق الا التأويل . واذا وجب الرجوع الى التأويل فالواجب الاشتغال بالتأويل الصحيح دون الفاسد . قال : وانما حملنا على المبالغة فى شرح هذا الفصل ما رأينا من الواجب علينا من نصرة دين الحق فى الزمان الذى يعاصرنا فيه من ليس له تحقيق . ولا تحصيل . ولما كثر من اغترار أهل الغباوة بما قدموا من التلبيس ، وغلب عليهم من قلة التحقيق وشدة التهويش ، حتى أن فيهم من يقول أن معرفة العبد ليست بمخلوقة ، وايمانه ليس بمخلوق ، وروحه ليست بمخلوقة ، وانما أصل هذه البدع الفاسدة والأقاويل الركيكة الباطلة قول من قال : لفظ العبد وقراءته للقرآن ليس بمخلوق . فان جوز هؤلاء الحشوية أن يكون قرآن قديم ، يوجد على لسان

العبد ويسمع من المخلوق ، ارتقى هؤلاء المهوشون وتوهموا أنهم زادوا على اخوانهم في التدقيق ، وقالوا ان العبد يكون باقيا ببقاء الحق سبحانه سميعا بسمعه ، بصيرا ببصره . وقال النصرباذى الله باق ببقائه والعبد باق بابقائه . ولقد حقق وحصل وأخبر عن نكتة المسألة وفصل . انتهى

ورقة 62 ظهر

كلام القشيرى رحمه الله . ولقد صدق رضى الله عنه فيما صرح به من مستند هذه البدعة وانه قول الحشوية بقدم لفظ القارىء ، وحروف الكتابة . وكل هذه المصائب يجر اليها القول بالحرف والصوت كما قدمنا الاشارة اليه ثم ينجر ذلك الى اعتقاد الاتحاد اى اتحاد الخالق والمخلوق ، وهو الكفر الصراح وهو مذهب ابن عربي وأتباعه كما سيأتى بيانه ، ونسأل الله العصمة ، وأبطال كل بدعة . وقد انفت مختصرا فى الرسائل سميته الرسائل المرضية فى نصرة مذهب الأشعرية ، وبيان فساد مذهب الحشوية جعلته كالمدخل الى هذا الكتاب وبالله التوفيق .

وقال الشيخ شهاب الدين السهروردى : سئل الجنيد عن حقيقة المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب . أى تبدل صفات الطبع بصفات التوفيق كما سبق . وقيل هذا معنى قوله : فاذا أحببته كنت سمعه وبصره ، وفى الحديث ان لله مائة وسبعة عشر خلقا . من آتاه الله واحدا منها ، دخل الجنة ، والمراد بها الصفات كذا روى الشيخ هذا الحديث ، وسيأتى رواية أخرى فى آخر الكتاب ان لله مائة خلق من أتى الله بخلق منها دخل الجنة . ثم قال السهروردى فتقديرها وتحديدها لا يكون الا بوحى سماوى لمرسل ونبىء ، والله تعالى أبرز الى الخلق أسماءه منبئة عن صفاته تعالى وما أظهرها لهم الا ليدعوهم اليها . ولو لا أن الله تعالى أودع فى القوى البشرية التخلق بها ما أبرزها لهم دعوة لهم اليها . يختص برحمته من يشاء ، فاذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحرا مواجا من نسمات القرب جرى فى جداول أخلاق النفس صفات النعوت والصفات ، فتحقق التخلق بأخلاق الله تعالى . حكى الشيخ ابو علي الفارمذى عن شيخه ابى القاسم الكركانى أنه قال : ان الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك ، وهو بعد فى السلوك غير واصل . قال : وعنى الشيخ بهذا العبد يأخذ من كل اسم وصفا يلائم ضعف البشرية وقصوره مثل أن يأخذ من اسم ربه الرحيم ، معنى من الرحمة على قدر قصور البشر ، وكل اشارات المشائخ فى الأسماء والصفات التى هى أعز علومهم على هذا المعنى . والتفسير وكل من توهم لذلك شيئا من الحلول تزندق وألحد . وقال ايضا فى حديث فاذا أحببته كنت سمعه وبصره . وذلك أن المحبة اذا صفت وكملت تجذب بوصفها الى محبوبها . فاذا

ورقة 63 وجه

انتهت الى غاية جهدها وقفت . والرابطة متأصلة متأكدة ، ولكمال وصف المحبة تحدث صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص فيعود المحب بفوائد اكتساب

الصفات من المحبوب . فقد تقول عند ذلك : أنا من أهوى ومن أهوى أنا ، قال وهذا الذى عبرنا عنه هو حقيقة قوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا بأخلاق الله . لأنـه بنزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة . والمحبـة موهبة غير معللة بالتزكية . ولكن سنة الله جارية أن يزكى نفوس أحبابـه بحسن توفيقه وتأييده . قال ومن ظن أن الوصول بغير ما ذكرنا او تخايل له غير هـذا القدر فهو متعرض لمذهب النصارى فى اللاهوت والناسوت . قـال واشارات المشائخ فى الاستغراق والفناء كلها عائدة الى تحقيق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين ، وخلاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا وأمت اللوث الوجودى من بقاء صفات النفس انتهى . وقال ايضا فى الجمع والتفرقة : الجمع والتفرقة من اصطلاحات الصوفية . فالجمع أصل والتفرقة فرع . فكل جمع بلا تفرقة زندقة . وكل تفرقة بلا جمع تعطيل . وعباداتهم فى ذلك كثيرة . والمقصود أنهم أشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فيرجع الحاصل الى أن الجمع من العلم بامر الله ولا بد منهما جميعا وقد غلط قوم وادعوا أنهم فى عين الجمع وصرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا . وانمـا الجمـع حكم الـروح والتفرقة حكم القالب ومـا دام هذا التركيب فلا بد من الجمع والتفرقة . انتهى . وقوله ان المحب قد ينتهى الى ان يقول : أنا من أهوى ومن أهوى أنا ــ هو محمول على حالة الذهول او التجوز بذكر الشىء عند ذكر نظيره وهذا من كلام بعض شعراء العرب واستدلوا به على أنه قد يطلق اسم الشىء على شىء يكون فيه بعض خواصه على طريقة المجاز من ذلك قول الحريرى فى المقامات :

قـد عـدل الـدهر بيننـا فأنـا نظيره فى الشقـاء وهـو أنـا

وقول بعضهم :

كتبت ولـم أكتب اليـك وانمـا كتبت الى روحـى بغـير كتـاب
وذلك أن الروح لا فـرق بينهـا وبـين محبيهـا بفصل خطـاب
فكـل كتاب صادر منـك وارد اليـك فـلا تحتـاج رد جواب

وقال الجنيد لا تصح المحبة بين اثنين أى من المخلوقين حتى يقول أحدهما لصاحبه يا أنا . قال الشيخ ناصر الدين بن بنت الميلق الشاذلى فى بعض

ورقـة 63 ظهـر

قصائده مقيدا لهذا الاطلاق بما لا بد منه عند العلماء الحذاق :

هـذا مـع الخلـق لكن ربنـا معنا دعيـة قـد سهـا أوفى على علـم
لا أين ؟ لا كيف ؟ لا مثل ولا شبه لقرب مولى الورى فاعرفه واستقم
ولا حلـول ولا مـا فيه تجهيـة ولا اتحاد فـدع تخبيط كل عم

وشرط المجاز فى اطلاق اسم الشىء على الشىء أن يكون فيه بعض صفاته الظاهرة ولا شىء فى المخلوق من صفات المخلوق . فلا يجوز التجوز بشىء من ذلك وللصوفية ألفاظ يطلقونها يستعظمها سامعوها . كما قال الشيخ

عز الدين فى أواخر القواعد منها :

التجلى وهو عبارة عن العلم والعرفان ، وكذلك المشاهدة . والذوق وجدان لذة الأحوال . ومنها قولهم قال لى ربى . أى بلسان الحال دون لسان المقال . ومنها المجالسة . عبارة عن لذة يخلقها الله فى القلب مجالسة للذة الأنس بمجالسة الأكابر . وقولهم القلب بيت الرب . أى محل معرفته . قلت ولا شك أن هذه الألفاظ مخترعة تغرى المدعين ، ولم يصدر مثلها عن السلف الصالحين وأتباعهم من العلماء العاملين . مع كونهم احق بها وأهلها . ومن أنصف ، علم أنهـا مما يذم من الكلام ، والله يسامح مخترعها . وقال الغزالى ما تداولته ألسنة الصوفية من كلمات تشير الى الحلول والاتحاد ، فذلك غير مظنون بعاقل ، فضلا عن المشائخ . يعنى أهل السنة منهم . والا فقد عرف بذلك طائفة من المتصوفة ، كابن عربى ، وأمثاله . قطع الله دابرهم . وقد تقدم . وسيأتى نقل ذلك عمن قبلهم ايضا . ولكن هـؤلاء شهروه ودونوه فى التصانيف ، قطع الله دابرهم وأخزاهم . ثم استدل الغزالى على بطلان القول بالحلول والاتحاد ، وأجاب عن بعض ألفاظ صدرت عن بعض الصوفية كأبى يزيد وغيره . قال ولم يصح عن ابى يزيد أنـه قال سبحانى وان سمع منه ، فلعله يحيكه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه . وقال ايضا : حيث يطلق الاتحاد ويقال هو هو . لا يكون الا على طريق التوسع والتجوز واللائق بعادة الصوفية والشعراء . ولا يعنون به أنه هو حقيقة بل كأنه هو . انتهى .

وهـذا التجوز لا يجوز فى حق الله تعالى ، فاعتقده واحذر من ايهام كلام الغزالى . ان لا يجوز التجوز فى الجناب العزيز بدعوى الحلول او الاتحاد ، ولا بدعوى لاتصاف بصفات ذاته . بخلاف صفات الفعل . واتفقوا على أن اعتقاد ذلك لا يجوز ، وأنه كفر لا يعذر فيه معتقده ، وسيأتى بيان من يؤول

ورقـة 64 وجـه

له ان شاء الله تعالى . ومما يتعلق بالتخلق بأخلاق الله سبحانه قولهم أسماء الله كلها تصلح للتخلق ، الا اسمه الله ، فانه للتعلق دون التخلق . ومعناه أنك اذا ناديته باسم الرحيم . قال أنا الرحيم . فكن عبدا رحيما . وكذلك اذا ناديته باسم الكريم ، او الحليم ، ونحو ذلك . وأما اسمه الله فلا يمكن التخلق به بل هو لتعلق العباد به دون تخلقهم به لقول الله تعالى هل تعلم له سميا . أى هل تعلم أحدا يسمى الله غيره . ولم يسم به أحد قط . قال العلماء لم يوجد فى الوجود كله من يسمى الله غير الله . لأنـه سبحانه لم يخلق فى الوجود صفة الألوهية . قال الشيخ عبد الجليل القصرى : وغاية مـا وصل اليه فرعون أن قال : ما علمت لكم من الاه غيرى (1) . على لفظ النكرة . ولم يقل أنا الله . وقال ايضا أنا ربكم الأعلى (2) . هذا من أجل

(1) 28 ـ القصص 38

(2) 79 ـ النازعات 24

أن معانى الأسماء قد ظهرت فى الوجود كله . فأوجد العلم المحدث عن علمه . والحياة عن حياته . والقدرة عن قدرته . والارادة عن ارادته . والسمع والابصار عن سمعه وعن بصره . وهكذا الى جميع ما آتصف به . ومع هذا وان أوجد تلك المعانى ليستدل بها على صفاته . فكلها مرتبطة بأضدادها . فلذلك كانت صفات الله أحادا لا يشبهها شىء . مثال ذلك : العلم منا يرتبط علمه بضده ، والجهل فيما عاب عن علمه مما هو أكثرمن علمه . وكذلك بصره يغيب عنه أكثر مما يبصره ، وكذلك سائر صفاته . وأما صفات الله تعالى فليست كذلك انتهى . ومما يتعلق بالجمع والتفرقة ما قاله الشيخ الكبير القطب ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، قال : كان لى صاحب كثيرا ما يسألنى عن التوحيد ، فقلت له مرة : أردت لا لوم فيها فليكن الفرق على لسانك موجودا . والجمع فى باطنك مشهودا . وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الشاذلى : العوالم كلها ثابتة ، ممحوة بأحدية ذاته . أى ممحوة التأثير ، لا الوجود . وقال الشيخ ابو سليمان الباخلى الاسكندرى الشاذلى : الحالة الهنية التى تجمع بين فرق وجمع . لأن الفرق عذاب والجمع فناء . وقال ايضا : الحالة التى لا ريب فيها ولا عيب من ظاهر ولا باطن عليها جمع لا شطح فيه . وفرق لا شرك فيه . انتهى . وقال الأستاذ الامام أبو القاسم القشيرى : لا بد للعبد من الجمع والفرق فان من لا فرق له لا عبودية له . ومن جمع لـه لا معرفة لـه . وبالله التوفيق . وقال ايضا التضييع لما أمرت به ، احالة على التقدير ، خروج عن الدين . والله سبحانه أعلم . تنبيه : قال الامام المحقق شمس الدين محمد بن ابى بكر بن أيوب الزرعى الشهير بابن قيم الجوزية فى كتاب الوابل الصيب . ورافع الكلم
ورقة 64 ظهر
الطيب . وفى الذكر أكثر من مائة فائدة . فعدها الى أن قال الثالثة والأربعون منها أن الذاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه ، وهذه المعية خاصة غير معية العلم والاحاطة العامة . فهو معه بالقرب والولاية والمحبة والنصرة . والتوفيق . لقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (1) . ومع الصابرين وان الله لمع المحسنين (2) . والمعية الحاصلة للذاكر ، معية لا يشبهها شىء . وهى أخص من المعية الحاصلة للمحسنين والمتقين . وهى معية لا تدركها العبادة ولا تنالها الصفة وانما تعلم بالذوق . وهى مزلة أقدام ان لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث وبين العبد والرب ، وبين الخالق والمخلوق ، وبين العابد والمعبود ، والا وقع فى حلول يضاهى به النصارى ، واتحاد يضاهى به القائلين بوحدة الوجود ، وأن وجود الرب عين وجود هذه الموجودات ، بل ليس عندهم رب ، ولا عبد ولا خلق . وحق بل الرب هو العبد ، والعبد هو الرب والحق المشبه هو الحق المنزه ، تعالى الله عما

(1) 16 ـ النحل 128
(2) 29 ـ العنكبوت 69

يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوا كبيرا . والمقصود أنه ان لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة ، والا فاذا استوى عليه سلطان الذكر وغاب بمذكوره عن ذكره ، وعن نفسه ، ولج باب الحلول والاتحاد ولابد . ونسأل الله العصمة انتهى . وقال الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال : ينتهى بهم الأمر الى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول ، وطائفة الاتحاد ، وطائفة الوصول . وكل ذلك خطأ . هذا كلامه رضى الله عنه . ولقد نبه الشيخ قطب الدين عبد الله بن محمد بن أيمن الشافعي الدمشقي على شيء من أسباب فتنة التجسيم والحلول والاتحاد . فقال ناقلا عن بعض الكبار : ان الشيطان اذا وجد جاهلا بعلوم الدين ، وقد كوشف بشيء من الغيب يضحك عليه ويستهزىء به ويريه أشياء يغويه بها ويريه أن الحق تعالى يتجلى في الصور فيصير مجسما يعتقد ذات الله صورة ويمنعه بالاعجاب بنفسه عن صحة العلماء الذين (دأبوا) على تمييز الحق من الباطل ، فيقوم الشيطان له شيخا ومعلما وحجابا بينه وبين الحق ، ويضع عرشه بين السماء والأرض ، ويتجلى له منه متى شاء ، حتى يغرقه في بحر الضلالة ، ويزينه عند الناس فيقتدون به فيهلكون . قال : وأما الحلول فانما حدث من واقعات الجهلة المتصوفة يلقى اليهم الشيطان أنهم يرون الروحانيات من بواطنهم ، والذى في الباطن نفسه ، فيرى نفسه ربا . وايضا يلقى الى طائفة من أصحاب الأحوال : أن الحال الذى ينزل فيهم هو الله تعالى حيث يعمل خوارق العادات ، وربما كان الصوفي قد جاوز عالم النفس والهوى الى عالم الحقيقة ووصل الى عالم الفناء ، وتفسير الفناء عندهم

ورقة 65 وجه

هو أن نرى شيئا الا الله فيظن أنه هو الله . فيقول أنا الحق ، وأنا الله . وليس في الدار الا الله . وليس في الوجود الا الله . ويعتقد من سمع منه ذلك الحلول والنجاة من ذلك أن يعلم ويعتقد أن ذلك انما هو حال لا أنه فنى كل شيء ، من الدنيا والآخرة بل كل شيء موجود كما كان . هذا بعض كلامه رحمه الله . وقد نقلته بتمامه في كتاب الرسائل فاطلبه ، وقف عليه . وسيأتى في الباب الثاني وعده مزيد كلام في ذلك ان شاء الله تعالى .

الحاق في التوحيد : ذكر الامام ابو طالب المكي والغزالي وغيرهما أن التوحيد على أربع مراتب . قال ابو طالب محمد بن علي بن عطية المكي في وصف توحيد الموقنين . فشهادة المؤمن يقينه أن الله تعالى هو الأول في كل شيء وأقرب من كل شيء . فهو المعطى المانع ، الهادى المضل ، الضار النافع . ويشهد قرب الله منه ونظره اليه وقدرته عليه وحيطته به ، ليسبق نصره وهمه الى الله قبل كل شيء ، ويذكره في كل شيء ويخلو له قلبه من كل شيء ، ويرجع اليه بكل شيء ويتأله اليه دون كل شيء . ويعلم أن الله

1 ـ 28 القصص 38

2 ـ 79 النازعات 24

أقرب الى القلب من وريده . وأقرب الى الروح من حياته . وأقرب الى البصر من نظره . وأقرب الى اللسان من ريقه . هو وصفه لا بتقريب ، ولا بتقرب . وأنه تعالى على العرش فى ذلك كله ، وانه رفيع الدرجات من العرش كما هو رفيع الدرجات من الثرى . وان قربه من الثرى ومن كل شيء كقربه من العرش . وانه تعالى فوق كل شيء ، وفوق تحت كل شيء . فهو فوق الفوق وتحت التحت . ولا يوصف بتحت فيكون له فوق لأنه هو العلى الأعلى ، لا يخلو من علمه وقدرته مكان ، ولا يحد بمكان ولا يفقد من مكان ولا يوجد بمكان دون مكان من التحت الأسفل والفوق الأعلى ، والعرش والثرى فما بينهما . وهو حد الخلق الأسفل والأعلى ، بمنزلة خردلة فى قبضته . وهو أعلى من ذلك ، ومحيط بكل ذلك بما لا يدركه العقل ، ولا يكيفه الوهم ، ولا يحجبه شيء عن شيء ، ولا يبعد عليه شيء قريب من كل شيء بوصفه وهو القدرة والدرك . والأشياء مبعدة بأوصافها ، وهو البعد والحجبة . فالبعد والابعاد حكم مشيئته . والحدود والأقطار حجب بريته . والمسافة والتلقاء مكان لسواه وأن (نو) احى والجهات مواضع للمحدثات ، والليل والنهار مسكن للمصرفات ، والبعد والفضاء مكان للمخلوقين . والتوسعة والهواء مكان للعالمين . والأحكام والأقدار واقعة على خلقه ، والحجب والاستار متصلة بمخلوقاته . وهو سبحانه وتعالى قد جاوز المقدار والأحكام ، وفات العقول والأوهام ، وسبق لأقدار واحتجب بعزه عن الافكار ، ولا يصوره الفكر ولا يملكه الوهم ، وهو على عرشه باختياره لنفسه . فالعرش حد خلقه الأعلى وهو غير محدود بعرشه . والعرش محتاج الى مكان ، والرب

ورقة 65 ظهر

تعالى غير محتاج الى مكان . كما قال تعالى : الرحمن على العرش استوى . الرحمان اسمه ، والاستواء نعته ، متصل بذاته والعرش خلقه منفصل عن صفاته ، لا يسعه غير مشيئته ولا يظهر الا فى أنوار صفته . ولا يوجد الا برحمته فى سعة البسط . فاذا قبض ، أخفى ما أبدى ، واذا بسط أعاد ما أخفى ، لا يعرف الا شهوده ، ولا يرى الا بنوره ، هذا لأوليائه ، اليوم الغيب فى القلوب ، ولهم ذلك غدا بالمشاهدة فى الأبصار ان شاء وسعه أدنى شيء . وان شاء لم يسعه شيء . وان أراد عرفه كل شيء . وان لم يرد لم يعرفه شيء . ان أحب وجد عندكل شيء . وان لم يحب لم يوجد بشيء . لا يتجلى بوصف مرتين ، ولا يظهر فى صورة لاثنين ، ولا يرد منه لمعنى واحد كلمتين . بل لكل تجل منه صورة ، ولكل عبد عند ظهوره صفة ، وعن كل نظر كلام ، ولكل كلمة أفهام ولا نهاية لتجليه ، ولا غاية لأوصافه ، ولا نفاد لكلامه ، ولا انقطاع لافهامها ، ولا تكييف لمعانيه لا يمكله الوهم فيكون مربوبا وهو رب ،

ولا يتطرق اليه بفكر فيكون مقهورا وهو قهار . ولا يعقل بعقل لأنه عاقل للعقل ، لا يدرك بحيطه ، وهو محيط بكل حيطة ، يتجلى لأوليائه فى الجنان بعظائم القدرة ولطائف الحنان . ويكلمهم بما لا غاية لـه من لذيذ المعانى ، يجمع لهم تأويل معنى من معانيه بما يوجدهم به من النعيم والسرور والفضل والحبور ، بكل نظره ، او كلمه ، أو قرب او عطف او لطف او حنان او احسان جميع ما فرقه فى نعيم الجنان . وجود الأشياء لا يظهره الى النظر اليها ان أراد الاعراض عنها . لأنـه مقتدر قهار . وعدمها لا يظطره الى ان لا يراها لسبق علمه لها ، لأن المعدوم كالمحجوب . وهو سبحانه يرى المحجوب من الذرة من تحت الثرى من وراء السماوات والأرضين . اذا الحجب واقعة على الخلـق ، وبواطن الأشياء وغوامضها منكشفة للخالق ، فهو يشاهد المـآل والأواخر الى نهايات نهاياتها فى أبد آبادها . يشهد ذلك اليوم أعنى من غد . ومن بعد غد . وما رواه الى يوم القيامة وما فيها . وهذا كله عدم ، ( ) بعد لأنه علمه بذلك شهادة أنه ليس بينه وبين علمه حجاب . فهو يشهد الكون من أوله الى آخره ، من حيث علمه بعلم هو وصفه ، ومشاهدة هى نعته ، ولأن كلامه بذلك يخبر أنه قد كان ، دليل على شهود المآل ، لأنه شهد ما علم كما علم ، ما به تكلم . فلم يتفاوت كلامه وعلمه ، ولم يختلف علمه وشهادته مع ذلك كلـه ، نظره سعة علمه . وعلمه مـدى نظره . يدرك الأشياء كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته ثم يدرك بجميع أوصافه ما أدركه بهذه الصفة ، فثبت بذلك أنه علم ونظر وتكلم ، ولا يدخل الترتيب فى صفاته أعنى بقبل او بعد . ولا يوصف بوقت وحـد

ورقـة 66 وجـه

ولزم على ذلك انـه يعلم بنظره وينظر بعلمه فصارت الأوائل والأواخر لديـه كشيء واحد ، كانت صفاته كلها آحادا كاملات ، تامات غير محدودة للمحدودات ، ولا مؤقتة مرتبة للمرتبات المؤقتات . اذ الترتيب فى النعوت من وصف الخلق ، والله تعالى ليس كمثله شيء فى كل الصفات ، ولا يدبر الأمور بالأفكار فيشغله شأن عن شأن ، ولا يدخل عليه الدهور والأعراض فيتغير عما كان ، ولا يخلق بآلة فيستعين بسواه ولا تعجزه قدرة فيحتاج الى مباشرة يداه يخلق بيده اذا شاء وعن كلمته وارادته متى شاء ، وبمعانى صفاته كيف شاء . خزائنه فى كلمته وقدرته فى مشيئته ، اذا تكلم أظهر وان شاء قدر ومتى أحب ظهر . وبأى قدرة شاء استتر . هو عزيز فى قدرته . وقريب فى علو حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالافعال . كشف العلم بالارادة . وأظهر الارادة بالحركات . أخفى الصنع بالصنعة وأظهر الصنعة بالأدوات ، هو باطن فى غيبه ، وظاهر بحكمته .وقدرته

غيب في حكمته ، وحكمته شاهدة بمحكوماته ، وهي في مجاري قدرته ، وصنعه سر في صنعته وهي علامته مشيئته . ليس كمثله شيء في كل صفة ، ولا كفؤله في ما هيته وقد روينا عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه كلمة مجملة ، بالغة في وصف التوحيد ، أنه قال في خطبته : الحمد لله الذي لم يجعل السبيل الى معرفته الا بالعجز عن درك معرفته . انتهى كلام أبي طالب رضى الله عنه وهو من أيمة الحنفيه ومحققي الصوفية وأعلام أهل السنة ، ونقل الذهبي في الميزان أنه ذكر في القوت (1) أشياء منكرة ، في الصفات فليتأمل كلامه ويعرض على كلام الأئمة وقد قال الامام الخطابي في كتاب شعائر الدين في الكلام على الصفات :

ان صفات الله تعالى ليست بمتغايرات ولا مختلفات ، ولا متماثلات ولا متجانسات ولا متضادات ، ولا يقال ان علمه قدرته ، ولا غير قدرته . وكذلك جميع صفاته . وقال صاحب الجواهر من الحنفية : ليس في صفاته تداخل ولا تفاضل . هذا معنى كلامه المنظوم . ثم ظهر لي بعد النظر والتأمل ان كلام أبي طالب وان كان فيه ما تنكره البديهة فمنه ما هو صحيح يمكن تأويله كقوله لا يظهر في صورة لأثنين المراد بالصورة الصفة كما في حديث فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون أي في صفته ، وأراد أبو طالب نفي الحصر عن صفاته سبحانه ، ولهذا قال : ولكل تجل منه صورة أي صفة . وهكذا يتأول ما أشكل من ظاهر كلامه ، وبالله التوفيق ، وقال الشيخ العارف ذو الأحوال والمعارف عبد الجليل القصري ، في كتابه « شعب الايمان » **ورقة 66 ظهر** اعلم ان التوحيد في نفسه ثلاث مراتب . توحيد الأفعال . وتوحيد صفات الفاعل . وتوحيد وجود ذات الفاعل .

المرتبة الأولى : توحيد الأفعال وهو اضافة الأفعال والمفعولات كلها الى الله ، وانه خالق الذرة وأفعالها . وخالق الفيل وأفعاله ، وخالق أعيان الموجودات وأفعالها على كثرتها واختلافها ، قال الله تعالى : والله خلقكم وما تعملون (2) . وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (3) . قل كل من عند الله . فالوجود كله يتكون عن كلامه القائم بنفسه . ويتصرف في جميع حركاته وسكونه . قال الله تعالى : انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (4) . والذات تتكلم بالكلام الذي وسع وجود الذات . ومثال ذلك أن يقدر القارىء مثلا . أن يقرأ القرآن جملة واحدة في حالة واحدة ، بأن يقدر أن ذاته كلها ووجوده كله بمفاصله وعروقه . كل عضو متكلما بأية وحرف على حياله . فيقول لسانك مثلا بسم الله ، ويقول العضو الذي يليه الرحمن الرحيم ، والذي يليه الحمد لله رب العالمين الى قوله من

(1) قوت القلوب

(2) 37 ــ الصافات

(3) 8 ــ الانفال 17

(4) 16 ــ النحل 40

الجنة والناس . وقدر أن يتأثر بكلامك كل مذكور ذكرته فى حالة واحدة . وهذا المثل وان لم يكن حقيقة فى حق العبد لعجزه عن الكلام بالقرآن جملة واحدة فانه فى حق البارى تعالى حقيقة . لأن الله تعالى ليس كلامه حرفا بعد حرف ، ولا كلمة بعد كلمة بترتيب ، وانما البارى جل جلاله متكلم بالكلام الذى وسع وجود الذات وهو المعنى القائم والقول الـذى فى النفس ، فيصـدر عن المعانى القائمة بذات البارى تبارك وتعالى ما شاكل تلك المعانى جملة واحدة فى جميع العالمين ، ما حضر منها وما غاب ، كما قال تعالى : ويخلق ما (1) لا تعلمون . فصدر عن هذه الآية من العوالم ما لم تعلم ، وهى موجودة فى ملك الله تعالى ، والكلمة قائمة بها ، ومكونة لوجودها . وكذلك كل مذكور فى القرآن كما قال الله تعالى ان هو الا ذكر (2) للعالمين . فالوجود كله قد ذكره بكلامه .

المرتبة الثانية من مراتب التوحيد . هو توحيد الصفات (و) قل ما تبينه العبارة وانما هو من علم القلوب ومن ظن أن حقيقة علمه مستوفى فى الكتب فهو ناقص المعرفة لقوله صلى الله عليه وسلم : لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وانما القاء العلماء منه تنبيهات لتتنبه العقول الى ذلك ، فيكون سائحة عـاكفة هنالك . وعلم الصفات لا يـوجد الا عند العارفين بـالله ، وأهـل الحديث نقلوا الأحاديث وأمروها كما جاءت ولم يطلبوا فقه معانيها ، فهم على الطريقة الحسنى حتى يظهر لهم فى لآخرة المعنى الذى اعتقدوه أنه ليس كمثله شىء ، وكذلك كل من سلك هذه الطريقة من الفقهاء والعوام .

ورقة 67 وجه

وهى الطريقة السائلةوالسنة المستقيمة ، ومن تكلف تأويل ذلك على رأيه وفهمه فتارة يخطىء وتارة يصيب . قال ومن هاهنا دخل ما دخل على أهل البدع الناظرين بارائهم ، والعارفون الموقنون الذين اختصهم الله هم الذين شاهدوا لأمر على ما هو عليه ، فتجلى الله سبحانه لقلوبهم فى الدنيا كما يتجلى لهم فى الأخرة ، حتى يرونه بالأبصار . جعلنا الله من خواصهم آمين آمين .

وقد قال ابن مسعود رضى الله عنه ، لما مات عمر بن الخطاب : انى لأحسب أن هذا الرجل ذهب بتسعة أعشار العلم . فقيل له أتقول هذا ، وأصحاب النبىء رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ؟ فقال : انما أعنى العلم بالله .

المرتبة الثالثة من مراتب التوحيد هو توحيد الذات . ولا يوجد الا عند الآحاد. الا أنه من ترقى من توحيد الأفعال الى توحيد الصفات يرجى له وقوع العلم به ان شاء الله ومن تكلف طيلة من غير هذا الطريق وقع فى التشبيه والالحاد . ولذلك قال النبىء صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى

1 ـ 16 النحل 8
2 ـ التكوير 27

ذات الله ، وانما الطريق الى علم هذا المقام التفكير في الأفعال والنظر والاستدلال فتدلهم الأفعال على الصفات فتتجلى لهم معاني الصفات القائمة بالذات ، لأن الأفعال .صادرة عن الصفات ، فتتجلى لهم معاني الصفات القائمة بـالذات ، لأن الأفعـال .صادرة عن الصفات ، والخلق في مشاهدة التوحيد على سبع مقامات . فأصحاب المقام الاول هم الذين عقدوا على التوحيد بقلوبهم لتصديقهم . بما سمعوا من غير بحث وهم الجم الغفير وحبهم وخوفهم على قدر ما سمعوا من أسمائه وصفاته وذكر لهم من وعده ووعيده ، وأصحاب المقام الثاني : زادوا عليهـم بـالبحث والاستدلال بالموجودات على الموجد وأكثر أهل علم الكـلام في هذا المقام مقـام من قال ما .رأيت شيئا الا رأيت الله تعالى بعده أي استدل به على موجده .

وأصحاب المقام الثالث : ترقوا عن رؤية الموجودات الى رؤية الايجاد ، وعن مشاهدة المصنوع الى مشاهدة الصنع وان المخلوقات مفتقرة الى دوام الايجاد على .الدوام والا تلاشت . وأكثر الناس يدعي فهم الايجاد وهم عن فهمه بمعزل ، .وهذا مقام من قال ما رأيت شيئا الا رأيت الله معه وهو مقام المراقبة .

وأصحاب المقام الرابع ازدادت مراقبتهم وقويت مشاهدتهم فرأوا الأشياء بالله ونظروا به اليها . وقال قائلهم ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله . وقال بعضهم أثبت الله للعامة المخلوق فأثبتوا به الخالق وأثبت للخاصة نفسه فأثبتوا به المخلوق . وهؤلاء الأربعة الأقسام كلهم يشاهد الأفعال على ما قسم لهم من العطاء .

.ورقـة 67 ظهـر

وأما أهل المقام الخامس والسادس والسابع ، فغائبون عن الفعل كله وعندهم يوجد مقام التوحيد الذي ذكرت في أول الباب أي في أول المرتبة الثالثة . قال : ولا يكون ذلك الا بعد مقام المحبة والاستغراق في ذكر المحبوب بتصفية القلب من سواه ودوام ذكره بالاقبال حتى يعود كالمرآت الصافية ، فعند ذلك يتجلى المحبوب لقلب المحب فيشاهده على ما هو عليه ، أي أنه ليس كمثله شيء أو على ما هو عليه من وجوب الاجلال والتعظيم والتنزيل ، لا أنه يحيط بحقيقة كنهه فاعلم ذلك والله أعلم . ثم قـال الشيخ رحمه الله : فمنهم من لا يطيقـه فيرجع الى الأفعال ليسكن عنه عظيم ما ورد عليه . كما جعل الشبلي رضي الله عنه ينتف اللحم من حاجبيه بمنقاس . وقال : الحقيقة بادية لي ولا أطيقها . فهو ذا أدخل الألم على نفسي لعلي أحسن به فتسترعني فلست أجد الألم ، وليس تسترعني وليس لي بها طاقة . وهذا توحيد الرب نفسه بنفسه عن عبده ، وهذا المقام وان علا فصاحبه بعد مع نفسيه ، قلقة من أجل ما بقي عليه من مشاهدة نفسه ، فان سلب الحق عنه مشاهدة نفسه زال عنه الاحساس بنفسه ، وحصل في المقام السادس ولم يشاهد الا الحق سبحانه ونزال عنه ثقل ما كان يجده في المقام الخامس ، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا المقام في قوله في بعض .أحاديث الاسراء لم أر عند رؤية ربي أحدا من خلقه ، ووقع الطرب والاستبشار

فى وجعلت أنتفض وأميل كما يميل القنديل . فمكثت عنده ما شاء الله فى كلام، كثير اختصرته حتى رد على جبريـل عليه السلام وفى هذا المقام : قـال الصديق رضى الله عنه : من ذاق شيئا من خالص محبة الله ألهاه ذلك عما سواه . وهذا توحيد الرب سبحانه نفسه بنفسه لنفسه ، يغيبه عنه وعن نفسية ما شاء ثم يرده بالأقوال السنية والمقامات ، العلية ، ويفهمه بعد ذلك معنى توحيد هذا المقام ، وقد أشار الأشياخ الى هذا المقام فقال ابن عطاء : حقيقة التوحيد نسيان التوحيد ، وهو أن يكون القائم بـه واحـدا أى على المعنى السابق لا على معنى الاتحاد . وقد تقدم الكلام على هذه المقالة بما لا يستغنى عن استحضاره هنـا

ورقة 68 وجــه

فاستحضره وبالله التوفيق . وقال الشبلى ما شم رائحة التوحيد من تصور عنده التوحيد . وقال الجندى التوحيد معنى ، تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل . وقال أبو سعيد الخراز : المقام الذى ليس بعده مقام الا الزيادة ان شاء الله ، نسيان العبد حظه من الله ، ونسيان حاجته اليه اقتطعه قرب الله عن الله بلا وجود كينونة مع امتلاء مما وجد من الله . فلم يجد مدخلا بينه وبين الله ، فاستلبه الهجوم على الله عن رؤية وجود الله ، فسقط وبقى الله كما لم يزل الله . وهذا المعنى فى قوله صلى الله عليه وسلم حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ، وأهل هذه المقامات الثلاثة مختصون ومقربون . فمنهم من تعتريه هذه الحال مرة فى عمره أو فى سنة أو فى شهر أو فى جمعة أو فى يوم أو أكثر على قدر تقريب الله له ، فان قلت كيف لم تظهر هذه الأحوال على الصحابة رضى الله عنهم ؟ فاعلم أنك فى عمى عن أحوال الصحابة . بل أحوال الصحابة ومقاماتهم أكبر ولذلك بذلوا لله ولرسوله ، وبذلوا أموالهم وخرجوا من ديارهم ، وقاتلوا أقرباءهم ، وصبروا على جهد لا يقدر عليه غيرهم الا أنهم لقوتهم ملكوا الأحـوال ، وغيرهم ملكتهــم الأحوال لضعفهم ، ولهذا قال سهل بن عبد الله التسترى : وكان من الأقوياء لى اربعون سنة أكلم الله والناس يظنون أنى أكلمهم . انتهى كلامه . ذكره فى المقدمة ومعناه أقصد الله ونحو ذلك . وقول القائل ، رأيت الله فى الأشياء أو قبلها أو بعدها . مجاز محمول على العلم لامتناع الرؤية فى الدنيا ، ولا يخفى وجوب التأويل فى بعض ما ذكر من مراتب التوحيد ليحترز عن شبه الاتحاد . وليعلم أن ما يذكره أهل الحق من الفناء والغيبة عن الخلق ونحو ذلك انما هى أحوال تطرق أحيانا ولا تدوم حتى قال الغزالى فى الاحياء : تكون كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز . وقد تقدم فى كلام القصرى الاشارة الى ندور ذلك فتأمله والله أعلم . وهذه المشاهدات أحوال فى الحقيقة لا مقامات فافهم ، والله أعلم . وقد ذكر الغزالى فى الاحياء انقسام التوحيد على أربع مراتب ،

وزاده الغزالي بيانا في الاملاء على كشف مشكل الاحياء وقال في المرتبة الرابعة وهي توحيد الصديقين . وهي الفناء في التوحيد ، وهم قوم رأوا الله وحده . ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به . فلم يروا في الدارين غيره ولا أطلعوا في الوجود على سواه ، وقد اعترض عليه في صحة هذا ثم قال : وقد كان بيان اشارة الصحابة

ورقة 68 ظهر

رضى الله عنهم فيما خصوا به من المعرفة يوجد في هجيراهم فكان هجيرا أبي بكر رضى الله عنه : لا الاه الا الله وكان هجيرا عمر رضى الله عنه : الله أكبر . وكان هجيرا عثمان رضى الله عنه : سبحان الله وكان هجيرا علي رضى الله عنه : الحمد لله فاستقرأ السابقون من ذلك أن ابا بكر رضى الله عنه لم يشهد في الدارين غير الله ، وقد كان الصديق وسمى به كما علمت فكان يقول لا الاه الا الله . وكان عمر رضى الله عنه ، يرى ما دون الله صغيرا مع الله تعالى في جنب عظمته فيقول الله أكبر . وكان عثمان رضى الله عنه لا يرى التنزيه الا لله سبحانه وتعالى ، ان الكل قائم به غير معرى من النقصان . والقائم بغيره معلول فكان يقول سبحان الله ، وكان علي رضى الله عنه ، لا يرى نعمة من الرفع والخفض والعطاء والمنع والمكروه والمحبوب الا من الله عز وجل ، فكان يقول الحمد لله ، وأهل هذه المرتبة على الجملة في حال حصولهم فيها صنفان . مريدون ومرادون . فالمريدون في الغالب لا بد لهم أن يجلو في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون الى المرتبة الرابعة . وأما المرادون فهم في الغالب مبتدئون بمقامهم الأخير . وهي مرتبتهم المرتبة الرابعة ومتمكنون فيها ومنهم يكون القصب والأوتاد والبدلاء . ومن المرتبة الثالثة يكون النقباء والنخباء والشهداء والصالحون . فان قلت أليس الوجود مشتركا بين الحادث والقديم والمألوه والالاه ، ثم معلوم أن الالاه واحد ، والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذا المقام الأشياء واحدا ؟ أذلك على سبيل قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة ، ثم تتحد بالواحد وترجع هي هو وفي هذا من الإستحالة والمروق عن مصدر العقل ما يغني عن اطالة القول . وان كان على طريق التخيل للولي لما لاحقيقة له ، فكيف يحتج به أو يعد كرامة لولي أو فضيلة لبشر فالجواب : أن الحوادث لم تنقلب الى القدم ولم تتحد بالفاعل ولا اعترى تخييل لما لاحقيقة له وقد خصه الله لمعرفته على سبيل اليقين التام ، وكشف بقلبه ما لو راه ببصره عيانا ما آزداد يقينا . فلا تنكر أن يكون الله وهب له المعرفة على هذا السبيل . فيصير ما كشف لقلبه لا يخرج منه . وما اطلع عليه لا يغيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينساه . ولا في حال نومه وشغله وهذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله ، أنه اذا نام او اشتغل لم يفقده في شغله ونومه ، كما لا يفقده في يقظته وفراغه وهذا والله أعلم اذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقية مخلوقا حيا كان او جمادا

صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو ، هو . وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى

ورقة 69 وجـــه

بالقدرة وميزه بالارادة على سابق العلم القديم . ثم أدام القهر عليه فى الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها فى المخلوقات ليست لغير الموصوف الذى هو الله عز وجل ، فنى الولى عن غيره فصار لم ير سواه . ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر فى سر القلب وحيز المعرفة . ولا بالادراك فى ظاهر الحس دون ما كان موجودا به وصادرا عنه . فأين ما تباعد من هذا على من أصحبه الله توفيقه وفتح له مناهجه وطريقه . قال : وعلى هذا جاء المثل فى الاحياء يرونه من يرى انسانا . والانسان المرئى لا شك ذو اجزاء كثيرة . ثم لا يراه الرائى مع ذلك الا واحد اولا يخطر بباله لشىء من أجزائه من حيث أن أجزاء الانسان الظاهرة لا حراك لها ولا سكون ، ولا تصرف فيما يظهر الا بمعانى ما كان انسانا من أجله وهو الراكب الجسد المستولى على سائر الأعضاء . المصرف بقدرة الله الأعضاء . الملقب بالروح تارة وبالقلب أخرى . وقد يعبر عنه بالنفس ، واذا رأى اليد من الانسان مثلا لم يرها من حيث أنها لحم وعصب وعضل . وعبر ذلك من مجموع أشخاص الجواهر وانما يراها من حيث ما يظهر عليها من آثار صفاته التى هى : القدرة والعلم والارادة والحياة والصفات لا تقوم بنفسها دون الموصوف . فلهذا لم يشاهد غير المعنى الحامل للصفات المشهود أثرها فى الأعضاء والجواهر . فظهر صحة رؤية الرائى للانسان واحدا وهو ذو أجزاء كثيرة ومثل هذا قد يعترى الداخلين على الملوك والمحبين مع من شغفوا به من المخلوقين . والأمثال غير هذا كثيرة فى هذا المعنى ، وأرجوا أن لا يحتاج اليها مع هذا الوضوح ، ولا فهم الا بالله ولا شرح الآمنه . ولا نور الا من عنده ، وله الحول والقوة وهو العلى العظيم . أنتهى كلام الغزالى رحمه الله . وانما اقتصرنا على كلامه فى الرابعة لبيان معنى قولهم رأوا الله وحده ، ولم يروا معه سواه فقد بين رحمه الله أن ذلك لا على طريق قلب الأعيان ولا على طريق الاتحاد ولا على طريق التخيل لما لاحقيقة له بل على معنى أن المخلوقات لا يتميز استقلاله فى نظر الولى ومعرفته دون ما وجدت به وصدرت عنه من الصفات الالهية وحقيقة هذا لا تدرك حسا ولا دوما وانما ، هو من علم القلوب وطوارق الأحوال . فهو جواب لا يطاق الدعوى ولا بد من عظمة الله وتوفيقه لأهل هذا الحال الذى هو مظنة مزلة الأقدام ، كما تقدم فى مقام المعية ، التى ذكرها ابن قيم الجوزية ، والا ولج صاحبه باب الحلول والاتحاد ، ولا بد وسيأتى ذكر طريق النجاة من ذلك قريبا ونسأل الله العصمة والتوفيق وهو الفتاح العليم . ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها (1) . لا مانع لما أعطى ، ولا يمتنع على قدرته شىء ممكن ان أراد أن يحجب الولى فى بعض أوقاته

(1) 35 ـ فاطر 2

عن شهود غيره . فلا يشهد الا هو مع حفظ قواعد الشريعة لم يمنعه مانع من ذلك . وسيأتي تحقيق ان ذلك حال يعرض لبعض السالكين ، وان اعتقاد دوامه خطأ ، وتعظيمه خطأ بل هو نقض فى الحال . وسيأتي تأويل الشيخ ناصر الدين الشاذلى لقولهم ليس فى الوجود الا الله . تنبيه ينبغي للناظر فى هذا التوحيد الذى أشار اليه الغزالى والقصرى وغيرهما ، أن يتثبت ويعتصم بالكتاب والسنة ، وأقوال السلف من الأئمة ، ولا يسترسل فى قبول ما أشاروا اليه مما يشبه أقوال أهل الاتحاد ، فان السنى قد يجد كلاما له وقع فينقله غير متأمل لما يؤدى اليه ، ويكون الكلام لغال او ملحد او لشىء نسج على منوالهم ذاهلا عن ضلالهم . فتفطن لذلك واعتصم بالسنة عن التهور فى مهاوى التعسف والاتحاد . وما أحسن قول الجريرى : من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف ، وقد تقدم لفظه . ومعناه فى اول الكتاب . وكلام أبى طالب الذى قدمناه فى توحيد الموقنين سالم من الغلو الا المشار اليه بالغباء فى التوحيد . وان كان أبو طالب قد أشار اليه بعد ذلك وعظمه وجعله درجات . وفيه مرق بعض الغلاة وغلط بعض الهداة كما سبق التنبيه على بعض ذلك : وبالله التوفيق ، وقد أخذ العلماء المحققون على الغزالى مما أدخل فى الاحياء من الاحاديث والآثار وبعض كلام الأولياء ، وقالوا انه مزج النافع بالضار . كما حكاه عن بعضهم من اطلاقات لا يجوز اطلاقها لبشاعتها عند أهل الدين . وكذلك أخذ على أبى طالب فى بعض ما ذكره فى الصفات كما تقدم وليكن هذا آخر ما نريده فى توحيد الصديقين جعلنا الله من خواصهم بفضله آمين آمين .

الحاق فى تفسير الفناء وأنواعه • قال الشيخ تقى الدين أبو العباس ابن تيمية الحنبلى ، وكان من أعلم المتأخرين بمذاهب الفرق وشطاح الصوفية وان كان قد شذ فى مسائل معروفة فله فى غيرها تحقيق مقبول ، ومحل فى العلم غير مجهول قال رحمه الله : الفناء يراد به ثلاثة أمور : أحدها وهو الفناء الدينى الشرعى الذى جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب وهو أن يفنى عما لم يأمر الله به . بفعل ما أمر الله به فيفنى عن عبادة غيره بعبادته ، وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه وعن محبة ما سواه بمحبته وعن خوف غيره بتخوفه والفناء الثانى : ما يذكره بعض الصوفية وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله ، فيفنى بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، بحيث قد يغيب عن شعوره بنفسه وبمن سوى الله . وهذا حال ناقص قد تعرض لبعض السالكين وليس هو من

ورقة 70 وجه

لوازم طريق الله . ولهذا لم يعرض مثل هذا للنبىء صلى الله عليه وسلم وللسابقين الأولين ومن جعل هذا النهاية السالكين فهو ضال ، ومن جعله من لوازم الطريق فهو مخطىء اذ معلوم أنه لا يحصل لكل سالك ، وسيأتي أن هذا الحال لا ينتهى

الى حد يسقط فيه التمييز مطلقا ، وعظمه فقد غلط فى خلق الله وفى أمره • حيث ظن وجود له ، وحيث ظن أنه ممدوح ولا مدح فى عدم التمييز والعقل والمعرفة ، وأما الفناء الثالث ، فهو الفناء عن وجود السوى بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق . وان الوجود واحد بالعين فهذا قول أهل الاتحاد والاتحاد الذين هم من أظل العباد ، انتهى كلامه ، وحاصله ، أن الفناء الأول مكتسب بتوفيق الله تعالى ، والثانى عارض ناقص ، والثالث كفر ومباهته وجحد للمحسوسات المعقولات ، وتفسيره هنا للفناء حسن صحيح . لا تكاد تجد مثله فاعتقده وقد فسر الشيخ عز الدين بن عبد السلام الفناء تفسيرا مختصرا فقال : حقيقته ، الغفلة عن كل شىء للشغل برب كل شىء هكذا ذكره فى قواعده ، وفى الحال الثانى قد يعرض توهم الاتحاد والنجاة من ذلك أن يعلم ويعتقد أن الله تعالى لا يرى فى الدنيا ولا يجوز لولى دعوى ذلك على وجه الكرامة وليعلم أنه انما يرى حجاب العظمة والكبرياء بكل مكان . ويعلم أن الله تعالى بائن عن خلقه والخلق بائنون عنه بكل شىء محيط ، الى كل شىء قريب . ولا يجوز حلوله فى شىء ، ولا حلول شىء فيه ، ولا اتحاد ، بشىء ، اتفق على ذلك الأنبياء والعلماء والأولياء ، فمن خالفهم كفر نسأل الله العصمة ، وقوله ان الثانى حال ناقص أى بالنسبة الى أحوال الأنبياء والصحابة وكبار الأولياء ، وقد تقدم فى كلام الغزالى والقصرى التنويه بعلو هذا المقام ، وقدمنا ان حقيقته حال لا مقام .

والحال عندهم معنى يرد على القلب من غير اجتلاب ، كطرب وحزن وشوق وانزعاج وهيبة ، والمقام ما (...) العبد بمنازلته مما يتوصل اليه بتطلب وتكسب وشرطه أن لا ينتقل من مقام الى أعلى منه ، ما لم يقم بأحكام الدين ، ومن لاتوبة له ، لا انابة له ، ومن لا ورع له ، لا زهد له . ومن لا قناعة له لا توكل له ، ومن (. . .) ومحل علق الحال الثانى فى حق الولى ، اذا أصحبه الله التوفيق وحفظ عليه أوقاته من مخالفة الشرع ، كما حكى أن أبا الحسين النورى رحمه الله بقى تسعة أيام فى منزله لم يأكل ولم يشرب ولم ينم ، قائما يدور فى البيت يقول الله الله . وأخبر الجنيد بذلك فقال انظروا أمحفوظ عليه اوقاته أم لا ؟ فقيل انه يصلى الصلوات الفرائض فى أوقاتها ، فقال الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان عليه سبيلا . فقال الأستاذ ابو القاسم القشيرى : وذلك علامة صحته فى ذلك الحال . فان لم يحفظ عليه أوقاته فى أداء ما كلف

ورقة 70 ظهر

وان كان مغلوبا فلنقص فى حاله . وقيل للشبلى ما علامة صحتك فى حالك . فقال ان لا يجرى على فى أوقات الغيبة ما يخالف حال الصحو . انتهى . فانظر الى هذا الانصاف للشريعة من هذين الامامين . وكلام غيرهما ايضا بمعنى كلامهما . ولذلك قالوا لا يضر نقصان الوجد مع زيادة العلم . وانما تضر زيادة الوجد مع نقصان العلم ، وفضل العلم أتم من فضل الوجد ، وبالله

التوفيق . تنبيه : تقدم ان أول الواجبات : المعرفة . وأنه يجب التعبير عنها بالشهادتين وأن معناهما يحتوى على معانى الأسماء الحسنى ، فان أتى المكلف بهمـا ثم بالصلوات الخمس وعرف كلمات الآذان ، وعرف الكلمات الباقيات الصالحات ، وهن أربع سبحان الله والحمد لله ولا الاه الا الله والله اكبر ، وليضم اليهن قول لا حول ولا قوة الا بالله ، بمعرفة معناها وهو التبرىء من الحلول والقـوة ومن لوازم الصلاة ايضا حفظ الفاتحة والتشهد ، وهـو التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله . الى آخـر الخمس الكلمات الواجبات . ثم لفظ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فاذا عرف ذلك وتعقل معانيها ، فقـد احتوى على علـم كبير . ثم ان حفظ الأسماء الحسنى وهـى التسعة والتسعون ، وأكمل حفظ القرآن العظيم ، فناهيك بما آحتوى عليه من ينابيع العلوم ، ان رزق التفقه فى الدين ، وعامله الحق سبحانه بارادته له الخير ، كما قال النبىء صلى الله عليه وسلم من يرد الله بـه خيرا يفقه فى الدين . وقال فى الأسماء الحسنى من أحصاها دخل الجنـة . وقال النووى ومعنى أحصاها حفظها . قـال البخارى والأكثرون وهو فى روايـة من حفظها دخل الجنـة . وقيل معناه من عرف معانيها وآمن بهـا . وقيل معناه من أطاقها بحسن الرعاية لها . وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها ، وعلى كل قول من هذه الثلاثة طائفة . فالعوام على الأول . وكثير من العلماء على الثانى ، وكثير منهم على الثالث . وقد يطلعهم الله على الاسم الأعظم منها وعند ذلك تطوى لهم الأرض ويمشون على الماء . ويطيرون فى الهواء ، وتقلب لهم بعض الأعيان . اذا علمت ذلك فاعلم أن المعرفة! بالله انمـا تكون بمعرفة أسمائه وصفاته تبارك وتعالى . وقد ثبتت أسماؤه تعالى بالكتاب والسنة والاجماع . وفى اثبات أسماء الله تعالى اثبات صفاته . وطريق ذلك كله التوفيق . قال الأيمة : ما ورد الشرع باطلاقه فى أسماء الله وصفاته أطلقناه . وما منع الشرع من اطلاقه منعناه . وما لم يرد فيه اذن ولا منع ، وهو من أوصاف الكمال فأوصاف الكمال فأجازه طائفة ومنعه آخرون ، حتى يرد به شرع مقطوع به من كتاب او سنة متواترة ، او اجماع على اطلاقه ، وأصله الخلاف

ورقـة 71 وجـه

فى حكم الأشياء قبل ورود الشرع ، فان ورد به خبر واحد فالصحيح جواز اطلاقه على الله سبحانه . لأنه دعاء او ثناء على الله تعـالى . وذلك من باب العمل . كذا ذكره النووى رحمه الله فى شرح مسلم فى كتاب الايمان . أما حقيقة ذاته تبارك وتعالى ، فلا تدرك بالمعقول ولا تلحق بالأوهام ، هذا مذهب أهل الحق من الأصوليين والفقهاء ومشائخ الصوفية العارفين لقول الله تعالى : يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به (1) . وما قدروا

(1) طه 20 ـ 110

الله حق قدره (1) . تمدح سبحانه بأنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، وأنهم لا يحيطون به علما . وأخبر أنهم ما قدروه حق قدره . قال المفسرون ما عظموه حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته . ولا وصفوه حق صفاته . وحكى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : أنتهى لطلب مدبره . فان انتهى الى موجود ينتهي اليه فكره فهو مشبه . وان اطمأن الى العدم المحض فهو معطل . وان اعترف بموجود واعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد . وهو معنى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : العجز عن درك الادراك ادراك . أي اذا انتهى علمك به الى أن تعلم العجز عن معرفة حقيقة ذاته واحاطة صفاته سبحانه ، فقد عرفت الحق . وقال الاستاذ ابو القاسم الجنيد : ما عرف الله الا الله . وقال الحارث المحاسبي : حقيقة الذات لا يمكن أن تكون معلومة للخلق . وقال سهل بن عبد الله التستري : ذات الله موصوفة بالعلم ، وغير مدركة بالاحاطة ولا مرئية بالابصار في الدنيا . وهي موجودة بحقائق الايمان من غير حد ولا حلول ، وتراه العيون في العقبى ظاهرا في ملكه وقدرته ، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته . ودلهم عليه بصفاته . فالقلوب تعقله والعقول لا تدركه . ينظر اليه المؤمنون بالأبصار من غير ادراك نهاية .

وقال الشيخ شهاب الدين الميلق الشاذلي رضي الله عنه في حزب التوحيد اللهم انه لا يعرفك كما أنت الا أنت . فعرفنا اللهم بك معرفة تبين لنا عما اشتملت عليه معرفتنا بك من الجهل بك لنـ (تتوب) لك منها ، ونؤوب لك عنها . ونزهنا اللهم عن تنزيهك بألسنتنا وأفئدتنا وعقولنا تنزيه الغمس ، في بحبوبحة بحر الأحدية . لنشهد تنزيهك بها . انك على كل شيء قدير . اللهم يا من علا من كل شيء ، علوا أوجب قصور مدارك الأشياء عن كنه ذاته . ودنا من كل شيء دنوا يليق به من حيث هو هو بذاته وصفاته . فليس شيء بأقرب اليه من شيء الا بما خصصه من تعرفاته الى القرب والبعد محالا في حقك ، والوصل والفصل من حيث قربنا وبعدنا ، وفصلنا ، تعالى

ورقة 71 ظهر

كمال كبريائك عن ذلك . بل أنت خاطبتنا على قدر عقولنا من حيث نعلم بما نعلم ، وأنت أنت كما تعلم بما تعلم . وانما فهم عنك أهل تعريفك في هذه التراحم الاشارة للرضا والغضب . فخصصنا اللهم برضاك وأخرنا من غضبك ، وأنى نطلب منك ذلك ، وهو أن يكن كذلك فتحصيل حاصل وضيعة وقت او عكسه فمستحيل وقوعه ، وحرام مطلبه ، لكن العبودية اقتضت الفاقة ، والالحاح في المسألة حكمة الربوبية . ووضع الغنى بالعزة الصمدية ، فلذلك قام الطلب بشروط سقوط الأدب . فوفقنا اللهم قولا وعملا ، وحققنا اللهم بحقك رجاء وعلما وأملا . انك على كل شيء قدير . انتهى المقصود من حديثه رضي الله عنه . وقال سبطه الشيخ الامام ناصر الدين محمد بن عبد الدائم ، عرف بابن بنت الميلق ، ذو التصانيف الكثيرة المفيدة ، في كتابه موارد ذوي الاختصاص في معاني سورة الاخلاص : انه سبحانه لم يتعرف لخلقه

(1) 39 ـ الزمر 67

الا بما تسعه مداركهم ، وأماكنه ذاتــه وصفاته فهو السر المصون عنده لا يطلع عليه مخلوق ، ولا يحاط به علما . انتهى . وأقاويل علماء الظاهر والباطن فى ذلك كثيرة معروفة ، نعم يطلق القول على أهل الايمــان بأنهم وحدوه وعرفوه ، وأطلق كثيرون أن الله تعالى يعرف حق معرفته . واختلفوا فى أخص وصف عرف الله تعالى به . فقيل القدم . وقيل حال أوجب له كونه حيا عالما قادرا مريدا . او نقل عن الأشعرى أن خاصية الاله القدرة على الاختراع أى الخلق والإحياء والاماتة ونحو ذلك . قلت وهو الصحيح المتقرر فى أذهان الخلق . وهذا الوصف يجمع الأسماء التى تقتضى اثبات الابداع والامداد لــه سبحانه . قــال الله سبحانه وتعالى : هو الله الخالق البارى المصور له الأسماء الحسنى (1) . فــذكر أربعــة أسماء من أسماء الابداع ، وهى أظهرها . ويستدل الأشعرى فقوله تعالى فى أول ما أنزل : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . ويا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم ، والذين من قبلكم (2) . الى قوله : وانتم تعلمون . وغير ذلك من الآيات . وعلى هذا فمعنى معرفته حق معرفته . أى بالايمان به ، وبأسمائه وصفاته كما تقدم . وقد قال الشيخ الامام ابو العباس المرسى الشاذلى رضى الله عنه . بعد ذكر آيات التوحيد والتمجيد : اللهم يا من هو كذلك وعلى ما وصفه بــه عباده المخلصون من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، والعلماء الموقنين والأولياء المقربين . وقال ايضا أمنت بك وبأسمائك وبصفاتك وبمحمد رسولك . وقال ايضا : هب لى من نور أسمائك ما أتحقق به حقائق

ورقــة 72 وجــه

ذاتك . وهو على معنى ما تقدم عن الائمة . وقال الشيخ ابو الحكم بن برجان بفتح الباء والراء المهملة وبالجيم : انما معنى العلم والمعرفة به سبحانه مشاهدة معلوم . ومعرفة معروف . هو موجود ليس كمثله شىء ، ومسمى له أسماء ، وموصوف له صفات مع مشاهدة اكبار واجلال . وأعظام . لا يعلم كنه ذلك الجلال ولا يقدر قدره الا هو . ولو لا لطفه ورحمته ما أستطاع أحد أن يعلم شيئا من علمه . انتهى . وهو بعض كلامه . وقال ابن الزركشى فى شرح عقيدة السبكى التى قدمنا ذكرها : والحق ان المعلوم من الله تعالى انما هو الأسماء والصفات لا حقيقة كنه الذات . ولذلك لما سأل فرعون موسى عليه السلام وما رب العالمين ؟ (3) . أجابــه بالصفة حيث قــال : رب السموات والأرض وما بينهما . لتعذر الجواب ، بالماهية . فعجب فرعون وقومه من عدوله عن الجواب المطابق لسؤاله . ولم يعلم لغباوته أنــه المخطىء فى السؤال عن الماهية . وأن جواب الكليم عليه السلام أقصى ما يمكن . والحق امتناع معرفة حقيقة الذات والأدب مــع الله اذ لا يعرف العبد حقيقة نفسه . فكيف يدرك

---

(1) 59 ــ الحشر 24

(2) 2 ــ البقرة 21 ــ 22

(3) 26 ــ الشعراء 23 ــ 24

حقيقة ربه الذى خلقه . ولو لا لطفه ورحمته وتنزله من عظيم عظمته ، وعزه الى قلوب عباده ، ما استطاع أن يعلم شيئا من علمه . فانه تبارك وتعالى لم يظهر لخلقه من عظمته وجلال كبريائه سوى أنه معمود اليه فى الحوائج انتهى .

وقد نقلنا بعض هذه المقالات فى كتاب الرؤية ، وتكلمنا على مواطن الرؤية . وهى ثلاثة مواطن : فى الآخرة . وفى الدنيا يقظة ، وفى المنام . وبينا معنى حقيقة الرؤية . وما يمكن منها فى كل موطن بما لا يوجد مجموعا فى غير كتابنا المذكور ان شاء الله تعالى . والله أعلم .

اذا علمت ان قصارى العقول والأفكار الى العجز عن معرفة حقيقة الذات ، واحاطة الصفات ، وعلمت ان ذلك هو الواجب المرجوع اليه ، وهو الذى جمع الله أهل الحق والسنة عليه ، واكتفى منهم بذلك ، وحكم لهم بأنهم بلغوا حقيقة التوحيد مكافأة لهم ، لتأدبهم مع الله . الحديث . تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذات الله . رواه جماعة من الأئمة . منهم ابو القاسم ، اسماعيل ابن محمد بن الفضل ، التيمى الطلحى الأصفهانى ، الجوزى الحافظ . صاحب كتاب الحجة . ذكره فى أول الكتاب فى فصل فى ترك التفكير فى شأن الرب سبحانه وتعالى وأسنده الى عبد الله بن سلام . وفى اسناد آخر عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبىء صلى الله عليه وسلم . قال : تفكروا فى كل شيء

ورقة 72 ظهر

ولا تفكروا فى ذات الله . ورواه ايضا البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات فى باب ما ذكره فى الذات . عن ابن عباس رضى الله عنهما . لم يرفعه : تفكروا فى كل شيء ولا تتفكروا فى ذات الله . فاعلم أن طلب حقيقة الماهية حرام ، وغلو واسراف . قال الله تعالى : يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم . ولا تقولوا على الله الا الحق (1) . ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا . وقال تعالى فى تعداد المحرمات : وان تقولوا على الله ما لا تعلمون (2) . وقد تقدم ما فى علم الكلام من المنفعة والمضرة ، ومما لم نذكره هنالك من مضرته التجاسر على طلب الماهية . فلينته العاقل عن التطلع الى التجسس على الجناب العزيز فقد جمع الله تعالى أهل السنة والحق على وجوب الامساك عن الفكر فى الذات . كما أمروا وسكتو لحيرة العقل وهيبـة الجناب العزيز . واتفقوا على تحريم التكييف والتشكيل كما تقدم . نقله عن القاضى عياض رحمه الله . وان ذلك من وقوفهم وامساكهم غير شك فى الوجود والموجود . وغير قادح فى التوحيد بل هو حقيقته . وان اطلاق ما أطلقه الشرع من أنه القاهر فوق عباده ، وأنه أستوى على العرش مع التمسك بالآية الجامعة للتنزيه الذى لا يصح فى معقول غيره . وهى قوله تعالى : ليس كمثله شيء (3) . عصمة لمن وفقه

(1) 5 ـ المائدة 77

(2) 2 ـ البقرة 169

(3) 42 ـ الشورى 11

الله . وكان امام الحرمين ابو المعالي الجويني يقول : لقد جلت في مذاهب أهل الاسلام وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذى نهوا عنه ، كل ذلك في طلب الحق وتبريئا من التقليد . والآن فقد رجعت عن الكل الى كلمة الحق : عليكم بدين العجائز . فان لم يدركني الحق بلطف بره فأموت على دين العجائز ، ويختم عمرى بكلمة الاخلاص فالويل لابن الجويني . وكان يقول لأصحابه لا تشتغلوا بالكلام . فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى مـا بلغ ، مـا تشاغلت به . وكان ابن عقيل يقول لبعض أصحابه : أنا أقطع أن الصحابة رضى الله عنهم ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض . فان رضيت أن تكون مثلهم فكن . وان رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة ابى بكر وعمر فبئس ما رأيت . وقال : وقد أفضى الكلام بأهله الى الشكوك ، فكثر منهم الالحاد فشم روائح الالحاد من فلتات كلام المتكلمين ، وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع ، وطلبوا الحقائق . وليس فى قوة البشر ادراك ما عند الله من الحكمة التى انفرد بها سبحانه ولا أخرج البارى سبحانه من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور . قال : ولقد بلغت فى الأول طول عمرى ، ثم عدت القهقرى الى مذهب العجائز . وما عليه الصبيان فى الكتاب ، وانما قالوا مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا الى غاية التدقيق فى النظر ، لم

ورقة 73 وجه

يشهدوا مـا ينفى العقل من التأويلات والتعليلات . فوقفوا مـع الشرائع وجنحوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة الاهية . انتهى . وقال ابن الجوزى فى كتاب تلبيس أبليس ، على المتكلمين بعد نقل ذلك وذكر شيء من التعليلات التى يوردها أهـل الكلام ، فلو مزجوا فى ذلك العلم بايـة حكيم لأقتضت نفوسهم التسليم لـه بحسب . فعاشوا فى بحبوحة التفويض بلا اعتراض فالطريق السليم ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وتابعوهم ، من اثبات الخالق عـز وجل واثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تعيين ولا بحث عما ليس فى قوة البشر ادراكه . سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن الأهواء فقـال : عليك بدين الصبى فى الكتاب والأعرابى ، واله عما سوى ذلك .

وقال ايضا : اذا رأيت قوما يتباحثون فى دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلاله . وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله : أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدثه المحدثون بعده بما قد كفوا مؤونته . واعلم أن من سن السنن قد علم ما فى خلافها من الخطا والزلل والتعمق فان السابقين الماضين كانوا على كشف الأمور أقوى ، وما أحدث الأمر اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم . وعن سفيان الثورى أنه قال : عليكم بما عليه الجمالون والنساء فى البيوت والصبيان فى الكتاب

والاقرار والعمل . وانما قالوا ذلك لأن بلوغ ما يشفى العقل من الدليل لم يدركه من غاص من المتكلمين فى البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل . هذا حاصل كلام ابن الجوزى . وقال القرطبى هذا الشهر ستانى صاحب نهاية الأقدام فى علم الكلام وصف حاله فيما آنتهى اليه من علم الكلام وما ناله فتمثل بما قاله :

لعمـرى لقـد طفت المعاهد كلهـا	وسيرت طرفـى فـى تلـك المعالم
فلـم أر الا واضعـا كف حائـر	على ذقـن أو قارعـا سن نـادم

ثم قال عليكم بدين العجائز اسنى الجوائز . وقال غيره :

قـل لأمرىء رام ادراكـا لخالقـه	العجـز عن درك الادراك ادراك
من دان بالحيرة الغـراء فهو فتـى	لغايـة العلـم بالرحمـان دراك
وأى شخص أبـى الا تحققـه	فـان غايتـه عجـز واشـراك
فالعجزعن‌درك التحقيق‌شمس‌حجى	فرت بهـا فوق جو الشك أفلاك

ورقـة 73 ظهـر

وقال الامام فخر الدين الرازى فى وصيته التى أملاها فى مرض موته على بعض أصحابه اعلموا أنى كنت رجلا محبا للعلم ، فكنت أكتب فى كل شىء لأقف على كميته وكيفيته سواء كان حقا او باطلا ، غثا او سمينا . غير أن الذى نصرته فى الكتب المعتبرة لى أن هـذا العالم المحسوس تحت تدبير منزه عن مماثلة المتحيزات والأعراض ، موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة ، ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن العظيم . لأنـه يشفى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع من التعمق فى اراد المعارضات والمناقضات وما ذلك الا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضائق العميقة ، والمناهج الخفية . فلهذا أقول كلما ثبت بالدلائل العقلية الظاهرة من وجوب وجوده سبحانه ، ووحدته وبراءته من الشركاء فى القدم والأزلية . والتدبير والفاعلية . فلذلك هو الذى أقول به وألقا الله عز وجل به فأما ما انتهى الأمر فيه الى الغموض والدقة ، فكل ما ورد من ذلك فى القرآن العظيم والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الائمة المتعين للمعنى الواحد فهو كما هو . والذى لم يكن كذلك أقول يا اله العالمين انى أرى الخلق مطبقين . أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين . فكل ما مر به قلمى او خطر ببالى فأشهد علمك وأقول ان علمت منى أنى أردت به تحقيق باطلى او ابطال حق فافعل بى ما أنا له أهل . وان علمت منى أنى سعيت الا فى تقرير ما أعتقدت أنه الحق وقدرت أنه الصدق ، فلتكن رحمتك مع قصدى لا مع حاصلى فذلك جهد المقل وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع فى الزلة ، فأغثنى وأرحمنى واستر زلتى وامح ح (ـو) بتى يا من لا يزيد فى ملك عرفان العارفين ولا ينتقص بخطا المجرمين فأقول دينـى

متابعة محمد سيد المرسلين وكتابى هو القرآن العظيم وتعويلى فى طلب الدين عليهما ، وأنا معترف بالذلة والقصور ، والعيب والفتور . فلا تخيب رجائى واجعلنى آمنا من عذابك قبل الموت وعند الموت وبعد الموت . وسهل على سكرات الموت يا أرحم الراحمين . وأما الكتب العلمية التى صنفتها واستكبرت السؤالات فيها على المتقدمين ، فمن نظر فى شىء منها فان طابت له تلك السؤالات فليذكرنى فى صالح دعائه على سبيل التفضل والانعام ، والا فليحدث القول السيء ، فانى ما أردت به الا تكثير البحث وتشحيذ الخاطر وآعلم أيها الطالب للحق أن الخلاص الد (ر) كات منوط ، والفوز بالدرجات مربوط بمتابعة مذهب السلف الصالح رضى الله عنهم ، وهو التنزيه مع التفويض كيف لا ، والمسلمون على اختلاف أقاويلهم كل واحد

ورقة 74 وجه

منهم يزعم أنه على مذهب السلف الصالح ، رضى الله عنهم . ولذلك لم يفارق أحد الدنيا من أكابر علماء الدين وعظماء أرباب اليقين الا على هذا المذهب جعلنا الله واياكم ممن تمسك بهذا المذهب ونجا ، واستمسك بمتابعتهم فى الاعتلاق بالعروة الوثقى ، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . انتهى المقصود من وصيته رحمه الله ورضى عنه . وقال الشيخ الامام محيى الدين النووى رحمه الله فى مقدمة شرح المهذب فى أدب المفتى والمستفتى .

الثامنة عشرة قال الشيخ الامام ابو عمرو يعنى ابن الصلاح : ليس للمفتى اذ استفتى فى شىء من المسائل الكلامية أن يفتى بالتفصيل ، بل يمنع مستفتيه وسائر العامة من الخوض فى شىء من ذلك ، وان قل . ونأمرهم أن يقتصروا فيها على الايمان جملة من غير تفصيل ، ويقول فيها وفى كل ما ورد من آيات الصفات وأخبارها المتشابهات ، أن الثابت فيها فى نفس الأمر ماهو اللائق بجلائل الله تعالى وكماله وتقديسه المطلق . فيقول ذلك معتقدنا فيه ، وليس علينا تفصيله وتعيينه ، وليس البحث عنه من شأننا

بل لكل علم تفصيله الى الله ، ونصرف عن الخوض فيه قلوبنا وألسنتنا ، فهذا ونحوه هو الصواب المعهود من أئمة الفتوى فى ذلك ، وهو سبيل سلف الأمة وأئمة المذاهب المعتبرة ، وأكابر العلماء الصالحين ، وهو أصوب وأسلم للعامة أشباههم ، ومن كان منهم معتقدا اعتقادا باطلا تفصيلا غير هذا ، صرف عن ذلك الاعتقاد الباطل ما هو أهون وأيسر وأسلم . واذا عزرولى الأمر من حاد عن هذه الطريقة ، فقد تأسى بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تعزير صبيغ ، بفتح الصاد المهملة . ابن عسل الذى كان يسأل عن المتشابهات . على ذلك قال والمتكلمون من أصحابنا معترفون بصحة هذه الطريقة ، وبأنها أسلم . وكان الغزالى رحمه الله منهم فى آخر عمره ، شديد المبالغة فى الدعاء اليها والبرهنة عليها . وذكر شيخه امام الحرمين فى كتابه الغياثى : أن الامام يحرص ما أمكنه على جمع عامة الناس على سلوك

سبيل السلف فى ذلك . واستفتى الغزالى فى كلام الله فكان من جوابه : وأما الخوض فى أن كلام الله تعالى بحرف او بصوت او ليس كذلك فهو بدعة وكل من يدعو العوام الى الخوض فى هـذا فليس من أيمة الدين . وانمـا هو من المضلين ومثاله من يدعو الصبيان الذين لا يحسنون السباحة الى خوض البحر ،

ورقـة 74 ظهـر

ومن يدعو الزمن المقعد الى السفر فى البرارى من غير مركوب . وقال فى رسالة له الصواب للخلق كلهم الا الشاذ النادر الذى لا يسمع الاعصار الا بواحد منهم ، او اثنين . سلوك مسلك السلف ، الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما أنزل الله تعالى وأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير بحث ولا تفتيش ، والاشتغال بالتقوى ، ففيـه شغل شاغل . وقال الصيمرى فى كتاب أدب المفتى والمستفتى : ما اجمع عليه أهل الفتوى ان من كان موصوفا بالفتوى فى الفقه ولم ينبغ . وفى نسخة لم يجز له ان يضع خطه بفتوى من علم الكلام كالقضاء والقدر والرؤية وخلق القرآن ، وكان بعضهم لا يستتم قراءة مثل هذه الرقعة ، قال وكره بعضهم ان يقول ليس هذا من علمنا ، او ما جلسنا لهذا ، او السؤال عن غير هذا اولى ، بل لا يتعرض لشىء من ذلك وحكى الامام الحافظ ابو عمر بن عبد البر : الامتناع من الكلام فى كل ذلك عن الفقهاء والعلماء قديما وحديثا فى اهل الحديث والفتوى ، قال وانما خالف فى ذلك اهل البدع ، قال الشيخ : فان كانت الملة مما يؤمن فى تفضيل جوابها من ضرر الخوض المذكور جاز الجواب تفصيلا ، وذلك مثل ان يكون جـوابها مختتصرا مفهوما ليس له اطراف يتجاذبها المتنازعون وانسوءال عنه صادر من مسترشد خاص منقاد أو من طائفـة قليلة التنازع والمماراة ، والمفتى ممن ينقادون لفتواه ، ونحو هذا وعلى هذا ونحوه يحمل ما جاء عن بعض السلف من بعض الفتوى فى بعض المسائل الكلامية ، وذلك منهم قليل نـادر والله اعلم . انهت

وصبيغ المذكور هو صبيغ بن عسل بكسر العين وبالسين المهملتين التميمى كان يسال عن المتشابهات ، سال عليا رضى الله عنه عن المرسلات والـذاريات والنازعات ، وشبههن ، فضربه عمر رضى الله عنه مرة بعد أخرى ونفاه الى العراق وقيل الى البصرة ، قال صاحب الجواهر المنظومة فى العقائد فى شان تحريم التعمق والبحث عن مائية كل شىء . قد تحقق الدليل الشرعى :

ويحـرم التفتيش عن أيـــات ... تشابهت عـلى ذوى غـايـات

بـل يلـزم التصـديق كل مؤمن ... بـانهـا مـن كلـم المهيمـن

اطلـع مـن شـاء علـى تاويلهـا ... وصد من سـواه عن سبيلهـا

ورقـة 75 وجـه

والبحـث عـن حقيقـة الارواح ... تـأول المـاء بـلا قـداح

كذلـك التبقيـر عن سر القـدر ... محـرم علـى العقـول والفكـر

فقـل عـن اشهد سر الفـاطر ... مـن اوليـاء اللـه والاكـابـر

كـذلـك البحـث عـن القـديم ... فـى ذاتـه وملكـه العظيـم

يفتح باب الكفر والغواية وليس للرب العظيم غاية
فمرتع الالباب والافكار شواهد الايات والاثار
ومن يرد ادراك كل كائن بعقله وكل سر باطن
فقل ما يبقى على الاسلام اذ ليس فيه مسرح الافهام
فكثرة البحث من التعمق وهو سبيل الغى والتزندق
فليكتف الراغب فى التحصيل بالخبر الصادق والدليل
وكل ما يهجس فى الفؤاد من خطرات الكفر والالحاد
لا يخرج العبد عن الرشاد مارده بالعلم والجهاد

انتهى المقصود منه .

واعلم ان معنى المتشابه ما يتعارض فيه الاحتمال وقيل ما استاثر الله تعالى بعلمه ولم يطّلع عليه احدا من خلقه كما قاله الشيخ ابو اسحاق فى اللمع والبغوى فى تفسيره وغيرهما . وكذا أطلق غيرهم أنه ما آستأثر الله بعلمه . وقال الشيخ شهاب الدين السهروردى قد يطلع الله عليه بعض أصفيائه وتبعه السبكى فى جمع الجوامع . وقال ابن الزركشى يعنى من العلماء الراسخين فى العلم ، ومثله البغوى فى تفسيره بعلم الساعة وأشراطها ، كخروج الدجال ونزول عيسى ، وطلوع الشمس من مغربها ، وفناء الدنيا . استأثر الله بعلمه بلا شك ، ولا يعم ولا يتناول ما لم يطّلع عليه الأنبياء عليهم السلام . ويكون ذلك الاطلاع فى حق العالم بفهم من الكتاب او السنة . وفى حق غيره بنبوغ خيال او مثال ، او فى منام او سماع هاتف ، ونحو الموضع . ومعنى المحكم ما آتضح معناه . واعلم أنه كل ما نقم على المتكلمين من الغلو قد وجد مثله فى كلام المتصوفة . وزاد غلاتهم من الحشو والاتحاد ووحدة الوجود ما تعرفه من أثناء الكتاب . نسأل الله العصمة والتوفيق . ولنختم الباب بمقالة للشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه . قال رضى الله عنه : نودى فى معالم الآفاق وفجاج الأكوان ومعالم المصنوعات ، أن سلطان الصفات القديمة وملك النعوت العظيمة .

ورقة 75 ظهر

يريد أن يمر على مسالك العالم فى مشاهد الشواهد ، فحدقوا عقولهم . وصفوا سرائركم . وقيدوا أفكاركم . وغضوا أبصاركم . وأحصروا بلاغتكم . وكفوا مناطقكم وألسنتكم . وبرز من جناب العزة بسنى برقه مجلل بالهيبة ، مضلل بالعظمة ، متوج بالجلال ، مكلل بالجمال . آخذ بنواصى الأنوار وقاهر لمعانى الأسرار ، فتجلى فى حلل لطفه وتلطفه . ودنا بتقربه وتعرفه . له مطالع ومشارق ، ولوامع وبوارق ، وشواهد ومناطق ، ومعارف وحقائق ، وعوارف ومناشق ، يجلو مطالعه الرحمن على العرش استوى . وتسفر بشارقه ويسع كرسيه السموات والارض ، وتوضح لوامحه : يداه

(1) مبسوطتان ، وتكشف بوارقه : وهو معكم (2) اينما كنتم ، وتبدى شواهده السماوات (3) مطويات بيمينه ، وتفصح مناطقه ، والله من ورائهم محيط (4) ، وتنادى معارفه : وهو (5) السميع البصير ، وتنطق حقائقه : ليس كمثله شيء ، وتشهد عوارفه : لا تدركه الابصار وتتارج مناشقه ، قل الله ثم ذرهم (7) وظهرت معه بدائع صنائع القدم فى احسن صورة من بهجة الكمال البارزة من حريم العزة عليها من ملابس غرائب العجائب ، فطاف بها طائف من الكرم فى طرائق المكونات ، ومصون المصنوعات ومكنونات الكائنات فوقع الكل فى مهاوى البهتة ، وتاهوا فى مهامه الدهشة واذا النداء من حضرة القدس : الست (8) بربكم ؟ قالوا بلسان الذل والخضوع فى مقام الاقرار بوحدانية الالهية : بلى . واشهدهم على انفسهم لقيام الحجة : يوم (9) تشهد عليهم السنتهم فتبع الخلائق ذلك البارق . وسلكوا نحوه طرائق ، فاقتفى قوم آثاره ولم يستضيئوا هدى من علم ولا اثاره . بل حكموا العقول ومقائسها ، واتبعوا الاهوية وأبالسها فمنهم طائفة ظلوا فى تيه التمويه ووقعوا فى التجسيم والتشبيه . فأولئك الذين أهلكهم الشقاء حين ابتلى اخبارهم .

وأولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (10) . ومنهم فرقة جاروا فى أضاليل التعطيل ، ومنهم عصابة هلكوا فى أباطيل الحلول ، وأغرقوا فأدخلوا نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا (11) . والتنزيه ينادى فى صفحات الوجود : ان سلطان الصفات القديمة وملك النعوت العظيمة الى الآن فى مقر العز والجلال ، ومظل القدرة والكمال . ما

ورقة 76 وجه

انتقل الى مكان ولا تغير عما عليه كان . محتجب بجلال عزته ، فى تعالى كبريائه وعظمته . فوجم العرش من خوف البطش ، اذ جعل محلا للافتراء .

(1) 5 ـ المائدة 64
(2) 57 ـ الحديد 42
(3) 39 ـ الزمر 67
(4) 85 ـ البروج 20
(5) 42 ـ الشورى 11
(6) 42 ـ الشورى 11
(7) 6 ـ الانعام 103
(8) 7 ـ الاعراف 172
(9) 24 ـ النور 24
(10) 47 ـ محمد 23
(11) 71 ـ نوح 25

وصاح بلسان الرهبة من البعد . يا أرباب الغيبة عن الرشد . انى منذ خلقت فى دهشة الوله ووحشة التحير . لم لى من جناب الأزل بارق الرحمن على العرش استوى فانطبع فيه . ثم استوى الى السماء فبهت فيها نظرى ، وشخص اليهـا بصرى ، وطمحت اشراقات أنواره الى عالم الثرى فانتقش فى طـى مكنوناته ، فاسمد واقترب . فأنا رهين غربتى وقرين زفرتى ، لا أسمع غير الأخبار ، ولا أشهد الا الآثار ، واتبع قوم سبيل الرشاد فى اشراق أنواره ، ونصبوا الشرع أمامهم واتخذوا الحق امامهم ، وأيدوا بعساكر التوفيق جندا جندا . وسيقت اليهم ركائب التأييد وفدا وفدا ، وشموس الهداية تسرى معهم ، وعيون العناية ترعى مرتعهم وتجمعهم . اوصلهم الصدق فى اتباع الحق الى مسالك التوحيد ومعاقد التجميد ، وعلت بهـم الرتب الى مقـام الوجود وسقوط الكيف والشبه والحدود ، ووجوب التنزيه والاجلال لواجب الوجود انتهى كلامـه المشهور عنه المنقول بهـذا المثال فى كتاب مناقبه الثابتة عنه برواية الرجال محتويا على التوحيد والتنـزيه ، مصـرحا بنفـى التجسيـم والتشبيه ومفصحا بكون الحق قد تعالى عن المكان ، ولم يتغير عما عليه كان ، وناصا على ضلال من لم يتبع العلم ويأتم بالشرع . وان الشيخ رضى الله عنه ليس على عقائد الحنابله الحشوية كما توهم بعض العلماء ذلك ، وقـد نقل الشيخ اليافعى ذلك عمن لا يشك فى صدقه من اصحاب الشيخ نجم الـدين الاصفهانى عن الاصفهانى وهـو من اصحاب الشيـخ العباس المرسى الشاذلى رضى الله عنه : ولنقبض العنان ونختم الباب ونقول ربنـا لا تـزغ قلوبنا بعد ان هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب

البـاب الثانى فى ذكـر فضل اعتقـاد الأشعرى

وذكر اعيان من ايمة الاشعرية وشيء من تصانيفهم فى الرد على المخـالفين الخارجين عن الملة والداخلين فيها وذكر من خالفهم من المبتدعين والمتصـوفة الشاطحين .

اعلم ان ايمة اهل السنة لا يعدون المـذاهب الاربعة الشافعية والحنفيـة

ورقـة 76 ظهـر

والمالكية والحنبلية ، واهل الحق منهم هم :

الأشعرية ، ثم الحنفية وقدماء الحنابلة . فالأشعرية هم أئمتنا المحققون لعلم أصول الدين الجامعون فيـه بين المنقول والمعقول . وهم منسوبون الى امامهم أبـى الحسن الأشعرى المقـدم ذكـره فى البـاب الأول . وهـو عـلى ابـن اسماعيل بن أبـى بشر اسحاق بـن سالـم بـن عبـد الله

(1) 47 ـ محمد 23

(2) 71 ـ نوح 25

ابن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الصحابي رضي الله عنه . فشيخهم المذكور ، هو امام الأئمة في علم أصول الدين صاحب التصانيف الكثيرة النافعة ، في الرد على أهل الملل والملحدة والمعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة أخذ علم الكلام عن القاضي ابي على الجبائي المعتزلي ، وأقام معهم على الاعتزال نحو أربعين سنة . ثم تحير في أشياء من مذهبه . فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، وأمره بنصرة سنته ، واتباع الحديث . اذ المعتزلة يقدمون المعقول على الحديث وتكررت له الرؤية ، فاشتغل بعلم الحديث والتفسير والعلوم الشرعية . وهو معدود من الفقهاء الشافعية ممن جزم بعده منهم الامام تاج الدين السبكي ، والامام عبد الرحيم الاسنائي في طبقاته .

وقال : هو القائم بنصرة أهل السنة القامع للمعتزلة وغيرهم من المبتدعة . كان يقرأ الفقه على أبي اسحاق المروزي . والمروزي نقرأ عليه علم الكلام . وقد نقل عن الجويني أنه أحد أصحاب الشافعي . وعن غيره أنه كان منتحلا مذهب الشافعي ، وقيل مذهب مالك . ويمكن الجمع بين الوجهين ، بأنه يختار ما ترجح دليله . وصنف في نصرة السنة في الرواية والشفاعة وغير ذلك ومصنفاته تنيف على ثلاثمائة مصنف ، وثمانين مصنفا ، منها كتاب كشف الأسرار وهتك الاستار . أظهر فيه عوار المعتزلة حسبما أطلعه الله على عوارهم فكانت اقامته على مذهبهم تلك المدة زيادة علم له بفضائح مذهبه ، فتمكن من الرد عليهم على التحقيق . فهو اعدى الخلق الى المعتزلة والحنابلة الحشوية فهم يشنعون عليه وينسبون اليه الاباطيل وقد صنف الامام الحافظ ابو القاسم بن عساكر كتاب تبيين كذب المفترى فيما نسب الى ابى الحسن الاشعرى بين فيه جملا من فضائله وتصانيفه ، ورد على من انتقصه من المخالفين ، وذكر طبقات من اصحابه واصحاب اصحابه ، ومن تصانيفه كتاب الفصول في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة ، كالفلاسفة والطبائعيين والدهريين القائلين بقدم الدهر واهل التشبيه على خلاف مقالاتهم .

ورقة 77 وجه

وانواع مذاهبهم وفيه الرد على البراهمة واليهود والنصارى والمجوس وهو كتاب يشتمل على اثنى عشر كتابا .

وكذلك كتاب الموجز ، له مشتمل على اثنى عشر كتابا ايضا على حسب تنوع مقالات المخالفين من الخارجين عن الملة والداخلين فيها . ومن تصانيفه كتاب تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من اهل الافك والبهتان . قال في خطبته : اما بعد فان أهل الزيغ والتضليل ، تأولوا القرآن على آرائهم وفسروه على اهوائهم تفسيرا لم ينزل الله به سلطانا ، ولا اوضح به برهانا ،

ولا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أهـل بيتـه الطيبين ، ولا عن السلف المتقدمين من الصحابة والتابعين افتـراءا على الله قـد ظلـوا ومـا كانـوا مهتدين ، ثم قـال في اثنـاء كلامـه في شيوخهم الـذين قلدوهم فاظلوهم ومـا هـدوهم . وقـد رأيت الجبائـي الف كتابا في تفسير القرآن اوله على خلاف ما انزل الله ، وعلى لغة قريته المعروفة بجباء وليسوا من اهل اللسان الذى نزل به القرآن ، وما روى في كتابه حرفا واحدا عن المفسرين بل اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه ، ولولا انه استغوى بكتابه كثيرا من العـوام ، واستنزل عن الحـق كثيرا من الطغام ، لـم يكن للاشتغال به وجه ثم ذكر مواضع اخطا فيها الجبائي في تفسيره وبين خطاه بعون الله وتيسيره

ورد ايضا على الثلجى بالثاء المثلثة من ائمة المعتـزلة ، وقـال ، صنف في التفسير كتابا اعرب‌فيه عن تحقيق التفسير ، وبين خطاه وفساده ، وقال في ديباجة الكتاب ايضا : غرضى في هذا الكتاب الرد على من طعن في القرآن من الملحدين ، وعلى من حرف التاويل من المنتحلين لدين المسلمين والى الله ارغب في سلامة الدين وذكر ما يقتضى ان الكتاب المذكور ان نسج على منواله لم يصنف في الاسلام مثله . وذكر الحافظ ابن عساكر ايضا : ان الأشعرى المذكور الف كتابا في التفسير سماه المختزن وبلغ فيه سورة الكهف ، وقد انتهى مائة مجلد ، ولم يترك آية يتغلب بها بدعى الا ابطل تعلقه بهـا وجعله حجة لاهل الحق ، وذكر القاضى الامام ابو بكر بن العربى المالكى في كتاب العواصم والقواصم : ان ابـا الحسن الاشعرى رضى الله عنه شرح كتـاب الله تعالى في خمسمائة مجلد وسماه بالمختزن ومنه اخذ الناس كتبهم . واحتال بعض الرافضة على احراقه وهو في خزانة دار الخليفة فاحترقت الخزانة وهو فيها ولم يكن مع الناس نسخة كاملة منه غير تلك النسخة ، انتهى .

ووجدت في بعض الكتب : ان الذى سعى في احـراق الخـزانة المذكورة الصاحب بن عباد . وكان رافضيا ومن انصار المعتزلة ، وكـان يدعـوهم الى مذهب ابى هاشم بن ابى على الجبائى ولذلك صار اكثر المعتزلة على مذهب ابى هاشم والله اعلم

وفى الحديث من فضائل الاشعريين احاديث صحيحة منها في الصحيحيـن الحديث الذى فيه هم منى وانا منهم . وفى البخارى في فضائله : انهم قالـوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك لنتفقه في الدين ونسالك عن اول هذا الأمر كيف كان . قال : كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض ،

قال الامام ابو بكر احمد البيهقى : وفى سوءالهم دليل على ان الكـلام في علم اصول الدين وحدث العالم مراث لاولادهم على اجدادهم ، وقوله كان الله ولم يكن شيء غيره . اى لا الماء ولا العرش ولا غيرهما جميع ذلك غير الله ،

وقوله وكان عرشه على الماء ، يعنى خلق الماء وخلق العرش على الماء .
ثم كتب فى الذكر كل شىء انتهى كلام البيهقى ، رحمه الله . وذكر غيره أن النبىء صلى الله عليه وسلم قال : لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وقد وضع يده الكريمة على كتفه قل : لا حول ولا قوة الا بالله . فقال : لا حول ولا قوة الا بالله . فقال النبىء صلى الله عليه وسلم : قد أتيت كنزا من كنوز الجنة . قال أهل العلم الكنز ما يبقى صاحبه . ففهم من هذا الحديث الاشارة الى ما خرج من ظهر أبى موسى رضى الله عنه ، وهو الامام ابو الحسن الأشعرى رضى الله عنـه . فذب الفرق الضالة عن القدح فى هـذه الكلمة . لأن الجبرى يقول : لا حول لى عن المعصية الى الطاعـة . والقدرى يقول قولكم الا بالله ، استثنيتم القوة بعد النفى ففيه اثبات قوة العبد ، ثم تقولون بقدر الله . وأنا لا أدين بذلك . فما آمن بالكلمة على حقيقتها . وعضدها بالبرهان الا ابو الحسن الأشعرى رضى الله عنـه . وما قال بقوله من الكسب ، لا جبرى ولا قدرى . وقد أفرد البيهقى فى رسالته فصلا فى الثناء على الأشعرى ، وبيان عقيدته . وانها عقيدة السلف من أهل السنة . قال ابو الوليد الباجى : قد ناظر ابن عمر منكرى القدر ، واحتج بالحديث . وناظر ابن عباس الخوارج ، وناظر عمر بن عبد العزيز وربيعة الرأى غيلان القدرى فى القدر . والشافعى حفصا الفرد وكان يسميه المنفرد . وناظر القدرية كثير من الأئمة . وألف فيه مالك قبل أن يخلق الأشعرى . وانما بين الأشعرى ومن بعده من أصحابه مناهجهم ، ووسع أطناب الاصول التى أصلوها ، فنسب المذهب اليه لذلك ، كما ينسب

ورقـة 87 وجـه

الفقه على رأى أهـل المدينة الى مالك ، ورأى الكوفيين الى ابى حنيفة ، لما كان هو الذى صحح من أقوالهم ما رضى به الناس . وجماهير أهل السنـة ، من الحنفيـة والمالكية والشافعية من أصحاب الأشعرى ، الذين لا يذهبون فى التعطيل مذهب المعتزلة ، ولا يسلكون فى التجسيم مذهب المجسمة ، كما ذكره البيهقى فى رسالته المرضية ، فى مكاتبته الى العميد وزير السلطان ابن ميكائل ، لما نظر المعتزلة على الأشعرية ، وكان العميد من رؤوس الروافض . قال البيهقى : وفضائل أبى الحسن الأشعرى أكثر من ان يمكن ذكرها فى هذه الرسالة . وقال ابو القاسم القشيرى فى رسالته الى العميد ايضا فى وصف الأشعرى : انه امام أهل الدين وسراج ذوى اليقين . محيى السنة ، وقـامع البدعة ، وناصر الحق ، وناصح الخلق . الذكى الرضى ابو الحسن الأشعرى ، قدس الله روحه ، وسقى بماء الرحمة ضريحه ، وهو الذى ذب عن الدين بأوضح حجج ، وسلك فى قمع المعتزلة وسائر المبتدعة أبين نهج . واستنفد وسعه فى التصفح عن الحق ، وأورث المسلمين بعد وفاته كتبه الشاهدة بالصدق . انتهى المقصود منها . وذكر الامام ابو القاسم بن عساكر أنه رأى مشطورا بخط الامـام أبى القاسم

القشيرى قال : وأنا أعرف الخط فيه . بسم الله الرحمان الرحيم . اتفق أصحاب الحديث على أن ابا الحسن الأشعرى على بن اسماعيل كان اماما من أئمة اصحاب الحديث . ومذهبه مذهب اصحاب الحديث . تكلم فى أصول الديانات . على طريقة أهل السنة . ورد على المخالفين من أهل البدعة . وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعة والخارجين عن الملة سيفا مسلولا . ومن طعن فيه او قدح فيه او سبه او لعنه ، فقد بسط لسان السوء فى جميع أهل السنة . بذلنا خطوطنا بذلك طائعين فى هذا الذكر من ذى القعدة من سنة ست وثلاثين واربعمائة . والأمر على هذه الجملة المذكورة . وكتبه عبد الكريم بن هوازن القشيرى . وفيه بخط أبى عبد الله الخبازى المقرىء كذلك . يعرفه محمد بن على الخبازى ، وهذا خطه وبخط الامام ابى محمد الجوينى . الأمر على هذه الجملة وكتبه محمد بن نصر الشاشى بخطه وذكر الحافظ ابو القاسم خطوط جماعة من الأيمة قريبا من عشرين ، منهم : ابو الفتح الهروى ، وابو عثمان الصابونى والشريف البكرى . وقاضى القضاة

ورقة 78 ظهر

الدمغانى والامام ابوبكر محمد بن احمد الشاشى وكذلك الشيخ ابو اسحاق الشيرازى خطه فيها ايضا . وله جواب آخر فيمن خالف الأشعرية واعتقد تبديعهم او سبهم . وصورة الجواب وبالله التوفيق .

ان الأشعرية هم أعيان أهل السنة ونصار الشريعة انتصبوا للرد على المبتدعة من الرافضة وغيرهم . فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة . واذا رفع أمر من يفعل ذلك الى الناظر فى أمور المسلمين وجب عليه تأديبه بما يردع به كل أحد . وكتب ابراهيم بن على الفيروزآبادى . وبعده : جوابى مثله . وكتب محمد بن احمد الشاشى ، ومعه جواب القاضى الدمغانى واصحاب الحديث . ومن أصحاب الأشعرى الآخذين عنه الامام ابو الحسن الباهلى . كان من الأئمة النظار . وغلب عليه الاشتغال بالله والاحتجاب عن الخلق ، حتى عن الطلبة . فكان يقرئهم من خلف حجاب . وهو شيخ القاضى ابى بكر الباقلانى الأشعرى اعتقادا المالكى منهبا . والاستاذ ابى اسحاق الاسفرايينى . والاستاذ ابى بكر بن فورك ، وهؤلاء الثلاثة من اعيان الائمة الأشعرية . ومن اصحاب الأشعرى ايضا . الشيخ العارف بالله المحقق فى الأصول ابو الحسين بدار الشيرازى الصوفى ، وهو خادم ابى الحسن الأشعرى . ومنهم الامام ابوبكر القفال الشاشى ، والامام ابو سهل الصعلوكى . والشيخ ابو زيد المروزى ، وابو عبد الله محمد بن حفيف الصوفى شيخ المشائخ . والامام المحدث ابو بكر الاسماعيلى ، والامام ابو الحسن عبد العزيز بن محمد الطبرى . وابو منصور محمد بن عبد الله بن (   ) النيسابورى الصوفى والامام ابو الحسين بن سمعون الصوفى المنطق ، والحكم والمعارف .

قال ابو عبد الرحمان السلمى : له لسان عال فى علوم التصوف ولا ينتمى الى استاذ . وزاهر بن احمد السرخسى وغيرهم . ومن اصحاب اصحابه الأئمة

الثلاثة الباقلاني والاسفرايني وابن فورك المتقدم ذكرهم ، والشيخ ابو علي الدقاق وصاحبه (شيخ) الاسلام ابو القاسم القشيري ، وولده الامام ابو نصر القشيري والشيخ ابو محمد الجويني ، وولده امام الحرمين . وصاحبه الغزالي ، والشيخ ابو اسحاق الشيرازي . والحاكم ابو عبد الله صاحب المستدرك على الصحيحين ، والامام القاضي ناصر الدين ابو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي ، الفقيه المفسر وغيرهم ، ممن يكثر تعدادهم . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر تراجم نحو ثمانين اماما منهم وقال : من لم اذكره منهم اكثر ممن

ورقة 79 وجه

ذكرت . والمقصود اظهار فضله بفضل اصحابه انتهى .

وزاد اليافعي في كتابه الشاس المعلم ، الذي اختصره من كتاب ابن عساكر تكملة المائة . واختصرت أنا كتاب الشاس ايضا وزدت فيه الفاظا من الأصل ، والمذكورون فيه من متأخري الأئمة . منهم القاضي عياض المالكي ، وابو القاسم بن عساكر ، والشيخ عبد القادر الجيلي ، والشيخ ابو النجيب السهروردي ، وابن أخيه شهاب الدين السهروردي ، والامام فخر الدين الرازي . وسيف الدين الآمدي ، وابن يونس الموصلي والد شارح التنبيه . والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وتلميذه تقي الدين بن دقيق العيد ، ورفيقه محيي الدين النووي . ونجم الدين بن الرفعة ، ونجم الدين القمولي ، وتقي الدين السبكي ، وولده تاج الدين صاحب جمع الجوامع ، والشيخ الكبير ابو عبد الله القرشي ، والشيخ الكبير الشهير ابو الحسن الشاذلي ، وعامة أتباعه أئمة أشعرية ، منهم ابو سليمان صاحب العقيدة التي ذكرناها في أواخر العقائد في الباب الأول . ومن متأخريهم الشيخ الامام ناصر الدين بن بنت الميلق الشاذلي ، له تصانيف نافعة كثيرة ، وعقائد حسان . وله رد بليغ على اليهود والنصارى ، وعلى الحيلولة والاتحادية كابن عربي وأتباعه . ذكره في كتابه موارد ذوي الاختصاص الى مقاصد سورة الاخلاص . وستأتي حكاية كلامه في الباب الرابع ان شاء الله تعالى . وقد تقدم ذكر عقائدهم ، وقد قال بعض المطلعين المحققين ، لم يكن لأحد من المبتدعة في علوم التصوف حظ ، بل حرموا ما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة . وذكر ابو عبد الرحمان السلمي من مشائخ الصوفية قريبا من ألف شيخ . ولم يوجد في جملتهم قط من ينتسب الى شيء من بدع القدرية والروافض والخوارج وذلك من عناية الله تعالى بالقوم . انتهى . ولكن ، قد تلبس بزي الصوفية رجال من المبتدعة والفلاسفة ، وانتسبوا الى الصوفية ليكتسبوا حسن الظن بهم من الناس . كابن عربي وأتباعه وغيرهم ، وظهر على أيديهم شيء من خرق العادات ، وهو مكرمهم واستدراج من الله تعالى كما سيأتي عن السهروردي والله أعلم . وعلى الجملة الأولى بالأمر كما قاله الامام الغزالي : ان منهاج العابدين ما زلنا أعزة . ما دمنا على منهاج أيمتنا ، يخرج من معابدنا ومدارسنا كل خير . اما امام في العلم كالأستاذ ابي اسحاق

وابى حامـد وابـى الطيب . وابـن فورك . وسبحان الامـام . ومثالهم من السادة . واما صديق فى العبادة كابى اسحاق الشيرازى . وابى سعيد

ورقـة 79 ظهـر

الصوفى . ونصر المقدسى ، وغيرهم ممن فاق الأمة علما وزهدا . انتهى كلامه رضى الله عنه . وكل هؤلاء الأيمة المذكورون ، لهم تصانيف نافعة . ورد على أهل البدع ، واما من لم يكن له تصنيف ولا رد على المبتدعة ، فلم يذكره فى هذه الجملة ، فان العلماء ثلاثة أصناف كما نقله الغزالى فى الاملاء على كشف مشكل الاحياء . فقال : قال بعض علمائنا العلماء ثلاثـة أصناف . حجة ، وحجاج ، ومحجوج . فالحجة والحجاج عالمان بالله . وبأمـر الله . وعلامتهما الخشية لله ، والزهد فى الدنيا . والايثار لله تعالى . لكن الحجة ، محفوظ من المراء والجلال والخصومات ، فهو حبر على صراط الله المستقيم . والحجاج مدفوع الى اقامـة الحجة ، واطفاء نار البدعة ، قد اخرص المتكلمين وافحم المتخرصين ، برهانه ساطع ، وبيانه قاطع ، قد حمى به الدين ، فهو ربانى عليم . على صراط الله المستقيم . والمحجوج ، عالم بالله وبأمره وأيامه . ولكنه فقد الخشية لله برؤيته لنفسه ، وحجته عن الورع والزهد ، الرغبة والحرص وبعده من بركات القرب محبته للعلو ، والشرف ، وخوف السقوط والفقر فهو عبد لعبيد الدنيا . خادم لخدمها ، مفتون بعد علمه ، مغتر بعد معرفته مجذول بعد بصيرته . نسأل الله العافية ، شأنه الاحتقار لنعم الله . والازدراء بأولياء الله . والاستخفاف بالجهال من عباده . فخره بلقاء أميره ، وصلة سلطانه ، وطاعة القاضى والوزير والحاجب له . قد أهلك نفسه حين لم ينتفع بعلمه ، وأهلك الجهال والمقتدين بـه ، فمثله كمثل الكلب . كما قال الله تعالى فى مثله . قال الغزالى رحمه الله وليعلم ان الصنفين الأولين من العلماء قد ذهبوا ، وان كان بقى منهم أحد فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالمخاطبة (شعر) :

غاب الذين اذا ما حدثوا صدقوا وظنوهم بيقـين ان هـم حـدسوا

نعم ، وعدم الصنف الثالث على عزته ، وأعز شىء على وجه الأرض غالبا ما يقع عليه بالحقيقة اسم علم عند شخص مشهور . به . وانما الموجود اليوم من يسمى عالمـا مجازا ( ) يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا . أخذان عوائد السوء ، وعنهم يرد عيب العلوم اللدنية ، والغض من العلماء العارفين ، وانتقاص أهل الارادة والدين . انتهى . وهـذا الكلام يقتضى فقد العلماء المحمدين ، ويأبى ذلك حفظ الله لدينه بالعلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، ولا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق . بـل الأصناف الثلاثـة موجودون ، وان كان الأولان منهم دون الأولين من علماء السلف فى العلم

ورقـة 80 وجـه

والعمل ، فالحجة منهم متمسك بالكتاب والسنة ، وآثار السلف الصالحين .

يكره البدع والمعاصى وأهلها ، وليس له بسطة فى الـرد عليهم ، والثانى كذلك وله بسطة فى اقامة حجج الدين . والرد على المبتدعين ، والصنف الثالث من يسمى عالما مجازا ، حصل شيئا من العلوم اللسانية والعقلية ، وزهد فى العلوم الشرعية ، وربما انتهى الى الصوفية مع بعدهم عن أوصافهم الرضية . وربما ابتلى بعقدة فاسدة وعمل فى بدعة وانتقاص علماء الشريعة . فهـو يفتخر عليهم عند الظلمة وارباب الدنيا ، ولا شك ان واحدا من هؤلاء المتمسكين بالشريعة خير من ملا الأرض من أولئك المبتدعين . فالمتمسكون هم من حفاظ الدين وان قل عملهم ، وفيهم ورد الخبر أن المتمسك بدينه منهم له أجر خمسين من الصدر الأول ، لعدم من يعاونهم على الخير .

واعلم أن أول المبتدعـة الذين انتصب العلماء للرد عليهم الخوارج . قـال الخطابى ، فى آخر كتاب شعار الدين : كان أول من فارق الجماعة وشق العصى من هذه الأمة الخوارج ثم تلاهم فى الاسراج القدرية كمعبد الجهنى وأتباعه . ثم ظهرت الروافض وكانوا شيعة لا روافض . قال فهذه أصول الفرق وأوائل البدع . ثم تشعبت فصارت كل فرقة منهم فرقا . وذكر كثير من الأئمة : أن أصول المبتدعة أربـع فرق وهم : الخوارج والمعتزلة والمرجئة والشيعة . وكل فرقـة منهم افترقت ثمانى عشرة فرقـة ، وذلـك اثنتـان وسبعون فرقة غير الشواذ . وقد ذكر اليافعى فى كتابه المرهم هذه الفرق كلهـا . واختصرت من المرهم عـدة فرق مع ذكر شيوخهم ، وبعض مصنفاتهم ، فى كراسة سميتها اللمعة المقنعة فى ذكر المبتدعة . والفرقة الثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة وذلك حسب ما ورد فى الحديث فى صحيح البخارى وفى رواية الترمذى . وغيره : ستفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة . هذه الرواية المعروفة فى روايات هذا الحديث كما قاله زين الدين العراقى . وروى على أوجه أخرى لا تصح . والواحدة الناجية هى المتمسكة بالاسلام وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما فسره فى الحديث . ولفظ الترمذى سنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبىء صلى الله عليه وسلم قال : ليأتين على أمتى ما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل ، حتى ان كان فيهم من يزانى أمه علانية ، لكان فى أمتى من يصنع ذلك . وان بنى اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على

ورقـة 80 ظهـر

ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار الا ملة واحدة . قالوا من هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابى . انتهى . وهذا لفظ حديث الترمذى فيه . قالوا : من هى ؟ قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى . قال بعض الأئمة فان حملنا قولهم من هى على معنى ما هى . تطابق السؤال والجواب . وكان المراد بالملة أهل الملة . كقوله تعالى : واسال القرية (1) . ونظائره . والا فالمراد من هى الفرقة الناجية . مصدرا من قوله صلى الله عليه وسلم : ستفترق أمتى .

(1) 12 ـ يوسف 82

وقوله : ما أنـا عليه وأصحابى أى صفتهم الاتباع لما أنـا عليه واصحابى .
انتهى . وستأتى رواية الحديث فى آخر الكتاب بلفظ كتاب الشفا للقاضى عياض رحمه الله ، وهو نحو هذه الرواية : الا أن فيه : قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الذى أنا عليه اليوم وأصحابى . وأصل الحديث فى البخارى لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، الى آخره . وله رواية أخرى نحو هـذه من غير حصر لعدد الفرق ، فمعظم خلافات علم الكلام مع الفرق الاسلامية . أما غيرهم كاليهود والنصارى والمجوس فوضوح كفرهم قد أغنى عن جدالهم . وان كانـوا أى علماء الاسلام قد تبرعوا بالـرد عليهم لأن من علمائهم من لـه علـم بالجدل والمنطق والفلسفة . فصنف وأورد على أهـل الاسلام اشكالات فى النبوات والشرائع فـرد عليهم علماء الاسلام أبلغ رد وأزاحوا جميع شبههم ، أو وفقهم الله للاسلام .
وأما فرق الاسلام ، فاول فرقـة منهم الخوارج كما تقدم . وهم أول من فارق الجماعة وشق العصى من هذه الأمة على أمير المؤمنين على رضى الله عنه .
ثم تلاهم فى الاسراع القدرية كمعبد الجهمى وأتباعه . ثم ظهرت الروافض .
وكانوا شيعة ، لا روافض . ثم ظهرت المعتزلة . وهم الذين أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرى عليه الصحابة رضى الله عنهم فى باب العقائد ، ورئيسهم واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصرى ، يقـرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ويثبت المنزلة بين المنزلتين ، مخالفا للحسن البصرى والجماعة . فقال الحسن قد اعتزلوا عنا فسموا معتزلة . وهم سموا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد ، لقولهم بوجوب ثواب المطيع ووجوب عقـاب العاصى ، لتحصيل العـدل ولقولهم بنفـى الصفات القديمة لتحصيل التوحيد بزعمهم . ثم انهم توغلوا فى علم الكلام وتشبثوا بأذيال الفلاسفة فى كثير من الأصول . وكان ابو الحسن الأشعرى على مذهبهم . ثم حصلت بينـه وبين الجبائى مناظرة مشهودة ، اقتضت عنده فساد مذهبهم فتركه الأشعرى ،

ورقـة 81 وجـه

ثم اشتغل هو ومن معه بابطال رأى المعتزلة ، واثبات مـا ورد بـه القرآن والسنة ، ومضى عليه الصحابة والتابعون ، فسموا أهل السنة والجماعة .
فعلم أصول الدين هـو أشرف العلوم لكون معلوماته العقائد الاسلامية ، والمعارف الربانية . وغايته الفـوز بالسعادات الدينية والدنيوية وبراهينه الحجج القطعية المؤيد أكبرها بالدلائل السمعية . قال التفتزانى : وما نقل عن السلف من الطعن فيه ، والمنع منـه ، فانما هو للمتعصب على الدين ، القاصر عن تحصيل اليقين . ولنقاصد افساد عقائد المسلمين والخائض فيما لا يفتقر اليه من غوامض المتفلسفين ، والا كيف يمنع مما هو أصل الواجبات ، وأساس المشروعات . انتهى . ونحـوه فى شرح منهاج البيضاوى للتاج السبكى . وقال الحليمى فى المنهاج : ما نقل عن السلف من النهى عن الخوض فى مسائل الكلام . فلمـا ذكرناه من الاكتفاء فى أصل الايمان بمعجزات

الرسل عليهم السلام ، وتخوفهم على من يضعف فهمه من الارتباك فى بعض ضلالات الملحدين ، وشبه الصالحين . لا لأن علم الكلام فى نفسه مذموما . كيف وهو علم يتوصل الى معرفة الله عز وجل وصفاته ، ورسله . والفرق بين النبيء والمتنبى وغير ذلك ، من العقائد الاسلامية انتهى .

والمعتزلة . هم القائلون بخلق القرآن ، وبنفى الصفات والرؤية والشفاعة وغير ذلك . ومذاهبهم مقدرة فى كتب أصحابنا الأصوليين . وأما الحنفية . فقد تقدم ذكر المسائل التى خالفوا فيها . وأما الحنابلة والحشوية . فالخلاف بينهم وبين الأشعرية فى الحرف والصوت والجهـة والاستواء وقبائح من التشبيه والتجسيم . فهم يثبتون ذلك وينسبونه الى الامام أحمد بن حنبل . والأشعرية ينفون عنه ذلك كله . وينزهون الله تعالى عن الجهة والحرف والصوت والتشبيه . ويقطعون ببراءة الامام احمد مما نسبوه اليه من ذلك . ويروون عنه انكاره لذلك بأسانيد صحيحة . ذكرها البيهقى وغيره . قال ابو حفص بن شاهير ، وهو من المحدثين : من أقران الدارقطنى رجلان صالحان بليا بأصحاب سوء . جعفر بن محمد وأحمد بن حنبل . انتهى . وأراد جعفر بن محمد الباقر . أحد أئمة أهل البيت رضى الله عنهم اجمعين . وممن نسب تلك القبائح الى احمد بن حنبل أحمد بن جعفر الأصطخرى فى رسالته الخرافة الموضوعة . وزكرياء بن يحيى الساجى . وكذبهما الأئمة . ذكره الذهبى . وقد نقـل ابن عساكر نص اعتقاد الأشعرى من كتابه الابانة ، وهو اعتقاد شديد سالم من التعطيل والتشبيه والزيغ والالحاد ، جامع بين المنقول والمعقول متوسط بين الافراط والتفريط . وقد تقدم نقله . قال ابن عساكر : فتأملوا رحمكم الله اعتقاده مـا أوضحه وأبينه . واعترفوا بفضل هذا الامام الذى شرحه

ورقـة 81 ظهـر

وبينـه . وانظروا سهولة لفظـه مـا أفصحه وأحسنه . وكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . واسمعوا وصف أبى الحسن لأحمد بن حنبل بالفضل ، لتعلموا أنهما كانا فى الاعتقاد متفقين . وفى أصول الديانات ومذهب أهل السنة غير مفترقين . قال : ولم تزل الحنابلة ببغداد فى قديم الدهر تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع ، لأنهم المتكلمون من أهل الاثبات. فمن تكلم منهم فى الرد على مبتدع ، فبلسان الأشعرية يتكلم . فلم يزالوا كذلك حتى حدث الاختلاف فى زمان ابى نصر القشيرى فى وزارة النظام . ولم تزل فى الحنابلة طائفة تغلو فى التشبيه وتدخل فى ما لا يعنيها حبا للخفوق فى الفتنة . ولا عار على أحمد بن حنبل من صنيعهم . فلم يتفق على ذلك رأى جميعهم . انتهى .

وللأشعرى رضى الله عنه مصنفات ، تنيف على ثلاثمائة وثمانين مصنفا . كما تقدم . وقد صنف الأئمة من أصحاب الشافعى وغيره كتبا كثيرة على وفق مذهبه ، ومـا استقر عليه رأيـه . قـال الامام ابو الموفق مسعود بن شجاع الملقب بالبرهان . المعروف بقاضى العسكر من أئمة الحنفية ، وكتابه

الموجز الكبير يأتى على عامة ما فى كتبه ، وبعض أصحابنا من أهل السنة خطأ الأشعرى فى بعض المسائل مثل قوله التكوين والمكون واحد ، وغير ذلك مما لا يكسب أبا الحسن تشنيعا ولا تبديعا . وأما طعن أبى على الحسن بن على بن ابراهيم الأهوازى المقرىء الدمشقى فيه ، فلا يعرج عليه لبيب ولا يسمعه متدين ، بل ينفر من ترجمة كتابه ، اذ هو كاذب فيما أتى به ، مع أنه كان عارفا بالقراءات ، لكنه أكثر فيها من الروايات . وقد كذبه جماعة من أئمة القراءات فى بعض ما يرويه . وقد ذكر الأهوازى المذكور للحافظ اللالكائى ببغداد قال : لو سلم من الروايات فى القراءات .

وأما علم اللغة فكان عريا منه ، خاليا عن علم العربية . وكلما صنفه فى الحديث يستحق عند أهل المعرفة به المحو ، وكان يجمع من الأحاديث ما يقوى بظاهره مذهبه الخبيث ، فانه كان فى اعتقاده سالما مشبها حشويا مجسما . ومن وقف على كتابه الذى سماه كتاب البيان فى شرح عقود أهل الايمان الذى صنفه فى أحاديث الصفات ، وأطلع على ما فيه من الآفات ، ورأى ما فيه من الأحاديث الموضوعة ، والمعانى المتنافية ، كحديث ركوب الجمل وعزق الخيل . قضى عليه فى اعتقاده بالويل . قال الحافظ ابو القاسم بن عساكر وبعض هذا ، الكتاب موجود بدمشق ، بخط يده فمن أراد الوقوف عليه فليقف ، ليتحقق سوء معتقده . فأما المعرفة بعلم التفسير والتأويل فما يرجع الأهوازى منها الى كثير ولا قليل . ثم روى الحافظ بن عساكر بأسانيده

ورقة 82 وجه

الصحيحة تكذيبه ووسمه بالكذب عن جماعة من العلماء ، وظهر له تصانيف زعموا أنه كذب فيها وكانت وفاته فى ذى الحجة من سنة ست واربعين واربعمائة .

وفضائل الامام ابى الحسن الأشعرى مشهورة ، وطريقته فى أصول الدين بكثرة الاتباع معمورة ، وتصانيفه فى نصرة السنة ورد البدع كثيرة . وقطعه لأصحاب البدع متحقق عند كل ذى بصيرة . قال الحافظ ابو القاسم بن عساكر : فكانت هذه صفة الشيخ أبى الحسن عند ظهور البدع ، ووقوع الفتن . فعلم الناس معانى دينهم وأوضح الحجج لتقوية يقينهم ، وأمرهم بالمعروف فيما يجب اعتقاده من تنزيه الله عن مشابهة مخلوقاته . وبين لهم ما يجوز اطلاقه عليه عز وجل من أسمائه الحسنى وصفاته . ونهاهم عن المنكر من تشبيه صفات المحدثين وذواتهم بأوصافه او ذاته . وكانت طاعته فيما أمر به من التوحيد مقربة للمقتدى به الى مرضاته . لأنه كان فى عصره أعلم الخلق بما يجوز أن يطلق فى وصف الحق ، فأظهر فى مصنفات ما كان عنده من علمه . فهدى الله به من وفقه من خلقه لفهمه . ووصفه المتقدم لأحمد بن حنبل دليل على اتفاقهما فى العقيدة . وأن أحمد رضى الله عنه برىء مما نسب الحنابلة اليه من قدم لفظ القارىء . فقد روى الامام ابو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات ، عن ابى عبد الله الحافظ يعنى الحاكم . وابى سعيد بن ابى عمرو قالا : حدثنا ابو العباس

محمد بن يعقوب ، قال : سمعت ابابكر محمد بن اسحاق يقول : سمعت أبا محمد فوران يقول (جلس) صالح بن أحمد وابو بكر المروروذى عندى فدعانى الى ابى عبد الله ، وقال : انه قد بلغ الى ان ابا طالب قد حكى عنه انه يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق . فقوموا اليه . فقمت واتبعنى صالح وابو بكر فدار صالح من بابه ، فدخلنا على ابى عبد الله ووافانا صالح من بابه فاذا ابو عبد الله غضبان شديد الغضب يتبين الغضب من وجهه . فقال : يا ابا بكر اذهب جيء بابى طالب . فجاء ابو طالب ، وجعلت أسكن ابا عبد الله قبل مجيء ابى طالب وأقول له : حرمه . فقعد بين يديه وهو يرعد متغير الوجه . فقال له ابو عبد الله : حكيت عنى أنى قلت لفظى بالقرآن غير مخلوق . قال : انما حكيت عن نفسى . فقال لا تحك لا تحك هذا عنك ولا عنى فما سمعت عالما يقول هذا . وقال : القرآن كلام الله غير مخلوق . حيث تصرف فقلت لأبى طالب وابو عبد الله يسمع ان كنت حكيت هذا لأحد فاذهب حتى تخبره أن أبا عبد الله قد نهى عن هذا .

قال الامام محمد بن ابى زيد المالكى فى رده على على بن احمد بن اسماعيل البغدادى المعتزلى . لما شنع على الأشعرى فى مسألة اللفظ ما لفظه : والقارىء اذا تلا

ورقة 82 ظهر

كتاب الله ولو جاز ان يقال أن كلام الله على الحقيقة لفسد هذا ، لأن كلام القارىء محدث ، ويفنى كلامه ويزول ، وكلام الله تعالى ليس بمحدث ولا يفنى كلامه ولا يزول ، وكلام الله تعالى ليس بمحدث ولا يفنى وهو صفة من صفاته ، وصفته لا تكون صفة لغيره وهذا قول محمد بن اسماعيل البخارى وداود الأصبهانى وغيرهما ، ممن تكلم فى هذا . وكلام محمد بن سحنون امام المغرب . وكلام سعيد بن محمد بن الحداد ، وكان من المتكلمين من أهل السنة ، وممن يرد على الجهمية ثم ذكر حكاية أحمد بن حنبل مع أبى طالب . ثم قال : وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقتدى به ، وقد أنكر هذا وما أنكره ابو عبد الله أنكرناه . ثم قال فى وصف أبى الحسن الأشعرى : انه رجل مشهور بالرد على أهل البدع ، وعلى القدرية والجهمية ، متمسك بالسنن مع قول من قاله معه من البخارى وغيره ولانعتقد أنا نقلد فى معنى التوحيد والاعتقادات الأشعرى خاصة . واذا رأينا من أقاويله شيئا ينفرد به ، تركناه ، ولا نهجم بتبديعه . قال الاستاذ الامام أبو بكر بن فورك رحمه الله : انتقل الشيخ أبو الحسن الأشعرى رحمه الله من مذاهب المعتزلة الى نصرة مذاهب أهل السنة والجماعة بالحجج العقلية . وصنف فى ذلك تصانيفه وانتشرت بعد الثلاثمائة ، وبقى الى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، قال الحافظ بن عساكر : وقد ذكر فى كتابه الذى سماه العمد . او قال المعتمد فى الرؤية . أكثر أسامى كتبه فمن ذلك أنه صنف كتابا سماه الفصول فى الرد على الملحدين والخارجين عن الملة كالفلاسفة والطبيعيين والدهريين،

وأهل التشبيه والقائلين بقدم الدهر ،على اختلاف مقالاتهم وأنواع مذاهبهم . ثم رد فيه على البراهمة واليهود والنصارى والمجوس . وهو كتاب يشتمل على اثنى عشر كتابا . اوله كتاب اثبات النظر وحجة العقل ، والرد على من أنكر ذلك . ثم ذكر علل الملحدين والدهريين مما احتجوا بها فى قدم العالم ، وتكلم عليها واستوفى ما ذكره ابن الراوندى فى كتابه المعروف بكتاب التاج . وهو الذى نصر فيه القول بقدم العالم ، **وذكر بعده الكتاب الذى سماه الموجز .** ويشتمل على اثنى عشر كتابا على حسب تنوع مقالات المخالفين من الخارجين عن الملة والداخلين فيها ، وآخره كتاب الامامة تكلم فى اثبات امامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأبطل قول من قال بالنص ، وأنه لا بد من امام معصوم فى كل عصر . قال الشيخ أبو الحسن فى كتاب العمد وألفنا كتابا فى خلق الأعمال نقضنا فيه اعتلالات المعتزلة والقدرية فى خلق الأعمال . وكشفنا عن تمويههم فى ذلك . قال وألفنا كتابا كبيرا فى الاستطاعة على المعتزلة نقضنا فيه

ورقة 83 وجـــه

استدلالاتهم على أنها قبل الفعل ، ومسائلهم وجواباتهم . وألفنا كتابا كبيرا فى الصفات ، تكلمنا فيه على أصناف المعتزلة والجهمية والمخالفين لنا فيها . فى نفيهم علم الله ، وقدرته . وسائر صفاته . وعلى أبى الهذيل ومعمر والنظام والفوطى ، وعلى من قال بحدث العلم وفى فنون كثيرة من فنون الصفات فى اثبات الوجه لله تعالى واليدين . وفى استوائه على العرش ، وعلى الناشىء فى مذهبه فى الأسماء والصفات . قال وألفنا كتابا كبيرا ذكرنا فيه اختلاف الناس فى الأسماء والأحكام ، والخاص والعام . قال وألفنا كتابا فى الرد على المجسمة . وألفنا كتابا آخر فى الجسم . نرى أن المعتزلة لا يمكنهم أن يجيبوا عن مسائل الجسمية ، كما يمكننا ذلك ، وبينا لروح مسائل الجسمية على أصولهم . قال وألفنا كتابا آخر فى الجسم . نرى أن المعتزلة لا يمكنهم أن يجيبوا عن مسائل جعلناه مدخلا الى الموجز . تكلمنا فيه على الفنون التى تكلمنا فيها فى الموجز ، وألفنا كتابا لطيفا سميناه كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع . وألفنا كتابا سميناه اللمع الكبير جعلناه مدخلا الى ايضاح البرهان . وألفنا اللمع الصغير جعلناه مدخلا الى اللمع الكبير . وألفنا كتابا سميناه كتاب الشرح والتفصيل فى الرد على أهل الافك والتضليل ، جعلناه للمبتدئين . ومقدمة ينظر فيها قبل كتاب اللمع ، وهو كتاب يصلح للمتعلمين . وألفنا كتابا مختصرا جعلناه مدخلا الى الشرح والتفصيل . قال : وألفنا كتابا كبيرا انقضنا فيه الكتاب المعروف بالأصول ، على محمد بن عبد الوهاب الجبائى ، كشفنا عن تمويهه فى سائر الأبواب التى تكلم فيها من أصول المعتزلة من الحجاج فى ذلك بما لم يأت به . ونقضناه بحجج الله الزاهرة وبراهينه الباهرة ، يأتى كلامنا عليه فى نقضه على جميع مسائل

المعتزلة واجوبتها فى الفنون التى خلفنا نحن وهم فيها ، قال : وألفنا كتابا كبيرا نقضنا فيه الكتاب المعروف بنقض تأويل الأدلة على الثلجى فى أصول المعتزلة . وأبنا عن شبهه التى أوردها بأدلة الله ، الواضحة ، وأعلامه اللائحة ، وضممنا الى ذلك نقض ما ذكره من الكلام فى الصفات فى عيون المسائل والجوابات . وألفنا كتابا فى مقالات المسلمين يستوعب جميع خلافاتهم . وألفنا كتابا فى جمل مقالات الملحدين وجمل أقاويل الموحدين سميناه كتاب جمل المقالات ، وألفنا كتابا كبيرا فى الصفات . وهو أكبر كتبنا فيها ، سميناه كتاب الجوابات فى الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات . نقضنا فيه كتابا (... ألفناه قديما فيها على تصحيح مذهب المعتزلة ، لم نؤلف لهم كتابا مثله ثم أبان الله سبحانه لنا الحق

ورقة 83 ظهر

فرجعنا عنه فنقضناه، وأوضحنا بطلانه . وألفنا كتابا نقضنا فيه على ابن الراوندى فى الصفات والقرآن وألفنا كتابا نقضنا فيه كتابا للخالدى ألفه فى القرآن والصفات، قبل أن يؤلف كتابه الملقب بالملخص ، والفنا كتابا نقضنا فيه كتابا للخالدى فى اثبات حدث ارادة الله تعالى ، وانه شاء ما لم يكن ، وكان ما لم يشأ ، وأوضحنا بطلان قوله فى ذلك وسميناه القامع لكتاب الخالدى فى الارادة . قال والفنا كتابا نقضنا فيه كتابا للخالدى فى المقالات ، سماه المهذب . سمينا نقضه الدافع للمهذب ونقضنا كتابا للخالدين ينفى فيه رؤية الله عز وجل بالأبصار . وألفنا كتابا على الخالدى ، نقضنا فيه كتابا ألفه فى نفى خلق الأفعال ، وتقديرها عن رب العالمين ، وألفنا كتابا نقضنا فيه على الثلجى كتابا ذكر أنه أصلح به غلط ابن الراوندى فى الجدل . وألفنا كتابا فى الاستشهاد دارينا فيه كيف يلزم المعتزلة على محجتهم فى الاستشهاد بالشاهد على الغائب ، أن يثبتوا علم الله وقدرته وسائر صفاته وألفنا كتابا سميناه المختصر فى التوحيد ، والقدر فى أبواب من الكلام منها الكلام فى اثبات رؤية الله بالأبصار والكلام فى سائر الصفات والكلام فى أبواب القدر كلها . وفى التولد ، وفى التعجيز والتجويز ، وسألناهم فيه عن مسائل كثيرة ضاقوا بالجواب عنها ذرعا . ولم يجد الى الانفكاك عنها بحجة سبيلا . وألفنا كتابا فى شرح أدب الجدل والفناء ، كتابا سميناه جواب الخراسانية فى ضروب من المسائل كثيرة ، وألفنا كتابا سميناه جواب الأرجانيين فى ابواب مسائل من الكلام . وألفنا كتابا سميناه جواب السيرافيين فى أجناس من الكلام . وألفنا كتابا سميناه جواب العمانيين فى أنواع من الكلام وألفنا كتابا سميناه جواب الواسطيين فى فنون من الكلام . وألفنا كتابا سميناه كتاب جوابات الرامهرمزيين . وكان بعض المعتزلة من رامهرمز كتب الى يسألنى الجواب عن مسائل كانت تدور فى نفسه فأجبت عنها . وألفت كتابا سميناه المسائل المنثورة البغدادية ، وفيه مسائل دارت بيننا وبين أعلام المعتزلة . والفنا كتابا سميناه المنتحل من المسائل (. . . .) البصريات ، وألفت كتابا سميته

كتاب الفنون في الرد على الملحدين . وألفت كتاب النوادر في دقائق الكلام ،

ورقة 84 وجه

وألفت كتابا سميته كتاب الادراك في فنون من لطيف الكلام ، وألفت نقض الكتاب المعروف باللطيف على الاسكافي . وألفت كتابا نقضت كلام عباد بن سليمان في دقائق الكلام . وألفت كتابا نقضت فيه كتابا على علي بن عيسى ، من تاليفه . وألفنا كتابا في ضروب الكلام سميناه المختزن . ذكرنا فيه مسائل للمخالفين ، لم يسألونا عنها ولا ينتظروها في كتبهم ، ولم يتجهوا للسؤال واجبنا عنها ، بما وفقنا الله له ، وألفنا كتابا في بابشيء ، وان الأشياء هي أشياء ، وان عدمت . رجعنا عنه ، ونقضناه . فمن وقع اليه فلا يعولن عليه . وألفنا كتابا في الاجتهاد في الأحكام . وألفنا كتابا في المعارف لطيفا . وألفنا كتابا في أن القياس يخص ظاهر القرآن . وألفنا كتابا في الأخبار وتخصيصها . وألفنا كتابا سميناه كتاب الفنون في أبواب من الكلام . غير كتاب الفنون الذى ألفناه على الملحدين وألفنا كتابا سميناه جوابات المصريين أتينا فيه على كثير من ابواب الكلام . وألفنا كتابا في أن العجز عن الشيء غير العجز عن ضده ، وان العجز لا يكون الا عن الوجود ، نصرنا فيه من قال من أصحابنا بذلك ، وألفنا كتابا فيه مسائل على أهل التثنية ، وألفنا كتابا مجردا ذكرنا فيه جميع اعتراض الدهريين في قول الموحدين : ان الحوادث اولا في أنها لا تصح من محدث . وفي أن المحدث واحد وأجبناهم (....) بما فيه مقنع للمسترشدين . وذكرنا ايضا ، اعتلالات لهم في قدم الأجسام . وهذا الكتاب غير كتبنا المذكورة التي ذكرناها في صدر كتابنا هذا ، وهو موسوم بالاستفضاء لجميع اعتراض الدهريين ، وسائر أصناف الملحدين ، وألفنا كتابا على الدهريين في اعتلالهم في قدم الأجسام . لأنها لا تخلوا لو كانت محدثة من أن يكون حدثها لنفسه أو لعلة ، وألفنا كتابا نقضنا فيه اعتراضنا على داود بن علي الأصبهاني في مسألة الاعتقاد . وألفنا كتابا تفسير القرآن رددنا فيه على الجبائي والثلجي ، ما حرفا من تأويله . وألفنا كتاب زيادات النوادر وألفنا كتابا سميناه « جوابات أهل فارس » وألفنا كتابا أخبرنا فيه اعتراضنا على داود بن علي الأصبهاني في مسألة الاعتقاد . وألفنا كتابا عن تمويههم . وألفنا كتابا في الرؤية نقضنا به اعتراضات أعترض بها علينا الجبائي

في مواضع متفرقة من كتب جمعها محمد بن عمر الصيمري ، وحكاها عنه . وأبنا عن فسادها وأوضحناه وكشفناه . وألفنا كتابا سميناه الجوهر في الرد على أهل

ورقة 84 ظهر

الزيغ والمنكر . وألفنا كتابا أجبنا فيه عن مسائل الجبائي في النظر والاستدلال وشرائطه . وألفنا كتابا سميناه أدب الجدل . وألفنا كتابا في مقالات الفلاسفة خاصة . وألفنا كتابا في الرد على الفلاسفة ، تشتمل على ثلاث مقالات ذكرنا فيه نقض علل أبوقلس الدهري ، وتكلمنا فيه على القائلين بالهيولى والطبائع ، ونقضنا فيه علل أرسطا طاليس في السماء والعالم ، وبينا (. .) عليهم في قولهم باضافة الأحداث الى النجوم وتعليق أحكام السعادة والشقاوة بها ، قال الاستاذ أبو بكر بن فورك : هذه ، هي أسامي كتبه التي ألفها الى سنة عشرين وثلاثمائة ، سوى أماليه على الناس والجوابات المتفرقة ، عن المسائل الواردات من الجهات المختلفات وسوى ما أملى على الناس مما لم يذكر أساميه ما هذا ، وقد عاش بعد ذلك الى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة . وصنف فيها كتبا منها : كتاب نقض المضاهات على الاسكافي في التسمية بالقدر ، وكتاب العمد في الرؤية ، وكتاب في معلومات الله ومقدوراته . انه لا نهاية لها . على ابي الهذيل ، وكتاب على حارث الوراق في الصفات ، فيما نقض على ابن الراوندي وكتاب على أهل التناسخ ، وكتاب في الرد في الحركات على أبي الهذيل ، وكتاب على أهل المنطق ، ومسائل سئل عنها الجبائي في الأحكام والأسماء ، ومجالسات في خبر الواحد واثبات القياس . وكتاب في الوقوف والعموم . وكتاب في متشابه القرآن جمع فيه بين المعتزلة والملحدين فيما يطعنون فيه في متشابه الحديث ، ونقض كتاب التاج على ابن الراوندي . وكتاب فيه مذهب النصارى ، وكتاب في الامامة ، وكتاب فيه : الكلام على النصارى مما يحتج به عليهم من سائر الكتب التي يعترفون بها ، وكتاب في النقض على ابن الراوندي في ابطال التواتر . ومسائل في اثبات الاجماع . وكتاب في حكايات مذاهب المجسمة ، ومما يحتجون به وكتاب نقض شرح الكفار . وكتاب في مسائل جرت بينه وبين أبي الفرج المالكي (1) في علة الخمر ونقض كتاب الآثار العلوية على أرسطاطا ليس ، وكتاب في جوابات مسائل لأبي هاشم استملاها ابن ابي صالح الطبري وكتابه الذي سماه الاحتجاج وكتاب الأخبار الذي أملاه على الدهان ، وذلك آخر ما بلغنا من أسامي تصانيفه . وله كتاب في دلائل النبوة مفرد وكتاب آخر في الامامة مفرد وهذا آخر ما ذكره

---

1 ـ هو أبو الفرج عمرو الليثي البغدادي قاضي المصيصة . أصله من البصرة ، توفي سنة 942/331 انظر عنه الديباج 184 ، والفهرست ، ط لايبزيج 199 ـ وتاريخ المالكية بالمشرق بالفرنسية ص 109 و 205 .

أبو بكر بن فورك من تصانيفه ، قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر وقد نهى الى اشياء لم يذكرها فى تسمية تواليفه ، فمنها رسالة فى أبحث ، على البحث .

ورقة 85 وجه

ورسالة فى الايمان ، وهل يطلق عليه اسم الخلق . وجواب مسائل كتب بها الى أهل الثغر فى تبيين ما سأله عنه ، من مذهب أهل الحق . وأخبرنى الشيخ ابو القاسم بن نصر الواعظ ، فى كتابه عن أبى المعالى بن عبد الملك القاضى ، قال : سمعت من أثق به قال رأيت تراجم كتب الامام أبى الحسن فعددها أكثر من ثمانين وثلاثمائة مصنف ، وفى ذلك ما يدل على سعة علمه ، وينبىء الجاهل به عن غزاره ، فهمه وخطبته فى أول كتابه الذى صنفه فى تفسير القرآن أدل دليل على تبريزه فى العلم به على الأقران ، وهو الذى سماه تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الافك والبهتان ، ونقض ما حرفه الجبائى والبلخى فى تأليفهما . قال فى أوله : الحمد لله الحميد المجيد ، المبدئى المعيد ، الفعال لما يريد ، الذى افتتح بالحمد كتابه وأوضح فيه برهانه وبين فيه حلاله وحرامه . وفرق بين الحق والباطل ، والعالم والجاهل ، وأنزله محكما متشابها وناسخا ومنسوخا ، ومكيا ومدنيا وخاصا وعاما ، ومثلا مضروبا خبر فيه عن أخبار الأولين واقاصيص المتقدمين ، ورغب فيه فى الطاعات ، ورهب فيه وزجر عن الزلات والتبعات وخطوات الشيطان والضلالات . ووعد فيه بالثواب لمن عمل بطاعته ليوم المآب ، وتوعد فيه من كفر به وجانب الصواب ، ولم يعمل بالطاعة ليوم الحشر والحساب . جعله موعظة للمؤمنين وعبرة للعابدين وحجة على العالمين ، لئلا يقولوا ربنا لولا أرسلت (1) الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . جمع فيه علم الأولين والآخرين ، وأكمل فيه الفرائض والدين ، هو صراط الله المستقيم وحبله المتين ، من تمسك به نجا ، ومن جانبه ضل وغوى وفى الجهل تردى ، وجعله قرآنا عربيا غير ذى عوج بلسان العرب الأميين ، الذين لم يأتهم رسول قبله من عند رب العالمين بكتاب يتلوه بلسانهم من عند فاطر السموات والأرضين ، وقطع به (حجة) المخالفين بنبوة سيد المرسلين ، اذ جعله معجزا يعجزون عن الاتيان بمثله ، وهم أرباب اللسان والنهاية فى البيان ، بين لهم فيه ما يأتون وما يتقون وما يحلون وما يحرمون . وأوضح لهم فيه سبل الرشاد وما صنعه بالأولين الذين كانوا لدينه مخالفين ، وعنه منحرفين ، وما ينزله من النقمات بالكافرين أن أقاموا على الكفر وكانوا به متمسكين ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة ، وان الله لسميع عليم ، أما بعد : فان أهل الزيغ والتضليل تأولوا القرآن على آرائهم ، وفسروه على أهوائهم تفسيرا لم ينزل الله به سلطانا ولا أوضح به برهانا ، ولا رووه عن رسول رب العالمين ولا عن أهل

---

1 ــ 28 القصص 47

بيته الطيبين ، ولا عن السلف المتقدمين من الصحابة والتابعين ، افتراء على الله

ورقة 85 ظهر

قد ضلوا ، وما كانوا مهتدين . وانما أخذوا تفسيرهم عن أبى الهذيـل . بياع العلف (1) ، ومتبعيه وعن ابراهيم نظام الخـرز (2) ومقلديه ، وعن القوطى وناصريه (3) وعن المنسوب الى قرية جبا ومنتحليه وعن الاشج جعفر بن حرب ومجيبيه وعن جعفر بن مبشر القصبى ومتعصبيه وعن الاسكاف الجاهل ومعظميه وعن الفروى المنسوب الى مدينة بلخ وذويه فانهم قادة الضلال من المعتزلة الجهال الذين قلدوهم دينهم وجعلوهم معولهم الذى عليه يعولون وركنهم الذى اليه يستندون . ورأيت الجبائى الف فى تفسير القرآن كتابا أوله على خلاف ما أنزل الله عز وجل وعلى لغة أهل قريته المعروفة بجبا وليسوا من أهل اللسان الذى نزل به القرآن وما روى فى كتابه حرفا واحدا عن أحد من المفسرين وانما اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه ولولا انه استغوى بكتابه كثيرا من الطغام ، لم يكن لتشاغلى به وجه ، ثم ذكر بعض المواضيع التى اخطأ فيها الجبائى فى تفسيره وبين ما أخطأ فيه من تأويل القرآن بعون الله وتيسيره وكل ذلك مما يدل على نبله وكثرة علمه وظهور فضله فجزاه الله على جهاده فى دينه بلسانه بالحسنى وأحله باحسانه فى مستقر جنانه المجال الاسنى ، قال الشيخ الامام أبو محمد الجوينى فى آخر كتاب صنفه سماه عقيدة أصحاب الشافعى الامام المطلبى رحمه الله وكافة أهل السنة والجماعة ونعتقد ان المصيب من المجتهدين فى الأصول والفروع واحد ويجب التعيين فى الأصول فاما فى الفروع فربما يتأتى التعيين وربما لا يتأتى ومذهب الشيخ ابى الحسن الأشعرى رحمه الله تصويب المجتهدين فى الفروع وليس ذلك مذهب الشافعى رضى الله عنه وأبو الحسن أحد اصحاب الشافعى ؟ فاذا خالفه فى شىء أعرضنا عنه كقوله لا صيغة (للأ) لفاظ : وتقل وتعز مخالفته أصول الشافعى ، ونصوصه ، وربما نسب المبتدعون اليه ما هو

---

(1) ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف ، القدرى مولى عبد القيس وهو القائل بفناء مقدورات الله تعالى ، انظر عنه الفرق بين الفرق ص 101

(2) ابو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام ، كان ينظم الخرز فى سوق البصرة ، شيخ الجاحظ ومن كبار المعتزلة ، كان ينكر المعجزات للأنبياء ، ولا يقول بحجة الاجماع ولا القياس وأكثر المعتزلة على تكفيره كالجبائى والعلاف واضرابهما . انظر عنه الفرق بين الفرق ص 102 ــ 3 .

(3) فى الملل والنحل للشهر ستانى ــ ج 1 ــ ص 91 ــ الفوطى بالفـاء وكذلك فى ملل ابن حزم ج 4ر196 وهو هشام بن عمر الفوطى ترجمته فى الفرق 111

بريء منه . كما نسبوا اليه أنه يقول : ليس فى المصحف قرآن . ولا فى القبر نبى . والاستثناء فى الايمان (1) ونفى قدرة الخلق فى الأزل . وتكفير العوام **وايجاب علم الدليل** عليهم ونصوصه فى هذه المسائل كلها على خلاف ما نسب اليه ، ولا خير فيمن لا يعرف حاسده قال الحافظ بن عساكر فى وصف الأشعرية هم المتمسكون بالكتاب والسنة (ا) لجمعون فى مسائل الأصول بين الأدلة السمعية وبراهين العقول ، ويتجنبون ألفاظ المعتزلة ، ويتنكبون طرق المعطلة ويطرحون تفريط المشبهة المجسمة . ويفضحون بالبراهين عقائد الفرق المموهة

ورقــة 86 وجــه

وينكرون مذاهب الجهمية وينفرون عن الكرامية والسالمية ، ويبطلون مقالات القدرية ويرذلون شبه الجبرية ، ويبرؤون من الروافض والخوارج ، ويظهرون للواقفية عن الحق ، وحق المخارج . فمذهبهم اوسط المذاهب . ومشربهم أعذب المشارب ومنصبهم أكرم المناصب . رضى الله عنهم . وقال الحافظ ايضا فى الرد على الأهوازى فى قوله : ان الأشعرى جعل كتاب الابانة وقاية من الحنابلة ان هذا من جملة أقواله الفاسدة وتقولاته المتبعدة الباردة بل هم يعتقدون ما فيها أشد اعتقاد ، ويعتمدون على ما فيها أشد اعتماد (لأ) نهم ليسوا بحمد الله معتزلة ، ولا نفاة لصفات الله معطلة بل يثبتون لله سبحانه ما أثبته لنفسه ، ويصفونه بما أنطق به فى محكم الآيات وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فى صحيح الروايات ، وينزهون عن سمات النقص والآفات ، فاذا وجدوا مجسما أو مشبها يصفه بصفات المحدثـات فحينئذ يسلكـون طريق التأويـل ويثبتون تنزيهه بأوضح دليل . ويبالغون فى اثبات التقديس والتنزيه خوفا من وقوع من لا يعلم فى ظلم التشبيه فان أمنوا من ذلك رأوا أن السكوت أسلم . فالموحد ما دام سالكا بحجحه التنزيه . آمنا فى عقده من ركوب لجة التشبيه فهو غير محتاج الى الخوض فى التأويل ، فاذا خاف تكدر صفاء العقيدة بكدورة التكييف والتمثيل . فلا بد من تصفية الكدورة بمصفاة التأويل ، ولم يزل كتاب الابانة مستصوبا عند أهل الديانة ، كان الامام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمان الصابونى النيسابورى قل ما يخرج الى مجلس درسه ، الا وبيده كتاب الابانة لأبى الحسن الأشعرى ، ويظهر الاعجاب به ، ويقول : ما ذا ينكر على من هذا الكتاب شرح منصبه ، وأبو عثمان من أعيان أهل الأثر بخرسان قاله الحافظ بن عساكر رحمه الله عليه . وقد اختلف فى أن يعلم هذا الفن الذى هو الكلام ، واجب

1 ـ كأن يقول القائل : أنا مؤمن ان شاء الله . وفى هذا خلاف بين الأشاعرة والماتريدية انظره فى : نونية تاج الدين السبكى ـ طبقات الشافعية ج 2 ص 262 وما بعدها وبين الأشاعرة والماتريدية لأبى عذبة فى المسألة الأولى للخلاف وكذلك شرح مرتضى على الاحياء باب علم الكلام الجزء الأول .

او مستحب او حرام ، وقد سبق عن الغزالى أن اطلاق القول بذمه او بحمده مطلقا ، خطأ . بل الصواب أن نفصل فيه الى آخر ما تقدم عنه ، ثم قال : والحق أنه من فروض الكفايات ، فلا بد فى كل من قائم بهذا العلـم ، مستقل بدفع شبهة المبتدعة التى ثارت فى تلك البلد وذلك يدوم بالتعليم ، الى آخر ما قال ، وما رجحه الغزالى قد سبقه اليه شيخه امام الحرمين ابن الجوينى والحليمى والبيهقى وكثيرون من الأيمة ، وتبعهم الرافعى والمحققون وعبارة الرافعى فى العر (. .) انه قال ومن فروض الكفايات ما يتعلق بأصل الدين وهو اقامة الحجج العلمية ، وحل المشكلات فى الدين ونحوه فى الروضة والمحرز وكذا فى المناهج ، فقال ومن فروض الكفايات القيام بالحجج ، وحل المشكلات فى الدين ، وبعلوم الشرع

ورقة ـ 86 ظهر

كتفسير وحديث ، والفروع بحيث يصلح للقضاء انتهى . قال فى الروضة : كما يجب اظهار الحجج القهرية بالسيف ، يجب أن يكون فى المسلمين من يقيـم البراهين ويظهر الحجج ، ويدفع الشبهات ويحل المشكلات . وقال ومن العلوم التى هى فرض كفاية : علم الكلام . ولم يشتغل به الصحابة قال الامام : ولو بقى الناس على ما كانو عليه فى صفوة الاسلام ، لما أوجبنا التشاغل به وربما عفينا عنه وأما الأن فقد ثارت البدع فلا سبيل الى تركه ، ولا بد من اعداد ما يدعى به الى الحق ، وتنحى به الشبه ، فصار الاشتغلال بالأدلة العقلية ، وحل الشبه من فروض الكفاية ، انتهى . ونقله الشيخ اليافعى فى كتابه الارشاد عن تصحيح المحققين وأما ما روى عن السلف فى ذمه ، فمنه ما روى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : لو علم الناس ما فى الكلام من ذم الا هو لفروا منه كما يفر من الأسد . وانه قال من ابتلى بالكلام لم يفلح . ولأن يبتلى المرء بكل مـا نهـى عنه سوى الشرك خير لـه من الكلام . ولقـد اطلعت من أهـل الكلام على شيء مـا ظننت أن مسلما يقوله ، وانـه قال : مـا تردى أحد بالكلام فأفلح وانـه قال : رأى فى أهـل الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهـم فى العشائر . الى آخـره او كما قـال رضى الله عنـه فيحمـل على وجـوه منهـا أنـه أراد من اتخـذ الكلام ذريعـة الى التقرب الى السلاطين المضايق التى لا تذكرها العقول ، وقد كان عارفا بهذا العلم ، الا انه آثر سد باب المناظرة خوفا من المفاسد . ومنها أن يقال : انما أراد الشافعى وغيره بذلك كلام المبتدعه المتعصبين على أهل السنة . ذكره الامام فخر الدين وغيره ، وهذا كما تقدم عن التفتزانى ، وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : لعل الشافعى أراد أن صاحب الكلام لا يفلح فى غالب مظنونه اذا لم (يعرف) علم الفقه ما يصلح به أمر دينه ، ونحو هذا ما روى ابن عساكر باسناده عن حاتم بن عنوان الأصم قال وأهل العلم أنه قال : الكلام أصل الدين والفقه فرعه ، والعمل ثمره ، ممن اكتفى بالكلام دون الفقه والعمل تزندق ، ومن اكتفى بالعمل دون الكلام والفقه

ابتدع . ومن اكتفى بالفقه دون الكلام والعمل تفسق ، ومن تفنن فى الأبواب كلها تخلص قال : وقد روينا مثل قول حاتم الأصم عن أبى بكر الوراق أنه قال : من اكتفى بالكلام عن العلم دون الزهد والفقه تزندق ، ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام ابتدع ، ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسق ، ومن تفقه فى الأمور كلها تخلص ، قال الربيع بن سليمان المرادى : انما أراد الشافعى

ورقة ـ 87 ـ وجه

رضى الله عنه بالنهى عن الكلام قوما تكلموا فى القدر ، فحكمه عليهم بالتبديع ، وقال غيره انما عنى بمقاله كلام حفص انفرد القدرى وأمثاله ، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء قال ابن عساكر : وقد كان الشافعى يحسنه ويفهمه . وقد تكلم مع غير واحد ممن ابتدع وأقام الحجة عليه حتى انقطع ، ورأى قوما يتجادلون فى القدر فقال فى كتاب الله المشيئة له دون خلقه ، والمشيئة ارادة الله تعالى ، قال الله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء (1) الله فأعلم عز وجل أن المشيئة له (. . .) يثبت القدر . ولما كلم حفصا الفرد ، وكان يسميه المنفرد ، فقال حفص القرآن مخلوق فقال له الشافعى كفرت بالله العظيم . وقام الشافعى عليه بالحجة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقال ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطئ الا صاحب بدعة فانى أحب أن ينكشف أمره للناس . وناظر ابراهيم بن اسماعيل بن علية المبتدع المعتزلى فى خبر الواحد ، فقال نعم . فقال له الشافعى خبرنى عن خبر الواحد العدل أباجماع رددته أم بغير اجماع ؟ فانقطع ابراهيم ولم يجبه ، قال البيهقى : انما أراد الشافعى بما روى عنه كلام حفص وأمثاله ، غير أن بعض الرواة أطلقه وبعضهم قيده ، وفى تقييد من قيده دليل مراده ، ثم روى البيهقى باسناده عن أبى الوليد بن الجارود أنه قال : دخل حفص الفرد على الشافعى فقال لنا : لأن يلقى العبد الله بذنوب مثل جبل تهامة ، خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف مما عليه هذا وأصحابه ، وكان يقول بخلق القرآن ، وكيف يكون كلام أهل السنة والجماعة مذموما عنده ، وقد تكلم فيه وناظر من ناظره كحفص الفرد فى خلق القرآن . وكيف يكون كلام أهل السنة والجماعة مذموما عنده ، وقد تكلم فيه وناظره كحفص الفرد فى خلق القرآن . وفى زيادة الايمان ونقصانه ، وذكر للحميدى أحسن ما يحتج به على أهل الارجاء ، وهو قول الله عز وجل : وما أمروا الا ليعبدوا (2) الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة . وذكر لابن هرم ما يحتج به على من أنكر الرؤيا وروى عنه أنه قال أحكمنا ذلك قبل هذا يعنى علم الكلام قبل علم الفقه ، ولما سأله المازنى عما فى

---

1 ـ 76 الانسان 30

2 ـ البينــة 3

ضميره في التوحيد زجره ، وقال له انك بثاران وحيلان يضربك تياره ، وأنت لا تعلم ، وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون ، وهامان . أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسؤال عن ذلك ؟ فقال المازني : لا فقال :

وهل تكلم فيه الصحابة ؟ فقال : لا . فقال تدرى كم نجم في السماء ! فقال : لا فقال فكوكب منها تعرف طلوعه ، وأفوله ، أتدرى ممن خلق ؟ قال لا . قال : فكيف تتكلم في علم الخالق ، ثم قال اذا همس في ضميرك ذلك فارجع الى الله والى قوله والاهكم الاه واحد لا الاه الا هو (1) الله الرحمان الرحيم ان في خلق السموات والارض فاستدل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لا يبلغه عقلك فقال المازني تبت الى الله من ذلك ، قال البيهقي : ثاران في بحر القلزم

ورقة 87 ظهر

يقال غرق فيه فرعون وقومه ، شبه الشافعي المازني فيما أورد عليه بعض أهل الالحاد ، ولم يكن عنده جواب بمن ركب ذلك البحر ، ثم علمه جواب ما أورد عليه ، حتى زالت عنه تلك الشبهة في ذلك دلالة على حسن معرفته بذلك ، وأنه تحت الكشف من تمويهات أهل الالحاد عند الحاجة وأراد بالمنهى عنه من الكلام ما وقع فيه أهل الالحاد من الالحاد والبدع . وأما استحسانه ترك الخوض فيه مع معرفته به كما روى عنه أنه قال : لقد بلغت منه مبلغا فكأنه تبع ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال : لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم الحديث ، او غير ذلك من الأخبار الواردة في معناه ، وعلى مثل ذلك جرى أيمتنا في قديم الدهر عند الاستغناء عن الكلام فيه ، فاذا احتاجوا اليه أجابوا بما في كتاب الله عز وجل ، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الدلالة على اثبات القدر لله عز وجل وانه لا يجرى في ملكوت السموات والأرض شيء الا بحكم الله تعالى وبقدره وارادته ، وكذلك في سائر مسائل الكلام اكتفوا بما فيها من الدلالة على صحة قولهم ، حتى حدثت طائفة سموا ما في كتاب الله من الحجة عليهم متشابها ، وقالوا نترك القول بالأخبار أصلا ، وزعموا أن الأخبار التي حملت عليهم لا تصح في عقولهم ، فقام جماعة من أيمتنا رحمهم الله بهذا العلم ، وبينوا لمن وفق للصواب ورزق الفهم ، أن جميع ما ورد في تلك الأخبار صحيح في العقول ، وما أدعوه في الكتاب من المتشابه باطل في المعقول ، وحين أظهروا بدعتهم وغروا الضعفاء بشبههم أجابهم الأئمة بما هو حجة عندهم كما فعل الشافعي ، فيما حكيناه عنه (من) الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر ومـا في تـرك انكار المنكر والسكوت عليه من الفساد والتعدي ، وكانوا في القديم انما يعرفون بالكلام أهل الأهواء . فأما أهل السنة والجماعة فمعولهم فيما يعتقدون الكتاب والسنة فكانوا لا يسمون

1 ـ 2 البقرة 173 ـ 174

بتسميتهم ، وانما يعنى الشافعى والله أعلم بقوله : من ارتدى بالكلام لم يفلح . كلام أهل الأهواء ، الذين تركوا الكتاب والسنة ، وجعلوا معولهم عقولهم ، وأخذوا فى تسوية الكتاب عليها ، وحين حملت عليهم السنة بزيادة البيان بنقض أقاويلهم ، اتهموا رواتها ، فأما أهل السنة ، فمذهبهم فى الأصول مبنى على الكتاب والسنة ، وانما أخذ من أخذ منهم فى العقل ابطالا لمذهب من زعم منهم أنه غير مستقيم على العقل ، وبالله التوفيق ، قال البيهقى : ولما قدم الشافعى العراق ، استدعاه هارون الرشيد فدخل عليه ورأى تقريبه لبشر المريسى (1)

ورقة 88 وجه

وأمثاله من اهل البدع ، وحين عاد الى المأمون رأى غلبة أهل الأهواء على مجلسه وأحس ببعض ما سيجرى على أهل السنة من المحنة فاستحب الشافعى لأصحابه ترك الخوض فيه لئلا يدعوا الى مجالسهم للمناظرة ، لئلا يكون ذلك سببا لمحنتهم ، ولهذا قال للبويطى : انت تموت فى الحديد ، فكان كذلك لأنه كان شديدا على أهل البدع ، ذابا بالكلام عن أهل السنة ، فدعى أيام الواثق الى القول بخلق القرآن فامتنع ، فحمل مقيدا من مصر الى العراق ، ومات محبوسا مقيدا صابرا ثابتا على دينه رضى الله عنه . ومشهور ما أصاب أحمد بن حنبل فى أيام المعتصم من الحبس والضرب وما أصاب احمد بن نصر الخزاعى فى أيام الواثق من القتل والصلب وما أصاب غيرهما من المحنة العظيمة حتى أجاب بعضهم الى ما دعى اليه خوفا على نفسه ، منهم : زهير ابن حرب وابو نصر التمار ، ويحيى بن معين وعلى بن المدينى وابو معمر وابو كريب وكان أحمد بن حنبل بعد ذلك لا يرى الكتابة عنهم لاجابتهم ، لكنهم ندموا وتابوا أعاذنا الله من المحن ، وقد يروى عن المازنى ترك الخوض فى الكلام لئلا يطالب بالنظر فيه ، ويشتغل عن الفقه ، وكان رجلا ورعا زاهدا يتجنب السلاطين ، فامتنع من التظاهر بمعرفة الكلام ، مخافة أن يبتلى بالدخول عليهم ، مع ما شاهد من محنة البويطى ، وأمثاله ، وقد اشتهر غير واحد من علماء الاسلام ، أهل السنة بعلم الكلام ، كعبد العزيز المكى وصاحبه الحسين بن الفضل البجلى وكانا يناظران المبتدع فى أيام المأمون وعبد العزيز هو صاحب كتاب الحيدة المشهور ، تفقه بالشافعى واشتهر بصحبته وخرج معه الى اليمن ، وصنف تصانيف كثيرة . ذكره الأستانى فى الطبقات ، وقال الذهبى فى الميزان : لعل ذلك الكتاب يعنى كتاب الحيدة موضوع عليه ، وفى كلام الذهبى نظر ، والله أعلم وقال القاضى أبو المعالى بن عبد الملك شيذلة من اعتقد أن السلف الصالح رضى الله عنهم نهوا عن معرفة الأصول وأهملوها ، فقد اعتقد فيهم عجزا . والواحد

1 ـــ هو بشر بن غياث المريسى كان على رأى أبى يوسف القاضى فى الفروع معتزليا فى الأصول ـــ انظر عنه : الشهر ستانى ج 1ر191 والبغدادى ، فرق 125

منهم يتكلم فى مسائل العدل وقضايا الجد ، وكمية الحدود وكيفية القصاص بفصول ويباهل عليها ويبالغ . ويذكر فى ازالة النجاسة عشرين دليلا لنفسه وللمخالف ويشقق الشعر فى النظر فيها ، فكيف لا يعرف دلائل ربه الأمر لخلقه بالتحليل والتحريم ، والمكلف عباده التنزيه والتعظيم ، فهيهات أن يكون ذلك ، وانما أهملوا تحريرا أدلته وتقرير أسئلته وأجوبته ، أوضوح الشريعة ، وبيان احكامها وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يفرقون التوحيد بمشاهدة الوحى والسماع ويتكلمون فى أدلة الوحدانية بالصباع مستغنين عن تحرير أدلتها ، كما أنهم كانوا يفرقون تفسير القرآن ومعانى الشعر والبيان . وترتيب النحو والعروض وفتاوى النوافل والفروض ، من غير تحرير الأدلة ، ثم لما انقرضت أيامهم ،

ورقة 88 ظهر

وتغيرت طباع من بعدهم ، وكلامهم ، أشكل عليهم تفسير القرآن . وكثر المخالفون فى الأصول والفروع . واضطروا الى جمع العروض والنحو وتمييز المراسيل والمسانيد ، والآحاد عن التواتر ، وصنفوا التفسير وعنوا بالتدقيق والتحقيق ، ولم يقل قائل ان هذه كلها بدع ظهرت أو محالات ، جمعت ودونت ، بل هو الشرع الصحيح ، وهذه العلوم أولى بجمعها لحرمة معلومها . فهى فرائض الأعيان وغيرها ، أما من فرائض الكفايات والمندوبات فاذا من جهل صفة من صفات معلومة لم يعرف المعلوم على ما هو به ، وان لم يعرف البارىء على ما هو به ، لم يستحق اسم الايمان . وسئل الاستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله . هل يتفاوت أرباب التوحيد فيه ؟ فقال : ان فرقت بين مصل ، ومصل ، وعلمت أن هذا يصلى وقلبه مشحون بالغفلات وذاك يصلى وقلبه حاضر ، ففرق بين عالم ، وعالم ، هذا لو طرات عليه مشكلة لم يمكنه الخروج منها . وهذا يقاوم كل عدو للاسلام، ويحل كل معضلة تعم فى مقام الخصام ، وهذا جهاد مع جميع أعداء الدين وهو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وللخراج فى البلاد قانون معروف اذا أشكل اخراج بلدة ، رجع الناس الى ذلك القانون . وقانون العلم بالله قلوب العارفين به ، فرواة الأخبار خزان الشرع . والقراء من الخواص والفقهاء حفظة الشرع ، وعلماء الأصول هم الذين يعرفون ما يجب ، ويستحيل ويجوز فى حق الصانع ، تبارك وتعالى ، وهم الأقلون اليوم :

وقد كنا نعدهم قليلا ... فقد صاروا أقل من القليل

غيره . وأنشد بعضهم :

رمى الدهر بالفتيان حتى كأنهم ... بأكناف أطراف السماء نجوم

أيها المقتدى ليطلب علما ... كل علم عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كى تصحح حكما ... ثم أغفلت منزل الأحكام

قال الحافظ ابو القاسم بن عساكر : آخبرنا الشيخ ابو عبد الله محمد بن الفضل القا (ر) ىء قال : قال لى الاستاذ ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى أن الأشعرى لا يشترط فى صحة الايمان ما قالوه ، يعنى من شنع عليه أن اغمار العوام عنده غير مؤمنين ، لأنهم خليون عن علم الكلام ، وجميع أهل التحليل من أهل القبلة يقولون يجب على المكلف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التى نصبها على توحيده ، واستحقاقه نعوت الربوبية . وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلمين من لفظ الجوهر والعرض وغير ذلك ، وانما المقصود حصول النظر والاستدلال المؤدى الى معرفة الله تعالى فان قالوا الاستغلال بعلم الكلام (بد) عة قلنا الاسترواح الى مثل هذا الكلام صفة الحشوية ، الذين لا تحصيل لهم فكيف يظن بشر (. .) الأئمة انهم لم يسلكوا سبيل النظر وانهم اتصفوا بالتقليد حاشا لله أن يكونوا كذلك ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم مستقلين بما عرفوا من

ورقـة 89 وجـه

الحق من أوصاف المعبود وتأملوه من أدلة الكتاب والسنة ومسائل التوحيد وكذلك التابعون وأتباع التابعين لقرب عهدهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما أظهر أهل البدع الشبهة . انتدب أهل السنة للتحذير من بدعتهم ، فلما أشفقوا على القلوب أن تخامرها شبهم شرعوا فى الرد عليهم ، وكشف سفههم وجواب أسئلتهم ، وحاموا عن دين الله بايضاح الحجج بما نبههم الله عليه فى محكم التنزيل والعجب ممن يقول ليس فى القرآن علم كلام ، وآيات الأحكام الشرعية تجدها محصورة . والآيات المنبهة على علم الأصول تجدها توفى على ذلك وتربى بكثير . فلا يجحد علم الكلام الا جاهل مقلد عاجز عن التحصيل . أوذو مذهب فاسد يخاف انكشاف عوار مذهبه ، وفضائح عقيدته فالقلاب لا يحب من يميز النقود . والله تعالى يقول : هل يستوى (1) الذين يعلمون والذين لا يعلمون . انتهى ، وتقدم قول التفتازانى : أن النهى عنه انما هو للقاصر عن تحصيل اليقين ، والمتعصب على الدين . القاصد افساد عقائد المسلمين . فهذا ما أردنا ذكره من مدح علم الكلام وتأويل كلام من نقل عنه ذمه على الاطلاق ، وليس على اطلاقه . وقد جمعنا من ذلك ما آنتشر وحققنا الصواب بعون الله ، وقد سبق بيان من يصلح له تعلمه ، ومن لا .

وتقدم تقرير النهى عن التوغل فيه بما لم يرد عن السلف ، وفقنا الله واياكم لمعرفة الحق وأتباعه .

ولنـورد ههنـا أشعـارا مستحسنـة فى مدح الأشعـرى ومذهبـه مما رواه الشيخ الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى فى كتابه الذى ألفه فى فضائل الأشعرى ومذهبه فمن ذلك (قوله) أنشدنا الشيخ الحافظ عبد الرزاق الطبيبى بنيسابور ، قال أنشدنا (امام الأ) ئمة أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى بنفسه :

1 ــ 39 الزمر 9

شيئان من يعدلني فيهما ... فهو على التحقيق مني بري
حب ابي بكر امام التقى ... ثم اعتقاد مذهب الأشعري

ولبعضهم فى المعنى :

من كان فى الحشر له عدة ... تنفعه فى عرضة المحشر
فعدتى حب نبى الهدى ... ثم اعتقادى مذهب الأشعرى

وللقاضى أبى الحسن هبة الله بن عبد الله السيبى (1)

اذا كنت فى علم الأصول موافقا ... بعقدك قول الأشعرى المسدد
وعاملت مولاك الكريم مخالصا ... بقول الامام الشافعى المؤيد
وأتقنت حرف بن العلاء مجودا ... ولم (تعد)(2) فى الاعراب رأى المبرد
فأنت على الحق اليقين موافق ... شريعة خير المرسلين محمد

ولبعضهم :

أصبح الناس فى عمى ... بين ساه وممتر
جعلوا دينهم الهوى ... والهوى غير مبصر

ورقة 89 ظهر

وتعاموا عن الهدى ... ليس فيهم بمنكر
شبهوا الله بالورى ... وهو من جهلهم برى
حرم الرشد من غدا ... يتعامى ويفترى
فالزم الحق لا تزغ ... واعتقد عقد الأشعرى

ولابى القسم الجزرى الاسكندرانى :

خذ ما بدالك أو فدع ... كثرت مقالات البدع
ان للنبى المصطفى ... دينا حنيفا شرع
ورضى به لعباده ... رب تعالى فارتفع
قد كان دين واحد ... حتى تفرق ما أجتمع
قوم أضلهم الهوى ... والآخرون لهم تبع
الله أيد شيخنا ... وبه البرية قد نفع
الأشعرى امامنا ... شيخ الديانة والورع
بسط المقالة بالهدى ... وقطيع حجتهم قطع
حتى استضاء بنوره ... والله متقن ما صنع
من قال غير مقاله ... أخطأ الطريقة وابتدع
لا ينكرن كلامه ... الا أخو جهل لكع
أهل العقول تيقظوا ... **فالفجر** فى الأفق انصدع

---

1 ـ انظره فى ابن عساكر ، تبيين كذب المفترى 168

2 ـ تصحيح من ابن عساكر ، نفس الصفحة

نسبوا الى رب العلا ... ما قوله منه منع
زعموا بأن كلامه ... مثل الكلام المستمع
فبرئت منه انهم ... ركبوا قبيحات الشنع

ولبعضهم فى وزن هذه الابيات :

قل للمخالف يا لكع ... كف اللسان عن البدع (1)
وذر التعصب جانبا ... والطعن للعلماء دع
فظلام جهلك فى العقيدة ... قد تلاشى وانقشع
لما بدا فخر الهدى ... ممن ينزه وانصدع
وغراس ما أسقيته ... ماء الخداع قد انقلع
ما أنت حلف زهاده ... بل أنت عبد للطمع
كم تزرع التشبيه فى ... سبخ القرب فما انزرع
فاهجر دمشق وأهلها ... واسكن ببصرى او زرع
فهناك يمكن أن يصدق ... لما تقول ويستمع
واعلم بأن الأشعرى ... عدو أصحاب البدع
فهو المجيد الذب عن ... سنن الرسول وما شرع
حبر تقى عالم ... جمع الديانة والورع
رفع الاله محله ... عند البرية فارتفع
واختار مما قال الرسول من الآصول وما اخترع
لكنه نصب الدليل ... لمن (تسنن) (2) واتبع
وأبان أن العقل لا ... ينفى الصواب المتبع
من آية او سنة ... كان الرسول بها صدع
يا حسن ما أبدى لنا ... وجه الدليل وما آنتزع
فغدا به شمل الهدى ... للمسلمين قد اجتمع
وتفرقت فرق الضلال ... وذل مذموم الشنع
وتعطلت ممن يعطل ... بعد كثرتهم بقع
فلأى حزب منهم ... قصد الجدال فما قمع
ما أمه ذو بدعة ... لحجاجه الا انقطع
لو لم يصنف عمره ... الا الابانة واللمع
لكفا فكيف وقد تفنن ... فى العلوم بما جمع
فجموعه تربى على المائتين ... مما قد صنع
لم يأل فى تصنيفها ... أخذا بأحسن ما استمع

1 ــ فى المخطوط القذع والتصحيح من ابن عساكر 169
2 ــ تصحيح من ابن عساكر 170

فهــدى بهــا المسترشــدين   فمــن تصفحهــا انتفــع
تعلــو معانــى كتبــه   فــوق المنابــر فــى الجمــع
ويخــاف مــن افحامــه   أهــل الكنائس والبيــع
فهــو الشجــى فــى حلــق من   تــرك الحجــة وابتــدع
فعليــه رحمــة ربــه   مــا غــاب نجــم او طلــع

ورقــة 90 وجــه

ولأبى الفتوح محمد بن الفضل الاسهرانى وذكر الخلفاء فقال :

ورعــى المعتضــد النــاس فلــم   يــســك للمظلــــوم الا وزرا
وتــلاه المكتفــى بــالله عــن   كل شيء يقدم المقتدرا
واستشاط الناس فى عصريهما   بخــلاف عــم حتــى اشتهــرا
منهم من شبــه السنــة ومن   لــم يقــل ذاك أحــل القــدرا
اثبتــوا ربــا ولكــن زعمــوا   انــه ممتنــع أن يبصــرا
وأراد الله ايضــاح الهــدى   حين زاغــوا بفتــى من أشعــرا
فــى صميــم النجب الأنصار من   خــير من يــوم حنــين نصــرا
أوضــح الحجــة حتــى ظهــرت   وأعــز الحــق حتــى استظهــرا

وللشيخ الأديب أبى الحسين بن الحل فى قصيدةمدح بها الشيخ الامام أبــا المظفر أحمد بن الامام ابى بكر محمد بن احمد الشاشى رحمه الله :

حجــة الأشعرى حجتنــا العلــيــــا كمــا قــدره الرفيــع العــالى
البعيــد المــدى أبى الحسن الــمحسن فى النصح للورى غير آل
والــذى اصل الأصول بوصفى   نظــرا باليقــين واستــدلال
لــم تشب صفــو عقيــدة التشبيــه فــى معــزل عن الاعتــزال
وحــد الله مصلتــا صارم الحق   مطيحــا بــه دم الضــلال
قصد الله فرقــه (1) قصدتــه   بالشناعات بالوبــا والوبــال
جهلوا قدره فكــل سفيه   منهم جاهل لما قال قالى

ولبعض أهل التحقيق :

الأشعرى ماله شبيــــه   حبر امام، عالم فقيــه
مذهبه التوحيــد والتنزيــه   وما عداه النفى والتشبيــه
فى قولــه على الهوى تنبيــه   وليس فيما قالــه تمويــه
وصحبــه كلهــم نبيــــه   مــا فيهــم الا امرؤ وجيه (2)
فمن قلى أصحــابه سفيــه   ومــن رأى تضليلهــم معتــوه

---

1 ــ فى ابن عساكر أمة

2 ــ يختلف البيتان تقديما وتأخيرا فى ابن عساكر ، تبين ، ص 172

ولبعضهم :

الأشعرية قوم   قد وفقوا للصواب
لم يخرجوا فى اعتقاد   عن سنة او كتاب

ولبعضهم على وزنه :

الأشعرية قوم   قد وفقوا للسداد
وبينوا للبرايا   طرا طريق الرشاد
ونزهوا الله عما   يقول أهل العناد
وقد سنره عن المثل   جنل والأنداد
ونزهوه عن الزوج   عز والأولاد
وهم نفوا عنه ما لا   يصح فى الاعتقاد
واثبتوا كل وصف   يصح بالاسناد
فهم بدور الدياجى   وهم هداة العباد
وهم بحار علوم   وهم صدور البلاد

ورقة 90 ظهر

وهم كرام السجايا   وهم شموس (1) البلاد
لم يخرجوا عن كتاب   او سنة فى اعتقاد
ليسوا اولى تعطيل   ولا ذوى الجحاد

ولبعض العلماء رضى الله عنهم :

ان اعتقاد الأشعرى   مثل عقود الجوهرى
ما ينكره اعتقاده   غير جهول مفترى
كم يدعى تقصيره   من جاهل مقصر
ليست له معرفة   بمثمنات الدرر
(يريد) (2) ان ينالها   جرا ببذل الكسر
والدر لا يطمع فى   حصوله لمعسر
فمن بدا افلاسه   فليس ممن يشترى
ومن غدا ذا ثروة   حصله بالبدر
ونال منه ما اشتهى   كذاك علم الأشعرى
من رام أن يناله   وهو من الفضل عرى
ما اكتحلت أجفانه   فى درسه بالسهر
٧٠ لقى مبرزا   فى حضر او سفر
ولا سعى فى جمعة   فى أصل او بكر

---

1 ــ فى ابن عساكر 173 وهم صدر البلاد

2 ــ تصحيح من 174

ولا اغتـــدى مسترشـــدا فيـــه فحـــول النظـــر
ينظـــر فيمـــا ذكـــروا بالسبـــر والتفكـــر
كمـــن تمنـــى سفهـــا نيـــل السهـــى والمشتـــرى
او فاتـــح قـــد فاتـــه مفتـــاح قفـــل عســـر
فـــلا تطـــع فـــى ذمـــه كـــل عـــدو أبتـــر
واعلـــم يقينـــا أنـــه ممـــا يقولـــون بـــرى
فهـــو امـــام عـــالـم مـــا فضلـــه بمنكـــر
شـرف فـــى علـومـــه بفضـــل طيب العنصـــر
ذو همـــة بكريـــة عزمـــا وعـــدل عمـــرى
ورأفـــة نوريـــة حلمـا ، وعلمـا ، حيـدرى (1)
مـــا زاغ فـــى اعتقـــاده عـــن آيـــة او خبـــر
او حجـــة عقليـــة تصـــح فـــى المعتبـــر
موحـــد فـــى عقـــده ومثبـــت للقمـــدر
والكسب لا ينكـــره مثـــل الجحـــود المجبـــر
منـــزه لـربـــه عـــن محـــدثـــات الصـــور
وعـن أفـــول ذاتـــه كـالشمس او كـالقمـــر
وحـــل يكـــون صـــورة للخـالـــق المصـــور
لأنـــه ليس بنى جسم ولا بجوهر
ولا يرى صفـــاته مثل صفـــات البشر
لأنـــه جـــل عن الحـــدوث والتغـــيـــير
وليس ينفـــى صفـــة كمـا فـــى ذاك المنكـــر (2)
بـــل يثبـــت الحيـــاة والقـــدرة للمقتـــدر
والعلـــم لكـــن لا يـــرى العلـــم كعلـــم نظـــرى
وانـــه أراد مـــا كـــان مـــن المقـــدر
ويثبت السمـــع كمـــا يثبـت وصـف البصـــر
ويثبـت القـــول ولا يجحـــده كالقـــدرى
ولا يـــرى المسطـــور فـــى الألـــواح ، نقش الأسطـــر
ويثبـــت النـــزول لا كهـابـــط منحـــدر
من غـــير تشبيـــه كمـــا يثبت أهـــل الأثـــر
ولا يعـــادى أحـــدا مـــن صحب خـــير النـــذر

---

1 ـ بكرية نسبة لأبى بكر الصديق ، وعمرى لعمر ونورية الى ذى النورين عثمان وحيدره علي ـ واسمه حيدره ـ قال : أنا الذى سمتنى أمى حيدره

2 ـ فى ابن عساكر 175
وليس ينفـــى صفـــة لـــه كنفـــى المنكـــر

بل يتوالى صحبه والآل خير العترة
ويعرف الفضل لهم كما أتى فى السير
ولا يرى المسلم فى بدعته بمكفر
فهل ترى فى عقده من بدعة او من فرى
فكن به مستمسكا فانه العقد السرى
وحزبه زين الورى أكرم بهم من معشر

ورقة 91 وجه

كم بحر علم زاخر وبدرتم مقمر
منهم ومن مقدم قد حاز كل مفخر
ونال حسن منظر وحاز طيب مخبر (1)
لا يمترى فى فضلهم الا حسود ممترى
هم درارى أنجم وهم لآلى ابحر
يحبهم ينجو الذى يحبهم فى المحشر
برحمة الله على أمواتهم فى الحفر
وأيد الباقين فى الورد وحين الصدر

ولبعضهم :

ان اعتقاد الأشعرى مسدد لا يمترى فى الحق الا ممترى
وبه يقول العالمون بأسرهم ما بين ذى قلم وصاحب منبر
والمدعون عليه غير مقاله ما فيهم الا جهول مفترى
فذر التعامى واعتصم بمقاله واعلم يقينا أنه القول السرى
وارفض ملامة من نهاك بجهله عما تراه لأنه لم يشعر
واذا لحاك العاذلون فقل لهم قول امرئ فى دينه مستبصر
ان كان من ينفى النقائص كلها عن ربه ترمونه بتمشعر
وترونه ذا بدعة فى دينه فليشهد الثقلان أنى أشعر

وهذا ينظر الى قول الامام الشافعى رضى الله عنه :

يا راكبا قف بالمحصب من منى واهتف بقاطن حيها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى فيضا كملتطم الفرات الفائض
قم ثم ناد بأننى لمحمد ووصيه وابنيه ليس بباغض
ان كان (ر) فضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافضى

وقال الشيخ عقيدة (. .) الدين اليافعى رضى الله عنه[2]

دعاها (. .) دماء العذيب فنحوه هوى عذبة الوصل الجميل دعاها

---

1 ـ فى ابن عساكر 176
ونال حسن منظر حقا وطيب مخبر

عقيـدة أشيـاخ لنــا وأيمــة   شموس هدى يكسو الوجود بهاها
شعار الهـدى تزهو بـه أشعرية   من العقل والنقل الصحيح حلاهـا
لهاكم امام شال رايات عزهـــا   لوى كل نهج ساجد للواهــــا
كمثل الامام الحبر أوحد عصره   ابى بكـر القاضى سمـا لعلاهـا
ومثل النجيب ابن النجيب أبى المــعالى الـذى عليـا الفخـار علاهـا
وحجة اسلام حوى الفخر ما جد   به المصطفى غوث الخلائق بـــاها
ومن ليس يحص من كبـار أئمـة   وهل عدد الحـ (ـصال) قط تناها
ولو لم يكن فى تلك غير ثـلاثــة   كفى فى اقتدى او اتبـاع هداهـا

ورقـة 91 ظهـر

واعنـى بهـم غزاليـا ونواويـا   وشيرازيا غرا بدورا سمـــاهـــا

وقـال ايضا :

لنا مذهب شمس الهدى باهج جلى   ومذهب غير عن صدى الزيغ جلى
عقيدتنـا عقـد من الـدر والحـل   على جيدها فى ثغرها السلسل الجلى
تحلت حلا أى الكتاب فأسفرت   عن السنة الحسناء وبرهانها الجلى
ونـالت باجمـاع جميـع محاسن   ففاقت سواها بالجمـال المكمـل
لنظارها منا بزاهى جمالها   سبيتهم وعناها ذو اعتزال بمعزل
أبت أن يرى تلك الحلى غير كاشف   لأستارأ سرار المعانى فيجتلى
خبير بمكنون المحاسن مهتد   لفهومهم منطوق وتفصيل مجمل
بظاهر نص وافق العقل قائـــل   ومـا لم يـوافق من محـال مؤول
نأى عن حضيض الحشو نهج مشبه   وغـالى اعتزال للصفـات معطــل
بنهج وسيط بين تفريط جامد   وافراط غال جاوز الحق مبطـل
شموس الهدى سارت به وبدوره   أولو الراية البيضاء والمنصب العلى
أئمتنا بين قطب محقق   مشاهـد أسرار امـام هـدى ولى
وخير امام فى العلوم مدقق   مفيد الورى فى كل فن محصل
وتصنيفنا ما بين وضع قواعد   اذا بجبـــال صودمت لــم تزلزل
ورفـع فروع فى حصون شوامـخ   فما رميها عن منجنيق موصـــل
لناكم وخير فى بنــاء قواعـد   وجمع معان واختصار مطول
وكم من بسيط فى جلاء بقائس   وايضاح ايجاز وحل لمشكل
وكم ذى اقتصاد مودع رب قـاطع   لافحام خصم مثل ما حزبه أعملى
بكف همام ذب عن منهج الهدى   بحزب نضال لا يرى غير أول
كمثل الفتى الحبر المباهى بفضله   فغـن بغــزالى العــلى وتغـزل
أبى حامد غزال غزل مدقق   من العلم لم يغزل كذاك بمغزل
به المصطفى باها لعيسى بن مريم   جليل العطايا والكليم المفضل

أعندكما حبر كهذا فقيل لا   فناهيك فى هذا الفخار المؤثل
رآه الولى الشاذلى فى منامه   ونرويه عنه من طريق مسلسل
رواه ولى عن ولى لنا وعن   ولى راوه ذاك عن رابع ولى
وعن شاذلى شاذلى وهكذا   وشيخ فشيخ مشيدا غير مرسل

الى ان قال :

وأقمرنا فى كل أفق منيرة   بها يهتدى فى كل سهل وأجبل
زهت فى سماء عليا مناهج وافقت   **عقائدها حقا** بها لم أطول

فهذا القدر اقتصرنا عليه منها وهي طويلة نفيسة . سماها عقد اللالى ، المفصل باالياقوت الغـالى فى مـدح أهـل السنة ومدح أعلامـه الأئمـة ،

ورقـة 92 وجـه

وقـد ختمت بهـا بكمالهـا مختصرى فى طبقـات الأئمـة الأشعرية رضى الله عنهم أجمعين ، ونفعنـا بعلومهم وبركاتهم وجعلنـا يـوم القيامة الأشعرية رضى الله عنهم أجمعين ، ونفعنا بعلومهم وبركاتهم وجعلنا يوم القيامة معهم فى درجـاتهم ، مع النبئين والصدقين والشهـداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وقال أيضا الشيخ اليافعى فى مدح علم الأصول والاعتذار عن تصنيفه كتابـه المبسوط فيه الذى سماه مدهم العلل المعظلة فى الرد على المعتزلة ، وساير الفرق التى هى للبدع منتحلة هذه الأبيات :

على المعالم علم الدين قد شرفـــا   علم به منهج التوحيد قـد عرفـا
يا لائمـا لى لتصنيفى لعلـمٌ هـدى   فرض على الخلق من فى ذاك قام كفا
سـل من بـه رد شبهات لمبتدع   يـلام فى مرهم جا للسقام شفـا
ان كنت لم توق شرط العلم معرفة   فاسأل خبير علوم بالشروط وفا
ولا تقس كل عصر قدرت بدع   بعصر صحب فعن تكدير تلك صفا
خـير القرون ومشكاة النبـوة كم   قد شاهدوا نورها الباهى الظلام نفا

وقد ذيلت عليه فقلت :

ولائـم لى لتصنيفى لكشف غطـا   هذا جوابى اذا بحالان ما اختلفـا
فعلت فعل الذى أدى لواجبه   عن الجميع فما أبقى بهم كلفا
وقد تفاقم خطب الحشو فى زمنى   ممن تصوف بـل أودى بهم تلفـا
فشبهـوا الله بـالمخلوق وافتخروا   بـالاتحـاد وقد دانـوا به صلفـا
فوفق الله (ربى) فى متابعتى   لهدى أسلافنا أبقى لهم خلفـا

مؤيـدا في حيـاتي والممـات اذا   حـان الرحيل الى الجنـات مزدلفا

وقد ظهر مما تقدم من سياقه تراجم مصنفات الأشعري رضى الله عنه ، أن للفلاسفة وغيرهم من المبتدعة والكفرة ، كاليهود والنصارى ، مصنفات على مللهم في التوحيد والشرائع بزعمهم ، ولذلك قال القاضي برهان ، المعروف بقاضي العسكر وكان من كبار أصحاب أبي حنيفة : وجدت كتبا صنفها المتقدمون في علم التوحيد بزعمهم بعضها للفلاسفة كاسحاق الكندى ، والاسقرارى ، وأمثالهما مملوءة من الشرك والنفاق مسماة باسم التوحيد ، ما أمسكها المتقدمون من أهل السنة والجماعـة وبعضهـا للمعتزلة ، كعبد الجبـار الرازى والجبـائي والكعبي والنظام ، لا يجوز امساكها ولا النظر فيها ، وبعضها للمجسمه كمحمد

ورقـة 92 ظهـر

بن الهيصم وأمثاله من شرار أهل البدع ، لا يحل النظر فيها ولا امساكها لئلا تحدث الشكوك وتوهن الاعتقاد او ينسب ممسكها الى البدع . ولهذا ما أمسكها المتقدمون . انتهى فمعرفة عقائد المصنفين مما يجب الاهتمام به لئلا يقع المطالع على شيء من كتب الكفرة وأهل البدع والضلالات ، فيغتر به . ومن هذا القبيل كتب ابن عربي وأتباعه الملاحدة ، وأسلافهم كالحلاج وغيره ، فليحذر منها فهي مملوءة فلسفة وبقاقا وزندقة ، ونفاقا . ويجب التحرر من نكت في كتب الترمذي الحكيم ، ونكت في منار السائرين ، اعتمدها أهل الاتحاد ، وادعوا أن الكتاب على طريقتهم ، ومن نكت في احياء علوم الدين ، ومعظم مشكاة الأنوار ، وكيمياء السعادة ، والمضنون به على غير أهله ، وكتاب زبدة الحقائق ، ومن مقالات كثيرة للصوفية في الرسالة والعوارف وغيرهما ، خصوصا فيما يشبه الاتحاد وذم علماء الشريعة ودعوى العلم الباطن . وتحريف تأويلات من القرآن ، وأحاديث نبوية ويجب الاحتراز من كتب الحنابلة الحشوية ، وشطاح الصوفية وضعفائهم ، وسيأتي بيان جمل من ذلك ان شاء الله ، نسأل الله العصمة .

واعلم أن الحنابلـة الحشويـة يشنعون على الأشعري في التنزيـه عن الحرف والصوت ، وغير ذلك ، يلزمونه الزامات لا تلزمه ، وينقلون عنه أشياء لايريد بها ما فهموا ، هم منها كما فعل صاحب البيان في تصنيفه التي ألفها في القرآن ، وعقيدتهم فيه فاحذر منها ومن الحنابلة الأجرى صاحب كتاب الشريعة . والتيمي صاحب كتاب الحجة في بيان المحجة ، فهما من أيمة الفقه في مذهب الشافعي وهما في العقائد من أيمة الحنابلة المحدثين المتمسكين بالظواهر ، ولا يطلع على تميز ذلك الا أهل التحقيق للحديث ، ولأصول الدين وطبقات الفقهاء ومن (مذ) هبهم : أن الله جل وعلا تكلـم بالقرآن بالحروف والصوت ، واثبـات جهة فوق (مكا) ن ايمان المؤمنين الموجود بالسنتهم ، كذكر الله تعالى بالتوحيد . وذكر

الله والثناء عليه ، وتلاوتهم القرآن ، كل ذلك قديم غير مخلوق ، قالوا : لأن هذه صفات لذكره كما أن كلامه صفة لذاته . انتهى .

والأشعرى رضى الله عنه يفصل فى الايمان ، كما تقدم . فـان من اسماء الله تعالى : المؤمن فمن قال أنه مشتق من الايمان فلأنه صدق نفسه . ومن قال انه مشتق من الأمان فلأنه آمن أولياءه من ظلمه . فالأشعرى ينفى الخلق عن الايمان الذى هو من صفات الرحمان فأما الايمان الذى هو صفة الانسان فلا يتصور قدمه الا من أشبه البهائم . وقد تقدم التنبيه على قصارى ذلك ، مراجعة من هناك .
والحاصل أن الحنابلة ثلاث طبقات الأول : على مذهب السلف . يعتقدون التنزيه ، وينفون التشبيه ، ويمسكون عن الكلام فى التأويـل . والثانية يمسكـون عن التأويل مـع اعتقاد التشبيه على ظاهر الروايات . والثالثة يفرحون بالتشبيه والتجسيم ، وبعضهم أجسر عليه من بعض وبالله التوفيق والعصمة .

ورقـة 93 وجـه

واعلم أن الذهبى فى تاريخه ، وميزانه ، ونبلائه . (1) ربما تعرض له النشطة اذا ترجم حنبليا او نحوه ، وتقصر همته اذا ترجم شافعيا او حنفيا . وقد فهمت ذلك من بعض تراجمه ، ثم وجدته قد قاله تاج الدين السبكى فى طبقاته الوسطى قال : فى التلويح ما يغنى عن التصريح . انتهى المقصود منه .
وأما قوله فى ترجمته لحبوشاى ينبغى أن لا يسمع كلامه فى حنفى ولا شافعى فانه شديد التعصب عليهم ، والوقيعة فيهم ، فهذا غلو من السبكى أيضا . والأولى التوسط ، فحيث ظهر تعصبه لم يقبل ، والا فنقبل والله أعلم .

واعلم أن ابن عربى وأتباعه من أشد الحشوية جسارة على التشبيه ، والتجسيم الصريح . ووصف الحق بصفات الخلق . والخلق بصفات الحق ، وغير ذلك من الفضائح كما سيأتى نقله عنهم قاتلهم الله ، وقطع دابرهم . وفى أكثر مذاهب الفرق ما يتعجب منه العاقل الأديب ، ويضحك منه اللبيب . لا سيما مذهب الحشوية والرافضة والباطنية .

واعلم أن الحشوية باسكان الشين سموا حشوية لحشوهم صفات التشبيه فى مواضع التنزيه . وبعضهم جوز الفتح لأنهم كانوا يجلسون أمام الحسن البصرى . فلما خالفوه قال ردوهم الى حشا الحلقة ، والرافضة من يرفض الشيخين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . والباطنية الاسماعيلية سموا بذلك لتحريفهم نصوص الشريعة الى أمور باطنية ، يدعونها ليهدموا بها الشريعة . لعنهم الله فما أسخف عقولهم ، وما أجهل شبانهم وكهولهم .

وأما من ينتسب الى أهل السنة والجماعة ، ويخالفهم فى الاعتقاد كالحلاج . . والاتحادية من الحشوية المتصوفة الملاحدة كابن عربى وأتباعه ، أو فى الأفعال

---

1 ـ تاريخ الاسلام وميزان الاعتدال ، وسير أعلام النبلاء ، وكلها مطبوعة .

كأكثر المتصوفة المشغولين بالتنعم بالأكل والشرب والسماعات المحرمة والمكروهة والطرب والرقص وسائر أنواع البطالة والدعاوى ، فبيان أحوالهم وآفاتهم من أكبر المقاصد فى هذا الكتاب ، ولم يزل أكابر أهل الطريق من الصوفية ، ذوى التحقيق يتوجعون منهم ، ويحذرون من تلبيسهم ، وينبهون على أنهم ليسوا على طريق الصوفية المحققين . وان طريق القوم قد اندرست . وسيأتى ذكر انكار الشيخ عمرو بن عثمان المكى على الحلاج ، ودعائه عليه . وكان الشيخ ابو الحسن ابن ماشذه الأصبهانى أحد شيوخ الفقهاء الشافعية ، والأيمة الاشعرية ، وأحد أعلام الصوفية ممن جمع علم الظاهر والباطن ، وكان ينكر على مشبهة الصوفية وغيرهم من الجهال ، فساد مقالهم فى الحلول والاباحة والتشبيه وغير ذلك من قبيح أقوالهم وأفعالهم ، وكان أقدم من القشيرى توفى يوم الفطر سنة أربع عشرة واربعمائة ذكر الحافظ بن عساكر . أ

ورقة 93 ظهر

ومن طالع كتاب المعيار علم كثرة حط العلماء عليهم . ولذلك قال الأستاذ ابوا القاسم القشيرى فى صدر كتابه الرسالة ، وعقد فصلا لذلك فقال :

فصل . ثم اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ، ولم يبق فى زماننا من هذه الطائفة الا كما قال الشاعر :

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

حصلت الفترة فى الطريقة ، لا بل اندرست الطريقة بالحقيقه . مضى وطوى سباطه ، واستمد الطمع وقوى رباطه . وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين ذريعه ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام . واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلوات . وركضوا فى ميدان الغفلات ، وركنوا الى اتباع الشهوات ، وقلة المبالات ، بتعاطى المحظورات . والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان ، وأصحاب السلطان . ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال ، حتى أشادوا الى أعلى الحقائق والأحوال . وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال ، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه ، عيب ولا لوم . وانهم كوشفوا بأسرار الأحدية واحتبطوا عنهم بالكلية . وزالت عنهم أحكام البشرية وبقوا بعد فنائهم عنهم بأ (سرار) الصمدية . القائل عنهم غيرهم اذا نطقوا . والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا بل صرفوا . ولما طال الابتلاء بما نحن فيه من الزمان ، بما لوحت فى هذه القصة كنت لا أبسط الى هذه الغاية لسان الانكار ، غيرة على هذه الطائفة أن نذكر أهلها بسوء ، او يجد مخالف لثلبهم مساغا . اذ البلوى فى هذه الديار ، بالمخالفين لهذه الطائفة ، والمنكرين عليها شديدة . ولما كنت أمل من مادة هذه الفترة أن تنحسم ، ولعل الحق سبحانه يجود بلطفه فى التنبيه ، لمن حاد عن السنة المثلى فى تضييع أذان هذه الطريقة . ولما أبا الوقت الا استصعابا ، وأكثر أهل العصر بهذه الديار الا تماديا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده ، وعلى هذا،

النحو صار سلفه ، فعلقت هذه الرسالة اليكم أكرمكم الله ، وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطائفة فى أذانهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم ، وما

ورقة 94 وجه

أشاروا اليه من مواجيدهم وكيفية ترقيهم من بدايتهم . الى نهايتهم ، لتكون لمريدى هذه الطريقة قوة ، ومنكم لى بتصحيحه شهادة . ولى فى نشر هذه الشكوك سلوة . ومن الله الكريم فضلا ومثوبة ، وأستعين بالله سبحانه فيما أذكره وأستكفيه وأستعصمه من الخطاء فيه . واستغفره واستعفيه . وهو سبحانه بالفضل جدير ، وعلى ما يشاء قدير . انتهى كلامه رضى الله عنه .

وقد قصدت ما قصد ، لعلى أجد من فضل الله ما وجد ، ولم أقصد التحامل بالهوى على أحد ، والله أعلم بسرى وجهرى ، واليه أرغب فى تصفية سرى . وقال الشيخ شهاب الدين السهروردى فى كتاب كلمة التصوف · أول ما أوصيك به تقوى الله ، احفظ الشريعة فانها الطريق الى رضوانه . كل دعوى لم يشهد لها الكتاب والسنة فهى عبث ورفث . وقال فى بعض وصاياه : ولا يعدل عن العلم خطوة ولا تكن من جهال الصوفية فانهم لصوص الدين ، وقطاع الطريق على المسلمين

وقال أيضا فى كتاب كلمة التصوف . لا تلعبن بك العبارات فلعل من كل ألف تسعة وتسعين وتسعمائة يبعثون من قبورهم وهم قتلى العبادات . ذبائح سيوف الاشارات . غفلوا عن المعانى فضيعوا المبانى الحقيقة شمس واحدة لا تتعدد . والمدينة واحدة والدروب كثيرة . والطرق عسيرة يسيره . وقال أيضا فى عوارف المعارف فى الخطبة : كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم . وتستر بزيهم المتسترون ، وفسدت أعمالهم . وقال ايضا فى الباب الأول فى منشأ علوم الصوفية الصوفى هو المقرب وكل حال شريف يعزى الى الصوفية فهو حال المقرب . ومن بلغ من الأبرار الى مقام المقربين ولم يتحقق بحالهم فهو متصوف ، ومن عداهما ممن تزيا بزى ينسب اليهم فهو متشبه . وقال أيضا : قد اندرس كثير من علوم الصوفية كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علمنا هذا . يعنى علم التوحيد . قد طوى بساطه منذ كذا وكذا سنة . ونحن نتكلم فى حواشيه. قال السهروردى : هذا قوله فى وقته مع قرب العهد بعلماء السلف ، وصالحى التابعين . فكيف بنامع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين العارفين بحقائق علوم الدين انتهى .

وممن صرح بأن الجنيد أراد علم التوحيد الاستاذ أبو القاسم القشيرى فى رسالته فى باب التوحيد وأنشدوا فى ذلك :

أنعى اليك قلوبا طال ما هطلت سحائب الوحى فيها أبحر الحكم

وقال السهروردى أيضا فى البـاب الرابع : الصوفيـة أوفر الناس حظـا من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأوفرهم حظا من محبة الله تعالى . وهم

الذين ظفروا بحسن المتابعة ، ورزقوا ببركة المتابعة ، التخلق بأخلاقه فاستوفوا جميع أقسام المتابعة .

ورقــة 94 ظهــر

ومن ظن أن يبلغ عرضا أو يظفر بمراده من طريق المتابعــة فمغرور . قــال أبو سعيد الخراز كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل . وقال الجنيد : علمنا هذا مؤيد مستبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال سهل بن عبدالله : كل وجه لايشهد له الكتاب والسنة فباطل . وقال أبو عثمان الحيرى من أمر السنة على نفسه قولا وعملا نطق بالحكمة . ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة . ومن ترك سنة عوقب بترك فريضة . ومن ترك فريضة ابتلى ببدعة . وقال الجنيد رضى الله عنه : الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال أيضا : من لم يحفظ القرآن ،ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الشأن ، ولا يصلح له أن يتكلم فى علمنا ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة ، وقال الشيخ الامام عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه : أقرب الطرق الى الله لزوم قانون العبودية والاستمساك بعروة الشريعة الاسلامية ، والاستقامة على جادة التقوى . وقال أيضا : اتباع شرعه يعطى سعادة الدارين . احذر أن تخرج من دائرته . اياك أن تفارق اجماع أهله . وقال أيضا اجعل قبول أمره طريقك الى الله . وقال السهروردى : فهذا حال الصوفية وطريقتهم . وكل مريد يدعى حالا على غير هذا الوجه فمدع مفتون كذاب . وقال السهروردى ايضا كل من ظهر على يديه شىء من الخوارق ، وهو على غير التزام أحكام الشريعة ،فهو زنديق . والذى يظهر له مكر واستدراج . وقال غيره : اذا رأيت من يمشى على الماء أو يطير فى الهواء فاعرض أفعاله على الكتاب والسنة . فان وافقهما فهو على الحق والا فهو مستدرج . وقال ابو حفص النيسابورى (من لم) يزن أحواله وأفعاله فى كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره ، فلا تعده فى ديوان الرجال . وقال الجريرى يرى أمرنا هذا مبنى على أصلين : أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ، وأن يكون العلم على ظاهرك قائما . وقال أبو الحسن النورى : ليس لله فى عبده مقام ولا حال ولا معرفة ، تسقط معها آداب الشريعة ، وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الاداب وقال الجلاجلى البصرى : من لا شريعة له ، لا ايمان له ، ولا توحيد له . وقد عقــد الشيخ فى العوارف بابا لمن انتهى الى الصوفيــة وليس منهم . قــال أولئك قوم يسمون أنفسهم قلندرية بارة وملامتية أخرى . وقد ذكر حال الملامتية وانه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والآثار ، وتحقق بالاخلاص والصدق وليس مما يزعم المفتونون بشىء والفرق بين الملامتى والقلندرى ، أن الملامتى يعمل

فى كتم العبادات والقلندرى (1) يعمل فى تخريب العادات فيطرح التقيد

ورقـة 95 وجـه

بأداب المجالسات والمخالطات ويملكه شكر طيبة القلب ، فيقل عمله من الصوم والصلاة الا الفرائض . ويتناولون لذات الدنيا المباحة برخصة الشرع ، ويتركون الادخار والجمع . قال : وهم مع ذلك متحفظون عن تخريب أحكام الشرع . فان خربوا الأحكام فهم فساق . انتهى وقال أيضا فى باب آجهار الصلوات واسرارها : وقد غلط قوم ظنوا أن المقصود من الصلاة ذكر الله . واذا حصل الذكر فلا حاجة الى الصلاة . وسلكو طرقا من الضلال . ومجو الرسوم والأحكام ، ورفضوا الحلال والحرام . قال وقوم اعترفوا بالفرائض . وأنكروا فضل النوافل ، واغتروا بيسير نور الحال وأهملوا فضل الأعمال ، والأحوال تنمو بالاعمال ، والاعمال تزكو بالأحوال . قال الشيخ : وقوم سموا أنفسهم ملامتية ، ولبسوا ألبسة الصوفية لينسبوا اليهم . ومـا هم منهـم فى شىء بـل هم فى غرور وغلط . يتسترون بلبسة الصوفية توقيا أو دعوى ، وينتهجون مناهج أهل الاباحة ، ويزعمون أن ضمائرهم خلصت الى الله تعالى ، وهذا عندهم هو الظفر بالمراد ، ويرون أن الارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام ، والقاصرى الأفهام المنحصرين فى ضيق الاقتداء والتقليد . قال الشيخ رضى الله عنه : وهذا عين الالحاد والزندقة والابعاد وكل حقيقة ردتها الشريعة فهى زندقة . وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية ، والحقيقة هى حقيقة العبودية ، ومن صار من أهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية ، وحقيقة العبودية ، وصار مطالبا بزيادات ، لا يطالب بها من لم يصـل الى ذلك ، لا أنـه يخلع من عنقه ربقة التكليف ، ويخـامر باطنه الزيغ والتخريف . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ان ناسا كانوا يوحدون بالوحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الوحى قد انقطع . وانما ناخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا ، أمناه وقربناه ، وليس الينا من سريرته شىء ، الله يحاسبه فى سريرته . ومن أظهر لنا سوى ذلك لم نأمنه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن . قال السهروردى رضى الله عنه : فاذا رأينا متهاونا بحدود الشرع مهملا للصلاة المفترضة لا يعتد بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة . ويدخل المداخل المكروهة المحرمة . نرده ولا نقبله ، ولا نقبل دعواه ، أن له سريرة صالحة .

ذكر رجل المعرفة عند الجنيد ، فقال ، الرجل : أهل المعرفة بالله يصلون الى أن ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى . فقال الجنيد : هذا

---

1 ـ انظر عن القلندرية ـ مصطفى جواد ، فى : بغداد قديما وحديثا ـ ص 223

قول أقوام تكلموا باسقاط الأعمال ، وهذه عندى عظيمة . والذى يسرق ويزنى أحسن حالا عندى ممن يقول هذا . وان العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرذرة ، الا أن يحال فى دونها ، وانها لآكد فى معرفتى وأقوى لحالى انتهى .

قال الشيخ رضى الله ، عنه : ومن أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون أن الله تعالى عن قولهم يحل فيهم ، ويحل فى أجسام يصطفيها . وسبق الى فهومهم من قول النصارى فى اللاهوت والناسوت ، أى قول النصارى أن الكلمة حلت بناسوت المسيح وهو الظاهر بجسده . هذا قول اليعقوبية منهم . وقال النسطورية منهم والملكانية يرافقهم فى الاتحاد وان خالفوهم فى كيفيته .

قال الشيخ رضى الله عنه : ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم . قلت : ومنهم من يشحذ لها وممن يفعل ذلك أحد شيوخ زبيد ، المسمى بصالح اسما . لا فعلا . حكى عنه أنه سجد لرؤية أمرد ثم أنشأ يقول :

كل الجمال جماله لا تعذلن به الملاح
فاذا رأيت له به فاسجد هناك ولا جناح

وأعظم من ذلك قول ابن عربى ان من عبد صنما او شجرا او حجرا او قمرا فما عبد الا الله ، كما سيأتى نقله عنه ان شاء الله تعالى . قال السهروردى : ويتحايل لهم أن من قال كلمات فى بعض غلمانه ، كان مضمر الشىء مما زعموه ، مثل قول الحلاج : أنا الحق ، وما يحكى عن أبى يزيد من قوله سبحانى . حاشا أن يعتقد فى أبى يزيد أنه يقول ذلك ، الا على معنى الحكاية عن الله تعالى ، وهكذا ينبغى أن نعتقد فى الحلاج قوله ذلك . ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا لشىء من الحلول رددناه كما نردهم .

قلت قد ثبت عند العلماء الذين أقاموا عليه الحد أنه ذهب الى اعتقاد الحلول والاتحاد ، وصرح بذلك فى مجالسه وتصانيفه . وستأتى حكاية قوله فى ذلك فى الباب الرابع عند ذكر مقتله ، والله أعلم .

قال السهروردى : وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة بيضاء نقية ، يستقيم بها كل معوج ، وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى تعالى به وما لا يجوز (به) لله عز وجل ، مميزة عن أن يحل به شىء . انتهى وذلك متفق عليه بين الأنبياء والعلماء والأولياء . ثم ذكر الشيخ ايضا أن بعض المفتونين يدعى أن الله تعالى يكلمه ويقول : قال لى وقلت له ، وهذا اما جاهل بنفسه وبحديثها ، جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة . وأما عالم ببطلان ما يقول ، يحمله هواه على الدعوى للتوهم بذلك أنه ظفر بشىء . وكل هذا حلال ، ويكون سبب تجرئه على هذا ما سمع عن بعض المحققين ، من حصول مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة ، مع تمسكهم بأصول

القوم من صدق التقوى وكمال الزهد فى الدنيا ، فلما صفت سرائرهم تشكلت فى سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة فنزل بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ، ولا يكون ذلك كلامـا يسمعونه ، بـل كحديث النفس ، يجدونه موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهله ، موافقا للعلم . ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم ، ومناجاة سرائرهم اياهم ، فيثبتون لأنفسهم مقام العبودية ولمولاهم مقام الربوبية ، فيضيفون ما يجدونه الى نفوسهم ، والى مولاهم ، وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله ، وانما هو علم حادث أحدثه الله فى بواطنهم ، فطريق الأصحـاء فى ذلك ، الفرار إلى الله تعالى من كـل مـا يحدث نفوسهم به ، حتى اذا برئت ساحتهم من الهوى ألهموا بواطنهم شيئا ينسبونه الى الله نسبة الحادث الى المحدث . لا نسبة الكلام الى المتكلم ليصانوا عن الزيغ والتحريف . انتهى .

وقال فى الباب الثانى عشر فى حكم حرقة مشائخ الصوفية : الارسال والوحى يختص بالأنبياء ، وأما الكلام من الله تعالى من وراء الحجاب بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك ، فقد يحصل للشيوخ والراسخين فى العلم . وهذا الاطلاق مقيد بما سبق . ثم قال الشيخ فى بـاب من انتهى اليهـم ، وليس منهم ومن اولئك قـوم يغرقون فى بحـار التوحيد ، ويسقطون ولا يثبتون حركة ولا فعلا ، ويزعمون أنهم مجبورون على الأشياء وأن لا فعل لهم مع الله ، ويسترسلون فى المعاصى وكل مـا تدعو النفس اليه ، ويركنون الى البطالة ودوام الغفلة والاغترار بالله والخروج عن الملة وترك الحدود والاحكـام ، والحـلال والحرام . وقد سئل عن رجل يقول : أنـا كالباب لا أتحرك الا اذا حركت فقـال ـ هذا لا يقوله الا صديق ، أو زنديق ، فالصديق يقوله اشارة الى أن قوام الأشياء بالله تعالى مع أحكام الأصول ، ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك احالة للأشياء على الله ، واسقاطا للائمة عن نفسه ، وانخلاعا (   ) ورسمه انتهى ومن ههنا يوجد ان من انتهى الى تلك الحالة واعتقد الاتحاد فقد انسلخ من الدين ، وانقلبت معرفتـه نكرة . كبلعـم بن باعوراء الذى أنـزل الله فيه : واتـل عليهم نبأ الذى اتينـاه آياتنـا فانسلخ منها ، على مـا هو فى التفاسير مشهور . ونسأل الله العصمة والثبات على الكتاب والسنة وسيأتى تقرير هذا فى قصة الحلاج ان شاء الله تعالى .

وقال فى الباب الحادى والعشرين فى شرح حال المريد المتجرد وللمتأهل بسبب الزوجة فتنتان : فتنة لعموم حاله وفتنة لخصوص حاله ، فذكرهما ثم ذكر فتنة ألطف منهما من حيث امتزاج النفوس وارتباطها برابطة الامتزاج ثم ذكر فتنة ألطف من الثالثة ، قال : وهى أن يصير للزوج استرواح الى لطف الجمال ، ويكون ذلك الاسترواح موقوفا على الروح ، ويصير ذلك وليجة فى حب

الروح المخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فتتبلد الروح وينسد باب المزيد من الفتوح ، وهذه البلادة فى الروح يعز الشعور بها فليحذر منها . قال : ومن

ورقة 96 ظهر

هذا القبيل دخلت الفتنة على طائفة قالوا بالشاهد . واذا كان فى باب الحلال وليجة فى الحب ، تتولد منها بلادة الروح فى القيام بوظائف حب الحضرة الالهية فما ظنك بمن يدعى ذلك فى باب غير مشروع ، ثم يغره سكون النفس اليه قال السهروردى : على أنى استبحثت عما يبتلى به المفتونون بالشاهد ، فوجدت أن المجنى من ذلك ، من صورة الفسق رغوة شراب الشهوة . لو ذهب الشراب ما بقيت الدعوة . فليحذر جدا ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة ، فهو مدع كذاب . وليعلم أن مستنده الشهوة . ويكذب من يدعى فيه حالا ، انتهى . وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى باب الوصية للمريدين ، بعد النهى عن صحبة الأحداث والتشديد فى ذلك : ومن ارتقى فى هذا الباب عن درجة الفسق وأشار الى أن ذلك من بلاء الأرواح ، وأنه لا يضره ، وما قالوه من وساوس القائلين بالشاهد ، وايراد حكايات عن الشيوخ بما كان الأولى بهم اسبال الستر على هناتهم وآفاتهم . فذلك نظير الشرك وقرين الكفر . انتهى المقصود من كلام الشيخين المذكورين رضى الله عنهما ومرادهما بالمفتونين بالشاهد أصحاب التعشق للنساء والصبيان الحسان ، ويدعون أن ذلك على طريق محبة صنع الله وملاحظة معنى من جماله على طريق الاعتبار ، والتولج بحب الأدنى الى حب الأعلى بزعمهم ، وأعظمهم فتنة جماعة القائلين بالحلول أو بالاتحاد . ومعنى فتنتهم بالشاهد أنهم يزعمون انهم يشهدون صفات ذات الحق ، تعالى عن قولهم . فى أشخاص من الخلق اصطفاها وجد فيها معانى الربوبية ، وأزال عنها معانى البشرية وقد يتعشقون الزوجات وسائر النساء والاحداث أى المردان للواط ونحوه ، ويدعون حلول تلك الصفات فيهم أخزاهم الله ولعنهم لعنا كثيرا . ولقد قال الشيخ عماد الدين الواسطى الدمشقى نقلا عن الشيخ نجم الدين الاصفهانى : ما ائلف الدين كطائفتين : الاحمدية فى النساء ، والجريرية فى الصبيان ، قال الواسطى : والاتحادية فى العقائد ، واليونسية قريبون منهم . كل هوءلاء ائلفوا الدين ، وقلبوا حقائقه ، واستهانوا به وضيعوا حدوده ، وتكلم على ابن عربى واتباعه فى مواضع من كتبه بالذم والتكفير ، نسأل الله العافية . وتكلم عن الأحمدية ، وطعن فيهم كثيرا لسبب صحبتهم للنساء والصبيان ، وغير ذلك . وقال الامام الغزالى فى الاحياء ، فى الكلام على الشطح والطامات ، ويعنى بالشطح صنفين من الكلام ، احدثهما بعض المتصوفة : احدهما الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى ، والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالروءية ، والمشافهة بالخطاب ، فيقولون قيل لنا كذا . وقلنا كذا

ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى قتل وصلب لاجل اطلاقه

ورقـة 97 وجـه

كلمات من هذا الجنس ، وقوله انا الحق ، ومما يحكى عن ابى يزيد البسطامى انه قال : سبحانى ، سبحانى ، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام ، حتى لقد ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى . فإن هذا كلام يستلذه الطبع ، اذ فيه البطالة فى الأعمال ، مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال ، فلا يعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ، ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا ان يقولوا انكار مصدره العلم والجدال ، والعلم حجـاب والجدال علـم نفسى ، وهـذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ونحوه وفنه مما قد استطار فى بعض البلاد شرره ، وعظم ضرره ، ومن نطق فى شىء منه فقتله افضل فى دين الله من احياء عشرة ، هذا لفظ الغزالى . ونقل القمولى وغيره انه لو ادعى بعض الناس انه بلغ حاله مع الله تعالى ان اسقطت عنه فرض الصلاة واحلت له شرب الخمر ، واكل مال السلطان كما زعم بعض من ادعى التصوف . قال الغزالى لا شك فى وجوب قتل هـذا . وان كـان فى الحكـم بخلوده فى النار نظر . وقيل : قتله افضل من مائة كافر ، لان ضرره اعظم ، انتهى ، وقوله فى الحكم بخلوده فى النار نظر ، محله اذا لم يعرف انه اعتقده اعتقادا والاحكم بانه كافر مرتد ، مخلد فى النار كما سيـاتى عن الخطـابى والله اعلم . ثم قال الغزالى : واما ابو يزيد ، فلا يصح عنه ما حكى عنه . وان سمع ذلك منه فلعله يحكيه عن الله تعالى فى كلام يردده فى نفسه (......) وسمع وهو يقول أنا الله لا الاه الا انا ، فاعبدنى . فانه ما كان ينبغى ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية ، انتهى . وهذا هو تأويل السهروردى الذى قدمنا حكايته عنه وبعضهم يحمله على حالة غلبة الذهول ، وفقدان الشعور واليه أشار السهروردى فى اول كلامه ، ويرحم عمه ابو النجيب السهروردى فى كتاب آداب المريدين حيث قال : فصل : واما الشطحات المحكية عن ابى يزيد وغيره ، فذلك عند غلبة الحال وقوة السكر وغليان الوجد ، فلا قبول لها ولا رد ، انتهى . وذكر صاحبنا وشيخنا الفقيه الامام جمال الدين محمد بن نور الدين الخطيب المورعى فى كتابه الذى صنفه ردا على الفصوص لابن عربى ما معناه ان ، الناس فى الشطح على ضربين ، منهم من ترد عليه حالة ذهول فى الله تعالى ، ثم ان أصحى من سكره مشى على صراط الشريعة ولم ينكر عليه شىء ، فهؤلاء اختلف فيهم أهل العلم . فمن أهل الطريق من يغتفر لهم مثل هذا ، وذهب اهل الفقه والعلم وعظماء اهل الطريق الى المؤاخذة لهم واقامة الحدود عليهم اذ حريم الجناب العزيز يحرم

ورقـة 97 ظهـر

اطلاق الالسنة فيه بما يحرق حجاب الهيبة وعدم الشعور بالكلية لا يكاد يعقل

انما تعرفه من مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ، ولهذا افتى ابو القاسم الجنيد فى الحلاج بالقتل ، قال ومن الناس من يستعمل هذه الشطحات الشنيعة منهيا ويدونها فى التصانيف باصولها وقواعدها وفروعها كهذا الرجل وامثاله ، فهؤلاء ملحدون فى دين الله تعالى ، فمن التمس لهم عذرا فقد اخطا الطريق واشبه عليه المعذور بغير المعذور . ولو بصر بحقيقة امره ثم اعتذر له لتحمل اللوم كله ولما عذر . انتهى .

ولقد حقق ابن نور الدين حكم الضربين اذ لا يجوز الخلاف بين الايمة فى تكفير الضرب الثانى . ومن سامح الضرب الاول ، لا يسعه ذلك فى الضرب الثانى فلا يبقى لمثل اليافعى عذر عنهم الا قوله : ليس منهم كما صرح به فى المترهم والشاس ، وكتاب ابن نور الدين هذا تكلم فيه على فص من الفصوص ، وبين وجه التكفير منه ، وان جميع كلامه يتحرج على مذاهب الفلاسفة . الا القول بالاتحاد فانه منهب النصارى ، لكن على الخصوص فى عيسى عليه السلام ، وهذا زاد عليهم بالعموم فى كل شخص وكل عين واراد بالحالة التى اختلف فيها حالة الذهول الباقى فيها لبعض الشعور ، فحكم التكليف والتاديب فيها قائم عند الجمهور ، وهى حالة تعترض بعض السالكين يعبر عنها بالاصطلام والغناء والسكر ونحو ذلك ، قال الامام ابو العباس بن تيمية : انما تتضمن عدم الاحساس ببعض الاشياء دون بعض ، فهى مع نقص صاحبها الضعف تمييزه لا تنتهى الى حد يسقط فيه التمييز مطلقا ، ومن نفى التمييز فى هذا المقام مطلقا ، وعظمه فقد غلط فى الحقيقة الكونية والدينية قدرا وشرعا ، غلط فى خلق الله وفى امره حيث ظن وجود هذا ولا وجود له ، وحيث ظن انه ممدوح ولا مدح فى عدم التمييز والعقل والمعرفة ، قال : واذا سمعت بعض الشيوخ يقول : اريد ان لا اريد ، وان العارف لا حظ له وان يصير كالميت بين يدى الغاسل ونحو ذلك ، فهو انما يمدح منه سقوط ارادته التى لم يؤمن بها ، وعدم حظه الذى لم يؤمر به وانه كالميت فى عدم طلب ما لم يؤمر بطلبه . وترك دفع مالم يؤمر بدفعه ، ومن اراد بذلك انه تبطل ارادته بالكلية وانه لا يحس باللذة والالم والنافع والضار ، فهذا مخالف لضرورة العقل والحس ومن مدح هذا فهو مخالف لضرورة الدين والعقل . انتهى .

فعلى هذا قول الشبلى المتقدم فى نتف اللحم من شاربه بمنقاش ، انه لا يحس الالم يعنى احساسا يستتر عنه ما يجد ، والا فقد عرف انه ألم ، وانه سبب فى ستر ما يجد والله اعلم ، وسيأتى فى ذكر الحلاج مزيد كلام ان شاء الله تعالى ،

ورقة 98 وجه

ثم قال الغزالى : الصنف الثانى من الشطح : كلمات غير مفهومة . لها ظواهر رائعة . وفيها عبارات هائلة . وليس وراءها طائل . وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها ايضا ، بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى

خيا له ، لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه . وهذا هو الاكثر ، واما ان تكون مفهومة له ، ولكنه لا يقدر على تفهيم ذلك وايراده بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم ، وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام ، الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان ، ويحمل على ان يفهم منها معانى ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد ممن يسمعها على مقتضى هواه . وطبعه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم ، وقال كلموا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، اتريدون ان يكذب الله ورسوله ، قلت هذا في البخارى عن على رضى الله عنه من قوله ، والاول مروى عن ابن مسعود من قوله ايضا ، قال الغزالى وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل السامع . فكيف فيما لا يفهمه ؟ قال : واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح ، وامر آخر نخصه ، وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى ادور باطنة ، لا تسبق منها الى الافهام ، وكدأب الباطنية فى التاويلات ، وهذا ايضا حرام وضرره عظيم ، فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام ينقل عن صاحب الشرع ، او بغير ضرورة تدعو الى ذلك من دليل العقل ، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ ، ويسقط به منفعة كلام الله تعالى ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، فان ما يسبق منه الى الفهم يبقى حينئذ لا يوثق به ، والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى ، وهذا ايضا من البدع الشائعة العظيم ضررها وانما قصد اصحابها بها الاغراب ، فان النفوس مائلة الى الغريب ، ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة ، بتأويل ظواهرها ، وتنزيلها على رايهم كما حكيناه عنهم فى كتاب المستظهرى المصنف في الرد على الباطنية ، ومثال تاويل بعض اهل الطامات قول بعضهم فى تاويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ، انه اشار الى قلبه ، وقال : انه هو المراد بفرعون ، وهو الطاغى على كل انسان ، وقوله : الق عصاك ، اى كلمات توكأ عليها وتعتمده مما سوى الله ، فينبغى ان تلقيه ، وفى قوله عليه الصلاة والسلام : تسحروا فان فى السحور بركة ، اراد به الاستغفار بالاسحار ، وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره ، وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء ، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانه قطعا ، كتاويل فرعون على القلب ، فان فرعون شخص معروف مخصوص ، تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كابى جهل وابى لهب . وغيرهما

ورقة 98 ظهر

من الكفار ، وليس من جنس الملائكة والشيطان وما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظه ، وكذلك حمل السحور على الاستغفار ، فانه صلى الله عليه وسلم كان نبيا يتناول الطعام ، ويقول : تسحروا فان فى السحور بركة : وهلموا الى الغد المبارك ، فهذه امور تدرك بالتواتر والحس بطلانها ،

وبعضها يعلم بغالب الظن ، وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس ، وكل ذلك حرام وظلال وافساد للدين على الخلق ، ولم ينقل من ذلك شيء عن الصحابة ولا عن التابعين ، ولا عن الحسن البصرى مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار ، معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه ، فيستجر شهادة القرآن اليه ، ويحملها عليه ، من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ، ولا ينبغي ان يفهم من هذا انه يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر ، فان من الايات ما نقل فيها عن التابعين والمفسرين خمسة معاني وستة وسبعة ، ويعلم ان جميعها غير مسموع من النبيء صلى الله عليه وسلم ، فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع ، فيكون ذلك مستنبطا بالفهم والفكر . ولهذا دعا النبيء صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال : اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل انها غير مرادة بالالفاظ ، ويزعم انه يقصد به دعوة الخلق الى الحق ، يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكنه لم ينطق به صاحب الشرع كمن يصنع في كل ملة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال . ودخول في وعيد : من كذب علي متعمدافليتبوأ مقعده من النار بل الشر في هذه التاويلات اظلم واعظم ، لانها مبطلة الثقة بالالفاظ ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن ، بالكلية ، انتهى ، وقال ايضا الغزالي في الكلام على تفسير القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين : وذهبوا الى انه كفر لحديث : من فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار .

قال : وهذا النهي ينزل على وجهين : احدهما ان يكون له في الشيء راى واليه ميل من طبعه وهواه ، فيتاول القرآن على وفق رايه وهواه ، وهو يعلم ان ذلك ليس المراد بالاية ، ولكن يلبس به على خصمه وقد يكون له غرض صحيح فيستدل عليه من القرآن بما يعلم انه ما اريد به كما تقدم في باب تأويل السحور وفرعون . قلت : ومن هذا القبيل أخذ الفال من المصحف وقد جزم الطرطوشي بتحريمه في تعليقه ، الوجه

ورقة 99 وجه

الثاني : ان يبادر الى تفسير القرآن بظاهر العربية ، من غير استظهار للسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن والفاظه المبهمة ، والمبدلة ، وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية ، كثر غلطه . وفسر القرآن برايه ، فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ، ليتقى به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتبع الفهم والاستنباط ، ثم قال بعد ذكر وجوه الفهم والاستنباط : فهذه خواطر تنفتح لارباب القلوب ، ثم لها اغوار وراء

هذا ، واسرار لا يدل عليها ظاهر التفسير ، وليس مناقضا لظاهر التفسير ، بل هو استكمال له ، ووصول الى لبابه ، فهذا ما نريده بفهم المعانى الباطنية لا ما يناقض والله اعلم . انتهى . وقد شرط غيره من العلماء بالتفسير والحديث والفقه فى التاويل ، ان يكون لا ينافى ظاهر الاية ، ولا يخرج عن الكتاب والسنة ، فاحتفظ بهذه القاعدة لتعلم ما يرد عليك مما يخالفها وبالله التوفيق ، وفى فتاوى ابن الصلاح ان ابا عبد الرحمن السلمى صنف كتابا سماه حقائق التفسير ، فيه من هذا النمط وان الامام ابا الحسن الواحدى قال فيه : ان كان اعتقد ان ذلك تفسيره فقد كفر . انتهى . مختصرا وذكر ابن تيمية فى جواب له طرفا من هذه التأويلات عن الاسماعيلية القرامطة وعن ابن عربى وامثاله من المتصوفة وكفرهم جميعا ، وسياتى نحو ذلك عن ابن عربى واتباعه فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى ، وقد تقدم قول النسفى فى العقائد : ان النصوص على ظواهرها ، والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن الحاد وكفر ، قال التفتازانى فى شرحه بعد تقريره للاول : واما ما يذهب اليه بعض المحققين من ان النصوص على ظواهرها ، ومع ذلك ففيها اشارات خفية الى دقائق تنكشف على ارباب السلوك ، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، فهو من كمال الايمان ومحض العرفان . انتهى .

واعلم ان المرضى من التاويل للشطح ، هو ما عرف لصاحبه صحة الحال الشاهدة بالحكاية والذهول دون ما كان عن اعتقاد . واما ما كان عن تساهل فيوءدب عليه ويفرق بين النادر والمتكرر ، وبين الخفيف والفاحش ، كما ستعرفه ، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى آخر القواعد الكبرى : وقد تشبه بالقوم من ليس منهم ، ولا يقاربهم فى شىء من الصفات وهم شر من قطاع الطريق ، لانهم يقطعون طريق الذاهبين الى الله تعالى ، وقد اعتمدوا على كلمات قبيحة يطلقونها على الله تعالى ، ويسيوءون الادب على الرسل والانبياء واتباعهم من العلماء والاتقياء ، وينهون عن السماع من الفقهاء لعلمهم بان الفقهاء ينهون عن صحبتهم وعن السماع منهم وعن سلوك طريقهم انتهى. وبالله التوفيق

واعلم ان (....) شطحات الصوفية بالتاويل لزم منه ما ينتهى الى تبديل الشريعة وتحريفها ، فاحذر من ذلك وبالله التوفيق

ورقة 99 ظهر

الباب الثالث فى بيان حال ابن عربى واتباعه المارقين الشطاح الغالين . وبيان شىء من مقالاتهم وتحريفهم لكتاب الله المبين .

اعلم رحمك الله ان ابن عربى واتباعه من الحشوية الغالين الفلاسفة الباطنية الملاحدة الجبرية المتصوفين المنتسبين الى المسلمين ، ليأتوهم من اليمين كما قال الله تعالى حكاية عن اتباع المشركين : كنتم تاتوننا عن اليمين . يقول من جهة الدين ، تخدعوننا باقوى الوجوه . كذلك هذه الطائفة المتصوفة الباطنية الملاحدة ، راموا افساد الدين واضلال المسلمين بدعوى التصوف والحقائق ،

ففضحهم الله بتاليفهم وتصانيفهم وكشفت اعوارهم ، واوضح للعلماء قبح مذهبهم وبطلان دعاويهم فافتوا بتكفيرهم . حتى توارد على تكفيرهم نحو ما بين عالم محقق ، قد جمعت فتاويهم في مجلد ضخم موجود في الديار المصرية ، على ما أخبرني الثقة . وكان ابن عربي ممن مهر في علم المعقولات ومذاهب المخالفين ، ولم يصحبه التوفيق ، فلم يتقيد بقيد الشريعة المحمدية ، وتجاسر على مخالفة اجماع المسلمين وبنى مذهبه على قواعد ملفقة من مقالات الضالين منها القول بقدم العالم وازليته ، صرح به في غير موضع من كتبه ، ومنها جميع الفرق المخالفين من الحشوية والفلاسفة والقرامطة الباطنية والنصارى وسائر المبتدعين اسير . لا على مذهب من يقول كل مجتهد مصيب حتى في اصول الدين على ان القول به في الفروع يلزم منه تصويب المتضادين ، ولذلك قال ابو اسحاق الاسفراييني : هذا القول اوله سفسطة وآخره زندقة ، نقله عنه النووي في التهذيب والمعروف عند الاصوليين والفقهاء والمحدثين ، ان القول بتصويب كل مجتهد انما هو في الفروع ، اما في اصول الدين فالحق واحد ، والمصيب واحد ، ومن عداه مخطيء آثم غير معذور باجماع المسلمين الا ما حكي عن عبيد الله بن الحسن العنبري والجاحظ المعتزليين من تصويب كل مجتهد حتى في اصول الدين حتى نقل عن العنبري تصويب اليهود والنصارى. واخذ ابن عربي بهذا المذهب وابرزه في قالب الحقيقة واوصى به فقال : اياك ان تقتصر على معتقد واحد فيفوتك خير كثير ، وقال ايضا في الفصوص في الكلمة اليهودية : فكن في نفسك هيولى يصور المعتقدات كلها ، فاينما تولوا فثم وجه الله (1) ، وما خص اينا من اين ، الى ان قال : فما ثم الا الاعتقادات فالكل مصيب وكل مصيب ماجور ، وكل ماجور سعيد ، مرضي عنه ، وان شقي زمانا في الدار الاخرة ، هذا لفظه ، وفيه تصويب اليهود والنصارى وعبدة العجل والاوثان والطواغيت وغيرهم على العموم كما سيأتي فانه ايضا ولذلك اثبت في صدر كتابه الفتوحات المكية ثلث عقائد : عقيدة للعوام من المسلمين من غير نظر ولا برهان ، هكذا قال اشارة الى تضعيفها ، وعقيدة للخواص ،

ورقـة 100 وجـه

اى وهذه عقيدة الفلاسفة ، وعقيدة لخواص الخواص . ولكنه قال : جعلتها مبددة في الكتاب ، لانها امر فوق هذا ، واراد بها عقيدة نفسه وامثاله من الملاحدة ، وكذلك جعلوا الشهود ثلثمراتب كما سياتي ، وكذلك جعلوا المعرفة والتوحيد والفناء والبقاء كلها على ثلث مراتب للعامة وللخاصة ولخاصة الخاصة ، وغلوا وطغوا ! ومن كلامه في عقيدة الخواص .

مسالة لا يستحيل في العقل وجود قديم ليس بالاه فان لم يكن فمن طريق السمع لا غير . هذا لفظه . وهذا هو عربون القول بقدم العالم ، وفيه اشارة ظاهرة الى تضعيف السمع اى الشرع المسموع في الكتاب والسنة ، فافهم

(1) 2 البقرة 115

وقال ايضا في الاعادة : من افسد شيئا بعدما انشاه ، جاز ان يعيده كما بداه وقال ايضا : ان اقامته اللطيفة الروحانية بجزء ما من الانسان ، فقد صدق عليه اسم الاعادة . ثم قال البدل من الشيء يقوم مقامه ، ويوجب له احكامه ، هذا لفظه ، وهو القول ببعث الارواح دون الاجساد ، وصرح به في غير موضع ايضا وقال ايضا في الباب الثاني من الفتوحات : ان الحقائق اعطت لمن وقف عليها ان لا يتقيد وجود الحق مع وجود العالم بقبلية ولامعية ولا بعدية زمانية . فان التقدم الزماني والمكاني في حق الله تعالى ترمى به الحقائق في وجه القائل به على التحديد . اللهم الا ان قال به من طريق التوصيل كما قاله الرسول ونطق به الكتاب انتهى . وعبر عن هذا في عقيدة عموم اهل الاسلام بقوله تعالى اذ تكون الحوادث بعده او يكون قبلها بل تعالى كان ، ولا شيء معه ثم قال في الباب المذكور : فلا تقول من جهة ما هو الامر عليه ان الله تعالى موجود قبل العالم ، الى آخر ما قال . وادعى انه الذي اعطته الحقائق قبحها الله من حقائق ، وقبح القائلين بها . وقال ايضا في عقيدة الخواص : لا يصدر عن الواحد من كل وجه الا واحد . يعني بذلك قول الفلاسفة : ان الحق سبحانه لم يخلق الا العقل الاول والعقل الاول خلق غيره ، والكلام في ذلك مبسوط في كتب اصحابنا . وقال في اول هذه العقيدة : أنها عقيدة خواص الله من اهل طريق الله فانظر كيف يكذب على الله . ويعظم هذه الطائفة المتفلسفة المتصوفة فيصفهم باهل الحق وبخواص الله ، وباهل الكشف والذوق . وباهل التوحيد التحقيق ونحو ذلك غرورا وترغيبا في مذهبهم . ولذلك يصفه أهل طريقته : انه قطب الالاهيين وهم صنف من الفلاسفة معروفون في الاسماء والصفات الالاهية ، وقال في اولها : انه سماها بعقدة الناشئين الشادية . انه ضمنها اختصار الاقتصاد والناشيء والشادي مذكوران في اللغة . عبارة : عن المبتدى

ورقة 100 ظهر

والمنتهي والناشيء ايضا من ، رجال المعتزلة ، لهم مصنفات لا يعلم ابن عربي الاخذ منها . فمن مجاريقه انه قال : قال الشادي : اجتمع اربعة نفر من العلماء في قبة أرين تختط الاستواء ، مغربي ومشرقي وشامي ويماني فذكر كلام واحد منهم في العقائد الى آخر ما قال وقبة ارين عند المهندسين هي وسط الارض في جبل سرنديب من سيلان من بلاد الهند ، ذكره اليافعي في كتابه في الكلام على مذاهب الباطنية ، وقال غيره : هي جزيرة في الخليج . وارادوا به موضع اعتدال الليل والنهار ، وقد ذكره ابن عربي في جواباته على سوءالات الترمذي الحكيم في الفتوحات المكية في الباب الثالث والسبعين . وقال انهم استعاروه للعارف المعتدل في معرفته . فانظر هذا الاغراب في هذه المخرقة ومن مخادعته بمذهبهم قوله في اول الفتوحات . فصل : ولا يحجبك ايها الناظر في هذا الصنف من العلوم الذي هو العلم النبوي الموروث منهم صلوات الله عليهم . اذا وقفت على مسالة من مسائلهم قد ذكرها فيلسوف او متكلم او صاحب نظر في اي علم كان ، فنقول في هذا القائل

الذى هو الصوفى المحقق يعنى نفسه : انه فيلسوف لكون الفيلسوف قد ذكرها واعتقدها او انه نقلها منهم ، او انه لا دين له . كالفيلسوف فلا تفعل يا اخى . فهذا القول قول من لا تحصيل له ،اذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلا فعسى ان تكون تلك المسالة فيما عنده من الحق ، لا سيما انا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم قد قالها ، ولا سيما فيما وضعوه من الحكم والتبرىء من الشهوات ومكائد النفوس ، وما تنطوى عليه من سوء الضمائر فان كنا لا نعرف الحقائق ينبغى لنا ان نثبت قول الفيلسوف فى هذه المسالة وانها حق فان الرسول صلى الله عليه وسلم او الصاحب ، او مالكا او الشافعى او سفيان الثورى . هذا لفظه وهو مباهتة عظيمة وغرور واضح ، عند من حقق علوم الشريعة ، فان اصول الفلاسفة التى ضلوا بها لا يتصور ان توافق قول الرسول صلى الله عليه وسلم ولا قول احد من الائمة المذكورين ، ولا هذا العلم الذى اشار اليه من علوم الأنبياء كما اوهمه بتزويره ، على انه قد عرف بالاستقراء كذبه على الله وعلى رسوله وعلى السلف الصالحين وزاد على قوله بقدم العالم وازليته ، القول بالاتحاد : فقال يوجده الوجود اى اتحاد الخالق والمخلوق وان العالم المخلوق عندنا هو الله عنده ، وان كل شىء هو الله وذلك حقيقة التوحيد عنده ، وان كل موجود فهو حق ، وان الشر عدم محض لا وجود له ، فلا وجود للكفر والباطل والكذب وانما الموجود الحروف التى نطق بها الكافر والكاذب . اما المعانى التى هى تحت تلك الالفاظ فعدم محض

ورقة 101 وجه

هذا كلامه والقول . بقدم العالم من اصول الفلاسفة . وكذا انكار علم الله تعالى بالجزئيات ، وانكار بعث الاجساد بعينها . وانكار العذاب الحسى فى الاخرة وانكار الخلود المطلق فى النار المعنوية على رايهم ايضا . وهذه المقالات كلها معروفة للفلاسفة الاسلاميين كابن سيناء والفارابى وغيرهما ، وكفرهم بها جميع علماء الاسلام ، وهذا الرجل قد قال بجميعها . وهو مذهب هو الى اصله مسبوق ، ثم توسع فيه حسبما قدر عليه من الشقاء والمروق ، قاتله الله . وبالجملة فقد خالف الاسلام ونابذ الايمان بأمور ظاهرة يعرفها العامى الفقيه وبامور غامضة لا يدركها عليه الا العلماء الفحول الراسخون فى المعقول والمنقول فانه لم يدع بابا من ابواب الفلسفة كالرياضى والطبيعى والالاهى الا وقد دخله وادخله فى كتبه وسمى نفسه بالمحقق ، وكذلك اهل طريقته وانفوا ان يسمى احدهم بالعارف كما قال ابن الفارض منهم :

وعن لقبى بالعارف ارفع فان ترى ... التنابز بالالقاب فى الذكر تمقت

وتسموا باهل الوحدة اى وحدة الوجود . وسماهم بذلك غير واحد من العلماء وسماهم القشيرى فى الرسالة ، والسهروردى فى العوارف المفتونين بالشاهد كما تقدم لانهم يدعون شهود الحق فى صور الخلق فافهم مراد الشيخين بذلك . وهؤلاء زادوا على ذلك فقالوا : ان الحق تعالى عين كل

موجود وتركوا لفظ الحلول ، لانه يقتضي حالا ومحلا ، ثم تركوا لفظ الاتحاد ايضا لأنه يقتضي كون شيئين اتحدا وما ثم الا هو وحده وجحدوا الخلق رأسا فاحذر منهم جهدك ، وبالله التوفيق ، والقول بوحدة الوجود هو اصل مذهبهم وغاية كفرهم ، وابن عربي هو عمدة القائلين بوحدة الوجود كما قال الذهبي وابن عربي أخذه من مذهب الباطنية المتصوفة . وقولهم ان الوحدة دليل الحق والكثرة دليل الباطل : فمن هذه العين تشعبت طرق الغواية وتفرقت بهم عن سبيل الهداية . قال الله تعالى : وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (1) ، ولما علم بن عربي أخزاه الله ان قاعدة المحققين من الصوفية في التوحيد هي افراد القدم على الحدث ، تخالف طريقته ، ادعى ان الشيوخ المتقدمين كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري ، وابراهيم الخواص وغيرهم رضي الله عنهم ماتوا ولم يعرفوا التوحيد الذي عرفه فهو واتباعه ينكرون على الجنيد وامثاله اذا ميزوا بين العبد والرب . وقالوا : التوحيد افراد القدم عن الحدث وحرفوا مقالة المحققين بقولهم التوحيد اسقاط الحدث وافـراد القـدم ، واسقاط الحدث لا يصح وجودا أصلا لا عقـلا ولا حسا ولا شرعا ، وفرع ابن عربي على الاتحاد ان من عبد صنما او شجرا او حجرا او شمسا او قمرا فما عبد الا الله ، وان عبدة العجل ، ما عبدوا الا الله

ورقـة 101 ظهـر

ولهذا عنده أصل آخر ، وهو ان الامر والارادة بمعنى واحد . وان المعصية مخالفة الارادة ولا يتصور مخالفة ارادة الله عز وجل ، ولهذا قال في باب الاسرار من الفتوحات : امر الله موافق لارادته ـ سواء . لا يختلف حكمهما فما عصى احد قط أمر الله . انتهى ، وهذا كقول المشركين لو شاء الله ما اشركنا فتركوا أمر الله وتعلقوا بالمشيئة وأمر الله تعالى بمعزل عن ارادته ، لأنه تعالى مريد لجميع الكائنات ، غير آمر بجميع ما يريد ، فعلى العبد ان يتتبع الامر وليس له ان يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر . وهذا اجماع أهل السنة وممن نص عليه من المفسرين الواحدي والبغوي وغيرهما ، فذهب ابن عربي مذهب المشركين ، وحرف على وفق مذهبه تفسير قوله تعـالى : وقضـى ربك الا تعبدوا الا اياه . فجعل قضى بمعنى حكم ، واجمع المفسرون من أهل السنة على انه بمعنى امر . وقال ان الحق المنزه هو الخلق المشبه ، وقـال ان المنزه لله تعالى اما جاهل واما صاحب سوء ادب ، الى ان قال فان للحق في كل خلق ظهورا فهو الظاهر في كل مفهوم ، وهو الباطل عن كل فهم ، الا عن فهم من قال ان العالم صورته وهويته ، الى ان قال : وهو المسمى ابا سعيد الخـراز وغير ذلك من الأسماء المحدثات ، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا وهذه الفاظه في الفصوص في الكلمة النوحية ، وقال في الكلمة اللقـانية : ان الله تعـالى لطيف . فمن لطفه ولطافته انه الشيء المسمى . كذا ، المحدود بكذا غير ذلك

---

1) 6 الانعام 153

الشيء حتى لا يقال فيه الا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ والاصطلاح فيقال هذا سماء وارض وشجر ، وحجر وحيوان وملك ورزق وطعام ، والعين واحدة من كل شيء وفيه ، الى ان قال : وقد قال سبحانه : انه عين قوى عنده فى قوله : كنت سمعه ، وهو قوة من قوى العبد ، ولسانه وهو عضو من اعضاء العبد ،والعبد ليس بغير لهذه الاعضاء ، والقوى ، فعين مسمى العبد هو الحق هذا لفظه اخزاه الله ، وكان الكافر على ربه ظاهرا ، وقال فى الكلمة الابراهيمية : الا ترى ان الحق يظهر بصفات المحدثات ، واخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم ، الا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها الى آخرها ، وكلها حق له ، كما ان صفات المحدثات حق للحق فانظر ما اقبح هذه الالفاظ واشنعها ، ولو لا ضرورة البيان لما استجزنا حكايتها فاقسم بالله الذى بامره تقوم السماء والارض ان الله لا يرضى بهذا الكلام ، كما لا يرضى لعباده الكفر فاين العقول والالباب ، فضلا عن العلوم ، وله من نحو هذا شيء كثير ، هو ديدنه فى كتبه ، قال ابو العباس بن تيميه رحمه الله ،

ورقة 102 وجه

وهو واتباعه . يقولون الشهود ثلاث مراتب ، فيشهد العبد اولا طاعة ومعصية ثم طاعة بلا معصية ، ثم لا طاعة ولا معصية .

والشهود الاول هو : الصحيح الموافق للشرائع ، واما الشهود الثانى فيريدون به شهود القدر ، ويزعمون ان المعصية مخالفة الارادة والمشيئة . وذلك غير متصور وكان بعض هؤلاء يقول : كفرت برب يعصى ، وقال شاعرهم :

اصبحت منفعلا لما يختاره　　　منى ففعلى كله طاعات

ومعلوم ان هذا خلاف ما ارسل الله به رسله ، وانزل به كتبه ، وهذه مسالة الارادة والأمر ، وقد كانتا اشتبهت على طائفة من الصوفية فبينها لهم الجنيد رحمه الله ، فمن اتبع الجنيد فيها كان على السداد ، ومن خالفه ظل

واما الشهود الثالث : فان لا يرى طاعة ولا معصية ، ويرى ان الوجود واحد . وهذا عندهم غاية التحقيق والولاية لله . وانما هو غاية الالحاد فى الشرائع ، وغاية العداوة لله تعالى وللانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فمن مقالاته فى اجترائه على رسل الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم قوله : بعد ذكره لاخذ موسى بلحية اخيه وراسه يجره اليه ، ان سبب ذلك عدم التثبت فى النظر فيما كان فى يديه من الالواح التى القاها من يديه . فلو نظر فيها نظر تثبت لوجد فيها الهدى والرحمة ،فالهدى بيان ما وقع من الامر الذى اغضبه ، مما هارون بريء منه ، والرحمة رقة باخيه . فكان لا ياخذ بلحيته ولا براسه مع كبر سنه . وانه أسن منه . فانظر كيف نسب موسى الى العجلة وعدم التثبت حتى فاته الهدى والرحمة . ولو وقع مثل هذا الخطاب لرجل عالم او ملك لعده العقلاء سوء أدب . فكيف فى حق الكليم موسى صلى الله عليه وسلم . وقال ايضا فى ابراهيم الخليل عليه السلام فى رؤياه ذبح

ولده : انما رأى كبشا ظهر له فى صورة ابنه فى المنام فصدق ابراهيم الرؤيا . وانه لواهم فى ذلك ، ففداه الله من وهم ابراهيم بالذبح العظيم الذى هو تعبير رؤيا عند الله تعالى ، وهو لا يشعر . وأخبر عنه صدق الرؤيا وما قال له : صدقت فى الرؤيا انه ابنك . لأنه ما عبرها بل أخذ بظاهر ما رآى ، والرؤيا تطلب التعبير . والتعبير الجواز من صورة ما رآه الى أمر . فمن غفلته وعدم شعوره لم يعط مقام الرؤيا حظها ، ولم يوفها حقها الذى هو التعبير . هذا لفظه فانظر كيف جزم بوهم ابراهيم الخليل عليه السلام وغفلته وعدم شعوره . ورؤيا الأنبياء عليهم السلام حق لا وهم فيها ، باجماع المسلمين . فكيف يحل اطلاق الوهم والغفلة وعدم الشعور على الخليل عليه السلام . فكيف

ورقـة 102 ظهـر

يحل لمؤمن أن يظن بابراهيم عليه السلام أنه يقدم على ذبح ولده برؤيا لا يعلم أنهـا من الله حق . قال بعضهم : والعجب كيف علم هذا الخبيث المارق من الله ما أدعى ، ولم يعلمه الخليل عليه السلام . ثم انه ادعى أن خاتم الأولياء يولد بالصين ، ويتكلم بكلام الصين . وأن النساء بعده يعقمن فلا يلدن . وهذا من كذبه وخرافاته التى لا يقول عليها دليل . ثم انه لمـا أثبته ، فضله فى العلم على جميع المرسلين . فقال : واعلم أن خاتم الرسل بل جميع المرسلين لا يأخذون العلم الذى أختص به ختم الأولياء الا من مشكاته ، وأن خاتم الرسل من حيث ولايته بنسبته مع الختم للولايـة بنسبة الأنبياء والرسل معه . ثم بين علة تفضيله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى العلم فقال : ان النبىء صلى الله عليه وسلم ، رأى نفسه موضع لبنه . يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : انما مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأحكم بناءها الا موضع لبنة ، فكنت أنا اللبنة . او كما قال صلى الله عليه وسلم . قال : وهذا يعنى ختم الأولياء . يرى نفسه موضع لبنتين لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، فاللبنة الفضية هى متابعته لمحمد صلى الله عليه وسلم فى الأحكام الظاهرة، واللبنة الذهبية هى أخذه عن الله بلا بواسطة (1).

فالنبى صلى الله عليه وسلم انما يأخذ عن الملك عن الله سبحانه وهذا يأخذ عن الله سبحانه بلا واسطة انتهى . فجعله أعلى من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعل متابعته لبنة من فضة . وافهم أن مخالفته له لبنة من ذهب . ثم وصف محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه النبىء الرسول . ووصف هذا العجمى الصينى بأربعة أوصاف ، فقال : هو الولى الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب . ولما رأى ما فى قوله هذا من التنفير لقلوب المؤمنين ، تألف قلوب الضعفاء فقال : وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل صلوات الله عليه . وهذا تمويه على ما سبق نعوذ بالله من كيده ومكره . قلت : وهو وأصحابه كانوا يدعون أنه خاتم الأولياء ، وقد بان أنـه ليس كذلك لوجود الأولياء من بعده . والله أعلم .

---

(1) انظر المقبلي ، العلم ، ص 475

وقال ايضا فى الكلمة اليوسفية : ان عمر النبىء صلى الله عليه وسلم فى الدنيا كله انما هو منام فى منام . وانه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى أخذ عن المحسوسات المعتادة . فسجى بثوب وغاب عن الحاضرين عنده . فاذا سرى عنه . رد . فما أدركه الا فى حضرة الخيال ، الا أنه لا يسمى نائما . انتهى . وأشار بهذا الكلام الى تضعيف الثقة بالوحى وبنى عليه تجويز الخطا على النبىء صلى الله عليه وسلم . بل نقل عنه أنه ذكر فى تفسيره فى سورة التحريم : تكفير النبىء صلى الله عليه وسلم ، حيث حرم ما أحل الله له بزعمه لعنه الله ، ان كان كما نقل عنه ، ومن مقالاته ايضا

ورقة 103 وجه

حكمه بايمان فرعون لعنه الله . وثناؤه عليه . فقال أن سؤال فرعون عن الماهية الالهية لم يكن عن جهل . وانما كان اختبارا لموسى عليه السلام ، ليرى جوابه مع دعواه الرسالة من ربه . وقد علم فرعون مرتبة المرسلين فى العلم ، فيستدل بجوابه على صدق دعواه . وسأل سؤال ايهام ، من أجل الحاضرين حتى يعرفهم من حيث لا يشعرون بما شعر هو فى نفسه فى سؤاله . فاذا أجابه جواب العلماء بالأمر أظهر فرعون ابقاء لمنصبه أن موسى ما أجابه عن سؤاله ، فيفهم الحاضرين أنه أعلم من موسى وقد علم فرعون أنه لا يجيبه الا بذلك . فقال لهم : ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون (1) . أى مستور عنه . علم ما سألته عنه . قال : فالسؤال صحيح على مذهب أهل الحق . والعلم الصحيح والعقل السليم ، والجواب عنه لا يكون الا بما أجاب به موسى . الى أن قال : وعلم موسى أن فرعون علم ذلك ، لكونه سأل عن الماهية . فعلم أن سؤاله ليس على اصطلاح القدماء فى السؤال بما . فلذلك أجاب . ولو علم منه غير ذلك لغلطه فى السؤال . هذا حاصل كلامه بألفاظه . فانظر كيف جعل فرعون عالما بمرتبة المرسلين . وان سؤاله صحيح ، وان موسى عليه السلام علم ذلك . ثم صحح قول فرعون : أنا ربكم الأعلى . ثم جزم بأن فرعون لم يمت الا طاهرا مطهرا من الخبث والآثام ، لأنه كان آخر أمره الاسلام ، والاسلام يجب ما قبله . ثم عم بهذا الحكم جميع الكافرين المحتضرين . ثم قال : ليعلم أن ما يقبض أحد من المحتضرين الا وهو مؤمن . أى مصدق بما جاءت به الأخبار الالهية . لأن المحتضر لا يكون الا صاحب شهود . فهو صاحب ايمان بما تم . وقال ايضا : استقر فى نفوس عامة الخلق شقاء فرعون ، وما لهم من نص فى ذلك يستندون اليه ، فاعترف بمخالفة اجماع المسلمين ، وركب رأسه فى محبة قرناء له فى النار . والأرواح جنود مجندة . فما تعارف منها أئتلف . فخالف نصوص القرآن فى تكفير فرعون وشقائه ، وسلك مسلك المباهتة والسفسطة فى النصوص ، انها ليست نصوصا فى كفره ، ودخوله النار .

(1) 26 ــ الشعراء 27

وان ايمانه كان فى حالة لا ينفع فيها ايمان بنص القرآن . وان الله تعالى لم يذكر أحـدا من الكفار باسمه الخاص الا فرعون وابليس وهامان وقارون . ووصف فرعون انه كان عاليا من المسرفين (1) . وسماه عدوا له ، ولموسى عليه السلام . لقوله : يأخذه عدو لى وعدو له (2) . فأخبر الله تعالى بأنه عدوه وعدو نبيه عليه

ورقـة 103 ظهـر

الصلاة والسلام . وأخبر أنه أخذه وجنوده ظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون الى النار . ويوم القيامة لا ينصرون (3) . وأنه اتبعه فى الدنيا لعنة منه ، وممن سمـع أخبارهم وكفرهم من المؤمنين . وانهـم يـوم القيامـة من المقبوحين وأخبر سبحانه أنه أخذه أخذا وبيلا نكال الآخرة والأولى . فاذا قال هذا الرجل بإيمان فرعون أكبر أعداء الله . فهل ترى أنه يسم غيره بكفر حقيقى ؟ مع أن الكفر عنده معدوم لا وجود له . وأن الكل سعداء كما تقدم عنه أخزاه الله .
وقـال ايضا : ان التهليل لا فضل فيـه . ولا ثواب الامن حيث فضل الله . ولا معنى له . الا اثبات المنفى . هذا معنى كلامه . ووقع فى كتاب الشيخ ابى الغيث بن جميل ان قول لا اله الا الله ، لا ينفى شيئا ولا يثبته . وفى كتاب ابن حشيبر ان النفى والاثبات فى قول لا الـه الا الله عندنا ذنب ، يوجب العقوبة . لانا ما وجدنا غيره فى الأزل ، فننفيه . ولا فقدناه فنثبته . وكل هـذا الجاد فى الدين اوغل فيـه ابن عربى واصحابه ، ودسوه على هذين الشيخين الصالحين وهما بريئان منـه . ثم سلك مسلك الباطنية فى تحريف القرآن المبين ، وتأويل النصوص . وذلك على ضربين احدهما : أن يأتى الى المتشابه ، فيستدل بـه على اثبات باطلـة ، كاستدلاله بآيات الصفات ، مثل قوله تعالى : وهو السميع البصير (4) على اثبات الصورة لله . تعالى الله عن ذلك . وكقوله صلى الله عليه وسلم : اذا قتل أحدكم أخاه فلا يلطمن الوجه . وفى روايته فليجتنب الوجه . فان الله خلق آدم على صورته .
قال العلماء المحققون من أهل السنة : الضمير فى صورته يعود على الأخ المضروب . وقال بعض من غلط لحذفه ذكر المقاتلة لأخيه : الضمير يعود على الله . ثم حرف بعض الرواة لفظ الحديث على ما فهمه . فقال : فى روايته فان الله خلق آدم على صورة الرحمن . وهذا اللفظ ليس بثابت فى الصحاح ، فأخذ هذا الرجل بهذا التحريف والتأويل ، واستدل به وبنحوه لمذهبه فى التشبيه ، فقال : قـال الله تعالى : ليس كمثله شىء . فنزه . ثم قـال : وهو السميع البصير . فشبه . وقال : ان الحق ، هـو الجمع بين التشبيه والتنزيه . ونظم ذلك فقال :

فـان قلت التنزيـه كنت مقيـدا　　وان قلت التشبيه كنت محـددا

(1) 44 ـ الدخان 31
(2) 20 ـ طه 39
(3) 28 ـ القصص 41
(4) 2) ـ الشورى 11

وان قلت الأمرين كنت مسددا   وكنت اماما فى المعارف سيدا

ولقد وسع هذا الرجل باب التشبيه وتجاسر فيه على اقتحام العظائم ، عافانا الله من ذلك . وصحح قول من قال أنا الحق . وجعل ذلك من أقوال العارفين ذكره فى الكلمة النوحية وغيرها . وصحح قول من قال : وأنا القلم وأنا اللوح ، المحفوظ ، وأنا العرش وأنا الكرسى أنا القرآن ، وانا السبع المثانى وأنا السموات والأرضون .

ورقة 104 وجه

بل صرح هو أعنى ابن عربى بدعوى ذلك لنفسه فى شعره فقال :

أنا القرآن والسبع المثانى   وروح الروح لا روح الأوانى

وقال ايضا :

سبحان من أظهر ناسوته   سر سنى لاهوته الثاقب

ثم بدا فى خلقه ظاهرا   فى صورة الآكل والشارب

ومعنى كلامه لعنه الله ان الناسوت وهو الحقيقة الانسانية أظهر سر اللاهوت وهو الذات المقدسة ، وتدرع به فصار اللاهوت هو الانسان الآكل الشارب تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ونقلوا هذه الدعاوى بهذه الألفاظ عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه . وقد عرفوا بالكذب على الله وعلى رسله فكيف بعلى رضى الله عنه .

روينا فى مقدمة صحيح مسلم ، عن ابى اسحاق وهو السبعى قال : لما أحدثوا تلك الأشياء بعد على رضى الله عنه ، قال رجل من أصحاب على رضى الله عنه : قاتلهم الله أى علم أفسدوا . قال العلماء منهم النووى فى شرحه : أشار بذلك الى ما أدخلته الروافض والشيعة فى علم على رضى الله عنه وحديثه . وتقولوه عليه من الأباطيل ، وأضافوا اليه من الروايات والأقاويل المختلقة المفتعلة . وخلطوه بالحق فلم يتميز ما هو صحيح عنه مما اختلقوه . انتهى . ومن مقالاته ايضا نفى صفات الله تعالى ووصفه بالجوهر ، والصورة . وأنه فاعل بالاضطرار لا بالارادة ، والاختيار . وان صدور المخلوقات . بعضها من بعض لا بفعل الله تعالى . وقال : ببقاء النبوة واكتسابها ، والأخذ عن الله وعن الملك حتى ارتفعوا عن تقاليد النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما تركنا ذكره استثقالا لحكايته . ومن مقالاته ايضا ، مقالة النصارى : ان البارىء سبحانه جوهر فى أقانيم ثلاثة . أى صفات ثلاث فهى أقنوم الوجود ، ويعبرون عنها بالأب ، وأقنوم العلم ويعنون به الكلمة ، ويعبرون عنه بالابن ، وأقنوم الحياة ويعبرون عنه بروح القدس .والأقنوم كلمة يونانية والمراد بها الأصل أى الأصل الذى كانت منه حقيقة الالاه هو هذه الأقانيم . وزعموا أن الخلق والابداع لا تكون الا بها . وقال ابن عربى فى ذلك :

وثلثت محبوبى وقد كان واحدا   كما صيروا الأقنوم بالذات أقنما

ومن شبههم التى يتعلقون بها فى التشبيه والاتحاد قول النبىء صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح فيما يحكيه عن الله سبحانه فى محبته لعبده :

فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع بـه وبصره الذي يبصر بـه ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . فقالوا : ان العبد متصف بصفات ذات الله ، وان الحق تعالى مـا زال سمعا وبصرا للعبد حقيقة . بدليل قوله : كنت . وانما

ورقـة 104 ظهـر

ظهرت لـه حقيقة الحال حينئذ . تعالى الله عن قولهم . وقـد تقدم تأويل هـذا الحديث عند أهل السنة ، كالقاضي عياض وغيره رضي الله عنهم . وتقدم كلام الأستاذ ابي القاسم القشيري عليه ايضا وتكفيره لمن جوز اتصاف العبد بصفات الحق سبحانه وتعالى . ولكن الرجل غير مقيد بالمنقول وان كان من القرآن وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما يتعلق به من المتشابه فهو سمة أهل الزيغ والضلال ، المشار اليهم في الحديث الذي روينـاه في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى : هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب (1) ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة . قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منـه فأولئك الذين سماهم الله ، فاحذروهم . فقوله ابتغاء الفتنة . قال مجاهد ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بهـا الجهال . وقال الحسن البصري شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمهون بها عبـاد الله . فكل آيـة في القرآن وحديث يروى عن النبيء صلى الله عليه وسلم في الصفات الموهمة صحيح او غير صحيح ، فهو من مشارب هـذه الطائفة المشبهة . تراهم يحومون حوله ، ويصرحون بظاهره ، فهم يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات . وما أحسن ما قال ابو الفرج بن الجوزي في خطبة من كتابه المنتخب على قوله تعالى : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (2) . فقال بعد التنزيه لا مرحبا بالمشبه ، ولا أهلا . شابا كان او شيخا او كهلا . ولقد ركب المضل جهلا . أتحسب الكلام في الصفات سهلا . مهـلا ففي طريقك بئـر . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وله في خطب المدهش وغيره مقالات كثيرة في التنزيه ونفي التجسيم والتشبيه . كقوله في المدهش : ما عرفه من كيفه ، ولا وحده من مثله . ولا عبده من شبهه . المشبه أعشى والمعطل أعمى . وقال ايضا : المشبه ملوث بدم التجسيم ، والمعطل نجس بشرى حين الجحود . ونصيب المحق لبن خالص ، وفقنا الله واياكم لتنزيه ربنا عن سمات الحدث . وعن كل ما لا يليق بكمال قدسه وجلال كبريائه . ثم ان ابن عربي تعدى من المتشابه الى تحريف البين المحكم . فتراه يجهل بعض الألفاظ المشتركة على معنى من معانيها قد أجمع المسلمون على أنه لا يجوز ارادة ذلك المعنى . وذلك مثل قوله في قول

(1) 3 ــ آل عمران 7
(2) 42 ــ الشورى 11

الله تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه (1) . فجعل قضى بمعنى قدر وحكم . ولا يقع خلاف ما حكم ويرتب على ذلك أن من عبد صنما فما عبد الا الله . والمعروف عند المفسرين كافة ان قضى بمعنى أمر .

ورقة 105 وجه

الضرب الثاني ان يأتي الى الألفاظ القرآنية والحديثية فيحملها على غير معناها الموضوع لها ، تحريفا وبهتانا كقوله في تفسير سورة نوح عليه السلام : لو أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين يعني التشبيه والتنزيه ، لأجابوه : هذا بعض كلامه . وحاصله أنه جعل نوحا عليه السلام غير عالم بمقتضى الرسالة . ومصلحة الدعوة والمدعوين . وقال : دعوت قومي ليلا نهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا (2) قال فعلم العلماء بالله ما اشار اليه نوح عليه السلام . في حق قومه من الثناء عليهم ، بلسان الذم . وعلم أنهم لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا فرقان . ومن أقيم في القرآن لا يصغى الى الفرقان فلو أن نوحا أتى بمثل هذه الآية لفظا يعني قوله تعالى : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (3) • لأجابوه فانه نزه وشبه في آية واحدة . بل في نصف آية . ثم انه قال عن نفسه أنه دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم . وفهموا ذلك منه . فلذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم (4) ، وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا (5)• فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء . فان للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ، ويجهله من جهله في المحمدين . وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه أي حكم . فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد . وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة . فما عبد غير الله في كل معبود . فالأدنى من تخيل فيه الألوهية ، يقول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (6) . واعلى العالم يقول : فالاهكم الاه واحد (7) فله اسلموا حيث ظهر . وبشر المخبتين الذين خبت نار طبيعتهم ، فقالوا : الاها ولم يقولوا طبيعة • وقد أضلوا كثيرا أي خيروهم في تعداد الواحد بالوجوه والنسب • ولا يزد الظالمين لأنفسهم المصطفين الذين أوتوا الكتاب أول الثلاثة ، فقدمه الله على المقتصد السابق الا ضلالا ، لا خبرة

---

(1) الاسراء ـ 23
(2) 71 ـ نوح
(3) الشورى 11
(4) 71 ـ نوح 11
(5) ـــ 23
(9) 36 ـ الزمر
(7) 22 ـ الحج ـ 34

المحمدى زدنى فيك تحيرا • مما خطاياهم وهى التى خطت بهم فغرقوا فى بحار العلم بالله ، وهى الحيرة . فأدخلوا نارا فى عين الماء . فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه الى الأبد . فلو أخرجهم الى السيف سيف الطبيعة ، لنزل بهم عند هــذه الدرجة الرفيعة . اذ تذرهم يضلوا عبادك . يحيروهم فيخرجوهم من العبودية الى مــا فيهم من اسرار الربوبية • فينظرون أنفسهم أربابا بعــد ان كانــوا عند أنفسهم عبيــدا فهم العبيد الأرباب • رب اغفرلى استرنى واستر من أجلى فيجهل مقامى وقدرى • كما جهل مقامك وقدرك ولوالدى من كنت نتيجة عنهما • وهما العقل والطبيعة • ولمن دخــل بيتى اى قلبى مؤمنا مصدقا بما يكون فيه من الاخبارات الالاهية

ورقــة 165 ظهــر

وللمؤمنين . من العقول والمؤمنات من النفوس ، ولا يزد الظالمين من الظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلمانية الا تبارا . أى هلاكا . فلا يعرفون نفوسهم لشهودهم وجه الحق دونهم . ومن أراد ان يقف على أسرار نوح فعليه بالرقى فى فلك نوح . وهو فى التنزلات الموصلية لنا . هذا لفظه فى الفصوص ، لم يكن يكن متواليا .

وقال فى قوله تعالى : يرسل السماء عليكم مدرارا (1) . أى المعارف العقلية فى المعانى . والنظر الاعتبارى . ويمدكم بأموال . أى يميل بكم اليه ، فاذا مال بكم اليه رأيتم صوركم فيه . فمن تخيل أنه رآه فما عرف . ومن عرف منكم أنه رأى نفسه هو العارف . انتهى . وقال فى الفتوحات فى الجزء الأول منه فى باب تفسير الفاتحة : وآيات من القرآن قوله تعالى : ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (2) . ففسره : ان الذين كفروا ستروا محبتهم لى عنهم . فسواء عليهم أنذرتهم بوعدتك الذى أرسلتك به ام لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك . فانهم لا يعقلون غيرى وأنت تنذرهم بخلقى لهم وهم ما عقلوه ولا شاهدوك . فكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم . فلم أجعل منها متسعا لغيرى ، وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاما الا منى . وعلى أبصارهم غشاوة من بهائى عند مشاهدتى فلا يبصرون سواى . ولهم عذاب عظيم عند (ما) أردهم بعد هذا المشهد الأسنى الى انذارك . ثم قال بعد هذا بأسطر : فألقاهم غرقى فى بحار اللذات . بمشاهدة الذات : فقال لهم : لا بد لكم من عذاب عظيم . فما فهموا ما العذاب ، فأوجد لهم عالم الكون والفساد . وحنئذ علمهم جميع الأسماء وأنزلهم على العرش الرحمانى وفيه عذابهم . وقد كانوا محجوبين عنه فى خزاين غيوبه ، فلما أبصرتهم الملائكة خرت سجودا لهم ، فعلمهم الأسماء . فأما ابو يزيد فلم يستطع الاستواء ولا أطاق العذاب فصعق من حينه فقال :

---

(1) 71 ــ نوح 11

(2) 2 ــ البقرة 6 ــ 7

ردوا على حبيبى . وبقى الكفار أى المحبون . فنزلوا من العرش الى الكرسى ، فبدلت لهم اقدمان. فنزلوا عليهما على البيت فى الثلث الباقى من ليلة هذه النشأة الجسيمة الى سماء الدنيا • انتهى . وقال فى الفصوص فى الكلمة الموسومة فى قوله تعالى : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا أى طريقا ، ومنها جاء أى ومن تلك الطريق جاء . فكان هذا القول اشارة الى الاصل الذى جاء منه . فانظر رحمك الله كيف حاول تحريف القراءة فجعلها ومنها جاء أى بالمد من المجىء الذى . كما فسر ، فانظر هذا التحريف الفاحش ، والتخليط فى المقالة الأولى والتأويلات الفاسدة ، والدعاوى الكاذبة التى يحاول منها نفى الثقة بالقرآن . وجعل الكفر من اوصاف المدح ليثبت بذلك وجود طائفة مخصوصة ذكرهم . وانهم لا يلزمهم اتباع الرسل . وان الرسالة انما يراد بها العوام • أما هؤلاء فهم مستغنون عن الرسل ، غير متعبدين باتباعهم

ورقة 106 وجه

ولا بالأخذ بشرائعهم . وقال فى الفتوحات : أن الولى انما يتبع النبىء رغبة فى حب الله اياه . لا انه محتاج اليه فى تعرف الأحكام الشرعية . فانه يأخذ ذلك من المعدن من غير واسطة . والنبىء يأخذ عن الملك . وقال : ان الولى يدرك بطريق الكشف ضعف حديث محكوم بصحته لثقة رواته . لأن الثقة يجوز عليه الوهم .

وكذب فى ذلك والحد ذريعة الى الضلال والاضلال . فهذا حقيقة مذهبه ، وهو كمذهب الفلاسفة وتأويلات الباطنية . وهاك نبذة من تفسير الباطنية الاسماعيلية ليتضح لك أنه نسج على نحو منوالهم ، بل انطوى على أخبث مذاهبهم ، فاعلم أنهم قالوا فى تفسير هذه السورة : يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض . ان السموات هاهنا الحج . والأرض الدعاة . الملك القدوس العزيز الحكيم . أمير المؤمنين . هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته . وهم الأئمة . ويعلمهم الكتاب : هو امام العصر . والحكمة : أمير المؤمنين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم . هم اللواحق : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . هو على رضى الله عنه . مثل الذين حملوا التوراة . هو على . والذين لم يحملوها أبو بكر وعمر وعثمان كمثل الحمار . قالوا اخزاهم الله : هو عمر خاصة . والأسفار اهل الظاهر فتمنوا الموت هو الامام . ولا يتمنونه أبدا . الى قوله : والله عليم بالظالمين . قالوا هم أبا بكر وعمر وعثمان وأتباعهم وأشياعهم . وقوله : اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله . قالوا الصلاة : الامام . والسعى : السؤال عن العلم والذكر الرجوع الى الامام . والبيع علم الظاهر . ذروه لا تقربوه . فاذا قضيت الصلاة أى بعث الامام ، فانتشروا فى الأرض ، أى فى طلب الحجة فى العلم

(1) 62 ـ الجمعة من 1 الى آية 11

(2) 5 ـ المائدة 3

الى من هو أعلم بها . واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها . التجارة استماع علم الظاهر من أئمة الكفر . وتركوك قائما (1) . أى نهوك عن علمك ، وكذبوك . قل ما عند الله . من علم الباطن خير من علم الظاهر . لأنه اللهو والتجارة . هذا ما ذهبوا اليه من تفسير هذه السورة الكريمة وتفسيرها عند أهل الحق . معروف . وقالوا فى قوله : حرمت عليكم الميتة (2) . انها أهل الظاهر . والدم مفاتحة المأذون من يشك فى موافقته حتى يتحقق ذلك . ولحم الخنزير هو الذى يسمع هذه المقالة ولا يأخذ بهـا . والمنخنقة الذى ينقض العهد ويستغنى عن تجديده عليه . والموقوذة هو الذى يسمع ما ألقى عليه من كشف المعرفة وجد البلاغ الاكبر فيقده ذلك . والمتردية هو الذى على درجة البلاغ الأكبر ثم شك فيه وتركه ، وعاد الى ما كان عليه . فانه يتردى الى أسفل . والنطيحة هو الذى يكابر داعية على علم لا يطيقه ويستنكره فيناظره عليه ، فيكون قـد نطحه . وأمـا التذكية عندهم فهو المعاهد الـذى وفى بعهده .

ورقـة 106 ظهـر

وقالوا فى قوله تعالى : فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر (1) . ان طالوت : هو النبىء صلى الله عيه وسلم . والنهر : على رضى الله عنه . قالوا قبحهم الله وجالوت ابو بكر رضى الله عنه وجنوده وأصحابه . وقالوا فى قوله تعالى والسماء ذات الرجع (3) . ان السماء : قائم الزمان . والرجع : الرجوع الى الدنيا على يده بدور جديد . انه لقول فصل . أى فصل دور من الزمن الذى قبله . وقالو فى قوله تعالى : انا اعطيناك الكوثر (4) . هو على رضى الله عنــه . فقالوا : والأبتر أبو بكر رضى الله عنــه . وبالجملة فللباطنية مقالات واعتقادات لا يلقى مثلها فى المذاهب . ولهم أصول مسروقة من مذاهب الفلاسفة فى الالاهيات والنبوات والقيامة والحشر والنشر والجنة والنار والتكاليف الشرعية . ولهم فى تحريف القرآن من نحو ما تقدم مـا ينهل السامع ويشهد بالكفر القاطع . ولقد نقـل العلماء تفاصيل مذهبهم ومقالاتهم . وممن نقل ذلك واستوعب ذكر فرقهم الشيخ اليافعى فى كتابه المرهم ، والمقصود من ذلك معرفة مضارعة طريقة ابن عربى لطريقتهم ، وذلك بتحقق بالاستقراء من كتبه ، وكتب أتباعه . كفى الله شرورهم . آمين ، آمين .

ومـا ذكره من تفسير الذين كفروا بالمحبين قـد زاده تلميذه عبد الرزاق القاشانى بيانا لكفرهم ، فقال : هم أولوا العزم من الرسل ، كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . كذا حكى لى الكرمانى الآتى ذكره . ذلك عن عبد الرزاق المذكور قال : وذلك فى كتاب تأويل القرآن له . وهو أربع مجلدات ضخمة . قال وهو موجود بدمشق فانظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا .

(1) 92 الجمعة 11

(2) 5 المائدة ـ 3

(3) 86 ـ الطارق 11

(4) 108 ـ الكوثر ـ 1

ومن مقالات ابن عربى فى انكار حقيقة النار والعذاب ، قوله فى الكلمة الاسماعيلية يثنى على الحضرة الالاهية بصدق الوعد لا بصدق الوعيد ، بل بالتجاوز . وأنشد فى ذلك قوله :

فلم يبق الا صادق الوعد وحده   وما لوعيد الحق عين تعاين
وان دخلوا دار الشقاء فانهم   على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد   وبينهما عند التجلى تباين
يسمى عذابا من عذوبة طعمه   وذاك له كالقشر والقشر صائن

وقال فى قصة قوم هود فى قوله تعالى : بل هو ما آستعجلتم به ريح فيها عذاب اليم (1) . الريح اشارة الى ما فيها من الراحة لهم . فان بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل المظلمة ، والمسالك الوعرة . وفى هذه الريح عذاب اليم . اى امر يستعذبونه اذا (.) للاوه . الا انه يؤلمهم لفرقة المألوف ، فباشرهم العذاب . فكان الأمر أقرب اليهم مما تخيلوه . ثم أعاد هذا الكلام فى الكلمة الهودية ، وجعل نعيمهم جهنم كنعيم الجنة ايضا . فقال فى قوم هود الخاسرين المبعدين ، مادحا لهم : ونسوق المجرمين (2) . وهم الذين استحقوا المقام الذى ساقهم اليه ريح الدبور التى أهلكهم عن نفوسهم بها . فهو يأخذ بنواصيهم . والريح تسوقهم وهى عين الا هو التى كانوا عليها الى جهنم . وهو البعد الذى كانوا يتوهمونه .

ورقة 107 وجه

فلما ساقهم الى ذلك الموطن حملوا فى عين القرب فن البعد . فزال مسمى جهنم فى حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ، لأنهم محرومون • فما اعطاهم هذا المقام الذوقى اللذيذ من جهة المنة وانما اخذوه بما استحقته حقائقهم من اعمالهم التى كانوا عليها ، وكانوا فى السعى فى اعمالهم على صراط الرب المستقيم ، لان نواصيهم بيد من كانت له الصفة ، فما مشوا بنفوسهم ، وانما مشوا بحكم الجبر الى ان وصلوا الى عين القرب ، ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون (2) ، وانما هو يبصر فهو مكشوف الغطاء فبصره حديد • وما خص ميتا من ميت الى ما خص سعيدا فى العرف من شقى انتهى . فابصر هذه المقالة المشتملة على انكار حقيقة العذاب ، وعلى تحريف معانى القرآن وعلى مذهب الجبرية . ولو لم يكن له الا هذه المقالة لكفته كفرا بل لو لم يكن الا قوله سعيدا فى العرف الذى يشم منه رائحة الكفر لكفاه شرا . وانكار الوعيد الوارد فى القرآن العزيز ، هو مذهب الباطنية والفلاسفة . لكن الباطنية ذهبوا الى اهمال معانيها راسا ، وانها لم تات الا للتخويف فقط

(1) 46 – الاحقاف 25

(2) 56 – الواقعة – 85

وشبهتهم قوله تعالى : ذلك يخوف (1) الله بـه عباده . وذهبت الفلاسفة المنكرون لنشر الاجساد الى تاويلها بان النفـوس اذا زهـدت فى اللـذات الدنياوية والشهوات الجسمانية ثم لحقت بعالمها تنعمت بحصولها فى مركزها واتصالها بعالمها ، وانهـا اذا تعشقت بهذه الـدار الفانية ولذاتها ثم لحقت بعالمها شق عليها فراق مالوفها ، وعظيم لذاتها . وكانت كمن حيل بينه وبين معشوقه . فذلك نعيمها وجحيمها وجنتها ونارها ليس غير ذلك . فذهب ابن عربى مذهبهم فى هذا وفى القول بقدم العالم . وزاد عليهم القـول بـوحدة الوجود فقـال فى الكلمة اليوسفية مسمى العالم بالنسبة الى الحـق كالظل للشخص فهو ظل الله تعالى ، ثم شرع يقرر اباطيله ومخاريقه الى ان قال : اذا كـان الأمـر على مـا ذكرته فالعالم متوهم مـا لـه وجـود حقيقى بـل خيـال ، اى خيل لك انـه امـر زائـد قائم بنفسه ، خـارج عن الحق ، وليس كذلك فى نفس الامر ، ثم بسط وطول حتى قال : فاعلم انك خيال ، وجميع ما تدركه مما تقول فيه انا خيال ، فالوجود كله خيال فى خيال والوجود الحق انما هو الله خاصة من حيث ذاته وعينه لا من حيث أسمائه انتهى ، وهذا منه انكار لحقيقة العالم راسـا وهو سفسطـة اراد بها اثبـات وحدة الوجود ليبنى عليه تفاريعه الباطلة وليس ذلك على طـريقة المحققيـن فى قولهم ليس فى الوجود الا الله . فان مراد المحققين غير مراده كما تقدم ، وسياتى ايضا ان شاء الله تعـالى ، والعقل والحس والشرع شاهد بـوجود

ورقـة 107 ظهـر

الخالق والمخلوق حقيقة ضرورية ومن محالاته قوله : ان ، لله ارضا تظهر فيها جميع المحالات . ولهـذا كان عامة كلامه وكلام اتباعه انما هو فى الخيالات الشيطانية ولهذا قال فى الفتوحات : باب ارض الحقيقة ، ويقول : هى ارض الخيال ، فيعترف بان الحقيقة التى يتكلم فيها هى خيال ، والخيال هو محل تصرف الشيطان ، قال بعض المحققين : هم يقولون من اراد التحقق فليترك العقل والشرع ، ويقولون انهم قد صح لهم بالكشف امكان المحال ، فيقال لهم ان كان كذب المكاشفة ممكنا لم يوثق بها ، وان كـانت محـالا فقد دلت على امكان المحال ، وهاك مقالة من مقالات شراح الفصوص لتعلم انهم لم يؤولوا كلامه بل هو على ظاهره وطريقته فى مذهبه قـال داود القيصـرى فى شرح الفصوص : الوعيد هو العذاب الذى يتعلق بالاسم المنتقم ، ويظهـر احكـامه فى خمس طوائف لا غير ، لان اهل النار اما مشرك او كافر او منافق او عاص من المؤمنين ، وهو ينقسم الى الموحد العارف الغير العالم ، والى العالم ، وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يعذبون وذكر وجها بالنسبة الى كل طائفة منهم وانه عذاب من وجه ونعيم من وجه ، وان مثال الجميع الى النعيم ، الى ان قال وبالنسبة الى المشركين الذين يعبدون غير الله من الموجـودات فينتقم منهـم

1) 39 الزمر 16

المنتقم لكونهم حصروا الحق فيما عبدوه وجعلوا الاله المطلق مقيدا ! واما من حيث ان معبودهم غير الوجود الحق الظاهر فى تلك الصورة ، فما يعبدون الا الله ، فرضى الله عنهم من هذا الوجه فينقلب عذابهم عذبا فى حقهم ، وبالنسبة الى الكافرين وان كان العذاب عظيما ، لكنهم لم يتعذبوا به لرضاهم بما هم فيه ، فان استعدادهم قابل لذلك كالاتونى الذى يفتخر بما هو فيه ثم قال : وأنواع العذاب غير مخلد على اهله ، من حيث انه عذاب لانقطاعه بشفاعة الشافعين ، واخر من يشفع هو ارحم الراحمين كما جاء فى الحديث الصحيح ، ولذلك ينبت الجرجير فى قعر جهنم لا يطفا النار ، وانقطاع العذاب هذا بعض كلامه وكلام سائر شراحه كعبد الرزاق القاشانى والمؤيد الجندى بمعناه ، على اصول شيخهم ، لا يؤولون من كلامه شيئا ، بل يريدونه تقريرا لضرب امثال واشعار وحكايات كخرافات النساء والصبيان ، وسياتى من مقالاتهم وفتاوى الايمة فيهم ما يفضح عن احوالهم وضلالهم ، اخزاهم الله ما أجراهم على الله ،والاجماع ثابت على تخليد العذاب على الكافرين على اختلاف مللهم وقد نقل القرطبى هذه المقالة فى انقطاع العذاب عن بعض من ينتمى الى العلم فقال : بعد ان نقل اجماع اهل السنة على اهل النار مخلدون فيها كابليس وفرعون وهامان وقارون ، ثم قال : وقد زل بعض من ينتمى الى العلم والعلماء فقال : انه يخرج من النار كل كافر وجاحد ومبطل وشيطان ويدخل الجنة ، وانه جائز فى العقل ان تنقطع صفة الرحمة (.......) ع (....) ليس ان

ورقة 108 وجه

يدخل الأنبياء النار يعذبون ، وهذا فاسد مردود فقوله الصدق فى أهل الجنة عطاء غير محدود . اى غير مقطوع وغير ذلك من الايات ، وقال فى الاخرين لا يدخلون الجنة حتى يجج الجمل فى سم الخيط (1) وغيرها من الايات ، قال القرطبى وبالجملة فلا مدخل للعقول فيما انقطع اصله بالاجماع ، وقول الرسول . ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (2) انتهى . وذكر بعده بحق الفناء واطال فى رده ، والظاهر ان هذا القائل من تلك الطائفة وقال ايضا القرطبى انما يخلى من النار جهنم ، وهى الطبقة العليا التى فيها عصاة الموحدين ، وهى التى ينبت الجرجير على شفيرها فيما يقال ، انتهى ، وفناء نعيم الجنة وعذاب النار منقول عن جهم بن صفوان واتباعه فابن عربى واتباعه جهميون من هذا الوجه ، ومن جهة قولهم ان التقدير اخبار للعباد فلا يعصون بكفرهم ومعاصيهم فان هذا قول جهم ، ومن قولهم بالتعطيل ايضا ، وان الحق تعالى هو عين كل شيء ، لان جهما يقول فى الحق تعالى عن قوله : هو هذا الهواء مع كل شيء وفى كل شيء ، ولا يخلو من شيء ، قال البيهقى رحمه الله : كذب عدو الله ان الله فى السماء كما وصف نفسه بقوله : آمنتم من فى السماء : (3) أى

1) 7 الاعراف 40 .
2) 24 النور 40
3) 67 ـ الملك 16

على السماء العرش فوق السماء ، كما صحت به الاخبار قال عبد الله بن المبارك : نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى ، بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية : انه ههنا ، واشار الى الارض ، وفى رواية عنه انا لا نقول كما قالت الجهمية هو هنا ، بل نقول هو هو ، وقصد بذلك تكذيب الجهمية فيما زعموا انه بكل مكان . وقال ابو حنيفة رحمه الله : ان الله تعالى في السماء دون الارض ، قال البيهقى : اصاب ابو حنيفة فيما نفى عن الله عز وجل من الكون فى الارض ، وتبع مطلق السمع فى قوله تعالى آمنتم من فى السماء .

واعلم ان ابن الفارض من رؤوس أهل الاتحاد وهو معاصر لابن عربى ، وكانت وفاته فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، فى حياة ابن عربى فانه توفى فى سنة ثمان وثلاثين كما سيأتى . وممن يصر على أنه منهم ، وانه صنف قصيدته التائية على مذهبهم الامام أبو العباس بن تيمية ، وابن قيم الجوزية وغيرهما وذلك ظاهر من قصيدته التائية الطولى فانها مشتملة على فضائح من دعوى الاتحاد والحث على اعتقاده وعلى التصريح بتصويب عبادة النار والأحجار . وان عبادها ما عبدوا غير الله . ودعاوى عظيمة من ذلك قوله :

وجل فنون الاتحاد ولا تمل	الى فئة فى غيره العـ (مر) افنت

وقوله :

وما زلت ( ) لم تزل	ولا فرق بل ذاتى لذاتى احبت
الا رسولا كنت منى مرسلا	وذاتى بآياتى على استدلت

ورقة 108 ظهر

لهـا صوابى بالمقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لى صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى	حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لى سواى ولم تكن	صلاتى لغيرى فى أداء كل ركعة
وان عبد النار المجوس فما آنطفت	كما جاء فى الأخبار فى ألف حجة
فما عبدوا غيرى وان كان قصدهم	سواى وان لم يظهروا عقد نية
وان خر للأحجار فى البدو عاكف	فلا تعد بالانكار بالعصبية

وقوله ايضا فى الاتحاد :

وليس معى فى الملك بينى سواى والـ	ـمعية لم تخطر على المعيتى
وأشهدتنى اياى اذ لا سواى فى	وجودى موجود فيقضى برحمتى
عليها مجازى سلامى وانما	حقيقته منى على تحيتى

وقوله فى دعاويه :

وروحى للأرواح روح وكل ما	ترى حسنا فى الكون من فضل طينتى

---

(1) 67 ـ الملك 16

وختم القصيدة بقوله :

فحق على جمعي القديم الذي بـه وجدت كهول الحي أطفال صبيتي
فمن فضل ما اسأرت شرب معاصري ومن كان قبلي فالفضائل فضيلتي

وشرح الشيخ محمود الابزاري من اتباعه قصيدته على طريقتهم فى الاتحاد فى مجلد ضخم ، وادعى بتعالة ، انه على حكم الكتاب والسنة . فقال : اما الكتاب ، فقوله : نودى من شاطىء الواد الايمن (1) . الآية وقوله تعالى نودى ، ان بورك من فى (2) النار ومن حولها وسبحان الله ، اى سبحانه ، ان يتقيد بظهـوره بهـذا التلبس فقط ، ولما جاز تلبسه بالصورة النباتية فالانسانية اولى .

وقوله : وما رميت اذ رميت (3) ولكن الله رمى ، واما السنة فكنت سمعه وبصره ونحو ذلك ، انتهى ، حاصل كلامه فى الاستدلال على الاتحاد ونحوه فى شرحها لعبد الرزاق الكاشانى ، وكلهم متواردون على مذهب الاتحاد تبعا لابن عربى وابن الفارض فى التائية فى حشو كثير وهذيان وكفر وبهتان ، ولا تجوز قراءة شعره فى الاتحاد الا ليعرف فساد مـذهبه ، واذا قـراها لهـذا الغرض فلا ينبغى ان يحسن بها صوته ، بل يروونها رواية مظهر لانكارها ، وكذا القول فى اسماعها لما ستعرفه ان شاء الله فى حكاية اقوال الكفرة ، ومن يحكم بكفره ، واما قصائده فى غير ذلك فيحتمل انها كاشعار اميـة بن ابى الصلت وغيره من الجاهلية الكفار فيجوز استماعها ويحتمل المنـع من اسماع اشعار اهل الاتحاد مطلقا ، لان الكفار قد اشهد كفـرهم بخـلاف هؤلاء فقد يحسن الظن بهم من لا يعرفهم اذا سمع اشعـارهم ، وربمـا انتهى ذلك الى مكابرة العلماء والطعن فيهم (....) الطعن فى هؤلاء ، وقد احسن بعضهم فى الرد على ابن الفارض حيث قال فى قصيدة له طويلة

ورقـة 109 وجـه

ولست كمـن اضحى على الحب كـاذبا
مضـلا لاربـاب العقـول السخيفـة
فيـزعم طورا انـه غيـر عينهـا
ويـزعم طـورا انهـا فيـه حلت
فيجمـع ما بيـن النقيضيـن قـوله
وذاك محـال فـى العقـول السليمـة

وقلت فيه ايضا :

فـدون ديـوانا على الحـب يـدعى
فـاوله دعـوى وآخـره كفـر

---

1) 28 القصص 30
2) 27 النمل 8
3) 8 الانفال 17

فـان شئت ان تقـرا لتعـرف نـزله
فطالعه سـرا لا يكـون بـه جهـر

وقد سلم لهم بعض قاصرى المعرفة انهم قد قصدوا المجاز ، وانه جائز وليس كذلك فان التجوز لا يجوز بمذهبهم المصرح به فى كتبهم وعلى السنة اتباعهم وان دعوا انه الحق والتحقيق فقد ظلوا عن سواء الطريق ، ولو جاز لهم التاويل لجاز للنصارى ايضا ، وقد قال الذهبى فى الميزان فى ترجمة ابن الفارض : انه ينعق بالاتحاد الصريح فى شعره وهذه بلية عظيمة ، فتـدبر نظمـه ، ولا تستعجل لكونك حسن الظن بالصوفية . وما ثم الا زى الصوفية ، واشارات هائلة ، وتحت الزى والعبادة فلسفة وافاعى ، فقد نصحتك والله الموعد . ونص فى كتاب زغل العلم على ان شعر اهل الاتحاد كفر . وقد كفر العلماء جماعة من الشعراء بدون دعاوى اهل الاتحاد كما سياتى ، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى اواخر القـواعد : واعلم انه ليس من الادب ان تشبه غلبـة المحبة بالسكر من الخمر المحرم الخبيث ، وكذلك التشبيه بالخصر والردف ونحو ذلك ، وكره قول بعضهم انتم روحى ومعكم راحتى ، وقول بعضهم فانت السمع والبصر ، فانه شبه من لا شبيه له بروحه الخسيسة وسمعه وبصره ، فهذا انكار الشيخ للتشبيه ، فكيف لو فهم الاتحاد ، قال : ولهم الفاظ يطلقونها يستعظمها سامعوها ، منها التجلى والخطاب والمشاهدة وغير ذلك ، وبسط الكلام فى ذلك ، وقد تقدم معنى هذه الالفاظ فى الكلام على اصطلاحاتهم فى آخر الباب الاول . وتقدم هناك قول الشيخ وقد تشبه بالقوم من ليس منهم وهو شر من قطاع الطريق الى آخره . ومن لم يعلم حقيقة مذهب الاتحادية وتجوز بمثل دعاويهم من دعوى الحلول والاتحاد ، فيجب تعريفه : ان التجوز بذلك لا يجوز فى حق الجناب العزيز ، وان جاز فى حق المخلوقين ، فان لم ينته حكم بفسقه ، وان اصر معتقدا لاعتقادهم ، حكم بكفره كما سياتى حكم المرتدين .

نسال الله العصمة بفضله ، والاعتصام بالكتاب والسنة على طريق الانبيـاء والسلف والعصمة من الزيغ والتحريف ، آمين ، آمين .

الباب الرابع فى ذكر شىء من فتاوى العلماء المحققين بتكفيـرهم وذكـر النصوص الشاهدة بضلالهم وخروجهم عن الدين ، ويتصل بذلك الكـلام فى الردة عن الاسلام ، وما يحذر من مضارعتها . ببعض الكلام ، وما يصير به الكافر

ورقـة 109 ظهـر

مسلما مستحقا . لحقوق الاسلام ، فنسال الله العصمة من الضلال والتوفيق لما يرضاه فى كل حال ، وهذه صورة سؤال وعليه اجوبة فقهـاء مصـر والشام الموجودين حال كتب السؤال .

ممن يرجع الى فتاويهم أهل الاسلام ؟ صورة السؤال .

وهو مأخوذ من كتاب الفصوص : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين : ما يقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين فى كتاب بين اظهر الناس، زعم مصنفه انه وضعه واخرجه للناس باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منام زعمه واكثر كتابه ضد لما انزل الله فى كتبه المنزلة ، وعكس ، وضد لما قاله انبياؤه فمما قاله فيه : ان آدم عليه السلام انما سمى انسانا لانه من الحق بمنـزلة انسان العين من العين ، الذى يكون به النظر ، وقال فى موضع آخر : الحق المنزه هو الخلق المشبه . وقال فى قوم نوح : انهم لو تركـوا عبـادتهم لود وسواع ويغوث ويعوق لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا ، وقال : لان للحق فى كل معبود وجها يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله . فالعالم يعلم من عبد وفى أى صورة ظهر حتى عبد . وان التفريق والكثرة كالاعضاء فى الصورة المحسوسة ، ثم قال فى قوم هود انهم حصلوا فى عين القرب فزال البعد . فزال به مسمى جهنم فى حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقـاق ، فمـا اعطاهم هـذا المقام الذوقى اللذيذ من جهة المنـة وانما اخذوه بما استحقهم حقائقهم من اعمالهم التى كانوا عليها ، وكانوا على صراط مستقيم ، ثم انه انكر فيه حكم الوعيد فى حق كل من حقت عليه كلمة العذاب من سائر العبيد فهل نكفر من يصدقه فى ذلك او يرضى منه به ام لا ؟ وهل يأثم سامعه اذا كان بالغا عاقلا ولم ينكر بلسانه او بقلبه ان عجز (افتونا) بالوضع والبيان كما اخذ الله على العلماء الميثاق بذلك فقد أضر الاهمال بالجهال .

اجاب الامام العلامة بدر الدين بن جماعة قاضى القضاة بالديار المصرية فقال : هذه الفصول المذكورة فى هذا الكتاب وما اشبهها من هذا الباب بدعة وضلالة ومنكر وجهالة . لا يصغى اليها ولا يعرج عليها ذو دين ، وكل ما خالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مردود على قائله لبطلان أواخره وأوائله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبـاؤكم . فايـاكم وايـاهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم راوه مسلم فى صحيحه ، وفى سنن ابى داود عنه صلى الله عليه وسلم : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين ، عضوا عليها بالنواجد واياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة . وحاشا رسول الله ان يأذن فى المنام بما يخالف ويعاند الاسلام ، بل ذلك من وساوس الشيطان ومحنته وتلاعبه برايه وفتنته . وقوله فى آدم انه بمنزلة انسان العين تشبيه لله بخليقته . وكذلك قوله ان الحق المنزه هو الخلق المشبه ان اراد بالحق رب العالمين فقد صرح بالتشبيه ، وتغالى فيه ، واما انكاره ما ورد فى الكتاب والسنة من الوعيد فهو كفر عند علماء التوحيد . وكذلك قوله فى قوم نوح وهود فقول لغو باطل مردود ، واعدام كل ما يشبه هذه الاقوال من نسخ هذا الكتاب هو من اوضح طرق الصواب ، فانها الفاظ مزوقة وعبارات عن معانى غير محققه واحداث فى الدين ما ليس منه ، فحكمه رد . والاعراض عنه

فرض ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من احدث فى امرنا مـا ليس منه فهو رد . اخرجه البخارى ومسلم . والله اعلم ، كتبه محمد بن ابراهيم الشافعى (1) ، يتلو جواب الشيخ الامام مفتى الانام تقى الدين ابى العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ،شهر بابن تيمية . رضى الله عنه : الحمد لله رب العالمين . هذه الكلمات المذكورة للمذكور كل كلمة منهـا هى الكفـر الذى لا نزاع فيه بين أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فضلا عن كونه كفرا فى شريعة الاسلام . فان قول القائل اذ آدم للحق بمنزلة انسان العين من العين الذى يكون به النظر يقتضى ان يكون آدم جزءا من الحق تعالى وتقدس ، وبعضا منه وانه افضل اجزائه وابعاضه وهذا هو حقيقة مذهب هؤلاء القوم ، وهو معروف من اقوالهم الثابتة التى توافق ذلك وهو قوله ان الحق المنزه هو الخلق المشبه ، ولهذا قال فى تمام ذلك : فامر الخالق المخلوق وامر المخلوق ، الخالق كل ذلك من عين واحدة ، بل هو العين الواحدة وهو العيون المخلوق ، الخالق . كل ذلك من عين واحدة ، بل هو العين الواحدة وهو العيون فدى الذبيح سوى نفسه فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة انسان ، وظهر بصورته بحكم ولد من هو عين الوالد ، وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه . (2) انتهى كلامه .

وقال فى موضع : وهو الباطن عن كل فهم ، الا عن فهم من قال : ان العالم صورته وهويته . وقال ايضا : ومن اسمائه الحسنى العلى علا من . وما ثم الا هو وعما ذا وما هو الا هو ، فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات ، هى العلية لذاتها ،وليست الا هو . الى ان قال : فهو عين ما ظهر وعين ما بطن فى حال ظهوره وما ثم من يراه (....) وما ثم من يبطن عنه سواه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمى ابو سعيد الخراز وغير ذلك من اسماء المحدثات . الى ان قال : فالعلى لنفسه هو الذى يكون له الكمال الذى يستغرق به جميع الصور الوجودية ، والنسب القديمة ، وسواء كانت محمودة شرعا وعرفه او مذمومة عقلا وعرفا وشرعا وليس ذلك الا للمسمى الله خاصة . وقال : الا ترى ان الحق يظهر بصفات المحدثات . وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم . الا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق

ورقـة 110 ظهـر

من اولها الى آخرها ، فهى صفات له ، كما ان صفات المحدثات حق للحق ، وامثال هذا الكلام ، فان صاحب هذا الكتاب الذى هو فصوص الحكم وامثاله مثل صاحبه الصدر القونوى ، والتلمسانى وابن سبعين ، والتسترى واتباعهم مذهبهم الذى هم عليه ان الوجود واحد . ويسمون اهل وحدة الوجود . فكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبيح ومدح وذم ، انما المتصف بها عندهم

(1) قارن بين هذا وبين ما جاء فى العلم الشامخ ص 2ـ491

(2) انظر بعض فقرات من الفتوى فى العلم الشامخ للمقبلى ص 464

عين الخالق ، وسبحانه ، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل عنها اصلا ، بل عندهم ما ثم غير اصـلا للخـالق ولا سواه . ومن كلماتهم : ليس الا الله ، فعباد الاصنام ، لم يعبدوا الا اياه ، اذ ليس عندهم غير له تتصور عبادته ، فكل عابد صنم انما عبد الله عنـدهم ، ولهـذا جعل صاحب الكتاب عباد العجل مصيبين ، وذكر : ان موسى عليه السلام انكر على هارون انكاره عليهم عبادة العجل . وقال : كان موسى أعلم بالامر من هارون لانه علم ما عبده اصحاب العجل لعلمه بان الله قد قضى ان لا يعبدوا الا اياه وما حكم بشيء الا وقع ، فكان عتب موسى على اخيه هارون ، لما وقع الامر في انكاره وعدم اتساعه . فان العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ولهـذا يجعلون فرعون من كبار العارفين المحققين ، ولقـد كان مصيبا في دعواه الربوبية ، كما قال صاحب الكتاب . ولقد كان فرعون في منصب التحكم في الوقت ، وان جار في العرف الناموسي ، ولذلك قال : انا (1) ربكم الاعلى ، وان كان الكل اربابا بنسبة ما ، واضافة ، فـانا الاعلى منكم بما اوتيته في الظاهر من التحكم فيكم ، ولمـا علمت السحـرة صدق فرعون فيما قال لم ينكروا ، بل اقروا بذلك ، وقالوا له : اقض ما انت قاض فالدولة لك ، فصح قول فرعون في ما قال : انا ربكم الاعلى ، ويكفيك بكفرهم ان من احسن اقوالهم . ان فرعون مات مؤمنا كما قال ، وكان موسى قرة عين لفرعون بالايمان الذى اعطاه الله عند الغرق ، فقبضه طاهراً مطهرا ، ليس فيه شيئا من الخبث . بل ان كتب عليه شيء من الانام فالاسلام يجب ما قبله ، وقد علم بالاضطرار من اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ، ان فرعون من اكفر الخلق ، والله تعالى لم يقص في القرآن قصة كافر باسمه الخاص اعظم من قصة فرعون ولا ذكر عن احد من الكفار من كفره وطغيانه وغلوه اعظم مما ذكر عن فرعون ، واخبر عنه وعن قومه الذين يدخلون اشد العذاب (2) وان لفظ آل فرعون كلفظ آل ابـراهيم وآل داود وال أبي اوفى ، ويـدخل فيه المضاف اليه باتفاق الناس فـاذا جاءوا الى أعظم عـدو لله من الانس والجن او من هو من اعظم اعدائه ، فجعلوه مصيبا محقا فيما كفر بـه ، علم ان مـا

ورقـة 111 وجـه

قالوه اكفر من كفر اليهود والنصارى ، فكيف سائر مقالاته ، وقد اتفق سلف الامة وايمتها على ان الخالق سبحانه بائن عن مخلوقاته ، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته ، والسلف والايمة كفروا الجهمية لما قالوا : انه تعالى حال في كل مكان ، فمما انكروه عليهم أنه كيف يكون في بطون الحشوش والاخلية والنجاسات والاقذار ، واتفـق الامـة وايمتها ان الله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ، ولا في صفاته ولا في افعاله ، وان من قال من الامة بتشبيه الله تعالى بخلقه ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر

(1) 79 ـ النازعات 24

(2) 40 ـ غافر 46

وليس مما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيها . واين المشبهة المجسمة من هؤلاء ؟ فان اولئك غاية كفرهم ان يجعلوه مثل المخلوقات لكن يقولون هو قديم ، وهي محدثات ، وهؤلاء جعلوه عين المحدثات . وجعلوه نفس المصنوعات ووصفوه بجميع النقائص والافات ، التي يوصف بها كل فاجر وكافر وشيطان وكل سبع وكل حية من الحيات ، فتعالى الله عن افكهم وضلالهم ، وسبحان الله عما يقولون علوا كبيرا . والله تعالى ينتقم لنفسه ولدينه ولكتابه ولرسوله ولعباده المؤمنين منهم ، وهم لا يقولون ، ان النصارى انما كفروا لتخصيصهم المسيح حيث قالوا ان الله هو المسيح . وكل ما قالته النصارى في المسيح يقولونه في الله تعالى . ومعلوم شتم النصارى لله وكفرهم به ، وكفر النصارى خير من كفر هؤلاء ، ولما قرر ابن التلمساني هذا الكتاب المذكور ورآه يخالف القرآن ، قال : القرآن كله شرك . وانما التوحيد في كلامنا ، يعني : ان القرآن يفرق بين العبد والرب ، وحقيقة التوحيد عندهم : ان الرب هو عين العبد . فقال القائل : فأى فرق بين زوجتي وابنتي ؟ فقال : لا فرق . ولكن هؤلاء المعجبون قالوا حرام . فقلنا : حرام عليكم . وهؤلاء اذا قيل في مقالاتهم كفر . لم يفهم هذا اللفظ خالصا . فان الكفر جنس تحته أنواع متفاوتة . بل كفر كل كافر خير من كفرهم . ولهذا قيل لرئيسهم أنت نصيري ؟ فقال نصير جزء مني . وكان عبد الله بن مبارك يقول : انا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية . وهؤلاء شر من أولئك الجهمية . فهؤلاء قولهم : انه وجود كل مكان ، فما عندهم ، موجود ان أحدهما حال ، والآخر محل . ولهذا قالوا : ان آدم من الله سبحانه بمنزلة انسان العين من العين . وقد علم المسلمون واليهود والنصارى بالاضطرار من دين المرسلين أن من قال عن أحد من البشر : انه جزء من الله فانه كافر بجميع الملل . ان النصارى لم تقل هذا ، وان كان كفرهم من أعظم الكفر لم يقل أحد منهم : ان عين المخلوقين

ورقة 111 ظهر

هي أجزاء الخالق . ولا أن الخالق هو المخلوق ، ولا أن الحق المنزه هو الخلق المشبه . وكذلك قوله : ان المشركين لو تركوا عبادة الأصنام لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا منها . هو من الكفر المعلوم بالاضطرار من جميع الملل . فان أهل الملل متفقون على ان الرسل جميعهم نهوا عن عبادة الأصنام ، وكفروا من يفعل ذلك . وان المؤمن لا يكون مؤمنا حتى يتبرأ من عبادة الأصنام ، وكل معبود سوى الله ، كما قال الله تعالى : قد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده (1) . وقال الخليل عليه السلام : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فانهم عدو لي الا رب العالمين (2) . قال الخليل عليه السلام ، لأبيه وقومه :

---

(1) 60 ـ الممتحنة 4

(2) 26 ـ الشعراء 75 ـ 76 ـ 77

انني برآء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدينى (1) . وقال الخليل عليه السلام وهو امام الخلق الذى جعل فى ذريته النبوة والكتاب واتفق اهل الملل على تعظيمه : انى برىء مما يشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنفيا وما أنا من المشركين (2) . وهذا كفر ظهر عند أهل الملل من اليهود والنصارى فضلا عن المسلمين ، من أن يحتاج الى أن يستشهد عليه بنص خاص . فمن قال عباد الأصنام لو تركوهم لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا منها . فهو أكفر من اليهود والنصارى ومن لم يكفرهم فهو أكفر من اليهود والنصارى . فان اليهود والنصارى يكفرون عباد الأصنام ، فكيف من يجعل تارك عبادة الأصنام جاهلا من الحق بقدر ما تركوا منها ، مع قوله : فان العالم يعلم من عبد . وفى أى صورة ظهـر . حتى عبد وأن التفريق والكثرة كالأعضاء فى الصورة المحسوسة ، وكالقوة فى الصورة الروحانية فما عبد غير الله فى كل معبود . بل هو أعظم كفرا من كفر عباد الأصنام ، فان أولئك اتخذوهم شفعاء ووسائط . قالـوا : مـا نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (3) . وقال تعالى : ام اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون (4) . وكانوا مقرين بأن الله خالق السماوات والارض وخالق الأجسام ، كما قال الله تعالى : ولئن سألتم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله (5) . وقـال تعالى : ومـا يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون (6) . قـال ابـن عباس : سألهم من خلـق السموات والأرض . فيقولون الله . ثم يعبدون غيره . وكانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك ، الا شريك هو لك تملكه وما ملك . وقال تعالى : ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم ، فأنتم فيه سوا تخافونهم كخيفتكم أنفسكم (7) . وهؤلاء أعظم كفرا من جهـة أنهم يجعلون عابد الأصنام عابدا لله ، لا عابدا لغيره . وان الاصنام من الله بمنزلة الاعضاء من الانسان ، وبمنزلة نور العين من العين . وعباد الأصنام اعترفوا بانها غيره ، وبانها مخلوقاته . ومن جهة أن عباد الأصنام من العرب كانوا مقرين بأن للسموات والارض ربا غيرها هو خالقها . وهؤلاء قالوا : ليس للسموات

ورقـة 112 وجـه

والارض وسائر المخلوقات رب غير السموات ، والارض وسائر المخلوقات . بل المخلوق هو الخالق . ولهذا جعل قوم عاد وغيرهم من الكفار على صراط

---

(1) 43 ــ الزخرف 26 ــ 27
(2) 6 ــ الانعـام 78 ــ 79
(3) 39 ــ الزمر 8
(4) 39 ــ الزمر 43
(5) 39 ــ الزمر 38
(6) 12 ــ يوسف 106
(7) 30 ــ الروم 28

مستقيم ، وجعلهم فى عين القرب ، وجعلهم يتنعمون فى النار . كما يتنعم أهل الجنــة . وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان عادا وثمود وفرعون وقومه ، وسائر من قص الله قصته من أعداء الله تعالى . وانهم معذبون فى الآخرة . وان الله لعنهم وغضب عليهم . فمن أثنى عليهم وجعلهم من المقربين ومن أهــل النعيم فهو أكفر من اليهود والنصارى وهــذه الفتوى لا تحتمل بسط كلام هؤلاء وبيان كفرهم والحادهم . انهم من جنس القرامطة الباطنية الذين هــم أكفر من اليهود والنصارى . وان قولهم يتضمن الكفر بجميع الرسل والكتب كما قال الشيخ ابراهيم الجعبرى لما اجتمع بابن عربى هذا . صاحب هذا الكتاب . قال : رأيته شيخا نجسا يكذب بكل كتاب أنزلــه الله ، وبكل رسول أرسله الله . وقال الفقيه ابو محمد بن عبد السلام لما قدم القاهرة وسألوه عن ابن عربى فقال : شيخ سوء مقبوح يقول بقدم العالم ، ولا يحرم محرما ولا يوجب موجبا . فقوله : يقول بقدم العالم لأن هذا قوله وهو كفر معروف . فكفره ابو محمد بذلك ، ولم يعرف قوله . ان العالم صورة الله وهوية الله . فان هذا اعظم من كفر القائلين بقدم العالم الذين يثبتون واجب الوجود ويقولون : صدر منه الوجود الممكن . وقال عنه من عاينه من الشيوخ : انه كان كذابا مفتريا . وفى كتبه مثل الفتوحات المكية وامثالها من الاكاذيب ما لا يخفى على لبيب . هذا وهو اقرب الى الاسلام من ابن سبعين ، ومن القونوى والتلمسانى وأشباههم من أشياعه . فاذا كان الأقرب بهذا الكفر فالذين هم أبعد عن الاسلام منه أشد كفرا . ولم أصف عشر ما يذكرونه من الكفر ولكن هؤلاء التبس أمرهم على من لم يعرف حالهم ، كما التبس أمر القرامطة الباطنية . لمــا ادعوا أنهم فاطميون وانتسبوا الى الشيعة . فصار المتشيعون قائلين زيهم ، لأنهم غير عالمين بكفرهم . ولهذا كان من مال اليهم أحد رجلين : اما زنديقا منافقا واما جاهلا ضالا . وهكذا هؤلاء الاتحادية . فريق منهم هم أئمة الكفر يجب قتلهم ، ولا تقبل توبة أحد منهم اذا أخذ قبل التوبة . فانهم من أعظم الزنادقة الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر . وهم الذين يبطنون قولهم ومخالفتهم لدين الاسلام . وتجب عقوبة كل من انتسب اليهم ، او ذب عنهم ، او أثنى عليهم ، او عظم كتبهم ، او عرف بمساعدتهم ، ومعاونتهم . او كره الكلام فيهم ، او يعتذر لهم ، بان هذا الكلام لم يدرك ما هو او من قال انه ما صنف هذا الكتاب . أمثال هذه المعاذير التى لا يقولها الا جاهل او منافق ، بل تجب عقوبة كل من عرف

حالهم ، ولم يعاون على القيام عليهم . فان القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات

ورقة 112 ظهر

لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشائخ والعلماء والملوك والامراء . وهم يسعون في الارض فسادا ويصدون عن سبيل الله . فضررهم في الدين أعظم من ضرر من يفسد على المسلمين دنياهم ، ويترك دينهم كقطاع الطريق الذين ياخذون منهم الأموال ويبقون لهم دينهم ، فلا يستهين بهم من لم يعرفهم . فضلا لهم واضلالهم اعظم واعظم من ان يوصف . وهم أشبه النـاس بالقرامطة الباطنية . وانهـم يريدون دولـة الكفار وانتصارهم على المسلين الا من كان عاميا من شيعتهم وأتباعهم لأنه يكون عارفا . بحقيقة أمرهم . ولهـذا يقرون اليهود والنصارى على ما هم عليه . ويجعلونهم على حق كما يجعلون عباد الأصنام على حق . وكل واحدة من هذه المقالات من أعظم الكفر . ومن كان محسن الظن بهم وأدعى أنه لم يعرف حالهم ، عرف حالهم . فان لم يجانبهم ويظهر لهم الانكار والا ألحق بهم ، وجعل منهم . وأمـا من قـال لكلامهم تأويل يوافق الشريعة فانه ان كان كذابا فهو يعرف كذب نفسه . وان كـان معتقدا لهذا ظاهرا وباطنا فهو اكفر من اليهود والنصارى . فمن لم يكفرهم ولا جعل لكلامهم تأويلا ، كان كمن أنكر تكفير النصارى بالتثليث تعالى الله الخالق . والله أعلم بالصواب وهو أحكم الحاكمين

يتلـوه جواب قـاضي الحنابلـة :

الحمد لله ما يذكر من الكلام المنسوب الى الكتاب المذكور يتضمن الكفر . ومن صدق به تضمن تصديقه ما هو كفر يجب في ذلك الرجوع عنه . والتلفظ بالشهادتين عنده . وحق على كل من يسمع بذلك انكاره . وما كان مثل هذا الكتاب او قريبا منه فلا يترك بحيث يطلع عليه . فان في ذلك ضررا على من لم يستحكم الايمان في قلبه . وربما كان في هذا الكتاب تمويهات وعبارات مزخرفة . واشارات الى أن ذلك لا يعرفه كل أحد ، فيعظم الهدر . وكل هذه التمويهات ضلالات وزندقة . والحق انما هو في اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في منام ، كذب منه على رؤياه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم . كتبه عبيد الله بن مسعود بن احمد الحارثي . (سعد الدين) (1) .

يتلوه جواب خطيب القلعة الشيخ شمس الدين الجزري الشافعي : (2)

الحمد لله قوله : فان آدم انما سمى انسانا الى آخره تشبيه وكذب باطل . وحكمه بصحة عبادة قوم نوح للاصنام كفر لا يقر قائله عليه . وقوله ان الحق المنزه هـو الخلق المشبه ، كلام باطل متناقض وهو كفر . وقوله في

(1) ما بين القوسين زيادة من العلم الشامخ ص 495

(2) محمد بن يوسف الجزري ، شمس الدين ــ المصدر السابق نفس الصفحة .

قوم هود انهم حصلوا فى غير القرب . آفتراء على الله ورد لقوله تعالى . وقوله بزوال البعد وصيرورة جهنم فى حقهم نعيما . كذب وتكذيب للشرائع . بل الحق ما أخبر الله تعالى من بقائهم فى العذاب . وأما من يصدقه فيما قال لعلمه بما قال ، فحكمه حكمه فى التضليل والتكفير ان كان عالما . وان كـان جاهلا عرف بحقيقة ذلك . ويجب تعليمه وردعه عن ذلك مهما أمكن . وانكاره الوعيد فى حق سائر العبيد كذب ورد لاجماع المسلمين . وان جاز من الله العفو فقد دلت الشريعة دلالة ناطقة . بانه لا بد من عذاب

ورقـة 113 وجـه

طائفة من عصاة المؤمنين . ومنكر ذلك يكفر . عصمنا الله من سوء الاعتقاد وانكار المعاد والله اعلم . كتبه محمد بن يوسف لشافعى .

يتلوه جواب القاضى زين الدين الكتانى (1) ، مدرس الفخرية :

الله الموفق . زعم المذكور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن له فى وضع الكتاب المذكور ، كذب منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان الله بعث النبىء صلى الله عليه وسلم هاديا وداعيا الى لله باذنه وسراجا منيرا . واما قوله فى آدم فكذب من جهة الاسم وكفر من جهة المعنى ، ان أراد بالحق مالك الملك الغنى عن المسلمين . وأما قوله الحق هو الخلق . فهو قول معتقدى الوحدة وهو كأقوال المجانين ، بل أسخف منها للعلم الضرورى أن الصانع غير المصنوع . واما قولـه فى التفريق والكثرة . فهو قول القائلين بالوحدة ايضا . ولا يعتقدها عاقل ، فان أجلى الضروريات كون كل أحد يعلم أن غيره ليس هو هو . وان ما هو ، ليس هو غيره . وقوله فى قوم هود كفر . فان الله أخبر فى القرآن بان عادا كفروا ربهم . والكفار ليسوا على صراط مستقيم . فالقول بانهم كانوا عليه تكذيب للقرآن . وانكار الوعيد فى حق من حقت عليه الكلمة من تحقيق الوعيد فى القرآن وهو كفر ايضا . ومن صدق المذكور فى هذه الأمور او بعضها مما هو كفر يكفر . ويأثم من سمعه ولم ينكره اذا كان مكلفا . وان رضى به كفر والحالة هذه . والله أعلم . وكتب عمر بن ابى الحرم الشافعى .

يتلوه جواب الشيخ نور الدين البكرى :

الحمد لله رب العالمين . من رأى النبىء صلى الله عليه وسلم فى المنام فقد رآه حقا . واذا كان قد أتى شخص من المصنفين بتصنيف ابتدع فيه وأخذ فى غير الحقائق الشرعية . وظهر أن مفسدته آكثر من مصلحته تحقق بذلك كذبه فيما أخبر به فى رؤياه النبىء صلى لله عليه وسلم ، وانه أمره بذلك الكتاب او أذن له فيه . فان النبىء صلى الله عليه وسلم لا يقول الا الحق فى اليقظة والمنام . وأحسن أحوال من قال انه رآه فى مثل تلك الحال . وانه أمره او أذن له فى هذ التصنيف ان يكون قد سمع من النبىء صلى الله عليه وسلم . كلاما فهمه

(1) نفس المصدر ص 496

على خلاف المراد ، او وقع له غلط بطريق آخر . هذا فيمن ادعى ذلك فى تصنيف ظاهر الغلط والفساد . اما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال المتقدمة فى الاستفتاء ويكون المراد بها ظاهرها ، فصاحبها ألعن وأقبح من ان تتأول له ذلك . بل هو كاذب فاجر كافر فى القول والاعتقاد ظاهرا وباطنا . وان كان قائلها لم يرد بها ظاهرها ، فهو كافر بقوله ، ضال بجهله ، ولا يعذر فى تأويله لتلك الألفاظ ، الا ان يكون جاهلا جهلا تاما عاما . ولا يعذر لجهله المعصية لعدم مراجعة العلماء ، والتصانيف على الوجه الواجب من المعرفة فى حق من يخوض فى امر الرسول ومتبعهم . أعنى معرفة الاذن فى التصنيف على ان فى هذه الألفاظ ما يتعذر او يتعسر تأويله او كلها كذلك . والله اعلم .

وكتب على بن يعقوب بن جبريل البكرى (1)

يتلوه جواب الشيخ الوحيد الفريد شرف الدين عيسى الزواوى المالكى (2)

ورقة 113 ظهر

انما هذا التصنيف الذى هو ضد لما أنزله الله فى كتبه المنزلة ، وضد أقوال أنبيائه المرسلة ، اجتراء على الله وافتراء على رسوله صلى الله عليه وسلم . ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليظل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين (3) . ومن كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليتبوأ مقعده من النار . وقد أرسل الله النبىء صلى الله عليه وسلم للناس ليبين لهم ما أرسله به ويعلمهم ويزكيهم وينذرهم ويحررهم ويبشرهم بلسان عربى مبين . كلام يعرفونه وخطاب يفهمونه ، من غير خفاء وايهام ولا تمويه ولا اشكال . قال الله تعالى : وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم . فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم (4) . فبلغ الرسول الرسالة وأدى الأمانة وأكمل الله لنا ديننا وأتم علينا نعمته ، وختم أنبياءه بمحمد صلى الله عليه وسلم . فلا نبىء بعده . قال الله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا (5) . وقال تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين (6) . وقال تعالى : ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين (7) . فعلم بذلك أنه لا شريعة بعد

---

(1) المصدر السابق ص 467 .

(2) ترجمته فى الديباج 4 ـ 182 والدرر ج 3 ، ص 11 ـ 210 ، وتاريخ المالكية بالمشرق بالفرنسية ص 149 للناشر ، والفتوى رواها المقبلى ، المصدر السابق ص 498 .

(3) 6 ـ الانعام 1442

(4) 14 ـ ابراهيم 4

(5) 5 ـ المائدة 3

(6) 3 ـ آل عمران 85

(7) 7 ـ الاحزاب 40

شريعته صلى الله عليه وسلم . فمن ادعـى شريعة بعد شريعته علمنا كذبه وافتراءه ، وقطعنا بكفره وبمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأنه أراد الكفر وفساد الدين ، فموه على عقول الضعفاء من الناس وختلهم من حيث يأمنون . ولبس عليهم من حيث لا يعلمون باضافة ما ادعاه ونسبته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلمه بأن عقولهم قابلة لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوبهم نافرة عما يخالفه ، فختلهم من حيث استضعفهم واستهواهم وأضلهم . فنعوذ بالله من الخذلان ومن نزعات الشيطان قـال الله تعالى : شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (1) . الا ترى الى ما تضمنه هذا التصنيف من الهذيان والكفر والبهتان . فكله تلبيس وضلال وتحريف وتبديل . فمن صدق بذلك او اعتقد صحته كان كافرا ملحدا صادا عن سبيل الله ، مخالفا لملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ملحدا في آيات الله ، مبدلا لكلمات الله . فان أظهر ذلك وناظر عليه كان كافرا يستتاب . فان تاب والا قتل ، وعجل بروحه الى الهاوية والنار الحامية . وان أخفى ذلك واسته (ره و) لبس كان زنديقا . فيقتل متى ظهر . ولا تقبل توبته ان تاب . لأن حقيقة توبته لا تعرف فقد كان قبل أن يظهر عليه يقول خلاف ما يبطن . فعلم بالظهور عليه خبث باطنه . وهؤلاء قوم يسمون الباطنية لم يزالوا من قديم الزمان ضلالا في الأمة معروفين بالخروج عن الملة ، فيقتلون متى ظهـر عليهم وينفون من الأرض متى اتهموا بذلك . ولم يثبت عنهم . وعادتهم التمصلح والتدين وادعاء التحقيق وهم على أسوء الطريق . فالحذر

ورقـة 114 وجـه

كل الحذر منهم . فانهم أعداء الدين وسوس الملة وشر من اليهود والنصارى . لأنهم قوم لا دين لهم يتبعونه . ولا رب لهم يعبدونه . وواجب على كل من ظهر على أحد منهم ان ينهى أمره الى ولاة المسلمين ، ليحكموا فيه بحكم الله . ويطهروا الأرض منهم ويريحو المسلمين من شرهم وفسادهم . ومن لم يقدر على ذلك غيره بلسانه ، وبين للناس بطلان مذهبهم وسوء طويتهم ، ونبه عليه بقوله مهما قدر عليه وحذر منهم ما استطاع . ومن عجز عن ذلك غير بقلبه وذلك هو أضعف المراتب .

ويجب على ولي الأمر اذا سمع بهذا التصنيف ، البحث عنه وجمع نسخه حيث وجدها واحراقها ، وأدب من أغتر بهذا المذهب او نسب اليه او عرف به على قدر قوة التهمة عليه ، اذا لم يثبت عليه . حتى يعرفه الناس ويحذرونه . والله والي الهداية بمنه وفضله . كتبه عيسه الزواوي المالكي . انتهى ما وجدنا من أجوبة هؤلاء العلماء الأعيان وهم أئمة زمانهم .

فبدر الدين بن جماعة هو محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكتاني الحموي . سمع كثيرا واشتغل بعلوم كثيرة ، وصنف في كثير منها . أخذ أكثر

---

(1) 6 ـ الانعام 112

علومه بالقاهرة عن الشيخ تقى الدين بن رزين . وقرأ النحو على ابن مالك وأفتى قديما وعرضت فتواه على النووى فاستحسن ما أجاب به . تولى قضاء القدس والخطابة . ثم نقل الى الديار المصرية وجمع له بين القضاة ومشيخة الشيوخ . نقل الى قضاء الشام مع الخطابة ومشيخة الشيوخ فاستمر بها مدة ولاية الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد . فلما مات الشيخ سنة اثنين وسبعمائة أعيد بن جماعة الى قضاء مصر ثم عزل فى واقعة بيبرس مع الملك الناصر ، وانقطع ابن جماعة فى آخر عمره بمنزله بشاطىء النيل يسمع عليه ، ويتبرك به ، الى ان توفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وله اربع وتسعون سنة ، ودفن بالقاهرة . ذكره الأسنوى فى طبقاته . وأما شمس الدين الجزرى فهو : محمد ابن يوسف كان فقيها عارفا بالأصلين والنحو والبيان والمنطق والطب ، أديبا شاعرا استوطن مصر ثم القاهرة . وتولى خطابة جامع القلعة ودرس بالشريفية وبالصاحبية والمعزية ، وشرح منهاج البيضاوى وتوفى فى سنة احدى عشرة وسبعمائة بمصر .

واما عز الدين الكتانى فهو عمر بن ابى الحرم عرف بابن الكتانى نسبة الى بيع الكتان .

قال الأسنوى : كان شيخ الشافعية فى عصره بالاتفاق ، قرأ الأصول على السمان المراغى والفقه على التاج الفركاح ، وولى القضاء بمصر ثم بالقاهرة عن ابن دقيق العيد وتولى فى آخر عمره مشيخة الحديث ، وكان نافرا من الناس متخيلا لم يتزوج ولم يتسر ولم يقن رقيقا ولا مركوبا ولا دارا ، وله حواشى على الروضة توفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وشيعه خلق كثير ودفن بالعرافة .

واما نور الدين البكرى ، فقال الاستانى هو : على بن يعقوب بن جبريل البكرى من ذرية ابى بكر الصديق رضى الله عنه يحى بمجالسته النفوس

ورقة 114 ظهر

ويتلقى بالايدى فيحمل على الرؤوس . تقمص بأثواب الورع والتقى ، وتمسك باسباب الزكاة فارتقى ، وهو الذى اوصى اليه ابن الرفعة بتكملة شرحه على الوسيط فلم ينفق له ذلك لما كان يغلب عليه من التخلى . ومن شعره :

كن يا على على الطريق الاقوم واذعن بخلاق الأنام وسلم

ودع الهوى والنفس عنك بمعزل والوجه منك اقم لدين قيم

واما الحنبلى والمالكى فهما امامان فى مذهبهما معروفان ، ومعتقدهما معتقد الجماعة أهل السنة وأقواهم جوابا واطولهم نفسا فى ذلك ابو العباس بن تيمية وهو وان كان حنبليا مخالفيا فى مسائل معروفة ، ففتواه هذه حق وكلامه يدل على تحقيق مذهبهم من كتبهم . وقد أكثر من التنبيه على فساد مذهبهم فى تصانيفه وكتابه قاعدة الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان غاية فى الباب ، وتحقيق مذهبهم من كتبهم ، هو الذى ينبغى لمن اراد الكلام فى احكام ، وان كان تحقيق باب الردة كافيا فى تعريف المحكم ، لكن بعد

ورود السؤال بتعيين اقوالهم ، والعجب من ضعف همم اكثر الفقهاء المتاخرين عن تحقيق حالهم من كتبهم ، وهى موجودة مشهورة ، بل وعن تعرف لحكم من ابواب الردة ، فتراهم يتحرجون من تكفيرهم تورعا وتدينا بزعمهم . وانما هو قصور عن التحقيق ، وضعف عن نصرة الدين والله المستعان . ولم ازل فى شبيبتى وشيبتى اتصفح مذهبهم من كتبهم وكتب أهل السنة حتى اطلعنى الله على حقيقة مذهبهم ، وانه أخبث النحل واكفر الملل . عافانا الله من الضلال واخذ مذهبهم من كتبهم كاخذ مذاهب العلماء وسائر الفرق المبتدعة من كتبهم التى اتصلت اسانيدها وتواتر الخبر بانها مصنفاتهم ومذاهبهم ، وذلك اخذ اسباب العلم كما تقرر فى علمى الاصول والحديث وهذا برهان على تكفيرهم وعلى الرد على من انكر ذلك محتجا بانه علم اسلامهم من قبل ، قلنا وعلم الحادهم من بعد اسلامهم نسأل الله العصمة .

وقد جمعت فتاوى العلماء بتكفيرهم فى مجلد ضخم فى نحو مائتى جواب بتكفيرهم ، وفضحهم الله فى الدنيا وسيفضحهم فى الآخرة بنفاقهم ، نسأل الله العافية ، وقد صرح جماعة من المصنفين بتكفيرهم على الخصوص منهم تقى الدين السبكى ، ونقله عنه تلميذه زين الدين المراغى فقيه مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل عالم الحجاز فى زمانه ، فقال فى شرحه لمنهاج النووى ، فى الكلام على الوصية للعلماء فى تنبيه باب ، جمعها أكثرها من كلام الشيخ الامام يعنى تقى الدين السبكى على اصطلاحه ما معناه . والحق ان من كان من المتكلمين عارفا بالله وباسمائه وصفاته وما يجب له ويستحيل عليه ، فهو من أفضل العلماء ومن كان دأبه الجدل والشبه وخبط عشواء فى الحق والباطل والدعاء الى الضلال فلا يدخل فيهم ، واما الصوفية ، فينقسمون كانقسام المتكلمين ، فمن كان منهم مقصوده معرفة الرب سبحانه وتعالى .

ورقة 115 وجه

باسمائه وصفاته والتخلق بما يجوز التخلق به منها فذلك من العلماء . ويصرف اليه من الوصية لهم والوقوف عليهم ، ومن كان من هؤلاء الصوفية المتاخرين كابن عربى واتباعه ، فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الاسلام ، فضلا عن العلماء . انتهى . ولقد حقق حالهم رضى الله عنه ، وكان أجمع أهل زمانه للعلوم واجلدهم على تحقيق المشكل كما ذكره تلميذه جمال الدين الأسنوى فى طبقاته ، وقد أشار الشيخ سراج الدين بن النحوى الى مثل ذلك فى العجالة شرح المنهاج ايضا ، فقال فى الكلام على الوصية للعلماء بعد ذكر الخلاف فى دخول أهل علم الكلام فى العلماء : والحق ان من كان منهم عارفا بالله وباسمائه وصفاته وما يجب له وما يستحيل عليه ، فهو داخل فى اسم العلماء ، وهو اشرف العلوم ، ومن كان دابه الجدل والشبه وخبط عشواء فى الحق والباطل والدعاء الى الضلال ، فلا يدخل فيهم ، قال : وكذا الصوفية ينقسمون كانقسام المتكلمين ، فانهما من واد واحد ، يعنى انهما جميعا يتكلمون فى التوحيد والمعرفة ، فمنهم المحقق على مذهب اهل السنة ، ومنهم الشاطح فى الجدل

والشبه والحلول والاتحـاد الواقع في مهـاوي الزيغ والألحـاد ، نسأل الله العصمة .

ولقد ظهرت المحنة وعظمت الفتنة ، بكتب ابن عربي واعتقاده في مدينة زبيد باليمن في زماننا على ايدى جهال الصوفية ، لها يومئذ ، من أصحاب الشيخ اسماعيل الجبرتي ، والشيخ احمد بن الرداد ، فاعتقدوه وعظمـوه وطالعوا كتبه كلها ، وجمعوا شروح الفصوص كشرح عبد الرزاق القاشاني وشرح داود القيصري ، والمؤيد الجندي وغير ذلك من كتبهم ، واعجبوا بتلك الغرائب ، ومهر بعضهم في دعوى الاتحاد حتى حكى : أن جماعة منهم يتعاطون كأس الخمر ويقول احدهم للاخر : وعزتي لئن تعطيني الكاس لا ارسلك الى خلقي ، او نحو ذلك ، وان بعضهم يقول للاخر سبحانك ، وان رجلا عاب رجلا عندهم فقالو له اتسب الله ، وان بعضهم يقول : هذا الجدار هو الله ، وان الجماعة منهم يقعون على امراة احدهم ، ويقولون لها : كلنا واحد بحكم الاتحاد ونحو ذلك من الفضائح المحكية عنهم ، وعن بعضهم انه قال : قال يعني الحق سبحانه وتعالى : ماذا تريد من أقل العبيد ، وكان من أهلكهم في ذلك البحر عبد الكريم الجيلاني العجمي ، اجتمعت به قبل أن اعرف مذهبه بابيات حسين وبها توفي وهو مدفون في تربة الشيخ ابراهيم الجبلي ، حكى لي عنه فقيه صادق متقن : انه صحبه في بعض اسفاره فسمع منه الثناء العظيم على ابن عربي وعلومه وكتبه ، وسمع منه التصريح بربوبية كل من يلقاه في الطريق من انسان او طائر او شجر ، ومن الهالكين ايضا احمد المعيبدي وابن الجسام وجماعة كثيرون سمعت بعضهم وقد ذاكرني في كلام يشبه للشيخ ابي الغيث

ورقـة 115 ظهـر

حتى قال صار هو الله . فاغلظت له القول . وقلت له انت تعتقـد كفريـات أهل زبيد من الاتحاد ، ثم لقنته الشهادتين والتوبة . وحكى لي بعض فقهـاء زبيد المفتين بها يومئذ : انه سمع من بعضهم وسماه لي ، انه فسر آية الكرسي بالشيخ اسماعيل الجبرتي ، فقال : الله لا اله الا هو الحي القيوم ، قال : هو الشيخ اسماعيل الجبـرتي ، لا تاخذه سنة ولا نوم ، قـال هو الشيخ اسماعيل الى قولـه ، وهو العلي العظيم ، قـال هو الشيخ اسماعيل ، هكذا شهد لي . وقال : اشهد عن شهادتي على ذلك نسال الله العصمة . ومن اصحابه الشيخ محمود من العجم كان يقول بالجهـر للشيخ اسماعيل : هـو الله ، والشيخ احمد الرداد هو الله ، ولا ينكرون عليه ذلك . واذا سئل عن اسم نفسه : اسم الصفة محمود واسم الذات الله .

وحاصل القصة ، ان جماعة منهم كانوا قد أشربوا اعتقاد هذا المذهب ، واعتقدوا بلوغ العبد حالة الاتصاف بصفات ذات الحق سبحانه . ولم يقنعوا بجواز التخلق باخلاق الله تعالى التي هي صفات فعله ، حتى ادعوا الاتصاف بصفات ذاته سبحانه وتعالى عن قولهم علو كبيرا . وقد قلت في ذلك شعرا

وما بزيد من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا
بمذهب حشو الى الاتحاد فأقبح به منهبا قد فشا
وصوفية السوء أربابه يقولون توحيدهم هكذا
فيعبد كل امرئى ما يشاء فذاك الـه كما ذا يشاء
وذاك بتقليد شيخ لهم عربيهم ذاك فاعلم بذا
فأبعده الله من ملحد وأبعد من حذوه قد حذا
ولولا الملوك وأهل العلوم لبدل دين بهذا لذا

وكلام شيخيهما الجبرتي وابن الرداد يدل على تقرير ذلك لعدم طلاعهما على امتناع ذلك فان ابن الرداد في كتابه الذى الفه في حكم خرقة الصوفية حكى عن شيخه اسماعيل الجبرتي في معرض الثناء عليه بالتبحر في علوم المحققين ، وانه قال له يوما ، وهو يماشيه في بعض الطرق : ما يقول ناقلان هل يجوز للعبد الاتصاف بصفات الذات ، قال : فقلت له : الله اعلم . فقال الجبرتي اختلف اهل المعرفة في ذلك فمنهم من اجازه ومنهم من لم يجزه ، وانا اليوم اصبحت قائم قيوم . هذا لفظه وضبطه بالاسكان ، ليظهر تحقيق لفظه ولينفى اللحن عن شيخه اذ هو لا يعرف اللحن . وكان اللحن هون من تقريره على هذه الحكاية الموءذنة بانه وشيخه المذكور عفا الله عنهما خفى عليهما ما يجب لله عز وجل وتعالى من استحالة اتصاف غيره بصفات ذاته ، وقوله اختلف في ذلك أهل المعرفة غير صحيح . وهو أخذه من كلام ابن عربى واتباعه . وكذبوا في نسبة الخلاف الى اهل المعرفة ، فلم يختلف أهل السنة في امتناع ذلك ، وانما أجاز ذلك هم وامثالهم من المشبهة الاتحادية وهنا يقع فيه كثير من المتصوفة الذين لا يعرفون مذهب اهل الاتحاد ، يسمعون عن احدهم مقالة في الاتحاد يدعيها لنفسه و يدعيها للولى مطلقا

ورقة 116 وجه

فيحكيها . من يسمعها من الصوفية الاميين كالجبرتي وغيره ، ويعتقدونها كرامة للولى ، او حقيقة ، ولا يعلمون انها كفرصراح .وقد سبق عن القشيرى وغيره تكفير مدعى ذلك ، ونسأل الله العصمة ، وقد رأيت لابن الرداد جوابا على سؤال للفقيهمحمد بن حسين السودى عن معنى قول القائل في ابيات منها قوله :

لا ولا من شازروه مثل من صار اياهم فدع عنك العلل
فمحوه منه عنه فانمحى ثم لما أثبتوه لم يزل

فوجدته قد ضبط في تفسيره . وفي تفسير حديث : ما تقرب الى المتقربون بمثل ما افترضت عليهم ، فادعى ان الفرض ههنا ليس هو الفروض المعروفة من الصلاة والصيام ونحوهما بل الفرض فناء نفسه ، والنوافل فناء صفاته في حب جمال الله وجلاله . قال : لانا نرى ونسمع كثيرا ممن ياتى بالفرائض المعدودة جميعها ، وبالنوافل المعهودة بجموعها بالصدق والاخلاص والعلم والادب . ولم يتصفوا بتلك الصفات التى أوجبها الله تعالى لذلك العبد

من انه كانسمعه وبصره ولسانه الى غير ذلك من الصفات كما هو اعلم . وبما هو به احكم . هذا مختصر كلامه فحرف اونه عن ظاهره ، وحمل على (1) الحشو بتجويز اتحاد الصفات فى آخره ، نسال الله العصمة . والظاهر انه اخذ ذلك من كتبهم

وقد تقدم حديث كنت سمعه وبصره على الصواب . ونقل الاتفاق على انه ليس على ظاهره ولم يخالف فيه الا الملاحدة اهل الاتحاد . وما اقبح حال صوفى لا يعرف يتكلم فى احكام الشرع من الحلال والحرام ، ولا فى أصول الدين ، ثم يذهب يتكلم فى صفات الذات الربانية والنعوت الوحدانية . وانما المرجع فى اسماء الله وصفاته وما يجب له ويجوز ، ويستحيل فى حقه سبحانه الى علماء اصول الدين الجامعين بين العلوم الشرعية والعقلية كالامام ابى الحسن الأشعرى واتباعه المتقدم ذكرهم فى الباب الثانى . هـ . واما الجبرتى وابن الرداء وامثالهما ، فلا يرجع اليهم ، كما لا يرجع اليهم فى احكام الشرع مع ان الشيخين المذكورين كانا من كبار مشائخ الصوفية المعتقدين ، لكنهما ليس لهما اشتغال بعلوم الشرع وأصول الدين . بل كان لهما سماعات ومطالعات واجازات وابن الرداء فى ذلك اكثر من شيخة . وفيه ذكاء وجسارة لوجاهته ورئاسته لا لقوة علمه . واعتقادنا فى الشيخين المذكورين الولاية والفضل فى الاسلام وكثرة النفع للمسلمين ، ونرجو لهما العفو عن ذلك الغلط ؛ كما نرجوه لسائر الغالطين من مقلدة المسلمين ، ولم يتضح لى انهما يعرفان حقيقة ذلك المذهب .

وحاصل ما تقتضيه الفتوى : ان من اعتقد ولاية ابن عربى وامثاله من غير ان يعرف مقالاتهم فهو مخطىء معذور ، وكذا من سمعها من العوام وظن ان لها تاويلا يوافق الشريعة فان اعتقد ان تاويلها يخالف الشريعة . وانه

ورقة 116 ظهر

يجوز التدين به حكم بكفره ولم يعذر كما ستعرفه . ان شاء الله تعالى ، واعتقادنا فى الشيخين المذكورين انهما كانا من القسم الثانى وقد ذكرتهما فى التاريخ بما يليق بهما . والله اعلم .

ولما اشتهرت مقالاتهم فى سماعهم ومجالسهم ومذاكراتهم لما فى كتب ابن عربى ، كان القاضى العلامة مفتى زبيد يومئذ احمد بن ابى بكر الناشرى يفتى بكفرهم مطلقا ، ويسميهم المرتدة ويرى فساد انكحتهم على ما حكى الثقة عنه وكان حقيقا بكونه من مجددى الدين اول هذه المائة التاسعة . وقام معه فى ذلك الفقيه المحقق فى اصول الدين وغيره من العلوم الشرعية والعقلية ، ابو عبد الله محمد بن نور الدين مفتى موزع . والفقيه العلامة رضى الدين بن الخياط مفتى تعز ونواحيها ، ووقع بين ابن نور الدين وبين رجل منهم يقال له الشيخ محمد بن محمود الكرمانى ، وكان من غلاتهم واخبثهم مناظرة . ولكن ليست بحضرة من يميز الحق ويقضى به ، بل بحضرة من هو بصدد

(1) بالنسخة وحمد

المحاباة والمداهنة ، فى دين الله وعدم التحقيق لأصول الدين وأقوال الزائغين . وذلك غالب على فقهاء الوقت فضلا عن الصوفية . وكان السلطان الأشرف ثم ولده الناصر يحابيان الصوفية ، فلم يكد يؤثر الانكار . ثم مات القاضى الناشرى ، فقام فى ذلك القاضى شرف الدين اسماعيل بن المقرى ، ولم يكن قبل ذلك يعرض لشيء من ذلك . فألهمه الله تعالى ، فطالع الفصوص وبعض الفتوحات ، وأخذ من كلام ابن عربى مسائل ، فاستأذن السلطان الناصر فى اظهارها واستفتاء الفقهاء فيها . ووعده السلطان بالقيام فى نصرة الحق ان أجمع الفقهاء على انكارها ، ووعده باتلاف تلك الكتب فجمع المسائل بالفاظها فى كراسة وعرضها على الفقهاء ، فظهرت الفضائح فأفتى اكثر فقهاء الوقت بتكفيرهم ، بناء على صحة تلك المقالات عنهم ، وعلى ما يعرفونه من النصوص فى باب الردة ، وان كانوا لم يطالعوا تلك المقالات من كتبه ، فبعضهم أطلق التكفير وبعضهم علق بصحة ذلك وبعضهم أحجم عن الجواب مراعاة لابن الرداد . اذ كان ذلك فى حياته وبعد موت شيخه الجبرتى . وكان ابن نور الدين قد سبق فقهاء عصره فى تحقيق حال بن عربى . بمطالعة الفصوص وغيره من كتبه وكتب أصول الدين . وصنف استدراكا على الفصوص فى نحو حجمه بين فيه جميع مستنداته وبرهن على ضلاله فجزاه الله خيرا . وكنت ممن أجاب بتكفيره وتكفير أتباعه على ( ) من غير تعليق لما صح عندى من تصانيفهم وقبح مذهبهم استقراء ومشاهدة . وكان ابن الرداد قد امتحن به قضاء الأقضية ففوض اليه مع ضعف الأهلية . لقلة الفقه وعدم مراعاة وظيفة العلماء من التنزه عن سماع الملاهى المكروهة والمحرمة ، كالعود والكوبة وسائر أنواع الملاهى منفردة ومجتمعة حتى فى أيام قضائه ، مع تمكين النساء من حضور السماع

ورقة 117 وجه

مع الرجال فى جوف المسجد تبركا بحضوره بزعمهم . ولم يمتحن القضاء بذلك قبله فى دولة بنى رسول باليمن . ولم يمتحن العلماء بالصوفية وظهور شوكتهم واكبابهم على كتب ابن عربى وأتباعه واعتقاده قبل الجبرتى وابن الرداد . بل كانت كتبه قد دخلت اليمن على يد المقدسى ، من أهل القدس وابن لبابة ، صاحبهما ابى العتيق ابى بكر بن الفقيه محمد بن القاضى عمر الهزاز اليحيوى . ثم اليافعى نسبا . تفقه ابو العتيق بابيه وبابن البابة ، وأخذ عن المقدسى لما قدم الى تعز . ثم تصوف أعنى ابا العتيق وصحب أكابر من الصوفية ، باليمن . كالشيخ ابى السرور المخرب وغيره . وحج فلقى بمكة أصحاب ابن عربى المذكور . وانتسخ كثيرا من كتبهم فعكف عليها واعتقد ما فيها فنقم عليه غالب الفقهاء . كذا حكاه الجندى وقال : ان ابن عربى له معتقد غريب . منه اعتقاده ان فرعون مات على الاسلام محقق . وغير ذلك مما هو مشهور عنه فى كتبه . وأنكره أعيان الفقهاء هذا كلام الجندى رحمه الله . وهو كلام من لم يقف على نفس الكلام ولا سمع نقوله فى عباد الأصنام انهم

ما عبدوا الا الله . وذكر الجندى ايضا : أن ابا العتيق المذكور مختلف فيه . فمنهم من يقول بولايته ، وهو السلطان المؤيد بن المظفر وابن أخيه الناصر ، فانهما صحباه واعتقداه . قال الجندى والذى عليه الأكثرون نسبته الى التلبيس والرغبة فى الدنيا . واستعمال الأسماء والسحر بها ومعاناة الكيميا وطلبا من كل من توهم فيه علمها . وكان يحسن الى فقهاء تعز وغيرها مع تحققه أنهم يكرهونه . وربما أساءوا اليه وأحسن اليهم . ونسبه كثيرون الى الزندقة . ذكره القاضى ابو عبد الله الناشرى فى كتابه الدرر . قال : الجندى وله فى التصوف كتب مستحسنة وأشعار معجبة . قال وباشاراته انتقل نظر الأوقاف من الحكام الى أهل الديوان . واستمر ذلك الى عصرنا وذكر الجندى عنه : أنه كان يقوم فى انكار الخمور ونحوها من المنكرات . وكلامه يقتضى التعجب من قيامه فى ذلك دون الأوقاف . قلت لعله فعل ذلك تقربا الى الدولة ، فان عادة هذه الطائفة . أعنى ابن عربى وأتباعه التحبب الى الدولة ، وايراد أحاديث وروايات فى فضائلهم . حتى يجعلوا السلطان الجائر من الأنذال ، والعادل هو القطب . وربما ألقوا فى سمعه أن له درجة التحكم والتفويض فيما فعله بلا حرج . ولذلك لم يكد يتبع انكار العلماء من قديم الزمان ، وهذا من مكرهم قـاتلهم الله . وذكر الجندى ان الفقيــه ابا بكـر بن آدم بن ابراهيم الجبرتى بلدا الزيلعى لقبا كان رأس المفتين بتعز ، قوالا بالحق . فلما قدم المقدسى الى تعز وكان فقيها أصوليا منطقيا ، جعل مدرسا بالمدرسة العليا المعروفة بأم السلطان بمغربة تعز ؟ وصحبة ابن البابة فى جماعة من الطلبة .

ورقــة 117 ظهــر

وكانا يتذاكران من علم الكلام بما لا تحتمله العقول ولا تقبله . فنسبا الى الزندقة وتكرر ذلك منهما . ونفر الطلبة عنهمــا نفورا عظيما . والفقهاء مترددون فى أمرهما حتى شهد عليهما الفقيه احمد بن الصيفى وكان ممن يقرأ على بن البابة بانهما ينكران صدق القرآن . ويقولان ليس هو كلام الله . فاجتمع الفقهاء الى آدم هذا وأخبروه بما شهد به ابن الصفى وقالوا لابن آدم : قم فى هذا الأمر لله تعالى ونحن تبع لك والا انتشرت هذه البدعة ، ومرق الناس من الدين او كما قالوا : فقال : الصواب انا نطلع الى المغربة ونصلى الجمعة فمتى خرج هذان أوقعنا بهمــا فقتلناهما . فأعانوه بالطاعة وتعاهدوا على ذلك ، فنقل للمقدسى وابن البابة ما آتفقوا عليه . فلما كان يوم الجمعة طلع ابن آدم من ذى عدينة اذ كان مدرس الشمسية . ومسكنه بها . فلما صار بجامع المغربة واجتمع اليه الفقهاء وحان وقت الصلاة دخل المقدسى ومعه جماعة يحفظونه بالسلاح . ولم يدخل ابن البابة بل كان قد حذر المقدسى وأمره بالتقدم الى الملك الواثق بالله وكان الواثق خليفة ابيه المظفر بتعز فأمره بالتقدم اليــه والالتزام به من الفقهاء . ونزل ابن البابة من فوره فاكترى هجينا الى زبيد . وكان المظفر بها وولده الأشرف معه فلم يشعر الأشرف الا وهو منطرح على بابه . وكان يدل عليه بجوار الأشرف الى أبيه المظفر

يخبره بذلك . وقيل بل أمره الأشرف ان يكتب قصة يشكو فيها من فعل الفقهاء ، وأدخلها لـه فحين وقف على ذلك صعب عليـه وخشى أن يسرع الفقهـاء الى شقاق يصعب علاجه فكتب اليهم ما مثاله :

أظلمتم الضياء وخبطتم فى عشوى ، فاقتصروا عن هذه الأهواء واشتغلوا بالنصوص . فانك يا بن آدم وأمثالك من المتفقهة فى تلك الجهة لم يحط أحدكم علما بما فى كتابه ، ولو بهت أحدكم وسئل عن مسألة على قولين لم يكن فى قدرته الجواب عنها حتى يكشف ويطالع ، واذ كان يعييكم مـا أفنيتم فيـه أعماركم فكيف يخرجون الى أهوية تقيمون لهـا أمثالا بظاهر ألفاظكم ، ممـا يستدل بهـا على أهويتكم . فاعتمدوا على الكتاب والسنة ، والصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلهذا علماء يوردون ويصدرون لستم من ذلك النمط . فالحذر كل الحذر . ومن حذر فقد أنذر . فان أقتصرتم والا قصركم السيف عن طول اللسان فقصدكم التلبيس على العوام بقيل وقال .

ثم أرسل الى الوالى بحصن تعز بالورقة ، وأمر أن يأمر الخطيب بقراءتها على المنبر بحضرة الفقهاء وغيرهم ، ففعل الخطيب ذلك فتفرق اكثر الفقهاء شغر بغر . وأقام أعيان الفقهاء فى البلد مهاجرين للمقدسى . وهو فى جوار

ورقة 118 وجـه

الواثق ، ثم مرض المقدسى أياما وتوفى مهجورا ودفن سحـرا ولم يحضر دفنه الا نفر يسير .

قلت : كان ينبغى للفقهاء المنكرين ان يجيبوا السلطان المظفر رحمه الله وينصحوه بكتاب لطيف ، ويظهروا له الحق ليرجع عن أنكاره عليهم والله اعلم . قال الجندى : ولم يزل ابن البابة ملتصقا بالأشرف حتى توفى ايضا سنة سبع وسبعين وسبعمائة . ليلة عيد الفطر . وقيل صبيحتها بعد اتفاق مع الفقهاء واظهار توبـة عما نقل عنه وصنف فى ذلك مصنفا يقتضى صحة رجوعه عنه ودخل به على القاضى البهاء العمرانى وهو يومئذ المنفرد بالوزارة والقضاء ، فحلف له أنه ما تغير عن معتقد السنة ، وأراه الكتاب الذى صنفه فيه معتقد السلف . فقبل منه بعض القبول . وأكثر الفقهاء لم يكد يصدقه فى ذلك والله اعلم بصدقه . فهذا حاصل ما ذكره الجندى فى هؤلاء المذكورين . ووجدت بعد كتبى هذا الموضع فى كلام شيخنا القاضى جمال الدين الناشرى : أن مذهب بن عربى مات بموت الفقيه ابى بكر التعزى يعنى ابا العتيق الذى ذكره الجندى قال القاضى : ثم ظهر مذهبه وانتشر فى أواخر المائة الثامنة . انتهى كلامه . فى كتابه الـدرر فى الأنساب والسير . وفى كتاب فتاوى الأصبحى اشارة الى النهى عن هذه الكتب ، فانه فى كتاب الأقضية : واياك ان تعلق قلبك بشىء من الكتب الغريبة . ولا تفرغ سمعك لها ، وان كانت

حسنة الألفاظ ، فان السم لا يوضع الا فى الطعام الطيب وعليك بالكتب التى هى دعائم الاسلام . وقال ايضا :

ولا يعتبر بما يطلقون بـه ألسنتهم ، وآهرب منهم جهدك . وأوصيك بالاستقامة والاتباع ولا تفرغ سمعك للمحدثات أبـدا . انتهى مختصرا .

واعلم أن الكتاب المنسوب . الى الشيخ أبى الغيث بن جميل رحمه الله يقع فيه كثير مما يشبه مقالات ابن عربى من الاتحاد وجحد الكفر والاسلام وجحد الخلق واسقاط حكم أفعالهم . احالة على القدر وذهابا الى الجبر وانكار النفى والاثبات فى قولهم لا الاه الا الله . وتجويز مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكن الكتاب لا يصح له سند يعتمد عليه ، لأن المشهور أن الشيخ كان أميا لا يقرأ الكتب ولا يكتب ، ولا يعرف ثقة محقق ضابط كتبه عنه . بل جمعه من جمعه من مقالات متفرقة لا تثبت آحادها عنـه ايضا برواية صحيحة مسموعة . وكان ابو بكر اليحيوى المتقدم ذكره قد جمع كلاما لنفسه ولابن عربى ، فلعله او غيره أدخل على الشيخ تلك المقالات فى ذلك الكتاب . والشيخ ابو الغيث برىء منها ، لا نعتقد فى الشيخ رحمه الله الا الـ (بر) اةً منها ومقالات الكتاب المذكور منها ما هو بصيغة . قال رضى الله عنه ومنها بصيغة قيل وهى ظاهرة فى أنها ليست للشيخ رضى الله عنه وقد كثر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أهـل البيت وعلى المشائخ بما هم منزهون عنه . وقد رددت هذا بيانا فى كتاب التنبيهات واستأنست فيه بوجادة عن الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمى ستأتى الاشارة اليها ان شاء الله تعالى والله اعلم .

ورقـة 118 ظهـر

وكانت وفاة اليحيوى التعزى المذكور بشهر ربيع سنة تسع وسبعمائة بزبيد فى الدولة المؤيدة . وقد ولد سنة ست واربعين وستمائة ذكره الجندى

اذا علمت ذلك فقد كانت هذه الكتب مهجورة من يومئذ حتى ظهرت شوكة الصوفية بزبيد ، فكان من الأنكار فيها ما ذكرناه اولا . فتوفى ابن الخياط والقاضى احمد الناشرى وقد لقى الناشرى منهم مـا لقى حتى انهم سعوا به الى السلطان بكل ممكن ، من منعه من الفتوى واخراجه من زبيـد واعدام صورته بالكلية . فحماه الله من شرهم حتى توفى على الحال المرضى رحمة الله عليه . وذلك فى غرة سنة خمس عشرة وثمانى مائة فبقى ابن نور الدين وقام معه ايضا القاضى شرف الدين بن المقرىء عند تحقق قبح مقالات ابن عربى وقام معه ايضا الفقيه المفتى موسى الضجاعى وجعل ابن المقرىء ينظم القصائد الحسان فى ذكر قبائحهم ، والاستنصار عليهم بالعلماء والسلطان . من ذلك قوله فى قصيدة مطلعها :

بـرغم سنة خـير العجم والعرب — أمست مساجدنـا للهـو واللعب
مـا كـان صلى عليه الله يأمرنا — بضرب دف ولا زمـر ولا طـرب

بل سد عن مزمر الراعي مسامعه صونا لها ولنا عن هذه اللعب

الى أن قال :

من قال منكم أنا الله ابتنى شرفا فيكم ومرتبة تسمو على الرتب
وان سئلتم لماذا قال صاحبكم هذا وهذا مقال المارق الذرب
قلتم زكا ففنى عن نفسه وبقى بربه فهو هو فى كل منقلب
وبعضكم قال ان الله قال له سل عن أقل العبيد ما تشاء تهب
أبصرته أنا بالهندى أحرفه مكتوبة معكم فى ستر مكتتب
وأبصرته رجال آخرون معى فصفق الكل بالأيدى من التعب

الى أن قال :

يا رب سنتك البيضاء قد وقعت فى ورطة أشرفت منها على العطب
وما بقى الحق الا ما يقول به الحسلاج وابن التلمسانى والعربى
يا رب لا تجزها وآ (هلك) أوامرها كمثل عادتها فى العجم والعرب
وان تكن مدة الدنيا قد انصرمت وهذه أول الآيات والنوب
وانها فتن من بعدها فتن والجهل فى صعد والعلم فى صبب
فباطن الأرض خير من ظواهرها وما لذى ارب فى العيش من أرب

وأكثر من النظم فى ذلك نظما رائقا يرسخ بسماعه الايمان فى قلوب المؤمنين ، وتنسجم به عبرات المحبين لشرائع النبيئين ، وتزلزل به أقدام

ورقة 119 وجه

المبتدعين . ويخافون سفك دمائهم من المسلمين . وانتشرت قصائده وظهرت بها فضائحهم عند أهل تهامة ، وأهل الجبال . اذ نقلت الى الامام على بن صلاح بصنعاء . ونظم بعض فقهاء الأشراف على نحو نظمه شكرا له وتحريضا فشاع فى الناس تكفير من يتدين بمذهب ابن عربى من الصوفية بزبيد . وكان السلطان الناصر بن الأشرف يومئذ بتعز وابن الرداد معه . فشكى على السلطان ، وتلطف له ، بحيث تخوف السلطان حصول فتنة بزبيد بين الفقهاء والصوفية ، ويحصل حدث فى المملكة . فأمر بتسكين الفريقين والامساك عن تكفير الصوفية حتى رجع الى زبيد ، فأخذ ابن الرداد دستورا فى تأديب جماعة من طلبة العلم ، فمنهم من ضرب ، ومنهم من أخيف ، ومنهم من هرب وخرب داره . ومنهم من رجع عن تكفير ابن عربى وأتباعه . وسعى بابن نور الدين ، فنزعت أسبابه منه . ثم سعى فى اتلاف صورته بمحضر ، كتبه عليه قاضى مورع يومئذ ، وكان من أصحاب ابن الرداد فسلمه الله من شرهم . ثم أمر بالخروج من بلده فعاجلت المنية ابن الرداد ، فمات فى آخر ذى القعدة من سنة احدى وعشرين وثمانى مائة . وله على القضاء أكثر من سنة . فكان موته فرجا عظيما للفقهاء ، فاستقر ابن نور الدين ببلده واستمر على الانكار مع ابن المقرىء حتى توفى ابن نور الدين على الحال المرضى فى أوائل ربيع الآخر من سنة خمس

وعشرين وثماني مائة . وبقي من أكابر الصوفية المزجاجي والكرماني ، وألف المزجاجي كتابا في الثناء على ابن عربي والحلاج ونصرة مذهبهم ، وجمع خرافات كثيرة تستخف السفهاء . وقرب الناصر الكرماني فقبلت كلمته على ابن المقرىء عنده . فأمـر الناصر نقيبا من العسكر فهجم (على) باب منزله بالنخل ، وقبض على جماعة من الطلبة ، وحمى الله الفقيه وكتبه ومـا في منزله ، ولم يوجد له شيء . ثم خرج الى زاوية الفقهاء بني عجيل ، ثم انتقل الى موضع آخر ، ثم عطف الله قلب السلطان فأرسل له بمال وذمة ، تقريرا لحاله وخوفا من طلوعه الى الامام على بن صلاح صاحب صنعاء . ونقل عن الناصر أنه قال : ان يطلع الفقيه الى الجبال كفرونا واستحلوا أهل بلادنا جملة . ثم عاد الفقيه الى بيت الفقيه ابن عجيل ، فأقام يدرس ويفتي ويصنف وينظم كعادته ، ثم بعد سنة عطف الله قلب الناصر عليه فاستدعاه وأعاده الى زبيد وأحسن اليه . ثم مات السلطان الناصر في جمادى الأول من سنة سبع وعشرين . وقام ولده عبد الله المنصور باتفاق من كبراء الدولة عليه في غيبته . اذ كان بتعز ومات ابوه بقوارير الحصن المشهور . فاستوثقت البلاد للمنصور في غيبته ، وحملت اليه آلة الملك الى تعز ، وأقبل على الفقهاء وآنس ابن المقرىء وامتدحه ابن المقرىء بقصائد يهنئه بالملك ويحثه على نصرة الشريعة المطهرة . فأجابه الى ذلك وطرد الكرماني وأوحشه مدة وهجم بيته وأخذ ما فيها . ثم أمر بمصادرته بمال .

ورقـة 119 ظهـر

ثم شفع فيه فخلى على ان يخرج من البلد فاستجار بزاوية بني عجيل مدة ثم طلع الى تعز فقام عليه ابن المقرىء ووضع سؤالا في تكفيره وأجاب عليه فقهاء تعز وزبيد ، برد كل من ارتضى تلك المقالات المذكورة عن ابن عربي ، وأجراء أحكام المرتدين عليهم . وكان المفتون بتعز يومئذ جماعة كابن الدمتي والكاهلي وغيرهما ، فاتفقت فتاويهم على ذلك وعرضت الجوابات على المنصور ، فأجاب الى اجراء الحكم على الكرماني والسيف ان لم يتب . فاستحضر الى مجلس الشرع الشريف فأظهر التوبة والرجوع الى دين الاسلام على القانون المعروف . واشترط عليه هجر كتب ابن عربي وكتب بذلك مسطورا قرىء على منبر الجامع بزبيد ، على لسان خطيبها الفقيه العلامة موسى الضجاعي مقدم الذكر . وقرىء ايضا على منبر المهجم ، وفي تعـز وهذا المسطور محفوظ عند جماعة من الفقهاء فليقف عليه من أراده . وأجاب بنحو جواب فقهاء تعز وزبيد ايضا الشيخ شمس الدين الجزرى الدمشقي صاحب عدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين . وكان قد قدم الى اليمن تلك السنة ، فأكرمه السلطان المنصور وأقبل عليه طلبة البلد بزبيد لكونه اماما في القراءات السبع بل العشر . وفي علم الحديث وغير ذلك من العلوم ، مع الديانة وكبر السن وشهرة الصلاح . ثم حملت الجوابات الينا الى أبيات حسين فأجبت عليها بجواب أبلغ من جوابي الأول الذي أجبت به في اول الفتنة . ثم ما لبثنا الا يسيرا حتى نفى الله الكرماني من ارض اليمن . ثم مات المزجاجي في أواخر شهر ذي القعدة من سنة تسع وعشرين ، ثم عاد

الكرمانى الى زبيد لبضع وثلاثين ، وقد قام الملك الظاهر فلم يقرب الكرمانى وهو مصر على اعتقاده الخبيث . وصنف رسالة فى الرد على ابن المقرىء ذكر فيها نفسه وأهل مذهبه ما لفظه : أنا حيث قلنا المخلوق فمرادنا الخالق . وحيث قلنا الحجر فمرادنا الله تعالى الله عن قولهم . ورد عليه ابن المقرىء فى تصنيفه قدر عشر ورقات فأبلغ فى الرد جزاه الله خيرا . وما زال الكرمانى ممقوتا عند أكثر الفقهاء ، وعند الملك الظاهر حتى خرج العباس بن الأشرف فخرج الكرمانى الى جهة جازان ، ينتظر ظهور العباس . فلما انكسر العباس خرج الكرمانى الى الحجاز وذلك فى سنة تسع وثلاثين وثمانى مائة . ثم رجع الى جازان فمات بها فى آخر شهر ذى القعدة او الحجة من سنة احدى واربعين وثمانى مائة

وسأثبت صورة جوابى الثانى وجواب الجزرى . لتمام الفائدة .

فاما جواب الجزرى فقال رضى الله عنه : الحمد لله وبه توفيقى . نعم يجب على ملوك الاسلام وخلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سائر الأنام ومن قدر على الأمر بالمعروف والنهى على المنكر من العلماء والحكام

ورقة 120 وجه

ان يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهر ، من كتب المذكور وغيره . ويمنعوا من ينظر فيها او يشتغل بها منع تحريم لا منع كراهة . ولا يلتفت الى قول من قال ان هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغى ان يؤول . فانه غلط من قائله وكيف يؤول قول من قال :

العبد حق والحق رب ... يا ليت شعرى من المكلف .

ان قلت عبد فذاك رب ... او قلت رب أنا يكلف .

وقوله ما عرف الله الا المعطلة والمجسمة . قال لأن الله تعالى يقول : ليس كمثله شىء

فهذا دليل المعطلة . وهو السميع البصير . فهذا دليل المجسمة . وقوله ما عبد من عبد الا الله . لأن الله تعالى يقول : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه (1) . وقوله كل موجود يفتقر الى الله . والله تعالى يقول : يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله (2) . فكل ما يفتقر اليه فهو الله حتى الخلال يفتقر اليه فى تخليل الأسنان . وقوله فى فرعون قبضه الله طاهرا مطهرا لم يقترف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أيمة يدعون الى النار . ويوم القيامة لا ينصرون والله تعالى يقول : فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون — واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (3) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة ثلاثة ايام عامدا متعمدا

(1) 17 — الاسراء 23

(2) 35 — فاطر 15

(3) 28 — القصص 40 — 41 — 42

دخل النار ، خالدا مخلدا وحشر مع فرعون وهامان وأبى بن خلف . رواه الامام احمد وغيره . وأقواله المخالفة لظاهر الشريعة المطهرة كثيرة . وأكثرها متناقضة . ومن قرأ كتاب الفتوحات رأى فيه العظائم . وهذا الذى ذكره ما حضرنى الآن منها ذكرته بالمعنى ، وأحسن ما عندى فى أمر هذا الرجل : أنه لما ارتاض غلبت عليه السوداء . فقال ، ما قال : ولهذا يختلف كلامه اختلافا كبيرا ويتناقض تناقضا ظاهرا فيقول اليوم شيئا ويقول غدا بخلافه . وذلك بحسب ما تخيل اليه السوداء والله اعلم . ومن يكون كذا فلا يجوز النظر فى كلامه ، فضلا عن تقليده . على أن مخلديه والظانين به الخير احد رجلين : اما ان يكون سليم الباطن لا يتحقق معنى كلامه ويراه صوفيا ، ويبلغه اجتهاده وكثرة علمه ، فيظن به الخير . واما أن يكون زنديقا اباحيا حلوليا يعتقد وحدة الوجود ، ويأخذ ما يعطيه كلامه من ذلك مسلما . ويظهر الاسلام واتباع الشرع الشريف ، وفى نفس الأمر لا يعتقد ذلك . ولقد جرى بينى وبين كثير من علمائهم بحث أفضى به الى قلت له : اجمع لى بين قولكم وبين التكليف ، وأكون أنا اول تابع لكم . ولا شك ان اهل زمانه ومعاصريه اخبر به من غيرهم . ولقد حدثنا شيخنا الامام المصنف شيخ الاسلام الذى لم تر عيناه مثله عماد الدين اسماعيل بن عمر ابن كثير من لفظه غير مرة .

ورقة 120 ظهر

قال حدثنى شيخ الاسلام العلامة قاضى القضاة تقى الدين ابو الحسن على بن عبد الكافى السبكى قال حدثنا الشيخ العلامة شيخ الشيوخ قاضى القضاة علاء الدين على بن اسماعيل القونوى قال حدثنى شيخ الاسلام قاضى القضاة تقى الدين ابو الفتح محمد بن على القشرى المعروف بابن دقيق العيد القائل فى آخر عمره لى اربعون سنة ما تكلمت بكلمة الا وأعددت لها جوابا بين يدى الله تعالى . قال سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين ابا محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقى عن ابن عربى فقال شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا . كذا حدثنى شيخنا ابن كثير من لفظه ورأيت ذلك فى كلام الشيخ تقى الدين السبكى وفيه زيادة رواها بعضهم عن ابن عبد السلام وهى أنه قال وقع بينى وبينه كلام فى وجود الجن فأنكر وجودهم ثم رأيته بعد قليل فقال قد رجعت عن ذلك القول فانى تزوجت بجنية وولدت لى وغضبت على يوما فشججت وجهى وهذه الشجة منها وأشار الى شجة فى وجهه . قال الجزرى رضى الله عنه فى آخر جوابه وبالجملة فالذى اعتقده وأقوله وسمعت من شيوخى الذين هم بينى وبين الله عز وجل ان هذا الرجل ان صح عنه هذا الكلام الذى فى كتبه مما يخالف الشرع المطهر وقاله وهو فى عقله ومات وهو معتقد لظاهره فهو أنجس من اليهود والنصارى فانهم لا يستحلون أن يقولوا ذلك وانما يؤول كلام المعصوم ، ولو فتح باب تأويل

كلام ظاهره الكفر لم يكن فى الارض كافر . مــع ان هذا الرجل يقول فى فتوحاته هذا كلامى على ظاهره لا يجوز تأويله او نحو ذلك مما هــذا معناه فالواجب على من قدر اعدام كتبه التى تخالف الشرع المطهر وكذلك اعدام كتب غيره المخالفة للشريعة المطهرة ويثاب على ذلك الثواب الجزيل . بالقصد الجميل ويأثم اذا قدر على ذلك ولم يفعله وكذلك يجب عليه آن يؤدب من يبحث فى تصحيح ذلك واعتقاد ظاهره التأديب البليغ الذى يردع أمثالــه من الملحدين والله تعالى اعلم . وسرعة السفر تمنع من الزيادة على هذا القدر والله يحيينا على التمسك بالكتاب والسنة ويميتنا على ذلك بمنه وكرمه انتهى الموجود بخط الجزرى عافاه الله . قلت ولى من الجزرى اجازة عامة فى كل ما تجوز له روايته من مروياته ومصنفاته فقد اتصلت روايتى بمقالة الشيخ عز الدين فى ابن عربى بقائلها رضى الله عنه وما استحسنه الجزرى فى أمره من غلبة السوداء بعيد مع ترتيبه التصانيف والظاهر آن ذلــك من سفسطته وتصويبه لجميع المقالات

ورقــة 121 وجــه

كما ذكرنا على أن مجموعها متناقض بلا شك غير الجزرى ايضا أنــه يحتمل انه اختل عقله من شدة الرياضة وهذا لا يصح عذرا مع بقاء شعوره وتصنيفه . نعم أكثر المبتدعة ضعفاء العقول وليس ضعف عقولهم عذرا لهم لبقاء التكليف ووضوح الحق لكن لما لم يقبلوه صرفهم الله عنه لقوله تعالى : فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم (1) ، ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون (2) . والله اعلم .

وامــا جوابى فصورته : الحمد لله أكمل الحمد وافضله وهــو حسبى ونعــم الوكيل الجواب وبالله التوفيق أن أقوال ابن عربى هذه واشباهها الكفر الصريح . فهو واتباعه من اخبث الكفرة المارقين الفجرة . وقد كشف الله لنا عن حقيقة مذهبه وقواعده التى أفسدت عقائده بطريق الاستقراء من كتبه وكتب أصحابه . فأصل مذهبه وضلاله وغاية كفره ومحاله القول بوحدة الوجود أى اتحاد الخالق والمخلوق . وهذا مذهب هو الى أصله مسبوق . ثم توسع فيه حسبما قدر عليه من الشقاء والمروق . ولهذا قال الذهبى فى ترجمة ابن عربى انه عمدة القائلين بوحدة الوجود وسماهم بذلك غير واحد من العلماء بل هم سموا أنفسهم بذلك وسماهم القشيرى فى الرسالة والسهروردى فى العوارف المفتونين بالشاهد . لأنهم يدعون شهود الحق فى صور الخلق فمن هذه العين تشعبت طرق الغواية . فتفرقت بهم عن سبيل الهداية قال الله تعالى : وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتتفرق بكم عن سبيله (3) . ولما علم ابن عربى لعنه الله ان قاعدة المحققين من الصوفية . فى التوحيد وهى افراد القدم

---

(1) 61 الصف 5

(2) 6 ــ الانعام 110

(3) 6 ــ الانعام 103

عن الحدث تخالف طريقته ادعى أن الشيوخ المتقدمين كالجنيد وسهل وابراهيم الخواصى وغيرهم ما ثوا وما عرفوا التوحيد الذى عرفه فهو واتباعه ينكرون على الجنيد وامثاله اذا ميزوا بين العبد والرب وقالوا التوحيد افراد القدم عن الحدث . وقد التزموا على قولهم بوحدة الوجود القول بقدم العالم وبالجبر وان من عبد صنما او حجرا او شجرا او شمسا او قمرا فما عبد الا الله وحرف على وفق ذلك تفسير قوله تعالى : وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه (1) . وقال بالتشبيه والتجسيم واتحاد اللاهوت بالناسوت . بل سائر المخلوقات فزاد على مذهب النصارى فى تخصيصهم الاتحاد بناسوت عيسى عليه السلام . وقال ان المنزه لله اما جاهل وأما صاحب سوء أدب الى ان قال فالحق المنزه هو الخلق المشبه فان تلحق فى كل خلق ظهورا .

ورقة 121 ظهر

فهو الظاهر فى كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم الا عن فهم من قال أن العالم صورته وهويته الى أن قال وهو المسمى ابا سعيد الخراز وغير ذلك من الاسماء المحدثات . هذا لفظه فى الفصوص فى الكلمة النوحية . وقال فى الكلمة اللقمانية أن الله تعالى لطيف فمن لطفه ولطافته أنه الشىء المسمى كذا المحدود بكذا غير ذلك الشىء حتى لا يقال فيه الا ما يدل عليه اسمه بالتواطىء والاصطلاح فيقال هذا سماء وأرض وشجر وحيوان وملك ورزق وطعام . والعين واحدة من كل شىء وفيه ، الى ان قال وقد قال عن نفسه انه عين قوى عبده فى قوله كنت سمعه وبصره وهو قوة من قوى العبد ، ولسانه وهو عضو من اعضاء العبد وليس العبد يغير هذه الاعضاء والقوى . فعين العبد هو الحق هذا لفظه قابله الله فما أجراه على الله وكان الكافر على ربه ظهيرا وله من نحو هذا شىء كثير . وهو ديدنه فى كتبه وعلى الجملة فمذهبه مشتمل على جميع مقالات الضالين لأن من قواعد مذهبه تصويب جميع الفرق استرسالا فى مذهب من يقول كل مجتهد مصيب حتى فى أصول الدين كما هو رأى العنبرى والجاحظ المعتزليين المحكى عنهما فى كتب أصحابنا الأصوليين حتى قال بتصويب اليهود والنصارى المغضوب عليهم والضالين فمذهبه ملفق من أشنع المذاهب . فأخذ التشبيه والتجسيم من مذهب الظاهرية الحشوية وأخذ تحريف القرآن والنصوص عن وجوهها وظواهرها من مذهب القرامطة الاسماعيلية وأخذ الحلول والاتحاد من مذهب النصارى وزاد عليهم كما سبق وأخذ القول بها وبقدم العالم وانكار حشر الاجساد بعينها وانكار العذاب الحسى فى الآخرة والخلود المطلق . وانكار علم الله تعالى بالجزئيات من مذهب الفلاسفة الالاهيين وهم الذين يعبر عنهم هو بأهل الحق وبأهل الحقائق وبأهل التحقيق وبأهل الكشف والذوق ونحو

(1) الاسراء ـ 17 ـ 23

ذلك من العبارات التى تعرف بالاستقراء من كتبه وأخذ التجاسر على خرق الاجماع من تصويب كل مجتهد وأوصى بعدم التقيد بعقد فقال فى الكلمة الهودية فكن فى نفسك هيولا لصور المعتقدات كلها فان الاله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصر فى عقد دون عقد فأينما تولوا فثم وجه الله وما خص أينا من أين الى ان قال فما ثم الا الاعتقادات فالكل مصيب مأجور وكل مأجور سعيد وكل سعيد مرضى عنه وان شقى زمانا فى الدار الآخرة هذا لفظه وفيه التصريح بنفى خلود الكفار فى النار بل أصل الكفر عنده مفقود فان من قواعد مذهبه ايضا أن كل موجود حق . والشر عدم محض لا وجود له

ورقــة 122 وجــه

فلا وجود للكفر والباطل والكذب وغير ذلك من الشرور فاعلم ذلك من مذهبه واعلم أن حكمه بايمان فرعون وسعادته فرع من فروع مذهبه وأنه من أدنى كذبه فلا ريب فى تكفيره وتكفير أهل مذهبه ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا . وقد صنفت كتابـا فى بيان حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وبينت مخالفته لهم وقررت تكفيره وتكفير أهل طريقته عند العلماء المحققين والمفسرين والمحدثين والاصوليين والصوفية المحققين وبالله توفيقى .

اذا تقرر تكفيرهم فمن ارتضى مذهبهم وصوبه وادعى أنه لا يخالف دين الاسلام كما يقولون هم فهو كافر مرتد تجرى عليه احكام المرتدين المقررة فى كتب العلماء الائمة وما ذكره الفقهاء المفتون فى وقتنا من قبول توبة من ينتحل هذا المذهب هو المعروف من ظاهر مذهب الشافعى رضى الله عنه ويشترط فى توبته التبرىء من هذا المذهب بعينه وهو مذهب أهل الالحاد والحلول والتشبيه والتجسيم وكل ما يخالف شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واطلاق قبول توبتهم متجهة فى من لم يرسخ مذهبهم فى قلبـه او ظهرت أمارات صدقه فى توبته ما من رسخ مذهبهم فى قلبه وعرف بتقرير حقيقته فهــو زنديق من أخبث الزنادقة الذين لا ينتحلون دينا وفى قبول توبة الزنديق خمسة أوجه لاصحابنا **احدها** تقبل وأطلق مطلقون ترجيحه **والثانى** لا تقبل قــال الذويانى وعليه العمل وهو قــول مالك واحمد واسحاق والليث وهى رواية عن ابى حنيفة وابى يوسف **والثالث** عن ابى اسحاق الاسفراينى انــه ان أسلم ابتداء من غير مطالبة قبــل . وان أسلم تحت السيف لم يقبــل واستحسنه امام الحرمين **والرابع** عن القفال الشاشى ان كان من المتناهيين فى الخبث أصحاب المشاهد كدعاة الباطنية لم تقبــل وان كانت من عوامهم قبلت **الخامس** عن ابى اسحاق المروزى ان لم تتكرر منه الردة قبل وان تكررت منه لم يقبل اذا علمت ذلك فالمختار عندى مذهب مالك ومن وافقه فمن رسخ مذهبهم فى قلبه ومهر فى معرفة كتبه ولم تظهر امارات صدقه فى توبته وكذا فيمن كان من عامتهم شديد التعقب لمذهبه لا يرعوى لقبول كلام أهل السنة فى انكاره وكذا فيمن تكرر منه اعتقاده والرجوع عنه لانحلال عقدة

اعتقاده والى مثل هذا وقعت الاشارة فى حديث الفتن بقوله صلى الله عليه

ورقــة 122 ظهــر

وسلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا نسأل الله العافية ويجب اتلاف هذه الكتب وطمس آثارها وفى كتب أهل السنة غنية عما يستحسن منها فهذا جوابى واعتقادى وما توفيقى الا بالله وهو حسبى ونعم الوكيل انتهى مثال صورة الجواب قلت فهذه صورة جوابى بتوفيق الله غير متعصب للفقهاء ولا محاب للصوفية على أن هذا الرجل وان كان منتميا للصوفية فليس منهم حقيقة ولا من الفقهاء بل هو فيلسوف مارق حشوى كرامى قدرى جبرى جهمى مرجىء باطنى اتحادى بــل زنديق ملحد معطل وما مثل الصوفية فى اعتقاده والتعصب له الا كما قالت تلك المرأة :

أطعتــم اتــاوى من غيركــم فــلا من مــراد ولا مذحــج

والأتاوى الرجل الغريب الآتى الى قوم لا يعرفونه ، والبيت المذكور فى ابن عربى والصوفية أصدق منه فيما قالته فيه تلك المرأة . ولما تحقق الشيخ ناصر الدين ابن بنت الميلق الشاذلى مذهب ابن عربى واتباعه وانه الكفر الصريح وأن المحابات فى دين الله لا تسع المؤمن رد عليهم بأبلغ رد وصرح بتكفيرهم تبعا لشيخه شهاب الدين بن المعلق فقال فى كتابه موارد ذوى الاختصاص الى مقاصد سورة الاخلاص بعد كلام طويل فى الرد على اليهود والنصارى فى قولهم بنبوة عزير وعيسى عليهما السلام ما لفظه . واعلم ان الشيطان لعنه الله قد زين ظلال اليهود والنصارى لطوائف من هذه الأمة فتابعوهم على ضلالهم كما اخبر النبيء صلى الله عليه وسلم لوقوعه فى هــذه الأمــة بعــده فقال صلى الله عليــه وسلم لتتبعن سنن من كــان قبلكم باعا بباع وذراعا بذراع وشبرا بشبر حتى لو دخلوا فى حجر ضب (لدخلتم) معهم قالوا يارسول الله اليهود والنصارى قال : فمن ؟ صدق صلى الله عليه وسلم ووقع ما أخبر به وتبعت طوائف طرائق اليهود والنصارى فى ضلالهم وتجروا على مــا لم يتجرأ عليه بعضهم ، هذا مع انهم ينسبون الى ديننا بل يزعمون انهم رؤوس المسلمين وأعيان المؤمنين وخواص المحققين وهم كاذبون فى دعاويهم بل كافرون بمعاصيهم وذلك أن منهم من يزعم الاتحاد ويرى أن ذلك هو حقيقة التوحيد ومنهم من يزعم الحلول وكلا المذهبين كفر مع ما فى ذلك من مجاوزة مذهب النصارى فان النصارى انما زعم زاعمهم اتحاد اللاهوت بناسوت عيسى خاصة وكذلك من قال منهم بالحلول انما اقتصر على ذات عيسى خاصة واما هؤلاء الزنادقة فان منهم من يدعى الحلول فى الصور الجميلة او الاتحاد مع كثرتها الخارجة عن الحصر ومنه من يدعى ذلك فى جميع الذوات الكونية وفى فحش ضلالهم المدرك ببداية العقول ما يغتر عن

ورقــة 123 وجــه

الاشتغال بالرد عليهم قــال وليت شعرى اذا كانت حقيقة الوجود عندهم

حقيقة واحدة فكيف يتعقل فيهـا ان تكون عابدة معبودة وقاصدة مقصودة وآمرة مأمورة وزاجرة مزجورة وداعية مدعوة ودانية مدنوة الى غير ذلك مما يلزم عليه المحال مع أن أهل هذا المذهب لا يسعهم الا القول بقدم الاله وقدم اوليته ونحن نشاهد حدوث الصوروتحقق التجدد فى كل حادث من عين وآثر مع قيام البراهين على استحالة قيام الحوادث بذات القديم سبحانه ولقد كابر بعض هؤلاء الضالين للحس وقالوا بقدم العالم وزعموا ان وجود ما لم يكن موجودا منها لا يدل على الحدوث وانما هى صور ومعان يتعاقب ظهورها وخفاؤها فى الوجود القديم كما كابـر ايضا الحس من ضل بضلال اليهود وزعم أن الله تعالى عن قولهم جسم وساقه ذلك الى القول بقدم العالم وليس هذا التعليق موضوعا لبسط هذه المسائل ولكن حصل التنبيه عليها هنـا لتحقق من مواضعها وقد كنت كتبت فى شبيبتى تعليقا على قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى (1) نبهت فيـه على فساد قول المجسمين وعلى امور مهمة ومن اعظمها بيان اعتقاد السلف رضى الله عنهم وانه الايمان بكل ما وصف الله تعالى به نفسه ووصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم مع قطع النظر عن اتباع متشابهه والخوض فيه بالرأى والظن والقياس ومـع تنزيه الله سبحانه وتقديسه عن كل مـا يوهمه الوقوف مع الظواهر مما يشعر بمشاهدة الحوادث او يؤدى الى التعارض والاختلاف فى كلام الله تعالى وهذا مقصود الاكثرين القائلين بالوقوف على هذه التعليقة فليقف آن شاء الله تعالى .

واعلم ان لأهل التوحيد الحق الفاظا يطلقونها ويريدون بها حقا منها قولهم ليس فى الوجود الا الله وله معنيان أحدهما ليس فى الوجود الثابت الذى لم تشبه شائبة عدم سابق ولا لاحق ولا امكانه الا الله سبحانه ان وجوده سبحانه قديم لا يشارك فيه ووجود ما سواه مسبوق بالعدم ومعرض للعدم وناشىء عن غيره غير مستقل بنفسه . والمعنى الثانى ليس فى الوجود خالـق ولا رازق ولا مدبر ولا مؤخر الا الله فيحذفون الوصف الـدال على الفعل ويقولون ايضا

ورقـة 123 ظهـر

بخلق بمظاهر الاسماء والصفات يريدون أن الخلق يدلون بوجودهم على اسماء الله وصفاته فكان الله سبحانه وتعالى أظهر أسماءه وصفاته بما خلقه فى الوجود والمظهر ما به يظهر الشىء وقد يكون المظهر ما يظهر فيه الشىء وهو صحيح ايضا باعتبار أن آيات الله واسراره تظهر فى الخلق قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب . وقال تعالى : وفى أنفسكم أفلا تبصرون أى أفلا تشهدون آثار قهرى وبرى سارية فى وجود نفوسكم وكلما كان الشىء أعظم اظهارا لكمال الله تعالى كان أعظم فى المظاهر وبحسب اختلاف الظهور عند المظاهر اختلف ادراك أهـل الشهود فمنهم من يشهد الأفعال ومنهم من ينتقل الى مشاهدة دوائر الأسماء ومنهم من ينتقل الى

(1) 20 ــ طه 5

مشاهدة محيطات الصفات ومنهم من ينتقل الى مشاهدة الموصوف على اختلاف رتبهم فى هذه المشاهدات وللقوم مسارح ومطارح وملامح ومطامع وكلها بحق ليس منها الا ما يستشهد له من الشرع الشريف ومن اطلق او ادعى ما ليس فى الشرع له شاهد فهو رد عليه نسأل الله تعالى الهداية ونعوذ به من الغواية هذا كله لفظ الشيخ ناصر الدين فقد صرح بتكفير أهل منهب الحلول والاتحاد والظاهر انه يعنى بذلك ابن عربى وأتباعه ولعله انما لم يصرح باسمه غيرة على اهـل الطريق لانتسابه اليهم واكتفاء بالوصف المغنى عن الاسم فانهم يصفون انفسهم بما ذكره الشيخ فى صدر كلامه وقد أعاد القول بتكفير أهل الحلول والاتحاد فى الكلام على الفتن فى حديث يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا . وقـد صح لنا عن الشيخ ناصر الدين المذكور النهى عن كتب ابن عربى وانه أظهر ذلك لما ولى قضاء الأقضية بمصر والله اعلم .

وقد تقدم ان مقام مشاهدة الصفات مزلة أقدام ان لم يُصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث وبين العبد والرب والا وقـع فى الحلول والاتحاد والواقع فى ذلك يقع فيه بلفظ يشبه ألفاظ هذه الطائفة من غير اعتقاد وهذا يرجى له العفو ويجب الاعتذار له بما أمكن وقد يقع الواقع فى ذلك لفظا واعتقادا كابن عربى واتباعه ممن يعتقد وحدة الوجود وهذه الطائفة الاتحادية معروفة فى دمشق وغيرها من بلاد الشام متسترون بالاسلام وباطنهم الفلسفة والحشو الفاحش والبدع العظام وقد أشار اليهم ابن الزركشى فى شرح جمع الجوامع

ورقـة 124 وجـه

فى الأصول لتاج الدين السبكى بقوله قال بعضهم من العجب أن الكفار الذين جاهدهم النبىء صلى الله عليه وسلم وقتلهم ولم يقرهم بالجزية لم يكن سبب كفرهم الا جحودهم ما علم مجيئه صلى الله عليه وسلم به من حشر الأجساد ونحوه وهـذه الطائفة الخبيثة المتفلسفة قالوا بذلك وزادوا عليهم بقدم العالم وانكار علم الله تعالى بالجزئيات وكذبوا جميع الأنبياء وتستروا بالاسلام والناس غافلون عن تلبيسهم وقدحهم فى الدين انتهى .

وبعض هـذه الطائفة ترى أن مذهبهم لا يقتضى الكفر وقد أشار الى ذلك الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد فى شرحه لعمدة الأحكام فى الحديث بقوله وقد وقع فى هذا المكان من يدعى الحذق فى المعقولات ويميل الى الفلسفة فظن أن المخالف فى حدوث العالم من قبيل مخالفة الاجماع وأخذ من قول من قال أن مخالف الاجماع لا يكفر . انه لا يكفر المخالف فى هذه المسألة وهذا كلام ساقط بمرة اما عن عمى فى البصيرة او عن تعام لأن حدوث العالم من قبيل ما آجتمع فيه الاجماع والتواتر بالنقد عن صاحب الشريعة فيكفر فيه المخالف بسبب مخالفة النقل المتواتر لا بسبب مخالفة الاجماع انتهى . وايضا بمخالفة الاجماع فى ما عم من ضرورة الدين كفر فقول من قال ان مخالف الاجماع

لا يكفر نعنى فى الفروع اما فى الأصول فيكفر بلا خلاف والله اعلم ، وهم فى دمشق من قديم الزمان ولذلك بالغ الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى الرد عليهم فى عقيدته المتقدمة وهذا لما أظهروا الحشو فى زمن القاضى ابى بكر الباقلانى وتكلموا فى الامام ابى الحسن على بن داود الدارانى ، المقرىء الأشعرى. فكتب الى القاضى ابى بكر الباقلانى يعلمه فبعث القاضى تلميذه ابا عبد الله الحسن بن حاتم الى دمشق ليظهر مذهب التنزيه الذى هو مذهب السلف ويحذر من مذهب الحشو فلما قدم دمشق عقد بها مجلس التذكير فى الجامع فى حلقة ابى الحسن على ابن داود وذكر التوحيد ونزه المعبود ونفى عنه التشبيه والحدود تعالى وتبارك فخرج حشوية دمشق من مجلسه وهم يقولون أحد أحد ذكره ابن عساكر وأشاروا بقولهم أحد أحد الى اتحاد الصفات والذوات اى اتحاد صفات الخالق والمخلوق تعالى الله عن قولهم فهم يقولون بالاتحاد لا بالتوحيد وكذلك قال ابن الفارض فى تائيته :

ولو أننى وحدت اتحدت وانسلخت   ومن آن جمعــى مشركا بى معيتى

وقال الهروى :

ما وحد الواحد من واحد   ان كل من وحده جاحد

وقال بعضهم النفى والاثبات الى قول لا اله الا الله عندنا ذنب يوجب العقوبة وأرادوا بذلك ابطال الاسلام راسا ووجدت هذه المقالة فى كتب الفقيه ابن حشيبر

ورقــة 124 ظهــر

اليمنى ولعله أخذها من بعض كتبهم ولم يعلم ما فيها من الالحاد العظيم فنسأل الله العصمة ، ووضع فى كتابه ايضا الفاظا غير مرضية ، فاعلم ذلك والتمس له أحسن التأويل فانه لا يعرف عنه بدعة ولا اعتقاد يخالف الشريعة فلعل تلك الالفاظ التى فى النسخة استمدها من كتاب هؤلاء الملاحدة ولم يعلم بالحادهم والله اعلم .

واعلم أن دعواهم المعرفــة والتحقيق خطأ وكذب منهم على أنفسهم فان جهلهم بالله أعظم جهل يضاد المعرفة وقد قال اليافعى فى المرهم قال أصحابنا يعنى الأشعرى ومتأخرو الحنابلة غلوا فى دينهم غلوا فاحشا وتسفهوا سفها عظيما وجسموا تجسيما قبيحــا وشبهوا الله تعالى بخلقــه تشبيها شنيعا وجعلوا له من عباده أمثالا كثيرة حتى قال القاضى ابو بكر بن العربى المالكى رضى الله عنه فى كتابه العواصم أخبرنى من أثق به من مشيختى ان القاضى ابا يعلى الحنبلى كان اذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظواهر فى صفاته الزمونى ما شئتم الا اللحية والعودة . قال بعضهم ائمة الحق هنا كفر قبيح واستهزاء بالله شنيع وقائله جاهل بالله لا يقتدى به ولا يلتفت اليــه ولا هو متابع لامامه الذى ينتسب اليه ويتستر به بل هو شريك للمشركين فى عبادة الأصنام فانه ما عرف الله ولا عبده وانما صور صنما فى نفسه فتعالى الله عمــا يقول الملحدون والجاحدون علوا كبيرا ولقد أحسن الامــام ابو الفرج بن الجوزى منهم حيث صنف كتابا فى الرد عليهم ونقل عنهم أنهم

أثبتوا لله تعالى صورة كصورة الآدمى أبعاضها وقـال فى كتابه هؤلاء كسوا
هذا المذهب شيئا قبيحا حتى صار لا يقال عن حنبلى الا مجسما قال وهؤلاء
متلاعبون وما عرفوا الله ولا عندهم من الاسلام خبر فلا يحدثون فانهم يكابرون
العقول وكأنهم يحدثون الصبيان والمجانين والأطفال وكلامهم صريح فى التشبيه
وقد تبعهم خلق من العوام وفضح التابع والمتبوع انتهى المقصود مما نقله
اليافعى وغيره من الايمة وهذه صفات ابن عربى وأتباعه الدجاجلة والظاهر
أنهـم واليهود أتبـاع الدجال لاتفاقهم على التجسم لالاههم ودعوى الالاهية
لكبريائهم أعاذ الله المسلمين من شرهم ثم قال اليافعى فى المرهم قال الامام
ابو الفضل التميمى منهم فيما نقله الامام البيهقى فى مناقب الامام احمد
رضى الله عنه وقال فيه هو رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها أنكر الامام
احمد على من قال بالجسم وقال انما الاسماء مأخوذة من الشريعة واللغـة

ورقـة 125 وجـه

وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف
والله تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسما لخروجه عن معنى
الجسمية ولم يجىء فى الشريعة ذلك فبطل انتهى نص ما نقل عن الامام
احمد بحروفه .

قال بعض أيمتنا لقد أتى احمد رحمه الله فى هذا الكلام بما لم يستطع
احد من ايمة الحق المزيد عليه . قال وطوائف الحنابلة صرحوا بانه تعالى عن
قولهم جسم لا كالأجسام وذلك الحاد فى (دين) الله وقد قال الامام الشافعى
واحمد رضى الله عنهما لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه او وصفه
به رسوله صلى الله عليه وسلم قال وهذا هو الذى اتفق عليه ايمة السلف
رضى الله عنهم قال الامام النووى فى شرح مسلم فى باب الدعاء الى الشاهدين
وشرائع الاسلام فى حديث ارسال معاذ الى اليمن وقول النبىء صلى الله عليه
وسلم انك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه عبادة الله
فاذا عرفوا فأخبرهم ان عليهم صدقة الى آخره . قال القاضى عياض هذا يدل
على انهم ليسوا بعارفين الله تعـالى وهو مذهب حذاق المتكلمين فى اليهود
والنصارى انهم غير عارفين الله تعالى وان كانوا يعبدونه ويظهرون معرفته
لدلالة السمع عندهم على هذا وان العقل لا يمنع ان يعرف الله من كذب رسولا
قال القاضى عياض رحمه الله ما عرف الله من شبهه وجسمه من اليهود او
أجاز عليه اليد وأضاف اليه الصاحبة والولد منهم وأجاز الحلول عليه والانتقال
والامتزاج من النصارى او وصفه بما لا يليق به أو أضاف اليه الشريك والمعاند
من المجوس والثانوية فمعبودهم الذى عبدوه ليس هو الله وان سموه به اذ
ليس موصوفا لصفات الاله الواجبة له فاذا ما حرفوا الله سبحانه قال القاضى
فتحقق هذه النكتة واعتمد عليها وقد رأيت معناها لمتقدمى اشياخنـا ولهذا
قطع الكلام ابو عمران الفاسى بين عامة أهل القيروان وان عند تنازعهم فى هذه

الملة انتهى كلام النووى عن القاضى فى شرحه لمسلم . وقال فى كتابه الشفا من اعتقد ان الله تعالى جسم او المسيح او بعض من تلقاه فى الطريق فليس بعارف به وهو كافر انتهى . وسيأتى نقله ايضا ان شاء الله تعالى وقال ابن تيمية فى وصف طائفة من المتصوفة الجبرية اولئك لم يعرفوا فى خلقه وأمره بين الضلال والهدى والطاعة والمعصية وأهل الجنة وأهل النار وهؤلاء مع أنهم

ورقة 125 ظهر

مخالفون لكتب الله ودينه وشرائعه مخالفون ايضا لضرورة العقل ولضرورة الحس نظروا الى القدر فقط وعظموا الفناء فى التوحيد ووقفوا مع الحقيقة الكونية وخالفوا الحقيقة الأمرية انتهى والفرق بين الحقيقة الأمرية والحقيقة الكونية ما ذكره فى موضع آخر من قاعدة الفرقان فقال وكثيرون من الناس تشتبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الايمانية بالحقائق الخلقية القدرية الكونية .

فالقسم الأل الّذى أمر الله به وشرعه وأحبه ورضيه وأحب فاعليه وجعلهم من اوليائه المتقين وحزبه المصلحين

والقسم الثانى هو الذى خلقه وقدره وقضاه وان كان لا يأمر به ولا يحبه ولا يرضاه ولا يجعل أصحابه من أوليائه المتقين . انتهى . وهذه مسألة الارادة والأمر التى قدمنا ذكرها وهذه نصوص لأيمتنا فى اكفار اصحاب المقالات والانتحالات قال ابو سليمان الخطابى الشافعى الأشعرى فى جزء صنفه فى احكام العصاة فقال اعلم ان من يدعى الاسلام وينتسب اليه فى ارتكاب المحظورات وترك الواجبات على ثلاثة اقسام :

القسم الاول قوم يظهرون الاسلام بألسنتهم ويصلون ويصومون مع الناس وباطنهم الكفر والجحود فمنهم من يجحد الصانع جل جلاله ويقولون العالم كالنبات والطبائع هى الموجدة له وما زال منه فلا سبيل الى عوده ومنهم من يعترف بالصانع وان العالم محدث لكنه ينكر البعث والثواب والعقاب وهذا رأى الزنادقة من الأطباء والمنجمين وهؤلاء كلهم فى النار خالدون فيها أبدا لا يخرجون بشفاعة ولا غيرها وقد يلتحق بهم من جحد فرضا او استحل محرما مما ثبت بالقرآن او السنة المتواترة او اجماع الامة .

القسم الثانى قوم يعتقدون اباحة المحظورات وسقوط الواجبات وهم ثلاث فرق :

الاولى قوم يعتقدون ذلك من غير استناد الى شبهة ولا دليل الا معاندة او مكابرة او عن جهل هم غير معذورين فيه فقد ذكرنا انهم يكفرون بذلك ويستحقون الخلود فى النار كالقسم الاول

الفرقة الثانية يدعون أنهم قد اطلعوا على اسرار الملكوت وأحاطوا علما بموجبه وانه انما شرع الشرع للعامة ليرتدعوا عن الأهواء المؤدية الى سفك الدماء وليتحفظ بذلك نظام الدنيا وذلك من المصالح العظمى التى يطلع عليها الأنبياء ومن مقام مقامهم فى السياسة وزعموا أنهم لوافر أحلامهم

وكمال حكمتهم غير محتاجين الى سياسة غيرهم ولا حظر عليهم ولا واجب -

ورقة 126 وجه

وهذا مذهب جماعة من الاسماعيلية والملحدة قلت وابن عربى وطائفته قائلون بقول هذه الطائفة وتقول الفرقة الثالثة واعظم من ذلك تعريفه مما تقدم عنهم .

قال الخطابى : الفرقة الثالثة قوم من المتصوفة يدعون أنهم قد ارتفعت درجاتهم عن التعبدات اللازمة للعامة وأنهم قد انكشف لهم حجاب الملكوت وطلعوا على أسراره وصارت عبادتهم بالقلب لا بالجوارح ويزعمون أنهم قد وصلوا واتصلوا وسقط عنهم التكليف وهذان الصنفان فى الكفر والاصل الأشد من الأول واضر على الاسلام واهله وجميعهم ممن يساق الى النار من غير محاسبة ولا مسائلة ولا خلوص لهم منها ابد الآبدين .

القسم الثالث قوم صححوا الاسلام ظاهرا وباطنا ثلاثة أصناف :

الصنف الاول غلبتهم الشهوات فارتكبوا المحظورات وتركوا الواجبات من غير جحود وهم يستشعرون الخوف من الله تعالى ولكن لا يحدثون أنفسهم بالتوبة بل الغفلة غالبة عليهم فهؤلاء تحت خطر عظيم وقل من يوفق منهم للتوبة بل يخشى عليهم سوء الخاتمة وكثير منهم يعرض له الشيطان قبيل موته فيضله فيموت على الكفر والعياذ بالله فمن مات منهم على الحال التى عاش عليها فلا بد له ولأمثاله من النار على قدر ذنوبهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ولا يبقى فى النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان .

الصنف الثانى : كالاول الا أنهم يعتقدون قبح ما أتوه ويحدثون أنفسهم بالتوبة ويكثرون الاستغفار والطاعات الخالصة لله تعالى مع اصرارهم على المعصية يرجون بذلك تمحيص ذنوبهم وان تغلبت طاعتهم على معصيتهم فيوشك أن يوفقوا للتوبة بشروطها قبل الموت فيلتحق بالفائزين اذ التوبة تكفر جميع الذنوب كما ورد به الشرع واجتمعت عليه الامة .

الصنف الثالث : هو الثانى بعينه ان ماتوا قبل التوبة وهم ثلاث طوائف

الاولى : يعاملون بمحض الكرم فيغفر الله لهم ويدخلهم الجنة اما من غير حساب او بعد حساب يسير ولا يستبعد من الله الكريم الغفور الرحيم أن يغفر ذنوب عباده الموحدين له .

الطائفة الثانية : قوم يحاسبون فتغلب حسناتهم على سيئاتهم فهم من الفائزين ايضا لقوله تعالى : فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون .

الطائفة الثالثة : من تزيد سيئاتهم على حسناتهم ويعاملون بمحض العدل فيدخلون النار يعذبون فيها على عدد ذنوبهم ثم يخرجون بالشفاعة هذا حاصل

ورقة 126 ظهر

كلام الخطابى رضى الله عنه وقد نقل النووى عنه حاصله فى شرح مسلم لكنه أخصر من هذا .

---

(1) 7 ــ الاعراف 8

وقال الخطابي ايضا في كتاب شعائر الدين ان المتأول ان أخطأ وكان من أهل عقد الايمان وخالف نص كتاب او سنة ثابتة ينقطع بها العذر او خالف اجماع الأمة فانه يكفر ولا يعذر لعناده واصراره انتهى . وقد حكم الله بكفر اليهود والنصارى وان كانوا مؤمنين بالله وبموسى وعيسى وبالجنة والنار مع كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم او ببعض ما أنزل عليه وقال الله تعالى فيهم : فلا يؤمنون الا قليلا (1) . قيل القليل كعبد الله بن سلام وأمثاله وقيل معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا فنفى عنهم الايمان بالكلية .

وقال السدى لا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو قولهم الله ربنا والجنة حق والنار حق فهذا قليل من ايمانهم قال الزجاج والتقدير على هذا فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا لا يجب به ان يسموا مؤمنين وقوله في حديث الشفاعة أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من ايمان لا يخفى أن المراد جزء من ايمان لا يخالطه كفر ولا يناقضه اعتقاد يقتضى الكفر بدليل قوله في آخر الحديث لأخرجن منها من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه والله اعلم .

واعلم أن المسائل التى ذهب اليها الفلاسفة الاسلاميون كابن سينا والفارابى وغيرهم من الالاهيين مجموعها ما حرره الغزالى عشرون أصلا قال يجب تكفيرهم فى ثلاث منها وتبديعهم فى سبعة عشر قال ولابطال مذهبهم فى هذه العشرين صنفنا كتاب التهافت قال وأما الثلاث المسائل فقد خالفوا فيها جميع الاسلاميين وذلك قولهم ان الأجساد لا تحشر وان الثواب والعقاب لمجرد الارواح والعقوبات لا تكون الا روحانية فقط فكفروا بالشريعة .

والمسألة الثانية قولهم أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات وهو ايضا كفر صريح بل الحق ان الله تعالى : لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر (2) .

المسألة الثالثة قولهم بقدم العالم وأزليته وأن ليس تقدم الصانع عليه الا كتقدم العلة على المعلول والشرط على المشروط والا فلم يزالا موحدين ولم يذهب أحد من الاسلاميين الى شيء من هذه المسائل المكفرة . انتهى المقصود من كلام الغزالى رضى الله عنه . ذكره فى المنقذ من الضلال .

واعلم ان المقصود بهذا المصنف بيان حقائق التوحيد وحماية التوحيد وأهله من المكفرات والبدع التى هى غير مكفرات فالكلام فى حقائق التوحيد قد تقدم فى الباب الاول واما الكلام فى حماية أهله وحماته من البدع (التى هى غير مكفرات فوقع فى الباب الثانى وفى الباب الخامس وأما الكلام فى حمايته

ورقة 127 وجه

وحماية أهله من المكفرات فوقع فى الباب الثالث والرابع وينحصر الكلام فيه فى شيئين : احدهما ، ما يخرج المسلم من الاسلام الى الردة والثانى ما يصير به الكافر مسلما . أما الاول فقال اصحابنا رضى الله عنهم الردة أفحش انواع

(1) 4 ـ النساء 155

(2) 34 ـ سبأ ـ 3

الكفر وتحصل تارة بالقول الذى هو كفر سواء قاله استهزاء او اعتقادا او عنادا قال الامام قال الأصوليون لو نطق بكلمة الردة وزعم انه اضمر تورية كفر ظاهرا وباطنا وتحصل تارة بالفعل الموجب للكفر وهو الذى يصدر عن تعمد واستهزاء بالدين صريحا كعبادة الصنم والسجود للشمس او لغيرهما من المخلوقات على وجه العبادة لا على وجه الخضوع والتذلل والقاء المصحف الكريم فى القاذورات . والسحر الذى فيه عبادة الشمس وغيرها فان لم يتضمن ذلك لم يكن كفرا وعن الشيخ ابى محمد أن الفعل بمجرده لا يكون كفرا وأنكره الامام ولم يثبته عنه وحصر الردة فى هذين هو بالنسبة الى الظاهر وتحصل فى الباطن بأمر ثالث وهو اعتقاد ما يوجب الكفر وان لم يظهر بقول او فعل هذا الكلام الجملى فيه . وأما التفصيل فمن اعتقد قدم العالم او حدوث الصانع او نفى ما هو ثابت لله تعالى بالاجماع ككونه عالما او قادرا او أثبت له ما هو منتف عنه اجماعا كالالوان او أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرا وكذا من جحد بعثة الرسل او أنكر نبوة نبىء من الأنبياء عليهم السلام او رسالة رسول او جحد آية من القرآن مجمعا عليها او زاد فيه كلمة عمدا واعتقد أنها منه وكذا سب نبىء او استخفاف به واستحلال محرم بالاجماع كتحليل اللواط وتحريم حلال او نفى وجوب ما أجمع عليه كالصلاة او ركعة منها على تفصيل مذكور فى باب تارك الصلاة وهو أن المجمع عليه ان كان يعلم أنه من الدين ضرورة كفر ان كان فيه نص وكذا ان لم يكن على الاصح وان كان لا يعلم كونه منه ضرورة بحيث لا يعلمه كل المسلمين لم يكفر انتهى . وذلك كتحريم المرأة على عمتها وخالتها وان القاتل عمدا لا يرث وأن للجدة السدس ولبنت الابن السدس مع بنت الصلب وما أشبه ذلك من الاحكام التى أجمع عليها أهل العصر وعبارة السبكى فى جمع الجوامع : جاحد المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة **كافر قطعا** وكذا المشهور المنصوص فى الاصح وفى غير المنصوص تردد ولا يكفر جاحد الخفى ولو منصوصا انتهى ولو اعتقد وجوب ما ليس بواجب اجماعا كصلاة سادسة كفر ــ ومن هذا ما اذا اعتقد فى المكوس انها حق وتحرم تسميتها بذلك وكذا لو نسب عائشة رضى الله عنها الى الفاحشة

ورقة 127 ظهر

او ادعى النبوة فى زماننا او صدق من ادعاها فيه او فى غيره او عظم الصنم بالتقرب اليه بالذبح باسمه او قال لمسلم يا كافر بلا تأويل فان أراد كفر النعمة والاحسان فلا .

قال الحليمى وتبعه البيهقى فى شعب الايمان اذا قال مسلم لمسلم يا كافر فان اراد ان الدين الذى تعتقده كفر ، كفر ، وان اراد انه منافق لم يكفر لقول عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق حاطب بن ابى بلتعة دعنى اضرب عنق هذا المنافق لأنه اكفره بالتأويل وكان محتملا انتهى .
وكذا لو اراد بقوله ياكفر ، انه فعل فعلا يشبه فعل الكافر والعزم على الكفر

المستقبل كفر فى الحال على الصحيح ، كذا ذكره القمولى هنا . وقال فى الشهادات: فرع . قال الروبانى اذا نوى العدل انه يوافق كبيره ، غدا كالقتل والزنا لم يصر به فاسقا . ولو نوى المسلم انه يكفر غدا ، ففى كفره فى الحال وجهان ، اصحهما نعم . قال القمولى هذا الفرع مبنى على ان افعال القلوب يؤخذ بها وورد فى ذلك وعكسه اخبار ، وحرر الغزالى ذلك فقـال الذى يرد على القلوب اربعة أشياء . الخاطر وهو حديث النفس ثم بعده الميل ثم الاعتقاد ثم العزم بعدها . فالخاطر والميل لا يؤاخذ بهما والعزم يؤاخذ به قطعا وأما الاعتقاد فقد يكون اختياريا فيؤخذ به وقد يكون اضطراريا فلا يؤاخذ به انتهى .

قال النووى فى شرح مسلم قد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة باعمال القلوب كالحسد واحتقار المسلمين وارادة المكروه بهم وعلى المؤاخذة بعزم القلب . انتهى . قال القمولى والتردد فى انه يكفر ام لا ، كفر ، وكذا تعليق الكفر بأمر مستقبل كقوله ان هلك مالى او ولدى تهودت او تنصرت والرضى بالكفر كفر حتى لو سأله كافر يريد الاسلام ان يلقنه كلمة التوحيد فلم يفعل او أشار اليه بأن لا يسلم او على مسلم بأن يرتد ، كفر . وكذا لو قال له اصبر الى الغد او الى آخر المجلس يكفر بخلاف ما لو قال لمسلم سلبه الله الايمان او لكافر رزقه الله الايمان فانه لا يكفر على الصحيح لأنه ليس برضى بالكفر لكنه دعاء عليه بتشديد الأمر والعقوبة . قلت ومن ذلك دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملائه بمنعهم من الايمان بقوله : وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنون (1) . وذلك بعد يأسه منهم والله اعلم . ولو أكره مسلما على الكفر كفر المكره بكسر الراء والاكراه على الاسلام والرضى به والعزم فى المستقبل ليس باسلام . ومن دخل دار الحرب وشرب معهم الخمر واكل لحم الخنزير لم يكفر .

ورقـة 128 وجـه

وارتكاب كبائر المحرمات ليس بكفر ولا ينسب بـه اسم الايمان خلافـا للخوارج والمعتزلة . اما الخوارج فيكفرونه واما المعتزلة فيقولون هو فاسق لا مؤمن ولا كافر . والفسق عندهم منزلة بين الايمان وبين الكفر . وتنسلب به اسماء المدح فلا يقال هو تقى ولا ولى ولا دين ولا مخلص ولا مؤمن على الاطلاق الا ان يقيد فيقال تقى ولى ، لما فعل من الطاعات . خلافا للمعتزلة فانهم منعوا من وصفه بذلك مطلقا ومقيدا ويوصف بهـا فيقال مؤمن فاسق وفى كتب الحنفية اعتناء كامل بتفصيل الافعال والاحوال التى تقتضى الكفر وأكثرها يقتضى اطلاق اصحابنا المساعدة عليها كما قاله الرافعى منها اذا سخر باسم من اسماء الله او بأمره او وعيده كفر . وكذا لو قال لو أمرنى الله بكذا لم أفعل او لو صارت القبلة من هذه الجهة لم أصل اليها وكذا لو قال لو أعطانى الله الجنة ما دخلتها . قال النووى الصواب فى هذه أنه لا يكفر قالوا ولو قال بالعجمية

(1) 10 ـ يونس 88

ما معناه عمل الله فى حق كل خير ، وعمل الشر منى ، كفر . قال الرافعى وفى هذا نظر قال الله تعالى : وما أصابك من سيئة فمن نفسك (1) . قلت معنى الآية عند المفسرين بسبب نفسك فان كان ذلك مراد القائل فلا يكفر وان كان يريد الاستقلال بفعل الشر دون قدرة الله تعالى فهو مذهب القدرية وفى تكفيرهم خلاف مشهور وانه لو قال بالعجمية ما معناه انا الله كفر ، وانه لو تراجع الزوجان فقال لها أنت ما تؤدين حق الجار فقالت وأنت ما تؤدى حق الزوج فقال لها أنت ما تؤدى حق الله فقالت لا . كفرت به المرأة ولانه لو قال لغيره لا تترك الصلاة فان الله يؤاخذ فقال لو واخذنى الله مع ما بى من المرض والشدة ظلمنى ، كفر ، وكذا لو قال المظلوم هذا بتقدير الله تعالى : فقال الظالم أنا أفعل بغير تقدير الله وكذا لو أخبر امرأته بشىء فكذبته فقال الرجل لو شهد عندك الملائكة او الأنبياء لم تصدقيهم فقالت نعم لا أصدقهم كفرت . ولو قال قائل كان النبىء صلى الله عليه وسلم : اذا اكل لحس اصابعه فقال لسامع هذا غير ادب ، كفر . وكذا لو قال لغيره احلق رأسك او قلم أظافرك فهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أفعل وان كانت سنة . قال النووى المختار أنه لا يكفر بهذا الا أن يقصد استهزاء واختلفوا فيما اذا قال فلان فى عينى كاليهودى او كالنصرانى فى عين الله او قال بين يدى كالله او قال ما ترجمته يد الله طويلة فمنه من قال هو كفر ومنهم من قال ان اراد الجارحة كفر والا فلا . واختلفوا ايضا فى ما اذا قال ان الله تعالى فى السماء او أن الله ينظر من السماء او من العرش او قال ما ترجمته . الله يظلمك كما ظلمتنى ولو قال ان الله جلس للانصاف او قام للانصاف فهو كفر واختلفوا فيما اذا قال الطالب ليمين خصمه لا أريد الحلف بالله بل بالطلاق او العتاق ، قال الرافعى الاظهر أنه لا يكفر قلت انما يريد التضييق على خصمه بما لا يسمح به من فراشه وماله ،

ورقة 128 ظهر

ويعتقد أنه يتجاسر على اليمين بالله سبحانه لحلمه عنه والله اعلم . واختلفوا فيما اذا قال لغيره ما معناه الله يعلم أنى دائما اذكرك بالدعاء او انى لحزنك وفرحك مثلما أنا بحزنى وفرحى وفيما اذا نادى رجلا اسمه عبد الله وادخل فى آخره حرف الكاف التى تدخل فى العجمية للتصغير فقيل يكفر وقيل ان تعمد التصغير يكفر وان كان جاهلا لم يدر ما يقول او لم يكن له قصد لا يكفر . وفيما اذا قال رؤيتى اياك كرؤية ملك الموت ، او قال ابغض فلانا مثل ملك الموت واكثرهم على أنه لا يكفر ولو قيل له الا تقرأ القرآن او الا تصلى فقال شبعت من القرآن او فعل الصلاة او الى متى اعمل هذا البيكار . او صليت الى ان ضاق صدرى او قال العجائز يصلون عنا او قال الصلاة المعمولة وغير المعمولة واحد يكفر . وكذا لو قيل له صل حتى تجد

(1) النساء — 4 79

حلاوة الصلاة فقال لا تصل انت حتى تجد حلاوة ترك الصلاة او قيل لعبد صل فقال لا اصل فان الثواب يكون للمولى ولو قرأ القرآن على ضرب الدف او القصب كفر ولو قالت لزوجها انت تعلم سر الله او تعلم الغيب ، فقال نعم كفر ، قلت ومثله من يدعى الاطلاع على ما فى اللوح المحفوظ كما يدعيه بعض المتصوفة ولا يسلم ذلك لمدعيه لانه لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان قد وقع فى بعض نسخ القواعد لابن عبد السلام ان ذلك يقع لبعض الاولياء فلا يقبل الا بنص كتاب او سنة فاعلم ذلك والله اعلم . واختلفوا فيما اذا خرج للسفر فصاح العقعق فرجع هل يكفر . قال النووى الصواب فى المسائل الثلاث ، اى مسالة القراءة على الدف وما بعدها انه لا يكفر . قلت أما القراءة على الدف او القصب فان كان المراد أنه قرأ القرآن بالحان توافق اوزان الدف او القصب كما يعتمد المغنى ذلك فكفى استهزاء بالقرآن فليكفر فاعله ورجوع المسافر لصياح العقعق يشبه ترك السفر لاعتقاد نحس اليوم الفلانى ونحو ذلك فيجىء الخلاف فى تكفير فاعله فتفطن لذلك والله اعلم . ولو قال لو كان فلان نبيا ما آمنت به كفر وكذا لو قال ان كان ما قاله الأنبياء حقا نجونا ، او قال لا أدرى أن النبىء صلى الله عليه وسلم كان انسيا او جنيا ، او قال انه جن او صغر عضوا من اعضائه على طريق الاستهانة . واختلفوا فيما اذا قال ان طويل الظفر . واختلفوا فيما اذا صلى بغير وضوء تعمدا أو فى ثوب نجس او الى غير القبلة . قال النووى ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه لا يكفر ان لم يستحله ولو تنازع رجلان ، فقال احدهما لا حول ولا قوة الا بالله

ورقة 129 وجه

قال الاخر لا حول يغنى من جوع او لا حول أى شيء يكون او لا حول اى شيء يعمل او لا حول لا ينكسر فى الزبدية كفر . قلت ومن هذا القبيل ما اذا قال اى حول يسعك كما يقول بعض العوام والله اعلم . وانه لو سمع المؤذن فقال تكذب او قال ما معناه هذا صوت الجراس او قال على قدح الخمر او على الزنا باسم الله استخفافا باسم الله او قال لظالم اصبر حتى المحشر فقال ما معناه أى شيء فى المحشر كفر . ولو قال لا أخاف القيامة كفر . واختلفوا فيما اذا وضع متاعه بموضع وقال سلمته الى الله تعالى ، فقال له رجل سلمته الى من لا يتبع السارق ، او قال ما معناه فى العالم واحد أكل حلالا احضره حتى اسجد له كفر . وانه لو رجع رجل من مجلس العلم فقالت له امرأته ما معناه لعنة الله على كل عالم كفرت . وكذا لو أمره غيره بحضور مجلس العلم فقال ما معناه أى شيء أعمل بمجلس العلم او قال المعلم ما يصير فى الزبدية ثريدا او ذهبا او أعمل العلم فى الزبدية او قصعة ثريد خير من العلم او قال لفقيه هذا ما هو شيء كفر .

قلت وقد نقل القمولى أن القاضى تقى الدين ابن رزين أفتى فيمن قال

فى كتاب النهاية للامام هذا الكتاب ما يسوى مداده او يسوى شيئا ان أراد الكتاب المصنف عزر تعزيرا بليغا بالحبس والشهرة ومنع من التصدر للاقراء لئلا يقتدى به وان أراد النسخة الحاضرة لرداءة خطها او كثرة غلطها عزر بدون ذلك واستتيب من اطلاقه مثل هذا اللفظ فى مثل هذا الكتاب والله اعلم . وانه لو حضر جماعة وجلس أحدهم على مكان مرتفع تشبها بالمذكرين فسألوه المسائل وهم يضحكون ويضربونه بالمخراق أى المنديل او تشبه بالمسلمين وأخذ خشبة وجلس القوم حوله كالصبيان وضحكوا واستهزأوا كفروا . قال النووى الصواب أنه لا يكفر فى مسألتى التشبيه . قلت لأنهم انما يستهزئون به لا بالله وآياته وهو ايضا انما يريد تضحيكهم على نفسه ولكنه قبيح بالنسبة الى مقام التعليم والتذكير ولو ظهر منهم الاستهزاء بالله او آياته لكفروا والله اعلم ولو عرض عليه خصمه فتوى فالقاه فى الارض وقال أى شيء هذا الشرع كفر . قلت ان لم يرد الشرع المنزل من عند الله بل فتوى المفتى الذى يجوز أن يخطىء فيتجه أن لا يكفر ، وقد رأيت نحو هذا التفصيل فى كتاب قاعدة الفرقان لابى العباس بن تيمية والله اعلم قالوا ولو اشتد به المرض فقال ان شئت توفنى مسلما وان شئت توفنى كافرا كفر . وكذا لو ابتلى بمصائب فقال أخذت مالى وأخذت ولدى وكذا وكذا وما تفعل ايضا وما بقى لم تفعله كفر وكذا لو قال لزوجته يا كافرة يا يهودية فقالت : أنا كما يقول ، كفرت . ولو قيل له يا يهودى يا مجوسى ، فقال : لبيك يكفر .

ورقة 129 ظهر

قال النووى فى هذا نظر اذ لم ينو شيئا ولو أسلم كافر فأعطاه الناس مالا فقال مسلم ليتنى كنت كافرا فأسلمت فأعطى هذا المال قال بعض المشائخ يكفر . قال النووى فيه نظر لأنه جازم بالاسلام فى الحال وفى الاستقبال وقد ثبت نظيره فى قصة اسامة فى قوله حتى تمنيت انى لم أكن اسلمت قبل يومئذ ، ويمكن الفرق .. انتهى .

قلت : يظهر فى الفرق أن أسامة تمنى ذلك من خوف غضب الله عز وجل وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا تمنى ذلك للدنيا والله اعلم . قالوا ولو تمنى أن الله لم يحرم الخمر او نكاح الاخت لم يكفر . ولو تمنى أن الله لم يحرم الزنا والظلم وقتل النفس بغير حق يكفر ، والضابط انما كان حلالا فى زمن نبىء فتمنى حله لم يكفر . قلت : واذا لم نكفره بتمنى تغيير الاحكام فلا أقل من تأثيمه وقد نص عليه الشافعى كما نقله الاسنوى فى المهمات ، وقال هى فائدة جليلة والله اعلم . قالوا ولو شد الزنار على وسطه كفر . وكذا لو وضع قلنسوة المجوسى على رأسه كفر ، على الصحيح عندهم ولو شد على وسطه حبلا فقال زنار فالاكثرون على أنه يكفر . ولو شد الزنار على وسطه ودخل دار الحرب للتجارة كفر . وان دخل لتخليص الاسرى لم يكفر قال النووى الصواب أنه لا يكفر فى مسالة التمنى وما بعدها اذ لم تكن له نية وذكروا أنه لو قال معلم الصبيان : اليهود خير من

المسلمين لأنهم يقضون حق معلمي صبيانهم كفر ولو قال النصرانية خير من المجوسية كفر ، او المجوسية شر من النصرانية لم يكفر . قال النووى : الصواب أنه لم يكفر بمجرد هذا قالوا ولو عطس السلطان ، فقال له رجل يرحمك الله ، فقال آخر لا تقل للسلطان هذا كفر الآخر . ولو سقى الكافر ولده الخمر فنثر من رآه الدراهم والسكر كفر . قال النووى الصواب أنهم لا يكفرون فيما قالوا ولو قيل لمرتكب الصغائر تب الى الله ، فقال بالعجمية ما معناه أى شيء فعلت حتى اتوب كفر . قلت لأنه يؤذن باستحلال المعصية او الاستهانة بهـا وكلاهما كفر عندهم ومن طريق الأولى لو قاله مرتكب الكبيرة والله اعلم . وانه لو قال بالعجمة ما معناه فلان كافر وهو أكبر منى كان اقرارا على نفسه بالكفر ولو قال لعدوه لو كان هذا نبيا لم أؤمن به ، او قال لم يكن ابا بكر من الصحابة كفر . ولو قال ذلك لغير ابى بكر لم يكفر . ولو قيل لرجل ما الايمان ؟ فقال لا ادرى . كان كافرا . وكذا لو قال لزوجته أنت أحب الى من الله . قال الرافعى وهذه صور تتبعوا فيها الالفاظ الواقعة فى كلام الناس وأجابوا فيها باتفاق واختلاف ، والمذهب

ورقة 130 وجه

يقتضى موافقتهم فى بعضها وفى بعضها يشترط وقوع اللفظ فى معرض الاستهزاء . قال النووى وقد ذكر القاضى عياض رحمه الله فى كتابه الشفا جملة من الألفاظ المكفرة غير ما سبق ونقلها عن الأيمة اكثرها مجمع عليه . وصرح ينقل الاجماع فيها منها ان مريضا شفى ثم قال لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجبه فقـال بعض العلماء يكفر ويقتـل لأنه تضمن النسبة الى الجور وقال آخر لا يتحتم قتلـه ويستتاب ويعزر ، وانه لو قال كان النبيء صلى الله عليه وسلم اسود او توفى قبل أن يلتجى او قال ليس بقرشى فهو كفر . لأن وصفه بغير صفته نفى له وتكذيب به وان من ادعى أن النبوة مكتسبة الى بالاستعداد وانه بلغ بصفا القلب رتبتها او ادعى انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة . او انه يصعد السماء . او ادعى انه يدخل الجنة ويأكل من ثمرها ويعانق الحور العين فهو كافر بالاجماع قطعا وان أظهر مع ذلك الاسلام واعتقده وكذا يقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل الى تضليل الأمة او تكفير الصحابة . وكذا من فعل فعلا أجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر . وان صرح صاحبه بالاسلام مع فعله كالسجود للصليب او النار او المشى الى الكنائس مع أهلها بزيهم من الزنانير وغيرها . وكذا من انكر مكة او البيت الحرام او المسجد الحرام او صفة الحج أو أنه ليس على هذه الهيئة المعروفة او قال لا أدرى أن هذه المسماة مكة هى مكة او غيرها . فكل هذا او ما أشبهه لا شك انه كفر ان كان يظن بقائله علم ذلك ، وهو ممن طالت صحبته للمسلمين فان كان قريب عهد بالاسلام او بمخالطة المسلمين عرفناه ذلك ولا يعزر بعد التعريف وكذا من غير شيئا من القرآن او قال ليس بمعجز . او قال ليس فى خلق السموات والارض دلالة على الله او أنكر الجنة او النار او البعث او الحساب او أعترف بذلك لكن قال

المراد بهذه الأشياء غير معانيها او قال الائمة أفضل من الأنبياء . هذا نقل النووي والقمولي عن القاضي عياض في الشفا . ويعلم من مواضع منه تكفير ابن عربي وطائفتها فتأمل ذلك وهاك كلام الشفا بأتم مما سبق قال مؤلفه رضي الله عنه :

فصل في تحقيق القول في اكفار المتأولين اختلف السلف في اكفار أهل البدع والأهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مسافة الى الكفر هو اذا وقف عليه ولم يقل بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذى قال به الجمهور من السلف ومنهم من أباه ولم ير اخراجهم من سواد الملة . وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونواريهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم

ورقــة 130 ظهــر

وتوقف آخرون منهم القاضي ابو بكر امـام أهل التحقيق وقال انهـا من المعوصات ان القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانمـا قالوا قولا يؤدى اليــه واضطرب قولــه في المسألة وكذلك اضطرب فيها قول شيخه ابي الحسن الأشعرى وأكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى سبحانه وتعالى . وقال مرة من اعتقد أن الله تعالى جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطريق فليس بعارف به وهو كافر . وقوله ان الكفر جملة واحدة سياتي في كلام القاضي الباقلاني ما يشرحه . وقال الامام ابو المعالى الغلط في هذه المسألة صعب لأن ادخال كافر في الملــة واخراج مسلم منها عظيم في الدين . وقال غيرهما من المحققين الذى يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطأ والخطأ في ترك الف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحــد . والعصية دقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرح ولا قياس . هذا حاصل نقل القاضي عياض في هذا الفصل في اكفار المتاولين كالقدرية والرافضة والخوارج وغيرهم . وقال قبل ذلك فصل وأما من أضاف الى الله تعالى ما لا يليق به لا على طريق السب والردة وقصد الكفر ، ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفيض الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا ممـا آختلف السلف واختلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحزبوا فئة وأنهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما آختلفوا في المنفرد منهم وأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهو قول محمد بن المواز في الخوارج ، وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا . وروى معنى القول بترك تكفيرهم عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر والحسن البصرى وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار

والمتكلمين . قال اسماعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لأنه من الفساد في الارض كالمحاربة ثم نقل القاضي عن عبيد الله بن الحسن العنبري : انه ذهب الى تصويب اقوال المجتهدين في أصول الدين فما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة اذ اجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين في الواحد والمخطيء فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره . وحكى القاضي بن الباقلاني مثل قول

ورقـة 131 وجـه

عبيد الله عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله من حالة استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبلـه ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال . وقد نحا الغزالي الى قريب من هذا المنحى في كتابه التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او شك في تكفيرهم او وقف قال القاضي ابو بكر لأن التوقف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف والشك فيه لا يكون الا من كافر انتهى كلام القاضي في الشفاء في هذا .

ثم قال عقب هذا فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف فيه ويختلف وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او أثبتت عبادة أحد غير الله او مع الله فهي كفر كما قالت الدهرية ، وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية وأشباههم من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان او الملائكة والشياطين او الشمس او النجوم او النار او أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لم يرجع الى كتاب وكذا القرامطة وأهـل الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من أعترف بالاهية الله تعالى ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي او غير قديم او أنه محدث او متصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او أنه متولد من شيء او كائن عنه او أن معه في الازل شيئا قديما غيره او أن ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كلـه كفر باجماع المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذا من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج اليه ومكالمته او حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك يقطع على كفره من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها او تنعيمها بحسب زكائها او خبثها وكذلك من اعترف بالالاهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما او نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ نبوة أحد

من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة

ورقة 131 ظهر

ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا رضى الله عنه كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة من الاسماعيلية والعنبرية من الروافض وان كان بعض هؤلاء قد أشركوا فى كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالواحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ، وادعى فى ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر كالمتفلسفة وبعض الباطنية وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بهـا الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامها فمضمون مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهى وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتو به . وكذلك من أضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه او أخبر به او شك فى صدقه عليه الصلاة والسلام . او قال لم يبلغ او استخف بـه او بأحد من الأنبياء او أزرى عليهم او آذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع . وكذلك يكفر من ذهب مذهب بعض القدماء ان فى كل جنس من الحيوان نذيرا او نبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقاله وان من أمة الا خلا فيها نذير اذ نودى ذلك الى أن يوصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك يكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لكنه قال كان أسودا ومات قبل ان يلتحى ، او ليس الذى كان بمكة والحجاز . او ليس بقرشى لأنه وصفه عليه الصلاة والسلام بغير صفاته المعلومة نفى له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه الصلاة والسلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته صلى الله عليه وسلم الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة على رضى الله عنه فى الرسالة للنبىء صلى الله عليه وسلم وبعده . وكذلك كل امـام هو عندها ولا يقوم مقامه فى النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء

ورقة 132 وجه

القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او أنه يصعد السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمرها ويعانق الحور فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبىء صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا نبىء بعده وأخبر الله عنه خاتم النبيين

وانه ارسل كافة للناس واجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك فى كفر هذه الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا . وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او نص حديث مجمع على حمله على ظاهره كتكفيرنا الخوارج بابطال الرجم . قلت ومن هذا القبيل قول ابن عربى بايمان فرعون **وبأنه ليس فى** القرآن نص صريح بدخوله النار ولو لم يكن له مقالة سوى هذه لكفته كفرا والله اعلم .

قال القاضى ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان أظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهار ما أظهره من خلاف ذلك . قلت وقول ابن عربى بايمان فرعون وتصويبه عبـدة العجل والأوثان من هـذا والله اعلم .

قال القاضى وكذلك يقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل بـه الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد موت النبىء صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه فى التقديم فهؤلاء قـد كفروا من وجوه لأنهم ابطلوا الشريعة بأمرها اذ قد انقطع نقلهـا القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم أشار مالك رحمه الله فى أحد قوليه يقتل من كفر الصحابة رضى الله عنهم ثم كفروا من وجه آخر لسبهم النبىء صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى على رضى عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم . وكذلك يكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك كالسجود للصنم او الشمس او القمر او الصليب او النار او السعى الى الكنائس والبيع مع أهلها وبزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون على ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الأفعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من استحل القتل او شرب الخمر او الزنـا وغير ذلك ممـا حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب الاباحة من

ورقـة 132 ظهـر

القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقـع الاجماع المتصل عليه كما أنكر وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها وسجداتها **ويقول انما أوجب الله علينا فى كتابه الصلاة على** الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا أعلمه اذ لم يرد به فى القرآن نص جلى والخبر به عن النبىء صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك أجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفى النهار وعلى تكفير الباطنية فى قولهم ان الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث

والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم وقـول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم أفضت الى اسقاطها واباحة كل شيء ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان أنكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج او قـال الحج واجب فى القرآن واستقبال القبلة ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدرى هل هى تلك او غيرها ولعل الناقلين أن النبيء صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية فى تكفيره ان كان ممن بطن به علم ذلك او ممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا أن يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك أن تسأل عن هذا الذى لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصرى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الأمور كلها كما قيل لك وأن تلك البقعة هى مكة والبيت الذى فيها هى الكعبة والقبلة التى صلى اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا لها وطافوا بها وأن تلك الافعال هى صفة عبادة الحج والمراد به وهى التى فعلها النبيء صلى الله عليه وسلم والمسلمون. وأن صفة الصلاة المذكورة هى التى فعل النبيء صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا يرتب فى ذلك بعد والمرتاب فى ذلك والمنكر بعـد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا أدرى ولا يصدق فيه بل ظاهرة التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدرى وايضا فانه اذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنـه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله به أدخل الاسترابة فى جميع الشريعة ان هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين ومن قال بهـذا فهو كافر وكذلك من أنكر

ورقـة 133 وجـه

القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم أنه ليس بحجة للنبيء صلى الله عليه وسلم وليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام القوطى ومعمر الصيمرى أنه لا يدل على الله ولا حجة لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا مجاله او قال لا مخالفة فى كفرهما بهذا القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما أن يكون فى سائر معجزات النبيء صلى الله عليه وسلم حجة له او فى خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهما الاجماع والنقل المتواتر عن النبيء صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من أنكر شيئا مما نص فيه بعد علمه أنه من القرآن الذى فى أيدى الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب العهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بأنه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او التجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لأنه مكذب للنبيء صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من أنكر الجنة والنار والبعث والحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الأمة على

صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنية كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم أن معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض بنية الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك يقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الأيمة افضل من الأنبياء فاما من أنكر ما عرف بالتواتر من الأخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضى الى انكار قاعدة من الدين كانكار عروة غزوة تبوك او موته او وجود ابى بكر وعمر رضى الله عنهم او قتل عثمان رضى الله عنه او خلافة على رضى الله عنه او نحو ذلك مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم بــه اذ ليس في ذلك أكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد واقعة الجمل ومحاربة على من خالفه . نعم ان ضعف ذلك من جهة تهمة الناقلين ووهم المسلمين أجمع فيكفر بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فأما من أنكر الاجماع المجرد الذى ليس طريقة النقل المتواتر عن الشارع فأكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هــذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له (1) .

ورقــة 133 ظهــر

الهدى الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكموا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بتكفيره الاجماع لأنــه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضى ابو بكر القول عندى أن الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وأنه لا يكفر أحد بقول ولا رأى الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون على أنه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لأجل قوله او فعله ولكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا بأحد ثلاثة أمور أحدها الجهل بالله والثانى أن يأتى فعلا او يقول قــولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون أن ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشى الى الكنائس والتزام الزنانير وزى أصحابها في اعيادهم او يكون ذلك الفعل والقول لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله لذاتيته او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه عنه فاما من جهل صفة

(1) 4 النساء ــ 175

من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفرهم بعضهم وقال به الأشعرى مرة وذهبت طائفة الى أن هذا لا يخرجه من اسم الايمان واليه رجع الأشعرى قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق فأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا فى سائر الصفات على مذهب المعتزلة ففى تكفيره الخلاف فى التكفير بالمال . والصواب ترك اكفارهم واجراء احكام الاسلام عليهم وهم ، لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم قال القاضى ابو بكر وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من

ورقة 134 وجه

الدقائق فالمنع من اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس فى الجهل بشىء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها والله اعلم . وقال القاضى ايضا بعد ذكر الحكم فمن سب الله تعالى واضاف اليه مالا يليق بجلاله والاهيته فاما مفترى الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالاهية او الرسالة او النافى ان يكون الله خالقه او ربه فلا خلاف فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله لكنه تقبل توبته على المشهور وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال زجرا عن قوله وله عن العودة لكفره وجهله الا من تكرر منه ذلك وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا يؤمن باطنه ولا يقبل رجوعه وحكم السكران فى ذلك حكم الصاحى قال ابو الحسن القابسى فى سكران قال أنا الله أنا الله ان تاب أدب فان دعا الى مثل قوله طلب مطالبة الزنديق لأن هذا كفر المتلاعبين . قال القاضى : واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك فى حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعل من ذلك فى حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على تباع الافعال ويوالى آدبه على ذلك حتى ينهى عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق على بن ابى طالب رضى الله عنه من ادعى له الالاهية . وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبى وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف فى ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلاهية والقول بالحلول قوله أنا الحق مع تمسكه فى الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا فى ابن ابى العزافير وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضى وقاضى قضاة بغداد ابو الحسين بن ابى عمر المالكى انتهى . وانما لم يقبلوا توبة الحلاج لأنه تكرر منه وادعى الاتحاد واعتقده حقا فلم يقبلوا توبته وهذا يؤيد جوابى فيمن اعتقد مذهب ابن عربى بأنه لا تقبل توبته من رسخ مذهبهم فى قلبه

وعرف بتقرير حقيقته ولم تظهر عليه أمارات صدقه فى توبته .
واعلم أن الحلاج هو الحسين بن منصور نشأ بواسط والعراق وصحب سهل بن عبد الله وابا الحسين النورى والجنيد وغيرهم وتخذ (   ) رجاله وخلط فى كلامه وصار فى آخـر عمره من رؤوس الضلال واشتهر مقتله بسبب دعاويه وتصريحه بدعوى الاتحاد ومن كلامه فى ذلك قوله اليقين

ورقـة 134 ظهـر

هو الشهود والشهود هـو الممكن والتمكن هو الاستغراق والاستغراق هو الاتحاد والاتحاد هو أنا وأنت ثم أنشد :

واذا لم ترنى أنت أنا فى كل حال   فالذى شاهدته منك خيالا من محال

وفى بعض الكتب أنه كان من دعاة الزنادقة وأطلق بعض الايمة اللعنة عليه وصرح ابن تيمية بأنـه كان سيماويا ساحرا وان الجنيد وابا يعقوب النهر جورى ؟ ممن انكر ولايته وصلاحه ، واقام على التخليط مدة طويلة على ما ذكره الذهبى وغيره من المؤرخين وجزم فى الميزان بأنه انسلخ من الدين وتعلم السحر والمخارق وقتل على الزندقة بفتاوى العلماء ولقـد نقلوا عنه أشياء فضيعة شنيعة تناسب العقيـدة النقاشية ومـا يناسبها من عقائـد الحشوية بل من عقائد الزنادقة . وقال القشيرى فى رسالته فى باب حفظ قلوب المشائخ من المشهور ان عمر وبن عثمان المكى رأى الحسين بن منصور يكتب شيئا فقال ما هذا فقال هو ذا أعارض القرآن فدعا عليه الشيخ وهجره وقال الشيوخ انما حل به بعد طول المـدة كان لدعاء الشيخ عليه انتهى . وعمرو بن عثمان كان شيخ القوم وأما الطائفة فى الأصول والطريقة ذكره القشيرى فى جملة المشائخ ولم يذكر الحلاج فى تلك الجملة وان كان قد يحكى عنه مقاله فى اثناء الكتاب فلعله ينظر الى كون المقالة حقا فى نفسها الا يردها الشرع وقد يكون قالها قبـل أن يعتقد الاتحاد فرأى أنه لا بأس بحكايتها واستماعها كما استمع النبىء صلى الله عليه وسلم لشعر أمية بن ابى الصلت وقال آمن شعره وكفر قلبه نسال الله العافية ، وقد حكى الائمة فى كتب السير مقالات لكفار قريش مما يستحسن وحكوا مقالات حكماء اليونان وبنى اسرائيل وغيرهم ممن لم يعرف له اسلام ونقول ايضا وقع فى كتب المتأخرين بعده من الصوفية الثناء عليه ويعد مقالاته واستحسانها ولكن الجرح مقدم على التعديل لا سيما وهو لم تمض عليه مـدة الاستبراء بعد دعواه التوبة وبالله التوفيق وكانت وفاة الشيخ عمرو بن عثمان المذكور سنة احدى وتسعين ومائتين ذكره القشيرى ايضا وغيره ومقتل الحلاج فى سنة تسع وثلاثمائة فبين وفاتهما نحو ثمانى عشرة سنة وبهذا يظهر طول مدة تخبيطه وبذلك تظهر صحة فتوى الجنيد بقتل الحلاج وان تقدمت وفاته ايضا عن قتله بنحو احدى عشرة سنة وفتوى ابن سريج ايضا بقتله وان تقدمت وفاته على قتلـه بنحو ثلاث سنين وفتوى ابن داود الظاهرى ايضا بقتله وان تقدمت على قتلـه بنحو اثنتى عشرة سنة

ومن العجيب (ما) وقع فى تاريخ اليافعى تأويل صحة فتوى ابن سريج بانه يحتمل انه سئل عنه فى حياته قبل ان يقتل بتلك المدة ووقع بعده على الاثر انكار فتوى الجندى وابن داود لتقدم وفاتيهما ولكن قد ظهر وجه صحة الفتاوى

ورقـة 135 وجـه

كلها وبطلان افكاره وقد اختلف فى حال الحلاج بالاثبات والنفى والتوقف كما آختلف فى حـال ابن عربى وابن الفارض ولا شك أن من شهد الواقعة وعلم القصة فهو أعرف بالحـال من المتأخرين فلولا أن الذين شهدوا الواقعة تحققوا حاله وثبت على الوجه الشرعى عليه ما يقتضى القتل ما قتلوه ولا صلبوه معاذ الله أن يظن ذلك بعلماء الشريعة على رؤوس الاشهاد فكان ذلك اجماعا منهم وصوابا ان شاء الله فلا ريب فى تكفيره وتكفير من تلك مشكله فى الاتحاد الا من تاب منهم وعاد وبالله التوفيق ، ونسأله الثبات على الاسلام مع التوفيق .

وأما ما يروى فى أخبار مقتله من أن دمه كان يقطر على الارض فيكتب الله فالظاهر انـه من كذب اصحابه فانهم اكثروا الدعاوى فى تعظيمه ، وبعضهم كانوا يعدون أنفسهم برجوعه بعد اربعين يوما وادعى بعضهم أنه لم يقتل اصلا ولكن القى شبهه على عدو من اعدائه وادعى بعضهم ان زيادة دجلة فى تلك السنة كانت سبب القـاء رماده بعد احراقه فيها فزادت بركته ويقال كانت له أخت ذات مال كثير فكانت تبذل منه لمن أثنى عليه كذا ذكر فى التواريخ كتاريخ الذهبى وغيره .

وحكى لى من أثق به عن بعض المشائخ المتأخرين بنواحى مصر أنـه كان لا يرخص لأصحابه فى الثناء على الحلاج ويؤدبهم على ذلك ويقول من خرق الشريعة فكيف تذكرونه وانه كان عنده فتوى الشيخ سراج الدين البلقينى بتكفيره وتكفير ابن عربى ، فكان يوقف الفقراء عليها ليمسكوا عن اعتقادهما، وفعل هذا الشيخ هو الذى يقتضيه التحقيق والتأدب مع ظاهر الشريعة كما تجنب المحتاطون من المحدثين الرواية عن المجرمين وأما ثناء بعض من عاصره من الشيوخ عليه كاحمد بن عطاء فلعله قبل ان يظهر منه سوء المعتقد وكذلك ثنـاء من بعـده من الشيوخ عليـه كابن حفيف الشيرازى وابـى القاسم النصر اباذى فمحمول على انهم اتخذوا صحة توبته او لم تصح لهم عنه تلك المقالات والدعاوى او حملوها بظنهم على حالتى الشك وغلبة الحال كما قال الشيخ ابعرى النجيب السهروردى فى كتابه اداب المريدين ، وكذا الشيخ شهاب الدين المشهور فى العوارف . وقال بعد رده على اهل الاتحاد والحلول المتصوفة المتنصرة لو علمنـا انه ذكر ذلك القـول مضمر الشىء من الحلول رددناه كما نردهم وقد قدمنا حكاية كلامهما رضى الله عنهما والتأويل المذكور للحلاج بعيد يلزم منه تخطئة (   ) الذين شهدوا القصة ولا ينبغى التعويل عليه والله اعلم وقول السهروردى لو علمنا أنه أظهر الحلول لرددناه ظاهر فى انه لم يعلم حاله كما علمه غيره ممن اقام عليه الحد فلو علم لم

يخالفهم فيه فعلمنا أن مذهبه كمذهبهم لو علم حاله فلا يظن بالشيخ غير

ورقــة 135 ظهــر

ذلك وكان الاولى بالمشائخ ان يهجروا ذكره وكلامه تادبا مع ظاهر الشريعه والله اعلم .

وقــد وقــع لفخــر الدين الرازى فى شرح الاسماء الحسنى شيء غريب لا يليق من مثله وهو أنه ذكر فى اسمه الحق تعالى قول الحلاج أنا الحق واوله بوجوه ءــع تسليمه أن الاتحاد باطل . الوجه الاول أنه بان بالبرهان ان الموجود الحق هو الحق سبحانه ، وما عداه باطل . فهذا رجل نفى ما سوى الحق عن (الحق ،) قــال ذلك حــال فنائه عن نفسه وعن الأكوان فكان القائل فى الحقيقة هو الله . والثانى انه انقلب روحه من الباطلية الى الحقية فصار ذهبا ابريزا فقال أنــا الحق . والثالث أنــه قال على سبيل المجاز والمبالغة لاستغرافه بالحق . والرابع تجلى لروحه نور جلال الله فصار حقا يجعل الله اياه حقا فصدق قوله أنــا الحق لانه صار كاملا فى هذه الدرجة لاختصاصه بمزيد الكمال . والخامس انه يحمل على حذف المضاف والمعنى انه عابد الحق او ذاكر الحق . انتهى كلامه مختصرا . وهذه الوجوه كلها باطلة وقد نبهت على بطلانها فى كتاب مطالب أهل الغربة فى شرح دعاء ابى حربه والله اعلم .

واما ما يروى عن الشيخ عبد القادر رضى الله عنه انه جعله من العارفين وانه عثر ، فلم يكن فى زمانه من أخذ بيده . وانه قال : لو كنت فى زمانه لاخذت بيده . فلعله سماه عارفا باعتبار حاله الاول قبل عثرته ، واما بعد عثرته فلا يسمى عارفا ما لم يتب . لما يعلم نقله عن الائمة : ان من وصف الله تعالى بما لا يليق بــه فما عرفه . وقوله لو كنت فى زمانه لأخذت بيده أى بارجاعه الى التوبة .

وأما التأويل بأنه وقع منه ذلك فى حــال السكر وغلبة الحال فانما يصلح لمن وقعت منه هنات فى حال تشهد له بالذهول وعدم التمييز فأما مع وجود شعوره وبقاء تمييزه فلا يصح التأويل لا سيما اذا تكرر منه وطالت مدة تكرره كما يروى فى قصة الحلاج وعلى هذا يحمل قول الشيخ عبد القادر رضى الله عنه طار واحد من العارفين الرافق الدعوى بأجنحة أنا الحق صفر بغير لغته تعرفا لحتفه ظهر عليه ء ( ) الملك من ممكن . ان الله لغنى عن العالمين . انشب فى اهابه مخلب كل نفس ذائقة الموت . قال له شرع سليمان الزمان لم تكلمت بغير لغتك لم ترنمت بلحن غير معهود من مثلك ادخل الان فى قفص وجودك ارجع من طريق عزة القدم الى مضيق ذلة الحدث قل بلسان اعترافك (سد) أرباب الدعاوى وحسب الواحد افراد الواحد مناط حفظ الطريق اقامــة حرمة وظائف الشريعة انتهى ويؤول حسب الواحد افراد الواحد اى حده وكفايته أفراد الواحد

ورقــة 136 وجــه

بالوحدانية ولا يجوز له دعوى الاتحاد والحلول . وقال الشيخ ايضا فى كلام له

آخر فى الحلاج لفت بعين عقله فما شاهد سوى الآثار فكر فلم يجد فى الدارين مطلوبا سوى محبوبه فطلب وقال بلسان سكر قلبه أنا الحق بصوته لحنا عرضه لحتفه . انتهى المقصود من كلامه رضى الله عنه وهو ظاهر فى الحكم بشطحه تصويب واجراء الحكم الشرعى عليه وفى كلام منسوب الى الشيخ ابى الغيث بن جميل رضى الله عنه سقاك الله من شراب من حسا منه حسوة واحدة عدم عقله فإن كان أكثر من ذلك ادعى الربوبية والظاهر أنه دعاء غير مختار وانه لم يصدر عن روية ان عدم العقل لا فضيلة فيه ودعوى الربوبية خطأ مع عدم العقل وكفر مع وجود العقل فكيف يدعى بشراب تكون منه هذه العاقبة فاما من يدعى بلوغ هذه الحالة فى الصحو فمفتون عن دينه والعياذ بالله فلا يظن بالشيوخ المحققين أنهم يثبتون ولاية من انتهى الى تلك الحال له بل حكمه انه يكفر ويقتل بكفره والعياذ بالله من مكره .

والدليل على أنه ممكور به قول الله تعالى : واتل عليهم نبأ الذى آتيناه فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه (1) . الايات كلها قال المفسرون نزلت فى بلعم بن باعور أتاه الله حجج التوحيد وأدلته والاسم الأعظم . وكان على ما روى فى قصته يرى من الثراء الى العلاء ولكنه أخلد الى الارض أى سكر الى الدنيا واتبع هواه فسلخه الله مما كان عليه حتى روى فى القصة ان الله نزع منه معرفة الاسم الأعظم والايمان بدعوة موسى عليه السلام فخرجت المعرفة من صدره كحمامة بيضاء ثم صار بحيث قيل انه أول من صنف أن ليس للعالم صانع قالوا وهذه الآية من أشد الآى على أهل العلم وكذلك قوله تعالى : قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التورات والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا (2) الآية . وقد تقدم فى العقائد النسفية : ان السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد . والتعيين على السعادة والشقاوة دون الاسعاد والاشقاء وهما من صفاة الله تعالى ولا تغيروا على الله ولا على صفاته تبارك وتعالى وقال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى باب الكرامة من رسالته : ولا يبعد ان يكون وليا فى الحال صديقا . ثم يتغير . قال : وهذا الذى عباده نحن ؟ انتهى . وقال فى باب الولاية ومن شرط الولى ان يكون محفوظا كما أن من شرط النبىء ان يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع انتهى كلامه رضى الله عنه . وقول الشيخ ابى العباس الشاذلى ما يكره من الفقها الا خصلتين تكفيرهم الحلاج وحكمهم بموت الخضر . ثم قال والله لو جاء مائة فقيه ما رجعت اليهم . يعنى فى الخصلتين . وقيل فى موت الخضر خاصة . فاما الحلاج فقد علمت ما فيه مما تقدم وأما موت الخضر صاحب موسى عليهما السلام فقد نقله المرسى كما نرى عن الفقهاء مطلقا . والعجب من قوله لو جاء مائة فقيه

1) 7 ـ الأعراف 6 ـ 175

2) 5 ـ المائدة 68

ما رجعت اليهم وللفقيه أن يقول لو جاء مائة صوفى ما رجعت اليهم . واعلم أن موت الخضر هو الذى يقول به المحققون من المحدثين كالامام ابى عبد الله البخارى وابراهيم الحربى وابن المنادى والقاضى ابى بكر بن العربى وابن عطية وابى العباس ابن تيمية وابن قيم الجوزية وغيرهم واليه يرجع ابن الجوزى فى العجالة التى صنفها فى نفى حيـاة الخضر بعد ان صور فى كتبه من حكايات حياتـه واستدلوا بقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . ولقوله صلى الله عليه وسلم لمـا اعتم بصلاة العشاء أرأيتم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد وانما اغتر من اعتقد حياة الخضر الى الآن بما وقع فى التفاسير عن الاخباريين من ذكر حياته فى قصص يروونها من الاسرائيليات فتواردت عليها الاوهام وانضاف الى ذلك دعوى بعض الصالحين لقائه والاجتماع به وانتشرت تلك الدعاوى فى كتب الدقائق وجعلوها من المناقب والكرامات وأصلها رواية تعزية أهل البيت بموت النبىء صلى الله عليه وسلم بصوت سمع من غير ظهور شخص فقيل هو الخضر عليه السلام وحديث تعزية أهل البيت بالصوت المذكور لم يصح عند المحدثين وانما قال من قال انه الخضر بوهم واحتمال كون ذلك الصوت من بعض الملائكة . او بعض مؤمنى الجن أقرب من كونه صوت الخضر وانما تصح حياة الخضر بثبوت خبر عن النبىء صلى الله عليه وسلم يخبر بأنه حى ، او أنه اجتمع به ، ولا يصح ذلك عن النبى- صلى الله عليه وسلم قط . وانما كثرت دعاوى حياته ، بعد عصر النبىء صلى الله عليه وسلم ، وحكاياتهم فى ذلك مضطربة اضطرابا يوجب سقوطها . واحتجوا فى اضطرابها بأنه يتصور بصور كثيرة كأنه يخلق نفسه وذلك باطل فى حق البشر باتفاق العلماء والمحققين كما نبهنا عليه فى غير هذا الموضع وبهذا يظهر ضعف قول ابن الصلاح فى فتاويه هو حى عند الخاصة من العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك وانما شذ بانكاره بعض المحدثين وضعف قول النووى جمهور العلماء على أنه حى موجود بين اظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية واهل الصلاح والمعرفـة ، ولا تجد لفتواهمـا مستندا سوى التقليد المشهور

ورقـة 137 وجـه

والروايات الضعيفة والحكايات المضطربة وتوارد الاوهام على ذلك واين أقوال العلماء المعتبرين فى ثبات حياته صريحا قصدا للفتوى بذلك والحق أنه لا وجود له فى هذه الاونة فلا تصح دعوى رؤيته ولقائه اذ لا يعلم الرائى انه هو الا بدعوى ذلك المرئى او بمجرد وهم الرائى انه الخضر وبحملك لا يوجب علما يقينا بانـه صاحب موسى عليهما السلام ولأنـه لا يرى على صورة الأولين وأقرب تأويل للصالحين أن الخضر الذى يلقاهم ولى من الرجال السياحين وربما كـان شيطانا يلبس عليهم وعلى هـذا يتعدد المتحضرون وتختلف صفاتهم وتضطرب الروايات عنهم فنسقط الثقة بقول من يقول انه لقى الخضر فاعلم ذلك ثم المحققون على أن الخضر صاحب موسى نبىء واختلفوا فى كونه مرسلا جزم بنبوته الواحدى والسجاوندى . فى مواضع والسهيلى والزمخشرى فى

مواضع من القصة والبيضاوى والكواشى والجبرى المفسر وابن الصلاح والنووى فى فتاويهما . ورجحه فخر الدين الرازى بنقله عن الاكثرين وصححه ابن عطية ، والقرطبى والشيخ أبوحيان وصاحبه ابن كثير فى تفاسيرهم وظاهر كلام الثعلبى الاتفاق عليه فانه قال الخضر على جميع الاقوال نبىء معمر محجوب عن الابصار . فقوله معمر مستنده هذه الشهرة عند العامة التى لا حقيقة لها وانما أخذنا بقوله وقول ابن الصلاح والنووى فى قولهم نبىء لظهور الدليل ومساعدة المنقول عن المفسرين ، ولم يأخذ بقولهم فى حياته لضعف مستندهم ومعارضة أقوال المحققين قونهم وقد وقع فى تفسير البغوى ان الخضر لم يكن نبيا عند اكثر أهل العلم وصوابه عند كثيرين كما قاله شيخه القشيرى فى الرسالة . فقلده البغوى غير مستحضر لأقوال المفسرين . والكثير المشار اليهم صوفية . ولا عبرة بكثرتهم فى مقابلة المحققين ويدل على نبوته ذكر المحدثين له مع الأنبياء مع الصلاة عليه والتسليم ، فى جميع نسخ كتب الحديث فيقولون باب فضائل الخضريات . ذكر الخضر صلى الله عليه وسلم او عليه السلام ويدل عليه ايضا أفعاله التى لا يجوز للولى ان يفعلها بمجرد الكشف كقتل الغلام الذى لا يطلع على سبب جوازه الا بالوحى ولذلك لم يلتزم شريعة موسى وقال : وما فعلته عن أمرى (1) . قال المحققون بل الوحى الذى يأتى الأنبياء من عند الله . واذا قلنا انه نبىء بطل احتجاج من يدعى علم الباطن المخالف لظاهر الشريعة محتجا بقصته مع موسى عليهما السلام

ورقة 137 ظهر

واندفعت اشكالات كثيرة هى داعية ضلال كبير وبالله التوفيق . وقد بسطت الكلام فى بيان احوال الخضر واثبات نبوته ونفى حياته فى هذه الأمة . وبيان ضعف القول بحياته فى شرح دعاء ابى حربه وتصنيفه مفردة . وبالله التوفيق .

وبهذا القول مع ما تقدم فى ذكر مقتل الحلاج ، يظهر تساهل الصوفية فى دعوى ولاية الحلاج وردهم على الفقهاء فى تكفيره لان مبنى طريقتهم على حسن الظن وتجنب الجرح الذى عنى به المحدثون نصيحة للمسلمين وذبا عن الدين لا بصريق الغيبة المحرمة . وبهذا يظهر ضعف مستمدهم فى دعوى حياة الخضر ولقائه ونفى نبوته . ولا يستبعدن غلط الشيوخ وتساهلهم فى مثل هذا . لضعف عنايتهم بتحقيق الروايات وقلة تحرزهم عن بواطل الحكايات . وسيأتى قول القشيرى لا ينبغى للمريد ان يعتقد فى المشايخ العصمة الى آخر المقالة . ولا تجوز دعوى علم القائلين بوجود ولايته على أنهم تلقوا ذلك من طريق الكشف لأن علم وجوده ولقائه انما يكون بطريق المشاهدة المحسوسة والكشف لا يوثق به فى تحقيق العلم والغالب على أكثر الصوفية عدم تحقيق العلوم وقد رد الشيخ ابو عبد الله بن حفيف بعض مقالات الشيوخ فى تأويل

---

(1) 18 ـ الكهف 82

حديث الاغاثة على قلب النبيء صلى الله عليه وسلم وان كان الشيخ بندار بن حسين قد رد عليه في رده ايضا . والمقصود ان كلامهم يقع فيه ما يقع من الوهم او الشطح كما نبهنا عليه قبل هذا . ولله در الشيخ ابى عبد الله بن حفيف حيث قال لأصحابه وقد رآهم يطالعون شيئا من كلام الصوفية اشتغلوا بتعلم ما ينفعكم ولا يغرنكم كلام الصوفية فانهم كانوا منعونى عن العلم وكنت أخبأ محبرتى فى جنب مرقعتى والكاغذ فى حجرة سراويلى وكنت أذهب الى أهل العلم خفيا منهم فاذا علموا بى خاصمونى وقالوا لى لا تفلح ، ثم احتاجوا الى بعد ذلك . رواه عنه الامام ابو القاسم بن عساكر فى كتاب تبيين كذب المفترى وذكر الجندى وغيره وجادة عن الفقيه قطب الدين اسماعيل ابن محمد الحضرمى رحمه الله انه ذاكر بعض أصحاب الشيخ ابى الغيث ابن جميل اليمنى فقال له الفقيه اسماعيل كان الشيخ مخطىء فى كلامه فى بعض المجالس فاستعظم صاحبه ذلك وانكر قول الفقيه اسماعيل رحمه الله فلما كان تلك الليلة بعد العشاء رأيت الشيخ ابا الغيث تمثلت لى صورته فقلت له بالله أنت الشيخ ابو الغيث فقال لى نعم . ثم قال لى يا فقيه اخطانا كثيرا ووقعنا كثيرا ولكن قبلت منا العزائم وصفحت عنا الجرائم فى كلام آخر لا يتعلق بما نحن فيه

ورقة 138 وجه

ولنرجع الى التحذير من شطح الحلاج وامثاله . ونقول من لم يحفه التوفيق الالاهى ولم يقومه ثقاف تأديب الشريعة المطهرة بالتزام أثار سنن الأنبياء والترسم بسير الصحابة والاتقياء من السلف العلماء المجتهدين والائمة المهتدين وركب رأسه وقلد هواجسه وقنع بمواجيده فى سلوكه وعقد توحيده زلت به القدم فهوى من أوج المعرفة الى حضيض الجهل فانقلبت معرفته نكرة والعياذ بالله من مكر الله وقد تقدم فى عقيدة القشيرى ان القوم أحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد يعنى العلماء منهم المتقيدين بالكتاب والسنة لا الذين اشرنا الى الانكار عليهم بعدم التقيد كما قال ابو محمد الجريرى من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف معناه من لم يقف على علم التوحيد الذى تشهد به الشريعة . وادعى طورا وراء ذلك من أطوار المعرفة سقط عن سنن النجاة كشطاح الصوفية وملاحدتهم كابن عربى والحلاج واتباعهم وعلى هذا الحكم ينبغى أن يحمل قول القائل وهو منسوب الى الحلاج :

من أطلعوه على سر فباح به ... لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا
وعاقبوه على ما كان من زلل ... وبدلوه مكان الانس ايحاشا

فيحمل على أن من فعل ذلك انسلخ من المعرفة . وسقط فى مهاوى الكفر والضلال اذ لم يتداركه الله بالتوبة والعياذ بالله . ولعل الحلاج قال

ذلك حين زلت به القدم ووقع في أسر الهلاك فأخبر عن حال نفسه ونحوه قول الشهاب السهروردى المقتول بحلب :

وارحمتـا للعـاشقين تحملــوا ثقـل المحبـة والهـوى فضاح

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم وكـذا دمـاء البائحين تبـاح

وهو في طبقات الشفاعية للأسنائي صاحب المهمات . وذكر أنه أهتم بانحلال العقيدة والتعطيل فقبض عليه الملـك الظاهر بحلب وحبسه ثم قتلـه في الحبس باشارة والـده الملك الناصر صلاح الدين فخنق في الحبس واخرج ميتا . وله مصنفات في أصول الفقه والحكمة وقتل وعمره ثمان وثلاثون سنة . وما يروى عن زين العابدين رضى الله عنه أنه قال :

انـي لأكتم من علمـي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

يـا رب جوهر علم لو أبـوح بـه لقيـل لى أنت ممن يعبـد الوثنا

فلم يصح عنه . ولو صح كان المراد ما يتعلق بالنفاق والفتن وأهلها من اغيلمة بنى أمية المشار اليهم بالحديث كما حمل عليه ايضا قول ابى هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين . أما أحدهما

ورقـة 138 ظهـر

فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم . ولا ينبغى ان يفهم من كلام هؤلاء وكلام غيرهم أن للمعرفة أسرار تقتضى صحة اعتقاد الحلول او الاتحاد او اباحة قولهم أنـا الحق وأنـا الله ونحو ذلك او جواز الاتصاف بصفات الذات بمعنى انقلاب الصفة المحدثة قديمة . او القديمة محدثة . ونحو ذلك مما يخالف نصوص الشريعة ما لا يكون أبدا . وليس من أسرار الولاية ولا النبوة فدع عنك أوهام الواهمين وشطحات المبطلين والزم حد التوحيد الذى هو افراد القـدم عن الحدث والتزم قانون العبودية وحفظ الشريعة المطهرة فمن خالفها كفر وان لم يقصد الكفر كاليهود والنصارى في سائر أهـل الملل ، كفروا ولم يقصدوا الكفر . ولا ظنوه بأنفسهم كما قاله الغزالى وغيره وكذلك قول المشائخ افشاء سر الربوبية كفر . هو على ظاهره ولا ينبغى أن يفهم منه أن ثم أسرارا للربوبية يجوز اعتقادها وافشاؤها كفر مضاد للايمان بل ما كفر العبد بافشائه كفر باعتقاده مثاله لو قال من يدعى المعرفة لعباد الاصنام أنهم ما عبدوا غير الله بمعنى أنهم مجبورون مقهورون بقـدرة الله وأرادته لكفر ولو أعتقد ذلك بقلبه وأنكر عليهم بلسانه لفر ايضا باعتقاده وهذه مسالة تعارض الامر والارادة التى هى من أسرار القدر وقد غلط فيها أهل الجبر وبعض المتصوفة وتبعهم ابن عربى خارقـا لأجماع أهـل السنة . مارقـا من الدين نسأل الله العصمة وكذا لو اعتقد الحشوى التجسيم الصريح ولم ينطق به كفر باعتقاده . وقد خرج الغزالى رحمه الله تكفير المغشى على وجهين آخرين أحدهما : أن

يكون المراد كفر دون كفر ويسمى بذلك تغليظا لما أتى به المفشى وتعظيما لما أرتكبه قال وقد يعترض على هذا بأن الكفر الستر وهذا افشاء وينبدفع الاعتراض بأن الكفر الشرعى ليس تابعا للاشتقاق وانما هو حكم بمخالفة الامر وارتكاب النهى فاذا أظهر ما أمر بكتمه كان كمن كتم ما امر بنشره فى مخالفة الامر فهما فى حكم واحد بهذا الاعتبار (قـ) ـال والوجه الثانى آن يكون معناه كفر السامع لا المخبر بخلاف الوجه الاول ويكون هذا مطابقا لحديث لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله فمن حدث بذلك ربما (   ) التكذيب ومن كذب بقدرة الله تعالى وبما أوجد بها فقد كفر وان لم (يـ) ـكفر ، فان أكثر اليهود والنصارى وسائر أهل النحل مـا قصدوا الكفر ولا ظنوه بأنفسهم وهم كفار بلا ريب قال وهذا وجه واضح قريب . قلت وقد يفهم من قوله من

ورقـة 139 وجـه

كذب بقدرة الله وبما أوجد بهـا كفر أن المراد ليس الربوبية المشار الى افشائه هو كرامات الاولياء اذ يجب عليهم سترها لأنهـا من سر القدرة ولا يجوز اظهارها الا عند ضرورة او اذن او حال لا يكون للولى فيه اختيار كما علماء الأصول ومشائخ الطريق ويكون كفر السامع المنكـر على نحو قول ابى تراب النخشبى فى الكرامات من لم يصدق بها كفر . حمله بعضهم على أنه يرى تكفيرا لمبتدعه ثم قال الغزالى ولا يلتفت الى قول من لا يعرف وجـه التأويل ان قائل ذلك أراد الكفر الـذى هو نقيض الايمان والاسلام يتعلق لمجرده او قال بمجرده ، ويلحق قائله . قال وهذا لا يتحرج الا على مذهب من يكفر بالمعاصى وأهل السنن لا يرتضون ذلك وكيف يكفر المؤمن بغير شرع قلت . استبعده من اجراء الكفر على ظاهره ليس بتعبد بل هو أظهر عندى مما ذكره وقد قدمنا مثاله ثم قال الغزالى وليس فى افشاء الولى ما يناقض الايمان اللهم الا أن يريد بافشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عائث متمرد وليس بولى ومن أراد من خلق الله أن يكفر بالله فهو كافر لا محالة . قال الله تعالى : ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم (1) فمن سب أحدا منهم لسمع منه سب الله او سب رسوله (وهو) كفر بالاجماع . وان سبه للعداوة اخطأ وأثم لا يكفر . انتهى . وقد ذكر الغزالى فى الاحياء هذه المقالة بعض العارفين وكفر من قال الحقيقة يخالف الشريعة او الباطن بخلاف الظاهـر ، وجعل الأسرار التى تخص المقربون بدركها ويتمتعون من افشائها ولا يشاركهم الأكثرون فى علمها يرجع الى خمسة اقسام . فذكرها وامثلتها فليراجعها من أحب الوقوف عليها من كتاب قواعد العقائد وهـذا الكتاب لا يحتمل ذكرها مبسوطة . وجعل الغزالى الاول ان يكون الشىء فى نفسه دقيقا عجز اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه

---

(1) 6 ـ الانعام 108

الى غير أهله . قال واخفاء سر الروح من هذا القسم وكذا بعض صفات الله تعالى . وأما القسم الثانى فما لا تعجز الافهام عنه ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ومنه سر القدر الذى منع أهل العلم من افشائه . والقسم الثالث مـا لا ضرر فى ذكـره ولكن يكنى عنه بالاستعارة والرمز ليعظم وقعـه فى قلب السامعين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان المسجد لينزوى من النار . القسم الرابع ان يدرك الانسان المسمى جملة ثم كما يدركه تفصيلا بالتحقق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون

ورقـة 139 ظهـر

الاول كالقشر والثانى كاللب . القسم الخامس التعبير بلسان المقـال عن لسان الحال ومنه قوله تعالى وان من شىء الا يسبح بحمده . والبليد يحمله على النطق بالحرف والصوت والبصير بعلم كونـه مسبحا بوجوده مقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله . قال وفى هـذا المقام لارباب المقالات اشراف واقتصاد فذكر ذلك الى آخره رضى الله عنه وقال فى قول سهل رضى الله عنه للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلم سر لو ظهر لبطلت الاحكام . قال وقائل هذا ان لم يرد بذلك ابطال النبوة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فما قاله ليس بحق فان الصحيح انه لا تناقض فان الكامل لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ومدرك الورع النبوة . وقال فى كتابه فى كشف مشكلة الذى قاله سهل رحمه الله وان كان مستعجما فى الظاهر فهو قريب المسلك بادىء الصحة لمن يعرف مصادر اغراضهم ومسالك أقوالهم وسر الاله الذى بمعرفته يستحق النبوة من وصل اليه هو اليقين الذى لولاه لم يكن نبيا لا يخلو اما ان يكون انكشافه فى الله بما يطلع على القلوب من أنـوار الشمس التى كانت غايته عنها فان ضعفت القلوب طرأ عليها من الدهش والاصطلام ما يبهر العقول ويفقد الحس عن الدنيا وما فيها فتبطل النبوة فى حقه ان يعرفها ويعقل عنها وربما مات لعجزه عن حمله كما روى أن مريدا رأى ابـا يزيد ولم يره قبل ذلك فمات المريد من ساعته . فقال ابو يزيد كان فى صدره أمر لم تنكشف له حقيقته فلما رآنى انكشف له فلم يطق حمله فمات منه . واما ان يكون انكشافه من عالم به على جهة الخبر عنه فتبطل النبوة فى حق المخبر عصى بافشائه لكن لا نكفره بذلك .

قلت ولم يذكر المازرى فى كلامه على الاحياء لهذه المقالة تأويلا بل قال هى رمزة شنعاء قد يفهم منها موافقة الفلاسفة فى ان الأنبياء حكماء يسوسون الناس بالحكمة فمن تفلسف استغنى عن النبوة واطرحها . ثم قال الغزالى وأما سر النبوة فلا يعرفه بالحقيقة الا نبىء واذا انكشف ذلك لقلب نبىء بطل العلم فى حقه بار (جـــ) ـاع محبة الطلب والبحث عنه والتفكر فيه . فاذا سئل عن شىء او وقعت واقعة لم يحتج الى البحث والنظر بل

في كشف الحقائق باخبار ملك او (لغــز) يفهمه او اطــلاع على اللوح المحفوظ ليس من أسباب العلم المنقولة عن الأنبياء

ورقــة 140 وجــه

وقد ذكر الغزالى فى كتاب عجائب القلب تفسير مكاشفة القلب لما فى اللوح المحفوظ بكلام لا يقتضى كــون الاطلاع بالنظــر بالبصر ولا بالبصيرة الا بواسطة تخيل المقابلة كدعوى الفلاسفة فاعلم ذلك .

ثم قال الغزالى وان كان انكشافه بأخبار من رزق علم النبوة كان بطلان العلم فى حق المخبر اذا فشى ذلك لغير أهله وأما سر العلم الذى يوجب كشفه بطلان الاحكام فان كان انكشافه لعلو وضعية بطلب الأحكام فى حقها لما نطلع عليه من معرفة مثال الأشياء وعواقب الخلق وكشف اسرار العباد وما بطن من المقدور فمن عرف مثلا نفسه أنه من أهل الجنة لم يصل ولم يصح ولم تتعب نفسه فى خير ومن عرف أنه من أهل النار كمل انهماكه وبطلت الاحكام الجارية عليه . وان كان انكشافه من مخبر عنه استروح الضعيف الى ما يسمع منه فينحل عقده ويتعطل وبعد هذا فلا يحمل كلام سهل الا على ما يقدره على ما يوجد ولذلك جعله مقرونا بحرف لو الدال على امتناع الشىء لامتناع غيره كما يقــال لو كان للانسان جناحان لطار . ولو كــان للسماء درج لصعد اليها . ولو كان البشر ملكا لفقد الشهوة انتهى ومن راجع كلام الاحياء ربما اتضح له زيادة علم فى ذلك .

وعندى فى تأويل مقاله سهل وجه . حاصله لو ظهر سر ببيان السعداء من الأشقياء لم يحتج الى بعثه الأنبياء ولــو ظهر سر النبوة لعموم الخلق بتلقى الاحكام من الوحى لم يطلب العلم من غيره ولو ظهر سر العلم بمعرفة معانى الأنبياء ومواقف الخلق وبواطن المقادير ، لبطلت الأحكام . والله اعلم . وقد قدمنا مثالا فى افشاء سر (المعرفة) وهو من سر القدر الذى كتمه الله فلا يسأل عن علة خلقه مؤمنا وكافرا وغير ذلك . وكتاب القدر مما يترجم له فى كتب الحديث ويترجم ايضا بباب الايمان بالقدر والاذعان له . وقد روى العوفى عن ابن عباس ان عليا رضى الله عنه سأله رجل عن القدر فقال طريق مظلم لا (تفهمه) . وقال : أخبرنى عنه . قال : سر الله الخفى فى خلقه فلا تفشه قال اخبرنى عنه قال بحر عميق فلا تلجه ثم قال انها كما يشاء او كما تشاء قال كما يشاء . قال أيميتك على ما يشاء او على ما تشاء قال على مــا يشاء قال انك مشيئة زرق مشيئة الله او دون مشيئة الله او مــع مشيئة الله فان قلت فوق مشيئة الله فقد ادعيت الغلبة وان قلت مع مشيئة الله فقد ادعيت الشركة وان قلت دون مشيئة الله فقد اكتفيت بمشيئتك عن مشيئة

ورقــة 140 ظهــر

الله قال صدقت فما تفسير لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . قال لا حول عن معصية الله الا بعصمته ولا قــوة على طاعته الا بمعونته أعقلت عن الله .

قال نعم فقال لأصحابه الآن أسلم أخوكم فصافحوه . قال علماؤنا سر القدر سر الله فى خلقه طواه عن أنامه ونهاهم عن من أمه . لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبيء مرسل فاختصمت فيه الظنون وغلا فيه المختصمون والبحث عنه ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان والواجب علينا أن نرد ما أشكل علينا من حكمة الى ما سبق من علمه ونقف حيث حد لنا ولا نتعداه وهى درجة الراسخين فى العلم لأن العلم علمان علم فى الخلق موجود وعلم فى الخلق مفقود فانكار العلم الموجود كفر ، ودعوى العلم المفقود كفر ولا نثبت الايمان الا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود . وقد روى البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات . أن موسى عليه السلام قال : يا رب أنت تحب أن تطاع وأنت فى ذلك تعصى فكيف هذا ، فأوحى الله اليه انى لا أسأل عما أفعل . وروى عن عزير فيما يناجى به ربه ايضا نحوه . وفى الحديثين طول ذكرهما فى باب ما جاء عن السلف فى اثبات المشيئة . وذكر الشيخ شهاب الدين السهروردى فى اللوامع الغيبية . أنه يروى أن موسى عليه السلام قال يا رب ما الحكمة فى ارسالى الى فرعون وفى سابق علمك أنه لا يذكر ولا يخشى فقال يا موسى : اياك والسؤال عن سر القدر فانى لم أطلع عليه أحدا . **ولنثن العنان** عن هذا الشأن فمن عرف هذه التحقيقات عرف ما أشكل من العبارات . بتوفيق الله تعالى . ولقد أحسن الغزالى بقوله يحمل كلام سهل على ما يقدر لا على ما يوجد ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ، فى الحديث الصحيح حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه يحمل على ما يقدر لا على ما يوجد . قال النووى رحمه الله والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نورا . وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته . انتهى .

وقد وقع لليافعى وهم فى تأويله وتأويل ما أشبهه من كلام الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه والشيخ ابى الغيث بن جميل رضى الله عنهما وقد نبهت على وهمه فى اختصارى لتاريخه وما توفيقى الا بالله ..

ومما يسهل عليك معرفة أحوال المعلومات . واختلاف الادراكات أن تعرف ان للوجود خمس مراتب : وهى ذاتى وحسى وخيالى وعقلى وشبهى فمن عرف مراتب الوجود الخمس قل ما يشذ عنه نص عن التصديق ولأجل الغفلة عن

ورقة 141 وجه

هذه المراتب والجهل بحقائقها يقع الغلط والاختلاف وقد أوضح الغزالى هذه المراتب بامثلتها فى كتاب التفرقة . ولنرجع الى ما نحن بصدده . فاذا علمت ما قدمناه علمت ما يقتضى تكفيره هذه الطائفة المشبهة الاتحادية . المحرفة لكتاب الله وان كفرهم من وجوه متعددة . والله أعلم . واعلم أن الشيخ اليافعى رحمه الله لما ذكر القاضى عياضا فى كتابه الشاش فى عده الائمة الاشعرية أثنى عليه بما هو أهله ثم اعترض عليه فقال : الا أنه يحكى عن بعض الصوفية ،

اشياء توجب التكفير ليست تلك الطائفة منها فى شيء بل هى منها بريئة وليت شعرى من أى المسالك تلقى ذلك عنهم فان نقل ذلك عن أحد يدعى الشبه اليهم فهو بالانتساب اليهم مفتر عليهم . انتهى مقصوده وهو اعتراض ساقط لوجهين :

احدهما أنــه قال : وليت شعرى من أى المسالك تلقى ذلك عنهم فكونه لم يشعر لا يسقط نقل القاضى عياض وهو ثقة محقق غير مجازف على أنه قد ساعــده على نقــل ذلــك عن بعض المتصوفة القشيرى والغزالى والسهروردى وغيرهم من متفرقات كلامهم ويعرف ذلك مما تقدم فى هذا الكتاب ولكن اليافعى رحمه الله شديد التعصب لمطلق الصوفية . وليت شعرى كيف أنف من قول بعض الائمة قال بعض زنادقة الصوفية او بعض غلاتهم وشطاحهم كذا . ولم يأنف للعلماء من قول الغزالى وغيره علماء السوء ونحو ذلك .

الوجه الثانى : سقوط اعتراضه قوله فان نقل ذلك عن أحــد يدعى التشبيه اليهم فليس منهم فى شيء . فهــذا هو مراد القاضى وغيره مما نقل ذلك عن المتصوفة فانهم مسلمون برآه الصوفية الصادقين من ذلــك ومعترفون بفضل الطريق وانما قصدهم تنزيه أهل الحق من الصوفية عن تلك الاقاويل الا تراهم ينقلون أقاويل أهل التحقيق منهم ويستشهدون بها .ويعترفون بصحتها والقاضى عياض ممن نقل عن المشائخ كالشبلى وسهل وذى النون المصرى والقشيرى مرتضيا لمقالاتهم وطريقتهم فلم يبق لاعتراض اليافعى وجه ولا أراه قال ما قال عن روية بل سبق الخاطر فتبعه القلم . عفا الله عنه وعنا ببركاته .

وقد بسطنا الكلام فى بيان التوحيد وما ينافيه وما الا كما قال عطاء ابن أبى رباح التابعى رضى الله عنه : اذا أردت نعت المؤمنين ثم نعت الكافرين ثم نعت المنافقين فاقرأ من أول سورة البقرة الى قوله تعالى ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون . انتهى . فانظر صفات ابن عربى وغيره من اتباعه فى أى الاقسام الثلاثة هى تجدهم ليسوا من الذين قال الله فيهم : يؤمنون بما انزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هو يوقنون . أولئك على هدى من ربهم . اذ لم يؤمنوا بمــا أنزل الله على مــا جاءت به الشرائع بــل على تخصيص وتأويل

ورقــة 141 ظهــر

يدعونه مناف للشريعة وكذلك لم يوقنوا بالآخرة على ما جاءت به الشريعة . فليسوا على هدى من ربهم . وسيأتى عن الامام القصرى ان تأويل الزنادقة للقرآن على أهوائهم من الكفر به جهارا وتجدهم سواء عليهم أنذرتهم او لم تنذرهم يشهد به تفسيره للآية وتجدهم فى قلوبهم مرض بتأويلاتهم للقرآن والحديث على خلاف ما جاءت به الشريعة من آرائهم الفاسدة وفى القرآن (آيات) كثيرة ظاهرة فى تكفيرهم وآيات يصدق تأويلها عليهم ومن الأحاديث الصحيحة ايضا فى ذلك ما لو تتبعناه لطال ونسأل الله العصمة فهذا اجمال كاف عن التفصيل المتقدم ولكن لا يفهمه الا من فهم التفصيل وبالله التوفيق . ولعلك

تقول كيف تكفر من يدعى انه على دين الاسلام ويصلى الى القبلة فاعلم أن باب الردة انما عقد لاكفار من قد أقرب الاسلام والتزم أحكامه وقد تقدم وجوب الاحتراز من التكفير فى أهل التأويل ولكن من لم نجد لقوله تأويلا وجب تكفيره وان أظهر الاسلام لمناقضة اقراره بتكذيب أدلة القرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم أن المناقصة فى كلام الحليمى فى أول الكتاب وفى أثنائه فى مواضع كثيرة وقد ذكر الغزالى وغيره أنه فى اول الكتاب وفى اثنائه فى مواضيع كثيرة وقد ذكر الغزالى وغيره أنــه يكف عن تكفير أهل القبلة ما داموا قائلين لا الاه الا الله غير مناقضين لها قال والمناقصة تكون بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او بتجويز الكذب عليه بعذر او بغير عذر قلت وبغير ذلك مما تقدم ثم انه صرح بتكفير من يغير الظاهر بغير برهان كالذى ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية فى الآخرة بظنون وأوهام كمذهب الفلاسفة وكذا يجب تكفير من قال منهم ان الله تعالى لا يعلم الا نفسه او لا يعلم الا الكليات وأما الأمور الجزئية المتعلقة بالأشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله عيه وسم قطعا وليس هذا من قبيل ما يقبل التأويل بل هم معترفون بأن هذا ليس من باب التاويل بل قالوا لما كان صلاح الخلق فى ان يعتقدوا حشر الأجساد لقصور عقولهم عن فهم المعاد العقلى وكان صلاحهم فى أن يعتقدوا أن الله عالم بما يجرى منهم ورقيب عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة جاز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفهمهم ذلك . وليس بكاذب من أصلح غيره فقال ما فيه صلاحه وان لم يكن كما قاله وهذا القول تصريح بالتكذيب ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ، ففى الصدق متدوحة عن الكذب قال الغزالى رضى الله عنه وهذه أول درجات الزندقة فانها زندقة

ورقــة 142 وجــه

مقيدة بنــوع اعتراف وتصديق الأنبياء وهى رتبة بين الاعتزال والزندقة المطلقة فان المعتزلة يقرب منهاجهم من منهاج الفلاسفة والا فى هــذا فان المعتزلى لا يجوز الكذب على الرسول بمثل هذا القدر بل يؤول الظاهر مهما ظهر له البرهان بخلافه وأما الفلسفى فلا يقصر مجاوزته للظاهر على مــا يقبل التأويل على قرب او بعد وأما الزندقة المطلقة فهى أن ينكر أصل المعاد عقليا او حسيا وينكر الصانع للعالم اصلا ورأسا وأمــا اثبات المعاد بنوع عقلى مع نفى الألم واللذات الحسية واثبات الصانع مع نفى علمه بتفاصيل الامور فهى زندقة مقيدة بنوع اعتراف تصديق للأنبياء هــذا حاصل كلام الغزالى فى كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة وقد نص فى العرين والروضة والقمولى وغيرها على تكفير من يجسم من المبتدعة تجسيما صريحا ومن ينكر العلم بالجزئيات وحكوا خلافــا فيمن يقول بخلق القرآن او ينفى شيئا من الصفات وقــد فرض الغزالى فى بعض كتبه سؤالا وأجاب عليه . فمختصر والقمولى وغيرها على تكفير من يسجم من المبتدعة تجسيما صريحا ومن ينكر تصرف فى احوال الحشر والنشر والجنــة والنار بطريق التفسير للدليل دوز

انكار الاصل بل اعترف بان الطاعة موافقة الشرع وكف النفس عن الهوى سبب السعادة ومخالفة الشرع واتباع الهوى سبب الشقاوة وزعموا ان السعادة عبارة عن لذة روحانية تزيد رتبتها عن اللذة الجسمانية الحاصلة من المطعم والمنكح التى يشترك فيها البهائم وتتعالى عنهـا رتبـة الملائكة وانما تلك من السعادة اتصال بالجواهر العقليـة والملائكة وابتهاج نبيـل ذلك الكمال واستلذاذ له واللذات الجسمانية محتقرة اليها وان الشقاوة عبارة عن كون الشخص محجوبا عن ذلك الكمال مع الشوق اليه وان ألم ذلك مستحقر فيـه الم النار الجسمانية وانما ورد فى القرآن امثلة ضربت العوام الخلق لما قصر فهمهم عن درك تلك اللذات والتخويفات فما قولكم فى تكفير هذا . ومختصر جوابه أنه قال : الذى نختاره ونقطع به انه لا يجوز التوقف فى تكفير من يتعهد شيئا من ذلك لأنه تكذيب للشرع وكلمات القرآن من اوله الى آخره ، هذا حاصل جوابه وهو الصواب وقد سبق التنصيص على تكفير من اعتقد شيئا من ذلك ونقل اليافعى فى المراهم كلام الغزالى هذا فى الكلام على أقوال الفلاسفة والباطنية وهو فى آخر الكتاب وذكر قبله وبعده مـا يعضده وذكر ايضا فى شرح قوله فى أخذ اثبات العقيدة وتخليد نار ليس الا لكافر

ورقـة 142 ظهـر

وقبلتنا من أمها لا يكفر . ان هناك عدة فرق كل منهم من دين الاسلام قد مرق وانهم خرجوا من الدين الاسلامى بواضح الكفر كالباطنية وأهل الاباحة القائلين بسقوط التكاليف عنهم والقائلين بالحلول والاتحاد والمنجمين المعتقدين ان النجوم مدبرة او مؤثرة بذاتها وسائر القائلين منهم ومن غيرهم بقدم العالم او حدث الصانع وانه غير مختار او غير قادر او غير عالم او عالم بالكليات دون الجزئيات او عالم بالموجودات دون المعدومات لا يعلمها حتى توجد ومن قال ان عليا عليه السلام كان هو النبيء ولكن أخطأ جبريل بعدوله بالوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم وكذا صرح جماعة من أصحابنا الشافعية وغيرهم بأن من قذف عائشة رضى الله عنها فهو كافر لتكذيبه لكلام الله تعالى فى براءتها واختلف العلماء فى تكفير من جهل صفة من صفات الله تعالى انتهى المقصود من كلام اليافعى ، رحمه الله . فى هذا الموضع وفيه التصريح بتكفير القائلين بالحلول والاتحاد فيعلم منذ موافقته على تكفير ابن عربى ، لو عرف مذهبه كما عرفه من كفره من المحققين والذى ذكره الغزالى فى السؤال الذى فرضه فمين اعتقد التوحيد وتصرف فى النصوص بالتأويل هو حال فلاسفة الاسلام المتأخرين كابن سينا وفلاسفة المتصوفة الملاحدة كابن عربى واتباعـه فان ظاهر مذهبهم أنهـم يعتقدون دين الاسلام وأرادوا أن يجمعوا بينـه وبين مذهب الفلاسفة بل وبين مذهب الفلاسفة وبين مذهب اليهود والنصارى ووحدة الوجود وذلـك مباثن لـدين الاسلام مفسد لاعتقادهم لـه وان كانوا قد ادعوا ان ذلك غاية التحقيق فى

المعرفة بالله عن قولهم بل هو غاية الكفر والالحاد والعياذ بالله . ومن يفرض من عقله المبتدع والمرتد عن اعتقاده الفاسد ورجوعه الى اعتقاد دين الاسلام فلا يكفي لأن حكم اعتقاده الفاسد منسحب عليه ولا بـد فى صحة تجديد اسلامه من براءته منه وأما هؤلاء الملاحدة المتصوفة فيعتقدون أن رجوعهم عن عقيدتهم هذه الملفقة . ردة والعياذ بالله . فهذا غاية الكفر والضلال نسأل الله العصمة فهذا حكم ظواهرهم والله اعلم بخواتمهم .

واعلم ان القاضى عياضا فى الشفا قـد بسط الكلام فـى تصرف وجوه الاحكام فيمن ينقص رسول الله صلى الله عليه وسلم او شبهه وفصل الكلام فى ذلك فى بابين : الباب الاول فيما هو فى حقه عليه الصلاة والسلام سب او نقص من تعريض او نص فقال رضى الله عنه : اعلم وفقنا الله واياك أن من سب النبيء صلى الله عليه وسلم او عابه او ألحق به نقصا فى نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب

ورقـة 143 وجـه

له او الازراء او التصغير لشأنه او النقص منه او العيب له فهو ساب له فيقتل ولا يستثنى فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولاعترى فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه مـا لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او غيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليـه او غمصه ببعض الغوائص البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن ائمة الصحابة رضى الله عنهم الى هلم جرا قال ابن المنذر أجمع عوام أهل العلم على ان من سب النبيء صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعى وبمثله قال ابو حنيفة وأصحابه والثورى وأهل الكوفة والأوزاعى فى المسلم ، ولكنهم قالوا هو ردة وعلى هذا وقع الخلاف فى استتابته . وهل قتله حد او كفر ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه قال ابن سحنون من شك فى كفره وعذابه كفر ولهذا قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبيء صلى الله عليه وسلم صاحبكم وعن مالك من سب غيره من النبيئين من مسلم وكافر قتل ولم يستتب وعنه من قال أن رداء النبيء او زر النبيء صلى الله عليه وسلم وسخ أراد به عيبه قتل قال بعض علمائنا أجمع العلماء على ان من دعا على نبيء من الأنبياء عليهم السلام بالويل او بشيء من المكروه قتل بلا استتابة وأفتى القابسى فيمن قال فى النبيء صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابى طالب بالقتل . وأفتى ابو محمد بن زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبيء صلى الله عليه وسلم اذ مـر عليهم قبيح الوجه واللحية فقال صفته صفة هذا فى خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته . وقال احمد بن سليمان صاحب سحنون فى رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال فعل برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا . ثم قال انما أردت برسول الله صلى الله العقرب ، بالقتل وأفتى ابو عبد الله بن عتاب فى عشار قال لرجل أد واجبك الى النبىء . وقال ان سألت او جهلت فقد جهل النبىء وسال بالقتل وأفتى فقهاء (   ) (   ) المتفقة الطليطلى وصلبه باستحقاقه بحق النبىء صلى الله عليه وسلم وتسميته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهـده عليه الصلاة والسلام لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها الى أشباه لهذا وقال القاضى ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبىء صلى الله عليه وسلم هزم استتيب فان تاب والا قتل ان لا يجوز ذلك عليه ان هو على يقين من عصمته قال القاضى وهذا الباب كله مما عده العلماء سبـا وتنقصا يجب قتـل قائله ، لم يختلف فى ذلـك متقدمهم

ورقـة 143 ظهـر

ولا متاخرهم وان آختلفوا فى حكم قتله قال وكذلك أقول حكم من غمصه او غيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما أصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه او شدة فى زمنـه او بالميل الى نسائه نحكم هذا كلهُ لمن قصد به نقصه القتل قال القاضى أما من لم يقصد نقصا ولا يذكر عيبـا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض أحواله الجائزة عليه فى الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه او عند هضيمه بالله ؟ او غضاضة تقتـه ليس على سبيل التأسى وطريق التحقيق بل على قصد الرفيع لنفسه أو لغيره ، او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه الصلاة والسلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل فى السوء فقد قيل فى النبىء . وان كذبت فقد كذب الأنبياء وان أذنبت فقد أذنبوا او انا اسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منها أنبياء الله او رسله او قد صابرت كما صبر أولوا العزم من الرسل او كصبر أيوب او صبرنى الله على عداه وحلم على أكثر مما صابرت وكقول المتنبىء :

أنـا فـى أمـة تداركهـا الله   غـريب كصالـح فـى ثمـود

ونحوه من أشعار المتعجرفين فى القول المتساهلين فى الكلام كقول المعرى :

كنت مـوسى وافتـه بنت شعيب   غـير ان ليس فيكمـا من فقـير

على أن آخر البيت شديد عند تدبره داخل فى باب الازراء والتحقير بالنبىء صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله :

لـولا انقطاع الوحـى بعـد محمد   قلنـا محمـد من أبيـه بديـل

هـو مثلـه فـى الفضل الا أنـه   لـم يأتـه برسالـة جبريـل

فصدر البيت الثانـى شديد لتشبيهه غير النبىء صلى الله عليه وسلم فى فضله بالنبىء صلى الله عليه وسلم والعجـز محتمل لوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذا أشد وقول الآخر :

واذا مـــا رفعت رايتــه حققت بـين جناحـى ( )

وقول الآخر من أهل العصر :

فـر من الخلـد واستجار بنـا فصبر الله قلـب رضــوان

وكقول حسان المصيصى من شعراء الاندلس فى محمد بن عبـاد المعروف بالمعتمد وفى وزيره ابى بكر بن زيدون :

كـان ابـا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وأنت محمـــد

الى أمثال هذا وانما كثرنا شاهدها مع استثقالنا حكاية بالتعرف بها أمثلتها

ورقــة 144 وجــه

ولتساهل كثير من الناس فى ولوج هذا الباب الضنك وقلة عملهم بعظم وزره ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانىء الاندلسى وابن سليمان المعرى فحق قائل هذا ان درىء عنه القتل الأدب والسجن ورأى قوم تعزيره بحسب مقالته وما لون عادته لمثله ، او تدوره او قرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا وقد انكر الرشيد على ابى النواس قوله :

فان يك باقى سحر فرعون فيكـم فــان عصى موسى بكـف خصيب

فقال يابن اللخناء أنت المستهزىء بعصى موسى ، وأمر باخراجه من عسكره ، من ليلته وذكر القتبى ان مما انكر عليه ايضا وكفر به او قارب قوله فى محمد الأمين وشبيهه اياه بالنبىء صلى الله عليه وسلم :

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقـا وخلقـا كما قـد الشراكان

وقد انكروا عليه ايضا قوله فى ممدوحه :

كيف لا يدنيـك من أمـــل من رســول الله مــن نفـــره

لأن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى تعظيمه ان يضاف اليه ولا يضاف هو صلى الله عليه وسلم ايضا على من قـال لرجل قبيح الوجه كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان . اذا كان على وجه الذم للمرئى اما لو قصد ذم الملك قتل وخطأوا من قيل له أنت امى فقال كان النبىء صلى الله عليه وسلم اميا ، بجهالته باحتجاجه بصفة النبىء صلى الله عليه وسلم الذى كانت له آية وهى فى حق هذا نقيصة ولكنه اذا استغفر وتاب وندم ترك ومن قال جميع البشر يلحقهم النقص حتى النبىء صلى الله عليه وسلم يؤدب وأفتى بعضهم بقتله . فأما من قال شيئا فى ذلك على سبيل الحكاية عن غيره على وجـه الانكار عليه والشهادة فيحمد فاعله فاما الاباحة لحكاية قوله بغير هذين المقصدين قال القاضى فلا أرى لهـا مدخلا فى الباب فليس التفكه بعرض النبىء صلى الله عليه وسلم والتمصمص بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير عرض شرعى بمبـاح وبعضه اشد فى المنع من بعض وبحسب القصد (.) وعادته

قلت وحكاية أقوال أهل الاتحاد كابن عربي وابن الفارض لا تحل لغير هذين المقصدين فاعلم ذلك والله اعلم . وقد يقدم ان شعر أهل الاتحاد كفر قال القاضي وأ (فتى) السلف والخلف من ايمة الهدى على حكايات مقالة الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوها وان كان احمد ابن حنبل رضى الله عنه أنكر بعض هذا على الحارث بن اسد المحاسبي فق (د) صنع احمد مثله في رده على الجهمية القائلين بالمخلوق قال ابو عبيد القسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجى به النبيء صلى الله عليه وسلم فهو كفر ونقل بعضهم اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبيء صلى الله عليه وسلم . وكتابته وقراءته وتحريم تركه متى وجد دون محو قال القاضي

ورقة 144 ظهر

رحم الله اسلافنا المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء يسيرة ذكروها على نحو الوجه الاول ليروا نقمة الله من قائلها . وهذا ابو العبيد القاسم بن سلام قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبر الدينة وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم . قال القاضي رحمه الله وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه ومثل بعض الاشياء ببعض ما عظم الله وملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف . ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقيص لربه تعالى كقول القائل عند المطر بدأ الخراز يرش جلوده فافتى ابن حبيب وغيره بقتله فقتل وصلب وأما من صدرت منه الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم تكن تنقصاوازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وحال قائلها وما ورد في هذا من أهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا . قد كنت تسقينا فما بدا لك . انزل علينا الغيث لا أبالك . في اشباه هذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب الشريعة والعلم يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وكقول القائل من قريش حين هدموا الكعبة في الجاهلية ليبك ( ) على أ (ـ اس ابراهيم فخرجت حية عظيمة فحملت عليهم فارتدعوا فقال شيخ منهم اللهم لم ترع ما أردنا الا تشييد بيتك وتشريفه وقول بعض الزهاد نعم المرء ربنا لو أطعناه لم يعصنا فكل هذا ونظائره تهور من القول والله سبحانه متعال عن هذه النعوت . قال الخطابي ومما يسمع على السنة العامة وكثير من القصاص قولهم يا سبحان

يا برهان يا غفران يا سلطان وان كان بعضها يتوجه فى اللغة باضمار النسبة بــذا فهو مستهجن مهجور ويغلط كثير منهم فى مثل قوله يا رب طه ويش

ورقــة 145 وجــه

ويا رب القرآن العظيم من أنكر ذلك ابن عباس رضى الله عنهما سمع رجلا عند الكعبة يقول يا رب القرآن العظيم فقال مه ان القرآن لا رب له ان كل مربوب مخلوق وفى رواية أنه قال ثكلتك أمك ان القرآن منه ان القرآن منه ان القرآن منه قال الخطابى وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه ان يذكر اسمه فى كل شىء حتى يقول أخزى الله الكلب . وفعل به كذا وكان بعض مشائخنا قال ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعة او قربة وكان يقول للانسان اذا جزاه جزيت وقل مـا يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى قال القاضى وكان الامام ابو بكر الشاشى رحمه الله يعيب على أهل الكلام كثرة الخوض فى البارى تبارك وتعالى وفى صفاته اجلالا لاسمه ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وحكم من سب سائر الأنبياء والملائكة او استخف بهم او كذبهم فيما أتوا به او أنكرهم او جحدهم حكم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض رحمه الله هذا فيمن تكلم على جملة الملائكة والنبيئين او على معين منهم ممن حققنا كونه منهم بنص القرآن او الخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه او الاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش وعزرائيل واسرافيل . ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهمـا بخلاف من لم يثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونــه من الملائكة والأنبياء . كهروت وماروت والخضر ولقمان وذى القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان الذى ذكر أنه نبى أهل الرش وزرادشت الذى يدعى المجوس المؤرخون أنه نبىء فليس الحكم فى شانهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه ولكن يزجر متنقصهم ويؤدب بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم فى ذلك من أهل العلم فلا حرج عليه لاختلاف العلماء فى ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض فى ذلك فان عــاد ادب (وقال) السلف : الكلام فى مثل مما ليس تحته عمل لأهل العلم . فكيف للعوام قلت كان الاولى ان لا يجعل الخضر من هــذه الجهلة فان أكثر المفسرين المحققين على انه نبىء كما تقدم ولكن القاضى لم يرد ترجيح عــدم نبوته بل ساق الكلام لنفى التكفير لمن أنكر نبوة هؤلاء او واحد منهم فتأمله . وقال القاضى ايضا اعلم أن من استخف بالقرآن او بالمصحف او بشىء منهما او شبههما او كذب به او جحد ، او حرفا منه او اية ، او كذب بشىء مما صرح به فيه من خبر او حكـم او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته علـم منه بذلك او

ورقــة 145 ظهــر

شك فى شى من ذلك . فهو كافر عنداهل العلم باجماع . روى ابو داود باسناده

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المراء فى القرآن كفر قال القاضى تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال يعنى الجدال المشكك فيه وقيل هو الجدال الذى يفعله أهل الاهواء فى آيات القدر ونحوها قـال وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بهـا . او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد أجمع المسلمون ان القرآن المتلو فى جميع أقطار الارض المكتوب فى الصحف التى بأيدى المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل أعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذى وقع الاجماع عليه ، واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك رضى الله عنه قتل من سب عائشة رضى الله عنها بالفرية لأنه كذب بما فى القرآن وقال ابن القاسم : من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما يقتل وقال عبد الرحمن بن مهدى وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله نضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحـد بحرف من التنزيل كفـر وكـان ابو العالية اذا قرأ عند رجل لم يقل له ليس كما قرأت بل يقول اما انا فاقرأ كذا قال ابراهيم أراه سمع ان من كفر بحرف منه فقد كفر به كله قال عبد الله بن مسعود من كفر بئاية من القرآن ، فقد كفر به كله وقال ابو الحسن القابسى وفيمن خاصم يهوديا فحلف اليهودى بالتوراة فقال لعن الله التوراة • فشهد عليه بذلك شاهد ، فقال الآخر : انما . . . لعنت توراة اليهود • فقـال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتـل • والآخر علق الامـر على صفة تحتمل التأويل ولعله لا يـرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفـق شاهدان على أنـه لعن التوراة مجردا لضاق التأويل . قال القاضى وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرىء احد ائمة المقرئين المتصوفين بها مع ابن مجاهـد لقراءته واقرائـه بشواذ من الحروف ما ليس فى المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيـه على نفسه بذلك فى مجلس الوزير ابى على بن مقلة سنة ثلاث

ورقـة 146 وجـه

وعشرين وثلاثمائة وأفتى ابو محمد ابن ابى زيـد بالادب فيمن قال لصبى : لعن الله معلمك وما علمك وقال أردت سوء الادب ولم أرد القرآن انتهى حاصل ما نقله القاضى عياض فى ذلك وقوله أن القرآن المتلو المكتوب فى المصحف مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل أعوذ برب الناس فيه اشارة الى مسألة نفيسة وهى أن البسملة اول السورة لا تدخل فى هذا الحكم بل لها حكم مستقل لاختلاف العلماء فيها اول السور فابن كثير وقالون وعاصم والكسائى يبسملون بين كل سورتين فى جميع القرآن ما خلا الانفال

وبراءة فلا خلاف فى ترك البسملة بينهما والباقون لا يبسملون بين السور ولا خلاف عند القرافى فى البسملة فى اول الفاتحة ذكر ذلك ابو عثمان الدانى فى التيسير قال الشيخ محيى الدين النووى فى أصل الروضة فرع بسم الله الرحمن الرحيم آية كاملة من اول الفاتحة بلا خلاف عندنا وأما باقى السور سوى براءة فالمذهب أنها آية كاملة من كل سورة ايضا وفى قول بعض آية كاملة من كل سورة ايضا وفى قول بعض آية وفى قول ليست بقرآن فى أوائلها انتهى . وقال فى كتاب التبيان فى آداب القـراء أكثر العلماء قالوا انها آية من كل سورة سوى براءة حيث كتبت فى المصحف فاذا أخل بهـا كان تاركا لبعض القرآن عند الاكثرين انتهى . وقال فى شرح المهذب البسملة هـل هى اول الفاتحة وغيرها قرآن على سبيل القطع كسائر القرآن ام على سبيل الحكم لاختلاف العلماء فيها فيه وجهان لاصحابنا ومعنى الاول منهما أنه لا تصح الصلاة الا بقراءتها فى اول الفاتحة ولا يكون قارئا لسورة غيرها بكمالها الا اذا ابتدأها بالبسملة والصحيح أنها على سبيل الحكم اذ لا خلاف بين المسلمين ان نافيها لا يكفر ولو كانت قرآنـا قطعا لكفر كمن نفى غيرها فعلى هذا يقبل فى اثباتها خبر الواحد كسائر الاحكام واذا قلنا هى قرآن على سبيل القطع لم يقبل فى اثباتها خبر الواحد كسائر القرآن وانما يقبل بالنقل المتواتر عن الصحابة فى اثباتها فى المصحف كما سيأتى تحريره فى فرع مذاهب العلمـاء فيه وضعف أمام الحرمين وغيره وجـه القطع ، حيث لا قاطع وقال صاحب الحاوى قال جمهور أصحابنا هى آية حكما لا قطعا قال النووى فى فرع مذاهبهم فيها أنهـا مسألة عظيمة قد صنف فيها جماعة من الأئمـة وأحسن مصنفاتهم تصنيف الشيخ ابى محمد عبد الرحمن المقدسى ثم قال واجمعت الامة على أنه لا يكفر من اثبتها ولا من نفاها لاختلاف العلماء فيها بخلاف من نفى حرفا مجمعا عليه او أثبت ما لم يقل به أحد فانه يكفر بالاجماع وهذا فى البسملة التى فى أوائل السور سوى براءة وأما البسملة

ورقـة 146 ظهـر

التى فى سورة النمل : انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم (1) . فقرآن بالاجماع فمن جحد منهـا حرفـا كفر بالاجماع هـذا لفظه وحاصل كلامه ان باسم الله الرحمن الرحيم من كلام الله قطعا وانها من القرآن قطعا وهل هى فى أول الفاتحة او غيرها على سبيل القطع او على سبيل الحكم فيـه الوجهان فافهم ذلـك واحذر من اطلاق من أطلق ان منكرها لا يكفر من ايهـام من اطلق انها ليست من القرآن بالكلية ولنعد الى كلام القاضى عياض قـال رحمه الله تعالى وسب النبىء صلى الله عليه وسلـم واهـل بيتـه وأزواجه وأصحابه رضى الله عنهم وتنقصهم حـرام ملعون فاعله . قـال مالك رضى الله عنه من شتم أحدا من أصحاب النبىء صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن العاص فـان قـال

(1) النمل ـ 27 ـ 30

كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هـذا من مشاتمة الناس نكل تكالا شديدا وأفتى ابو المطرف الشعبى فقيه مالقة فيمن أنكر تحليف امرأة بالليل وقـال لو كانت بنت ابى بكر الصديق مـا حلفت الا بالنهار فأوجب عليه الضرب والسجن فهذه قواعد كليات وفروع جزئيات من نصوص العلماء فيما تقتضى التكفير قطعا او على خلاف يوجد منهـا حكم غالب الحوادث نصا او قياسا وبالله التوفيق وعلى الجملة فليتق المسلم من عثرات اللسان وخطرات الجنان .

وهذه أبيات حسنة رائعة لصاحب الجواهر المنظومة فى العقائد فيما يوجب التكفير من مقالات أهل البدع والضلال ، ومن ظواهر أقوال الجهال ، فقال على اختياره :

وعـد مـن فـرق الأنـام	من مدعـى التوحيـد والاسلام
يبـدون ديـن الحـق بالمقـال	ويضمرون الكفـر فى جـدال
ومنهـم من لا يـرى للبـارى	ارادة فـى خلـق شىء طـارى
فقيـه جعـل الله ذى الجـلال	كالعاجز المضطر فـى الافعـال
وبعضهم قالـوا الاله لا يـرى	ولا يرى مـا فى العلى الى الثرى
وفيـه وصف عـالم الغيـوب	باشنـع الافـات والعيـوب
وبعضهـم يشبـه الله الصمـد	بجوهـر الفـرد وهيئة الجسد
وفيهـا وصف الـرب بالنقصان	والنقص من لـوازم الاكـوان
فـان روى المشبهـى الابلـه	من كلمـات ظهرهـا مشتبـه

ورقـة 147 وجـه

فانهـا أمثلـة تتجـه	الى معـان ليس فيهـا شبـه
وبعضهـم يقـول كـل عبـد	مختـرع لفعلـه بالجهـد
وقـال بعض كل عبـد خالـق	لفعلـه لمـا يريـد سائـق
فقـد رأى لله فـى الابـداع	معـادلا قـد قـام للنـزاع
فانـه فـى زمـر المجوس	برأيـه المضلـل المعكـوس
ومـن رأى لقـاءه بالأعـين	ممتنعـا فهـو عـدو السنـن
ومن رأى قـول الكليم أرنـى	من المحـال فهـو غـير مـؤمن
ولـو تمـارى فى ثبوت وعـده	فانـه مبتـدع فـى عقـده
ومـن صفـات الله او اسمائـه	مـا يلـزم النقصان بامضايـه
فنفيـه أشنـع طعـن فيـه	وشـر كفـر وهـوى يرديـه
ومـن رأى أن ذنـوب المسلم	ليست تضر فهـو أهـل النقـم
ومن رأى خلـود عبـد يـذنب	فى النـار فهو الخالـد المعذب
وعـده من هـذر المقـال	تجـرى عـلى ألسنـة الجهـال
من قالهـا عمـدا بـلا احتفـال	يلـزم حكـم الكفـر والضـلال
ضمنـه مـا يشعـر باحتقـار	للـدين او حكـم عـلى الجبـار

او ارتيـاب فـى فروض راتبـه او ازدراء بحقـــوق واجبـــه
او حب مـا يبغضـه المعبـود او بغض مـــا يحبـــه الـودود
او يقتضى اليـأس عن الثـواب او يـوجب الامـن من العقـاب
او فيــه وصف الله بالمحـــال او جحـد مـا لـه من الجـلال
او اعتقـــاد قـــدم الزمـــان والـروح والانحـلال والاكـوان
او فيـه تحقير النبـىء الطاهـر او فيـه تـوقير الغـوى الكافر
فهـــذه الأقـــوال موجبـــات حكـم الهـوى والكفـر موبقات
فليتـق المسلـم فـى كلامـه ما يخـرج المؤمن عن اسلامه
وهـــذه المعـــارف الشريفـــة فـى ضمنهـا مواعـظ لطيفـة
هديـة منـــى لكـل مسلـم ليهتـدى بضوتهـا فـى الظلم
وليقتبس فـرائـــد الفـوائـــد منهـن فـى الطاعات والعقائـد
وليـــدع رب الخلـــق والارواح لناظـــم الابيـــات بالفـــلاح

ورقـة 147 ظهـر

انتهى المقصود من كلامه وهو مشتمل على قسمين الاول المقالات التى تقتضى الكفر والثانى الاقوال التى تقتضيه الاول من طغيان القلم والثانى من طغيان اللسان ونسأل الله العصمة منهمـا وأشار بقوله وهـذه المعارف الشريفة الى المنظومة كلها وهى أجمع منظومة فى العقائد فيما علمت وهى طويلة تزيد على الف بيت اشتملت على قواعد كثيرة ولها شروح مبسوطة ونحوها فى الحسن والفوائد رسالة التنبيه والارشاد منظومة فى علم الاعتقاد ليوسف ابن موسى المغربى والف بيت وثلث الالف . واعلم أنه قد حصل الاغترار بهذه الطائفة من المتصوفة وبغيرهم من المبتدعة وسبب الاغترار كون الشخص يظهر عليه بعض الخصال المحمودة من علم او عبادة او زهادة او شرف نسب او وجاهة او ثروة مع كونه مصمما على بدعة او معصية او جهل ولـه أصحاب واتباع يكثرون سواده ويحسنون الثناء عليه فيغتر به من لا يعرف حاله من الاغبياء والعوام وينتشى الثناء عليه مع أنه محروج على التحقيق ولكن لا يعرف حرجه الا العلماء المحققون امـا بمشاهدة حالـه أو بسماع كلامه من لفظـه او من تصنيفه كابن عربى شيخ الملحدين وابن الفارض وغيرهما من المبتدعة المصنفين فى الاصول وغيرها كعمرو بن عبيد المعتزلى والجاحظ المعتزلى وعبيد الله بن الحسن العنبرى ومحمد بن كـرام شيـخ الطائفـة الكرامية الحشوية المشبهة المجسمة وغيرهم من أئمـة المبتدعة وكابن سينا والفارابى اللذين نص الغزالى على تكفيرهما فى كتابه المنقذ من الضلال وقال ابن الصلاح فى ابن سينا لم يكن من علماء المسلمين . بل كان شيطانا من شياطين الانس وكان متحيرا فى أمـره وعقيدته وكيعقوب بن اسحاق الكندى وحنين ابن اسحاق وثابت بن قرة الحرانى ، وكمحمد بن الهيثم ٠ وامثاله من المجسمة المصنفين فى الفن وغيرهم من علماء السوء وصوفية السوء فالواجب على العاقل ان لا يعتقد من الماضين الا من اشتهر فضله وكونه من أهل السنة ولا يعتقد من الموجودين الا من تحققت

ديانته وامانته على اختلاف حالته مع صحة اقتدائه بالسلف الصالحين وكذلك ينبغى ان لا يعتمد من التصانيف الا ما اشتهر فضل مصنفه وشهد أهل العلم بكمال معرفته وتحقيقه والا فكم من مصنف لا يعتمد تصنيفه ككثير من المتساهلين فى الفقه والرقائق والاحاديث الضعيفة والموضوعة وينبغى ان يعرف طالب العلم عقائد المصنفين فيعتمد أهل السنة ويحذر أهل البدعة فكم للفلاسفة والملاحدة من

ورقة 148 وجه

تصانيف موسومة باسم التوحيد مملوة من الشرك والنفاق وكم للمبتدعة من المعتزلة والحشوية من تصانيف موسومة باسم السنة أو نحو ذلك وكلها محرمة الامساك ولا يحل النظر فيها لئلا ينسب ممسكها الى البدعة ولهذا ما أمسكها المتقدمون كما نقله بن عساكر فى كتاب تبيين كذب المفترى وقد تقدم نقله عنه فى البـاب الثانى ولم أر كالاغترار بصوفية السوء كابن عربى وابن الفارض وامثالهما لأنهما انتسبا الى طائفـة معتقدة وغالب الصوفية أميون لا يميزون العقائد المرضية من المذمومة ويحسنون الظن بمن اعترى الى الصوفية فينعقون بفضله ويشهرون محاسن كلامه فيغتر السامع بذلـك ويستغرب الكلام فى جرحهم مع كثرة معتقديهم وذلك من ضعف التمييز وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله عنـه لا يستوحش طرق الهدى السالكين ، وايـاك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين والله تعالى يقول : ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وان قطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون .

ومن اغتر بابن عربى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الشاذلى فذكره فى ثلاثة مواضع فى كتابه لطائف المنن بالثناء عليه .

الموضع الاول منهـا فى عرض حكاية والثانى حكاية عنـه فى اجتماعه بابى العباس الخضر والثالث حكاية عنه ادعى فيها سماع كلام أنـا من آنية طعام اجتمعوا عليه وظاهر الحكاية يشعر بالكذب والاختلاق كما هو عادتـه وكذلك اجتماعه بالخضر لا يعتمد على صدقه فيه وكذلك كل ما يدعيه فى كتبه او يحكيه اصحابه عنه وعن امثاله من التجليات وخوارق العادات فهى اما كذب من اصلها او استدراج فانهم تعارتهم الشياطين وتنزل عليهم وتظهر لهم خيالات انـوار وحضرات شيطانية وشرح حقيقة ذلك مبسوط فى كتب الايمة ، ككتاب تلبيس ابليس لابن الجوزى وكتاب قاعدة الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان لأبى العباس بن تيمية جزاهم الله خيرا . وممن اغتر بابن عربى صفى الدين ابن ابى المنصور فذكره فى مشيخته واثنى عليه بالعلم وكثرة التصانيف وانه من اكبر علماء الطريق وانه غلب عليه علم التوحيد علما وخلقا وحالا لا يكترث بمن كان مقبلا او معرضا وانه له اتباعا علماء او (   ) مواجيد وتصانيف .

هذا حاصل كلام صفى الدين وهو غير مرجوع اليه فى نقد الرجال بل يجرى على منهاج الصوفية فى تحسين الظن ومن شواهد ذلك انـه اثنى عليه بكثرة

تصانيفه وهي تغضي الطعن فيه لانها غير ملتقاة بالقبول عند العلماء فأي فضيلة
ورقــة 148 ظهــر

في تصانيف يردها العلماء حشوها الفلسفة والكفر وما مواجيد اتباعه المنتحلين لذلك • وايضا فانه اثنى عليه بانه غلب عليه علم التوحيد، ومن غلب عليه التوحيد واسقط احكام العبودية تزندق كما تقدم عند القرميسيني وغيره ، والصوفية المحققين والعلماء الراسخين نعوذ بالله من الضلال وكذلك ثناء الشيخ نجم الدين الاصبهاني المجاور بمكة عليه وكذلك ثناء الشيخ اليافعي عليه وعلى ابن الفارض مـع ان اليافعي كان من رؤوس العلماء العاملين ذوى الغلظة على المبتدعين وصنف في الرد على الفرق كلها كتابه المرهم فشفا وكفا وقد تقـدم عند تكفير الحلولية والاتحادية وغيرهم وان تمسكوا بظاهر الاسلام فجزاه الله خيرا الا انه لم يطالع كتبه ولم يقابل كلامه ولا كلام ابن الفارض ولا كلام الطاعنين من العلماء فيها وكـان يغلب عليـه حسن الظن بمن انتهى الى الصوفية فتراه يلتمس لهم المعاذير والمخارج ولو على بعد وهذا انما يصلح لمن عرف منه صحة العقيدة اما من عرف بخبث العقيدة والبدعة كابن عربي وامثاله فلا يجوز تحسين الظن به وقول من يحتج له بأن هؤلاء الذين اعتقدوه ينظرون بنور الله فلا يخفى عليهم حاله لو كان زنديقا جهل من قابله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقوى نـورا واوجب عصمة وقد خفى عليه نفاق المنافقين حتى ينزل الوحي قال الله تعالى وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهـل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحـن نعلمهم (1) . فكيف لا يخفا حال هذا الرجل على هؤلاء وقد انقطع الوحي .

فمما حكاه اليافعي عنه في الارشاد انه اجتمع الشيخ الامام شهاب الدين السهروردي بابن عربي فاطرق كل منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام . فقيل للسهروردي مـا تقول في ابن عربي فقال بحـر الحقائق . اتممت الحكاية باختصار . قال اليافعي وبلغني ان بعض الشيوخ الكبار العارفين كان يقرى أصحابه كتب ابن عربي ويشرحها لهم فلما حضرته الوفاة نهاهم عن مطالعة كتبه وقال لهم انتم ما تفهمون معاني كلامه . قال اليافعي وبلغني ان الشيخ الامـام عز الدين ابن عبد السلام كـان يقول ابن عربي زنديق وان بعض أصحابه قال له يوما أريد ان يريني وليا من أولياء الله او قال القطب فأشار له ابن عربي فقيل لـه أنت تطعن عليه فقال أصون ظاهر الشريعة او كما
ورقــة 149 وجـه

قال . قال اليافعي أخبرني بذلك غير واحد من أهل الفضل والدين من أهل الشام ومصر انتهى باختصار مـع المحافظة على المقصود . قلت وهـو كلام فارغ هباء اذ لا اسناد فيه يوثق به بل الحكاية عن السهروردي حكاية مجهول عن مجهول ولو صحت لم يفـد ثناؤه عليه عدالته مـع ثبوت جرحه والجرح المفسر مقدم على التعديـل بظاهر الحـال وبعد معرفة كلامه ومذهبه لا يبقى

(1) 9 التوبة ـ 101

للثناء وجه غير الوهم واما اقراء بعض الشيوخ كتبه فالظاهر انه قبل العلم بحاله وكم اقمنا زمنا نطالع كتبه ونستحسن منها الحسن ، حتى ظهر لنا انه وضع السم في العسل ويحتمل ان ذلك الشيخ كان يأخذ من كلامه ما طاب ويترك الخبيث ان كان محققا ويكن بعد المحقق ان يعجبه كلامه وهو يستغني بالكتب المقبولة عن كتبه ثم ان الشيخ المذكور تداركه الله بالتوبة عند موته فنهى أصحابه عن مطالعة كتبه

واما الحكاية عن الشيخ عز الدين فالمشهور منها أولهـا وهو أنـه زنديق وهو الموافق لما تقدم نقله عنه برواية العلماء المحققين وأما الزيادة المذكورة عن بعض أهل الفضل فكذب بلا شك لانها تخالف روايـة الثقات بالسند المتصل كما تقدم فتكون شاذة منكرة وايضا رواها مجهول لا يعرف فيجب ردهـا على شرط أهـل الرواية ولأن فيهـا تناقض لا يليق بصدق الشيخ عز الدين واخلاصه . والظاهر انها زيادة مكذوبة من بعض اتباع ابن عربي فلذ الله من عدادهم ثم قال اليافعي في الارشاد بعد نقله ما سبق ذكره وقد مدحه وعظمه طائفة من مشائخ الطريقة وطعن فيـه طائفة لا سيما الفقهـاء وتوقف فيه طائفة قال وليس الطاعن فيه باعلم من الخضر اذ هو احد شيوخه وله بـه اجتماع كثير . انتهى . فقلت غفر الله لليافعي غلطه في الثناء عليه واثبات اجتماع (الخضر) به وانه شيخه فمن اين وجد اليافعي هذا وبأى اسناد صح له هذا هل اعتمد في ذلك الا على دعاويه في كتبه ودعوى اتباعه الفجرة . والعجب من اليافعي وامثاله حيث يبلغه طعن العلماء فيه بالفتاوى ثم يجزم بفضله وصدقه برواية سقيمة لجهالة مـا قبلها او انقطاع سندها ولكنه ذهب في ذلك مذهب الفقراء الضعفاء ولو ذهب مذهب العلماء لقال هذا الطعن بالفتاوى مما لا يقدم عليه العالم هجوما من غير تحقيق فلا بد من

ورقـة 149 ظهـر

مراجعة كتبه واستقراء مقالاته لتحقيق حاله فلو تتبع ذلك وجد ما يغنيه عن تقليد ما أثنى عليه ومن طعن فيه فبعد مطالعة كلامه ومعرفته وتصفحه وتقليبه ظهر البطن لا يمترى العالم في تكفيره وانه من شرار الملحدين وأكفر الكافرين وان كلٌ من اثنى عليه اما غالط جاهل بكلامه واما مارق قد أشرب حبه ومذهبه نعوذ بالله من الزيغ . ولا تستبعدن غلط هؤلاء الجماعة المذكورين في الثناء عليه لعدم أطلاعهم على كتبه . وأعط العلم حقه والتزم حرمة الشريعة فهي الشاهد المقبول وقد قال القشيري رضي الله عنه لا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشائخ العصمة بل ينبغي ان يحسن الظن بهم ويراعى مع الله حده فيمـا يتوجه عليه من الامر والعلم كافية في التفرقة بين ما هو محمود وبين ما هو معلول انتهى وبالله التوفيق ونسأله العصمة برحمته والأمـر بحسن الظن والتأويل انما هو فيمن عرف منه صحة العقيدة لا سيما من عموم الصوفية

فيغتفر لهم لما يقع فى كلامهم من بعض الخطا لعدم ممارستهم للعلم وعدم تعلمهم طريق التعبير عن المعانى بالعبارات الصحيحة وبالله التوفيق وقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام أهل المكاشفات يصيبون ويخطئون وقــال الشيخ ابو الحسن الشاذلى ضمن الله العصمة فى جانب الكتاب والسنة ولم يضمنها فى ضمن الكشف والالهام وقال الشيخ شهاب الدين السهروردى . التوقف فى الخواطر انمــا يكون اذا لم يتبين له الخاطر بظاهر السلم لأن الافتقار الى باطن العلم انما يكون عند فقد الدليل فى العلم . ذكره فى العوارف وقد تقدم كلام السبكى والتفتزانى فى العقائد بنحو هــذا وزيادة مفيدة فراجع ذلك الكلام وبالله التوفيق وقد نقل اليافعى فى مختصر تاريخ الذهبى وابن خلكان اختلاف الناس فيه على ثلاث فرق . ثم توقف فيه فقال فى ترجمته نقلا عن الذهبى فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة ما لفظه وفيها توفى المحى بن عربى ابو عبيد الله محمد بن على الطائى الحاتمى المرسى الصوفى نزيل دمشق صاحب التصانيف عمدة القائلين بوحدة الوجود . ولد سنة ستين وخمسمائة روى عن ابن بشكوال وطائفة وتنقل فى البلاد وسكن الروم مدة واتهم بأمر عظيم . هذه ترجمة الذهبى فيما نقله اليافعى ولعله تعلم مذاهب النصارى فى مدة اقامته فى الروم قــال اليافعى وفى كلام الذهبى اشارة الى طعــن كثير من الفقهاء فيه وبضد ذلك مدح طائفة من الصوفية قليل من الفقهاء له وتوقفت فيه طائفة قال اليافعى واكثر ما يطعن عليه بسبب كتابه الفصوص كذا قال

ورقــة 150 وجــه

ولم يعلم ما فى الفتوحات وغيرها قــال بلغنى أن الامام العلامة شمس الدين ابن الزملكانى شرح الفصوص ووجهه توجيها نفى عنه ما يظن به من المحذور ثم قال اليافعى وأخبرنى بعض العلماء الصالحين ممن له ذوق وفهم ان كلام بن عربى له تأويل بعيد قال اليافعى وكل من اختلف فى تكفيره فمذهبى فيه التوقف ويوكل أمره الى الله تعالى . هذا حاصل كلام اليافعى فى التاريخ قلت وذكر نحوه فى روض الرياحين وزاد فقال ولا أرى بمطالعة كلامه لا سيما لمن ليس له تحقيق لقواعد الشرع انتهى . وهذا كما قال ابن القسطلانى فيما ورد من الصفات تعلق قوم باختيار الجهل فى ذلك وما ذهب اليه اليافعى من التوقف فهو أحسن رأيه فيه واما ثناؤه عليه فى الارشاد فهو وهم لا شك فيه وكذلك توقفه فيــه عند من تحقق مذهبه وقد شنع شيخنا ابن نور الدين اليمنى الموزعى على اليافعى فى توقفه فيه وسبب توقفه عدم اطلاعه على كتبه واختياره ترك البحث عن حاله ولهذا قال بلغه ان ابن الزملكانى وجهه توجيها نفى عنه المحذور فما توجيه ابن الزملكانى لقوله عابد الصنم ما عبد الا الله فهل يجوز توجيه هذا ونحوه هذا مستحيل فما يشرح كتابه الا من هو على طريقته ولم يصح لى ابن الزملكانى شرح الفصوص فان ابن الزملكانى الذى نعرفه فى التاريخ هو ابو المكارم عبد الواحد بن خطيب زملكا عبد الكريم بن خلف الانصارى الشافعى صاحب علم المعانى والبيان ولى قضاء صرخد ودرس

ببعلبك وله ولد هو ابو الحسن على امام جلى واقر الحرمة ولولده ولد هو كمال الدين محمد بن على المذكور احد شيوخ الذهبي أثنى عليه هو والأسنائي ؟ فى طبقاته كثيرا ولم يذكرا لهم انتماء الى التصوف والا الى طريقة ابن عربي وغالب الظن ان الذى بلغ اليافعى عنه غير صحيح فان الذهبى والأسنائى لم يذكرا له ولا لأبيه ولا لجده تصنيفا فى ذلك ولا انتماء الى علوم اولئك وما عسى ان يقول قائل فى توجيه كلام الفصوص فتأويل الكفر كفر على انى رأيت شرحه لداود القصرى وغيره فما رأيت أحدا منهم يدعى تأويل كلامه بل يصرح بتقريره وتخريجه على قواعده التى أشرنا اليها فيما تقدم من وحدة الوجود وغيرها فقول القائل له تأويل بعيد ترجم بالغيب وكذا احتمال الذهبى أنه أصابه خبل او طرف جنون وكذا قول من يقول دست عليه تلك المقالات واما قولهم وقول من يحتج بقولهم انها حقائق فكذب وتواقع على الشريعة .

ورقة 150 ظهر

وقد نقل الذهبى فى الميزان ان اختلاف الناس فيه على ما حاصله (ثلا)ث طرق ، كما سبق وعرض الكلام فى حاله بعد ان نقل باسناده عن الشيخ عزالدين انه قال فيه أنه شيخ سوء كذاب ثم قال الذهبى ان الذكى اذا تأمل ذلك فهو أحد رجلين اما من الاتحادية واما من المؤمنين بالله الذين يعدون هذه النحلة من اكفر الكفر فوالله لأن يعيش المسلم جاهلا خلف البقر لا يعرف من العلم شيئا سوى سورة يصلى بها الصلوات ويؤمن بالله واليوم الآخر خير له من هذا العرفان وهذه الحقائق ولو قرأ مائة كتاب او عمل مائة خلوة انتهى فجزم فى آخر كلامه بالحق وطرح الخلاف وهو الصواب وقد تقدم نقل شىء من كلام سراجه وتقدم ايضا نقل الجوزى عنه فى جوابه انه يقول فى فتوحاته كلام على ظاهره لا يجوز تأويله او نحو ذلك وقد ظهر أن الفرق التى اختلفت فيه ليس لاختلافها حقيقة فالفرقة المحققة من العلماء المنكرين عليه هم المعتمدون فى ذلك لانهم سمعوا كلامهم وشاهدوه فى كتبهم ومن الكتب توجد مذاهب الناس فقد علم مذهبهم من كتبهم ولذلك وضع العلماء خطوطهم فى فتاويهم وتصانيفهم المحكية فيما سبق وليس كلاما باللسان يدخله التساهل وأما الفرقة المادحة له من الصوفية وقليل من الفقهاء فعوام فى أصول الدين غير عارفين بقبائح العقائد وبدع المبتدعين واما المتوقفون فهم ايضا قاصرون عن شأو التحقيق ولا عبرة بهاتين الطائفتين فالاعتماد على قول الفرقة الاولى والله تعالى ولى الهداية بفضله وقد نبهت على وهم اليافعى وأمثاله فى الثناء عليه وبينت بعض قبائح مذهبه فى اختصارى لتاريخ اليافعى وفى اختصارى لتاريخ الجندى اليمنى بتوفيق الله فانى لم آل جهدا فى استقراء كلامه وكلام اصحابه من كتبهم ومن كتب الائمة فى اصول الدين وفى باب الردة وغيره ومن فتاوى المتقدمين حتى تحققت ضلالهم وتقصير من لم يكفرهم ولله در العلماء المحققين الذين خاضوا غمارات اقواله وأقوال الفرق المبتدعة وطالعوها من كتبه حتى يحققوا حقيقة

منهبه كابن تيمية وتقى الدين السبكى وغيرهم مما تقدم ذكرهم رضى الله عنهم واما اليافعى وامثاله ممن توقف فيه او اثنى عليه فلهم بعض العذر فى توقفهم قبل الوقوف على كلامه وليسوا معذورين من كل وجه فى الثناء عليه مع علمهم بطعن العلماء فيه وتقصيرهم تحقيق منهبه من كتبه وغالب ظنى ان اليافعى

ورقة 151 وجه

لم يقف على الفتاوى فيه بل سمع بطعن جماعة من الفقهاء فيه بالكلام فظن انه كلام يدخله التساهل كتساهل بعض الفقهاء فى الصوفية مطلقا والله اعلم .
واعلم ان جهل المتصوفة فى اعتقادهم لابن عربى ومذهبه جهل مركب من ثلاثة أشياء أحدهاً دعوى العلم مع غلبة الجهل بالجهل أشد من الجهل وفى مثله انشدوا :

جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوى من جنون جنون

والثانى التعصب لمن انتسب الى الصوفية محقا كان او غير محق ، والثالث ضعف اعتقادهم فى علماء الشريعة وذلك من وجهين احدهما اعتقاد مخالفتهم لطريق الصوفية مطلقا او غالبا والثانى اعتقاد قصورهم عن معرفة علوم الصوفية وهم غالطون فى الوجهين معا اما مخالفتهم لطريق الصوفية على الحقيقة هم المتقيدون بالشريعة دائما والمتصوفة المذكورون لا يتقيدون بها على الحقيقة لما قدمنا ذكره عنهم ولأنهم يرون الترسم بالشريعة رتبة العوام والقاصرى الافهام.. ولقد حكى الثقة ان بعض شيوخهم بزبيد دخل عليه القاضى العلامة احمد الناشرى فذاكره الشيخ فى علم طريقتهم فراجعه القاضى ساعة ثم خرج القاضى فقال الشيخ لأصحابه كالمستضعف لعلم القاضى ذاكرناه بعلم الحقائق نريد اخراجه من التقيد الى الاطلاق فأبى الا التقيد او كما قال وبلغنى ان الفقيه الصالح مفتى المسلمين احمد بن ابراهيم ابن مطير بلغته مقالة الشيخ المذكور فقال واين مخرج الناس من التقيد او كما قال اشارة الى الاعتصام بالشريعة وأما غلطهم فى اعتقاد قصور العلماء عن معرفة علوم الصوفية فلأن العلماء عرفوا كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف والخلف من العلماء ولغات العرب واحاجيها والغاز الملغزين ومذاهب الكفرة والملحدين والمبتدعين وغير ذلك فكيف يعزب عليهم معرفة كلام الصوفية نعم معظم الفقهاء لا يشتغلون بدقائقه وغرائبه ومشكلاته اذ لا تدعو اليه ضرورة علم ولا علم مع انه لا يكاد يخلو عصر عن وجود من يعرف ذلك من العلماء وان لم يعرفه الصوفية فالدين محفوظ بعلماء الشريعة وهم ورثة الأنبياء وعلم الشريعة هو العلم الحقيقى الذى درج عليه الأولون وهو الذى يدعو العامل به الى تقوى الله ويمنعه من معاصى الله وهو المرقاة الى مقامات القرب والمعرفة

ورقة 151 ظهر

والوسيلة الى الحضرة المشرفة وقد جاء فى فضله من الآيات والأخبار ما ليس بخاف.وعلم الباطن انما هو من نتائجه فان لم تكن مقدمته علم الظاهر فلا ثقة به ولله در الشيخ ابى عبد الله محمد بن حفيف الشيرازى فى قوله فى مقالته

السابقة لا يغرنكم كلام الصوفية الى آخره وقال الامام الحافظ زين الدين العراقى فى كتابه الباعث على الخلاص من حوادث القصاص ولقد كان من الصوفية من اشتهر بالصلاح والزهد وعرف بالضعف فى رواية الحديث كزيد الرقاشى وزيـاد النميرى وصالح المرى والحارث بن أسد المحاسبى وغيرهم وقد سئل ابو زرعة الرازى عن الحارث المحاسبى وكتبه فقال للسائل اياك وهذه الكتب فانها كتب بدع وضلالات عليك بالأثر تجد فيه ما يغنيك فقيل له فى هذه الكتب عبرة فقال من لم يكن له فى كتاب الله عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة هل بلغكم ان سفيان الثورى ومالكا والأوزاعى صنفوا هـذه الكتب فى الخطرات والوساوس مـا أسرع الناس الى البدع انتهى . قال الذهبى كيف لو رأى ابوزرعة القوت وبهجة الأسرار لابن جهضم وحقائق التفسير للسلمى لطار لبه وكيف لو رأى تصانيف الغزالى فى ذلك وما فى الأحياء من الموضوعات والغنية للشيخ عبد القادر كيف لو رأى الفصوص والفتوحات المكية انتهى . ولضعف كثير من مشائخ الصوفية قل مـا ترى منهم شيخا فى سند حديث صحيح عليه مدار حكم من احكام الشريعة او من اصول الدين وذلك لما رواه مسلم فى مقدمة صحيحه عن يحيى بن سعيد القطان انه قال لم نر أهل الخير وفى رواية لم نر الصالحين فى شيء أكذب منهم فى الحديث قال مسلم يجرى الكذب على ألسنتهم ولا يعتمدون الكذب انتهى . وذلك لأنهم لا يعرفون شروط الرواية وكذا كثير من المتفقهة ولذلك ترك المحدثون المحققون الرواية عنهم قال ابو الزناد ادركت بالمدينة مائة ، كلهم مأمون ، ما يؤخذ عنهم الحديث ، يقال ليس من أهله وصح عن غيره من الأئمة نحوه وقد وقـع الغلط فى كتب الحديث والتفسير والفقه والتصوف وكل فن من الفنون وصنف أهل كل فن فى تمييز صحيحه من سقيمه حتى صنف جماعة على كتاب الاحياء للغزالى منهم القاضى ابو بكر بن العربى وابو عبد الله المازرى وابو بكر الطرطوشى بسبب اكثاره من الحـديث الضعيف والموضوع والآثـار التى تصح عن الصحابة والتابعين وقالوا فيما أورده من كلام الأولياء رضى الله عنهم انه مزج النافع بالضار لما

ورقـة 152 وجـه

حكاه عن بعضهم من اطلاقات لا يجوز اطلاقها لبشاعتها عند أهل الدين وحط عليه ايضا ابو الفرج بن الجوزى وابو جعفر الحنفى فى عشر مجلدات ومما ينهى عنه من كتب الصوفية كتب لحلاج ايضا منها كتاب المعارف والربانية والحكم الالهية من كلامه وكذا كل ما عرف مصنفه ببدعة وما لم يكن مصنفه مشهورا بالعلم والسنة وبالغ بعض الصوفية فى نقل مقالات عن شيوخ أمين لا يصح لها اسناد بل تلقوها عن أفواه بعضهم واختلفت عباراتهم فيها وربما جمعوها وجعلوها فى صورة التئاليف كالكتاب المنسوب الى الشيخ الصالح ابى الغيث ابن جميل رضى الله عنه ولا يصح عنه بل هو موضوع عليه وفيه ما هو بصيغة قال رضى الله عنه وقد تقدم ذكر المتهم بادخالها على الشيخ وفيهـا كثير مما يشبه مقالات ابن عربى وأصحابه من الاتحاد وجحد اكساب العباد من الطاعة

والمعصية وجحد الخلق والاسلام والكفر احالة على القدر وذهابا الى الجبر والاتحاد وغير ذلك مما يعرف بالتتبع وهو كثير الاختلاف فى نسجه وقد تزايد خلله بتعاطى من لا يميز من المتصوفة وتأويل تلك المقالات يفتح باب الالحاد فليحذر العالم المتمسك بالسنة من ذلك نسأل الله العافية فمما وقع فيه من المحذورات قوله فى أوله فى ظهور طائر الفقر انه ينعق بلسان الازل ويرفل فى حلل الاحدية وذلك مما لا يجوز ان يتصف به الفقر الا على منهبهم الفاسد ، فى قولهم بقدم الفقر واجزاء العالم وتجويز الاتصاف بصفات الحق تعالى الله عن قولهم وقوله ان المريد تظهر له علوم أزلية لا يعرف العالم بها ان الله تعالى يعصى او يتعدى أحد مراد ، وقوله نيلا برز من ذلك الجلال ذره فلا يبقى أحد من الثقلين ولا من سواهما يعرف الله طاعة ولا عصيانا الا ما يشبه هذه المقالات فهذا من كلام الجبرية الملاحدة المتصوفة المعطلين للامر والنهى واكساب العباد أبرزوه فى قالب الحقيقة وهيئة المكاشفة بعين الجمع ليغروا به الضعفاء فان المكاشفة بعين الجمع لا بد فى صحتها من شهود الفرق وهو اثبات الاحكام الشرعية من الامـر والنهى والطاعة والمعصية كما نبه عليه الأئمة منهم ابو القاسم الجنيد رضى الله عنه ولم يتكلم الأنبياء والعلماء ومحققوا الصوفية فى عين الجمع المحض فمن تكلم فيه غير مراع للشريعة ألحد وتزندق ومن ذلك قوله انما قلت سمع كلام الله بأذن علم يقينه ونظر قدرة الله بعين قلبه وأراد من حيث يريد الله لم

ورقـة 152 ظهـر

يـر قط فى الوجود محقـا ولا مبطلا بحال (   ) ذا طلعت شمس الايمان والمعرفة من كل مكان لم يبق نيل ولا نهار ولا اسلام ولا كفر ولا جنة ولا نار فريدة شمس لم تطلع على الأنبياء ولا على العلماء والصوفية المحققين بل هى شمس ضلالة على الغلاة الملحدين وقوله وقيل ان الكون كله صورة واحدة ظاهرها سريعة وباطنها حقيقة وخونه واعجباه لمن يراه حاضرا ولا يقول هو ذا هو ذا بلا علة وقوله لا شك أن التوفيق شقاء لفتيله ايمان كل مخلوق على قدر علمه بالله ومعرفته سواء كان موافقا للنبىء صلى الله عليه وسلم او مخالفا له يقينا وقوله من عرف الله أنكر وجود الخلق وصار أهل الجنة والنار بأمره لمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقد أولها بعض فقهاء اليمن بتأويل لا يصح وهو أنكار وجود الخلق بمعنى الوحشة منهم او بمعنى انكار الاسباب الموجودة منهم ومصير أهل الجنة والنار بأمره مجاز أى أن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وهذا تأويل من لم يحط علما بما آنتهت اليه مقالاتهم من الاتحاد ومن علم منتهى مقالاتهم لم يجـوز التأويل فان انكار وجود الخلق سفسطة وانما يقـع لأهل المعرفة شهود ان الخلق لا يملكون ضرا ولا نفعا وان الله خالق أكسابهم مـع اعتقاد اثبات احكامها من الثواب والعقاب جمعا بين الشريعة والحقيقة فافهم هذا التحقيق فهو مذهب أهل السنة وهو متوسط بين مذهب الجبرية والقدرية ووقع فى كتاب الشيخ غير هـذا ايضا من ذلك ان قـول لا الاه الا الله لا ينفى شيئا ولا يثبته ووقع فى كتاب الفقيه الصالح محمد بن

بن عمر حشيبير أن النفى والاثبات اى فى قول لا الاه الا الله عندنا فى حقيقة فقرنا ذنب يوجب العقوبة لانا ما وجدنا غيره فى الأزل ، فننفيه ولا فقدناه فى الأبد فنثبته وهذه من أفحش مقالات الملحدين ولا ينبغى ان ينسب الى الفقيه فانه لا تعرف عنه بدعة باعتقاد مذهب فاسد وقد أوضحت فتح هذه المقالة وما قاربها من المقالات فى كتاب التنبيهات وفيه فوائد جمة وفى كتاب الفقيه ايضا مقالات غير مرضية لعله نقلها من كتب الحشوية والملاحدة ولم يسلم ما فيها من محذور منها قوله وعند تجليه يذهب الرسول والمرسل اليه ومنهـا مقالات توهم القول بالاتحاد كقوله فى شعره :

ما كنت أعرف شيئا من معارفه حتى تعرف لى اذ قال أنت أنـا

وقد أصلحهذا البيت بعض ولده فقال اذ أظهر المننا . وما الآخذ من

ورقـة 153 وجـه

هـذه الكتب ونحوها الا كحاطب ليل لا يدرى مـا فى حطبه من الأفاعى والعقارب نسأل الله العصمة والحمد لله الذى لم يخـل الارض من قائم لله بالحجة من العلماء لقول النبىء صلى الله عليه وسلم لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحـق والمراد بهم علماء الشريعة العاملون العارفون فالعلماء ورثـة الأنبيـاء ولا تنقطع ورثتهم وحقيقة الارث انتقال الشىء الى الوارث بالصفة التى كان بها عند الموت فيكون الوارث الكامل الحائز من وجد عنده علم الظاهر والباطن على وفق الظاهر مـع الـورع والخشية وسائر صفات التقوى فصاحب هذه الصفة أحق بمقام القطبية الى بدعتها الصوفية لمن أشهد منهم وان كان اميا وهذه اشارة كافية فى التنويه بمقام العلماء حراس الشريعة والحقيقة على المسلمين وقد تقدم فى عقيدة السهروردى ان العلماء ثلاثة أصناف وهم أصحاب الحديث والفقهاء وعلماء الصوفية فراجعه من موضعه واعلم أن الاصناف الثلاثة قد تجتمع علومهم لواحد . فيكون هو أفضل العلماء والأولياء وان كانوا كلهم مشتركين فى الولاية لقول الامامين الشافعى وابى حنيفة ان لم يكن العلماء العاملون أولياء لله فليس لله ولى فافهم ذلك وفقك الله وايانا .
ولعلك تسال عن الجهل المركب وحده . فاقول لك : الجهل نوعان بسيط ومركب . فالبسيط ما لا تركيب فيه ، وانما هو جزء واحد ، كعدم علمنا . بما تحت الارض وما يكون فى البحار وغير ذلك . والمركب متركب من جزئين احدهمـا عـدم العلم والثانى اعتقـاد غير مطابق كاعتقاد المعتزلة ان الله لا يـرى فى الآخرة واعتقاد الفلاسفة ان الله لا يبعث الاجساد يـوم القيامة وغير ذلك والجهـل البسيط أهون من المركب قال الأمدى فى انكار الافكار أما البسيط فهو عدم العلم مما من شأنه ان يكون عالما لا عدم العلم مطلقا والا لو صفت الجمادات بكونها جاهلة اذ هى غير عالمة وعلى هذا فالجهل بهذا الاعتبار واثبات عدم لا انـه صفات اثبات والفرق ظاهر قال ابن الزركشى وعلى هذا فلا يصح قول من قال :

قـال حمـار الحكيـم تومـا لـو أنصفونـى لكنت أركب
لأن جهـلى جهـل بسيـط وراكبـى جهلـه مـركب

قلت :

وفيه نظر يظهر بالتأمل . ولنذكر ههنا حدا العلم والجهل وما يتصل بهما فالعلم مشتق من العلامة الهادية الى المجهول كالعلم المنصوب على

ورقة 153 ظهر

الطريق فكل علم فهو علامة تدل العالم على ما جهله وأما حد العلم فقد اختلفوا فيه فقال بعضهم لا حد له يوضحه لأنه أوضح الاشياء وأظهرها وشرط المعرف أن يكون أوضح من المعرف فكل شيء حددنا به العلم كان العلم أوضح منه وهذا مذهب الغزالي والامام فخر الدين الرازى ، وجماعة واما الجمهور فحددوه بعبارات واعترض عليها من وجوه ، والذى اختاره بعضهم انه معرفة المعلوم على ما هو به ، وقال الغزالي : العلم عبارة عن أمر جزم لا تردد فيه وقال في موضع آخر العلم عبارة عن آخذ العقل صور المعقولات والعلم صفة قائمة بذات العالم ولها تعلق بالعلوم والثلاثة متلازمة خلافا للمعتزلة القائلين بنفى الصفات فقالوا عالم بالذات وحد الشيء ما دل على ما هيته قال الشيخ ابو النجيب السهروردى : وقد فضل الجمهور من مشائخنا العلم على المعرفة والعقل ولكن لا ينفع العلم الا بالعقل فيه يوجد ثم يصير العلم حاكما على العقل والعقل يميز بين صحيح الامور وفاسدها وواجبها وممكنها ويزن الأشياء بميزان الشرع ثم قيل ان العقل والشرع وضعا معا في حال وقيل العقل هو السابق وهذا أظهر فبالعقل قبل ما جاء عن الأنبياء وجب التكليف قالوا والعقل خادم الشرع وحامله واختلفوا هل يتفاوت العلم فيقال علم اجلى من علم . ام لا ؟ قال ابن التلمسانى وتبعه السبكى : المحققون على انه لا يتفاوت وانما التفاوت بحسب المتعلقات واختاره امام الحرمين والانبارى والاكثرون على التفاوت ونقله امام الحرمين عن ائمتنا ، ومن فوائد الخلاف فى هذه المسالة : ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص ، بناء على ان الايمان من قبيل هذه العلوم لا الاعمال خلافا للمعتزلة . ذكر هذه الفائدة ابن الزركشى فى التنسيق واما الجهل فهو انتفاء العلم بالمقصود . وقيل تصور المعلوم على خلاف هيئته . ذكر فى جمع الجوامع قال ابن الزركشى فى شرحه : هذا الخلاف فى تعريف الجهل أخذه المصنف من القصيدة الصلاحية وهى من أحسن تصانيف الأشعرية فى باب العقائد وكان السلطان صلاح الدين يأمر بتلقنها للصبيان فى المكاتب قال ابن مكي مصنفها :

وان أردت أن تحد الجهلا ... من بعد حد العلم كان سهلا .
وهو انتفاء العلم بالمقصود ... فاحفظ فهذا أوجز الحدود .

ورقة 154 وجه

وقيل فى تحديده ما أذكر ... من بعد هذا والحدود تكثر
تصور العلم فهذا حرفه ... وحرفه الآخر يأتى وصفه
مستوعبا على خلاف هيئته ... فافهم فهذا الحرف من تتمته

قـال ابن الزركشي واطلاق القولين هكذا غريب وانما المعروف تقسيم الجهل الى بسيط ومركب . فالمركب مـا ذكره في الحـد الثاني هكذا ذكـره الامام والسمعاني والامدى وغيرهم . قال الرافعي في كلامه على قاعدة مدة عحوة ؟ الجهل معناه المشهور : الجزم . يكون النبيء على خلاف ما هو عليه ، ويطلق ويراد بهعدم العلم انتهى . وأما الظن فهو عند الفقهاء تجويز أمرين سواء كانا على السواء او احدهما أرجح وهذه ابيات تتضمن الفصل بين العلم والظن والشك والوهم والجهل وهي للفقيه الامام محمد بن موسى الدؤالي . المفتي بزبيد في عصره وهو آخر ثماني مائة . ذكرها في كتابه حدائق الاذهان في الاخلاق الحسان :

اذا مـا رأيت الذهن يحكي مـرة	بأمـر على أمر وقد جزم الحكم .
فان لم يطابق كان جهـلا مركبا	وان طابق المعنى بلا حجة تسمو .
فذلـك تقليـد وان تـك حجـة	بعقـل وحس او همـا فهـو العلم
وعـالـم وجـدان الى الحس عائـد	كذى ألم او لـذة ضاقـه هم .
ومـا هو من سمع وعقـل تواتر	والا فتجريب وحدس هو الاسم
وان لم يكن جزما فشك اذا استوى	وراجحه ظـن ومرجوحه وهـم
وثـم ألفـاظ تظـن بانهـا	مرادفـة للعلـم او أنهـا رسم .

وتصور العلوم سيما الكسبية موقوف على شرائط في القلب والخارج . فشرط القلب كمال صورته وسلامته من الدنس ، فقلب الصبي والا بله ناقص عن تصور العلوم وقلب العاصي يمنعه دنس المعاصي . وأما الموانع الخارجة فهي العدول عن سمته كالمنحرف عنه الى شهوته ومهم وقته والحجاب الحائل كالواقف مـع اعتقـاد باطل والجهل بجهاته لعـدم ترتيب نتائجه ومقدماته واستعصاء العلوم على العقل ونظره لدقته وخفائه مانع من تصوره فما ورد فيه عن الرسول تلقى بالتسليم والقبول واعتقد فيه ما هو الصواب عند الله كالصفات والروح وما في معناه لا سيما جلال الربـوبية ، اذ العقل لم يخلق لادراكها بل خلق لادراك العبودية وجملة موانع الفهم للعلوم خمسة مذكورة في الاحيـاء للغزالي في كتاب عجائب القلب تتضمنها هـذه الأبيات وهـذه للدؤالي ايضا

وللعلـم فافهمهـا موانـع خمسة	بواحدة منهـن يحجب حجبا مـا

ورقـة 154 ظهـر

بنقصان ذات القلب او بكـدوره	او العدل عن سمت الصواب لمن أما
ويحجب بالتقليد او جهل او جهة	كمن لا يهـدى في مقدمـة نظمـا

وليكن هذا آخر الكلام فيما يخرج المسلم الى الردة وما أتصل به

وأما ما يصير الكافر به مسلما فقد نقل الاصحاب عن الشافعي رضي الله عنه ان توبة المرتد ان يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويبرأ من كل ديـن يخالف دين الاسلام قالوا وقـال في مواضع أخر اذا أتـى بالشهادتين حكم باسلامه . قالوا واسلام الكافر الاصلي في معنى اسلام المرتد

وليس كلام الشافعي بقولين عند الجمهور بـل هو بحسب اختلاف عقائد الكفار . قال البغوى : فان كان الكافر وثنيا او ثنويا لا يقر بالوحدانية فاذا قال لا اله الا الله حكم باسلامه ثم يجبر على قبول سائر الاحكام وان كان يقـر بالوحدانية وينكر رسالـة محمد صلى الله عليه وسلم يحكم باسلامه وشهادته بالتوحيد حتى يقول محمد رسول الله . وان كان يقول ان محمدا رسول الله الى العرب خاصة لم يحكم باسلامه حتى يقول محمد رسول الله الى جميع الخلق او دين محمد هو الحق او هو الدين او هو الفرض او يبرأ من كل دين يخالف الاسلام او دين محمد عليه الصلاة والسلام وان كان كفره بجحود فرض واستباحة محرم لم يصح اسلامه حتى يأتى بالشهادتين ويرجع عما اعتقده . قال الرومانى ؟ ولا يكفى الرجوع عما اعتقده . قال ولو ارتد بشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاه الاتيان بالشهادتين ولا يشترط اعترف لحضر سببه لأن اعترافه بنبوته يتضمنه . وقيل فيه قولان . ويستحب ان يمتحن كل كافر أسلم بالايمان بالبعث ولو قال كافر أنا ولى محمد لم يصر مسلما وكذا لو قال أنا مثلكم او مسلم او آمنت او اسلمت ولو قال أنا من امة محمد او دينكم حقا حكم باسلامه ولو أقر بركن من اركان الاسلام على خلاف عقيدته كفرضية الصلوات الخمس او احداها او أقر بتحريم الخمر او الخنزير حكم باسلامه وما يصير المسلم كافرا بجحده يصير الكافر باقراره مسلما ويجبر على قبول سائر الاحكام فان امتنع قتل كالمرتد واذا أقر اليهودى برسالة عيسى عليه السلام ففى قول يجبر على الاسلام لأن المسلم لو جحـد بنبوته كفر هذا كله نقل البغوى قال فى العزيز والروضة وهى طريقة ذكـرنا فى كتاب الكفارات اذ الامام نسبها الى المحققين والذى عليه الجمهور خلافها قـال الحليمى فى المنهاج له أن الايمان ينعقد بغير القول المعروف وهو كلمة لا اله الا الله حتى لو قال لا اله غير الله او لا اله سوى الله او ما عدا الله او

ورقـة 155 وجـه

من اله الا الله او لا اله الا الرحمن او لا رحمن الا الله او لا اله الا البارى ولا بارئ الا الله او لا رب الا الله فهو كقوله لا اله الا الله وان قوله احمد او ابو القاسم رسول الله كقوله محمد رسول الله وانه لو قال الكافر آمنت بالله نظر ان لم يكن على دين قبل ذلك صار مؤمنا بالله وان كان يشرك به غيره . لم يكن مؤمنا حتى يقول آمنت بالله وحده وكفرت بما كنت أشركت به وان قوله أسلمت بالله او أسلمت وجهى لله كقوله آمنت بالله وانه لو قيل لكافر أسلم لله او آمن بالله فقال أسلمت او آمنت يحتمل ان يجعل مؤمنا وانه لو قال اؤمن بالله او اسلم لله فهو ايمان . كما ان قول القائل اقسم بالله يمين ولا يحمل على الوعد الا ان يرتد وانه لو قال الله ربى او الله خالقى فان لم يكن له دين من قبل فهو ايمان . وان كان من الذين يقولون بقدم اشياء مع الله تعالى لم يكن مؤمنا حتى يقر بان لا قديم الا الله . وكذا الحكم لو قال لا خالق الا الله . وانه لو قال اليهودى المشبه لا اله الا الله ، لم يكن ايمانا منه ، حتى يبرأ

عن التشبيه بأنــه ليس كمثله شيء فان قال مع ذلك محمد رسول الله فان كان يعلم ان محمدا رسول الله جاء بنفي التشبيه كان مؤمنا ، والا فلا بد ان يبرأ من التشبيه وطرد هذا التفصيل فيما اذا قال الذى ينهب الى قــدم الاشياء مع الله لا اله الا الله محمد رسول الله حتى اذا كان يعلم أن محمدا جانا بابطال الملل سوى ملة الاسلام كــان مؤمنا . وان الثنوى اذا قــال لا اله الا الله لم يكن مؤمنا حتى يبرأ من القول بقدم النور والظلمة وان قال لا قديم الا الله كان مؤمنا . وان الوثني اذا قال لا اله الا الله ، فان كان يزعم ان الوثن شريك أنه يقربه الى الله لم يكن مؤمنا حتى يبرأ من عبادة الوثن وان البرهمي وهو الموحد الجاحد للر (حمان) لو قال محمد رسول الله ، صار مؤمنا وان أقر بنبوة نبي قبله كابراهيم عليه السلام لم يكن مؤمنا لأن الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم اقرار بنبوة من قبله دون عكسه قال الرافعي ويجيء القول المتقدم عن البغوى فيمــا اذا أقر اليهودى بنبوة عيسى عليه السلام أنه يجبر على الاقرار بنبوة سائر الانبياء لأنــه صدقهم قال ويحتمل ان يقال ايضا هم بشروا به وان المعطل اذا قال محمد رسول الله فقد قيل يكون مؤمنا لأنه أثبت المرسل والرسول وأنه لو قال الكافر لا الاه الا الذى آمن به المسلمون كان مؤمنا ولو قال آمنت بالذى لا الاه غيره او بمن لا الاه غيره لم يكن مؤمنا ، لاحتمال ان يزيد الوثن . ولو قال : آمنت بالله وبمحمد كان مؤمنا بالله ولم يكن مؤمنا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يقول النبيء

ورقــة 155 ظهــر

او محمد رسول الله وان قوله آمنت بمحمد النبيء ايمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخلاف قوله آمنت بمحمد الرسول . لان النبيء لا يكون الا لله والرسول قد يكون لغيره وان الفلسفي لو قال أشهد ان البارى علة الموجودات او مبدؤها وشبهها لم يكن مؤمنا حتى يقر بأنه مخترع ما سواه ومحدثه بعد ان لم يكن ، وان الكافر اذا قال لا اله الا الله المحي المميت ، فان لم يكن من الطائعين كان مؤمنا وان كان منهم فلا لانهم ينسبون الحياة والموت الى الطبائع فينبغي ان يقول لا اله الا الله او البارى او يذكر أسماء أخر لا تبقى معه الشبهة وانه لو قال لا الاه الا الملك او الا الرزاق لم يكن مؤمنا لأنه قدير يريد به السلطان الذى يرتب ارزاق الجند ، ولو قال لا ملك الا الله او لا رزاق الا الله كان مؤمنا وبمثله اجاب فيما اذا قال لا اله الا العزيز أو العظيم او الحليم او الكريم او الكبير لانه قد يريد بها غير الله ، وانه لو قال : لا اله الا الملك الذى في السماء او الا ملك السماء كان مؤمنا قال الله تعالى « آمنتم من في السماء » ولو قال لا اله الا ساكن السماء لم يكن مؤمنا وكذا لو قال آمنت بالله ان شاء الله او قال ان كان شائيا لم يكن مؤمنا وانه لو قال اليهودى أنــا بريء من اليهودية او النصراني انا بريء من النصرانية لم يكن مؤمنا ، وكذا لو قال من كل ملة تخالف الاسلام لأنه لا ينفي التعطيل لأنه مخالف للاسلام وليس بمثله ولو قال من كل ما يخالف الاسلام من دين ورأى وهوى كان

مسلما وانه ان قال الاسلام حق لم يصر مسلما لانه قد يقر بالحق ولا ينقاد له قال الرافعي هذا يخالف ما تقدم عن البغوى فيما اذا قال دينكم حق وانه اذا قيل يعتقد ملة كالذمى اسلم فقال اسلمت أو انا مسلم لم يكن مقرا بالاسلام لانه قد يسمى فى جوابه دينه الذى هو عليه اسلاما ولو قال فى جوابه انا مسلم مثلكم كان مقرا بان الاسلام ديننا ، ولو قيل لمعطل اسلم فقال انا مسلم وانا من المسلمين كان مقرا بالاسلام لانه لا دين له حتى يسميه اسلاما قال الرافعي وقد يتوقف فى هذا انتهى . مجموع ما فى العزيز والروضة والقمولى ، حكما تعليلا وفيه فوائد . وقولهم انه يكون مؤمنا بقوله لا اله الا البارى ونحوه مما ليس فيه التصريح باسم الله هكذا هو فى هذه الكتب المعتمدة الثلاثة عن الحليمى وأقروه عليه وعلى سائر ما فى كلامه من الحكم بالاسلام فى مسائل ليس فيها ذكر الشهادة ولا لفظ الاله ولا وسم الله تعالى وقد تقدم عنهم الاعتراض على طريقة البغوى فى نحو ذلك وان الذى

ورقة 156 وجه

عليه ( ) وخلافها وتقدم فى صدر الكلام ان الذى يصير بـه الكافر مسلما هو لفظ الشهادتين و ( ) مما يقتضى حاله التبرى منه وتقدم نحوه فى كتاب الظهار وصرحوا بمخالفة البغوى فى الحكم باسلام من اقتضى على احداهما وان كانت التى تخالف معتمده وان المذهب انه لا بد منها ولعل الحليمى اخذ الحكم فى ذلك من حديث خالد بن الوليد رضى الله عنه فى غزوة بنى القميصاء وتخطئة النبىء صلى الله عليه وسلم له فى قتلهم بعد ان قـالوا ( ) ـأنا أى اسلمنا ولم يحسنوا أن يقولوا اسلمنا فاجرى الحليمى هذا الحكم فيمن أظهـر الاسلام بغير لفظ الشهادة فيحكم باسلامه ويكف عنه ثم يؤمن بالشهادتين وسيأتى ما يؤيده فيمن لم يتمكن من النطق بها وجزم الشيخ ناصر الدين بن بنت الميلـق الشاذلى فى كتاب موارد ذوى الاختصاص فى معانى سورة الاخلاص بان القول المدخل فى الاسلام معلق باسم الله عز وجل فلا بد أن يقول القادر على القول لا اله الا الله او اشهد أن لا أنه الا الله وعلى قول من يكتفى فى الاسلام بالاقرار لله تعالى بالالاهية والوحدانية فلا بد ان يقول اقر بان الله اله كل شيء ، او بان الله هو الاله ، او ما فى معنى ذلك مع ذكر اسم الله انتهى وهو تحقيق حسن والله اعلم . واعلم ان الامام محيى الدين النووى قال اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ان المؤمن الذى يحكم بأنه من اهل القبلة ولا يخلد فى النار من اعتقد بقلبه دين الاسلام اعتقادا جازما ، خاليا من الشكوك ونطق بالشهادتين . فان اقتصر على احدهما لم يكن من اهل القبلة أصلا الا اذا عجز عن النطق لخلل فى لسانه او لعدم تمكينه منه لمعالجة المنية له او لغير ذلك فانه يكون مؤمنا انتهى . وقال الجرجانى اذا صدق بقلبه ولم يتلفظ بالشهادتين كان مؤمنـا وقال الغزالى يحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق بهمـا كامتناعه من الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد فى النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان . وقال قوم : التلفظ بهما ركن فى الايمان . قال والا ( ) اظهر وعن القاضى ابى بكر ان يذكر الاقـرار عنـادا لا يخـل

بالايمان ويكون مؤمنا عاصيا يعنى انه يعتقد فى الآخرة . وحكى القاضى عياض المالكى الخلاف فى المسألة وصحح انه لا يصير مؤمنا وهو ما تقدم عن عياض المالكى الخلاف فى المسألة وصحح انه لا يصير مؤمنا ونسب مقابله الى غير اهل السنة وحكاه ايضا مما اذا لم يتمكن من التلفظ بهـا وصحح انه لا يصير مؤمنا . وهو ما تقدم عن النووى . وحكى الخلاف الامام فخر الدين الرازى ورجح انه يكون مسلما فى احكام الآخرة بالاعتقاد والكافر اذا نطق بالشهادتين ولم يصدق بقلبه ترتب عليه احكام الاسلام الظاهرة فى الدنيا ولا ينفعه ذلك فى الآخرة وهـل تترتب عليه احكام الاسلام الدنيوية فى الباطن حتى لو أخذ مـال قريب بالميراث او تزوج بمسلمة ثم صدق بقلبه

ورقـة 156 وجـه

له المال والزوجة قال الغزالى هذا محل نظر فيحتمل أن يقال احكامه فى الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر فى حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وهو ظاهر له فى نفسه . والا ظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث وتلزمه اعادة النكاح ولهذا كـان حذيفة وعمر رضى الله عنهما لا يصليان على من مات منافقا وللمسألة عودة فى الباب الخامس فى البحث على ملازمة السنة والاقناع والتحذير من الابتداع ومخالفة الاجماع . اعلم ان المراد بالسنة طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى شريعته المطهرة التى شرعهـا الله تعـالى لخلقه وجعلهـا طريقـا الى رضاه ومجاورته فى دار كرامته فى النعيم المقيم وله النظر الى وجه الله الكريم فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ثبت فى الحديث الصحيح فقد فرض على خلقه الايمان به والعلم بطاعته واتباع سنته . قال الله تعالى : فئامنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا . وقال تعالى : انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ليؤمنوا بالله ورسوله (1) . وقال تعالى : فئامنوا بالله ورسوله النبى الأمى (2) . فالايمان بالنبىء محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رواية أبى هريرة أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بما جئت بـه فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم وحسابهم على الله ، قال القاضى عياض رحمه الله : فالايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه فى جميع ما جاء به وما قالـه ومطابقة تصديق القلب بذلك شهـادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق بـه بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد فى الحديث نفسه من رواية ابن عمر رضى الله

---

(1) 48 ــ الفتح 8 و 9

(2) 7 ــ الاعراف 158

عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وضوحا في حديث جبريل عليه السلام اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبيء صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر أركان الاسلام ثم قال اخبرني عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . الحديث فقد قرر ان الايمان بـه

ورقـة 157 وجـه

محتاج الى العقـد بالجنان والاسلام بـه مضطر الى النطق باللسان وهذه الحـال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون التصديق بالقلب وهذا هو النفاق وبقيت حالتان اخريان بين هاتين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه ؟ فاختلف فيه ، فشرط بعضهم في تمام الايمان القول والشهادة باللسان ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنـة لقولـه صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كـان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فلم يذكر سوى ما في القلب ، وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه . الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره الا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الاعمال . فهو عاص بتركها غير مخلد في النار . وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقدة شهادة اللسان اذ الشهادة انشاء عقـد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح كما قاله القاضي عياض رحمه الله تعالى . قال القاضي : واذا وجب الايمان به وتصديقه وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله (1) . قل أطيعوا الله وأطيعـوا الرسول (2) . وأطيعـوا الرسول لعلكـم ترحمون (3) . وان تطيعوه تهتدوا (4) . من يطع الرسول فقد أطاع الله (5) . وما آتاكم الرسول فخذوه ومـا نهاكم عنه فانتهوا (6) • ومـا أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله (7) . فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك الثواب ، واوعد على مخالفته بشديد العقاب . قال المفسرون والايمة : طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به . قالوا ما أرسل الله من رسول الا فرض طاعته على من أرسلوا اليه وقالوا من يطـع الرسول في

(1) 8 ـ الانفال 20
(2) 3 ـ آل عمران 32
(3) 3 ـ آل عمران 132
(4) 24 ـ النور 54
(5) 4 ـ النساء 80
(6) 59 ـ الحشر 7
(7) 4 ـ النساء 64

سننه يطع الله فى فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام قال : وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقال السمرقندى : يقال اطيعوا الله فى فرائضه والرسول فى سننه و ( ) اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم . ويقال اطيعوا الله بالشهادة لـه بالربوبية والنبى بالشهادة له بالنبوة وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقـد

ورقـة 157 ظهـر

عصى الله ومن أطـاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى وقد حكى الله (عن اقوام) فى دركـات نار جهنم : يـوم تقلب وجوههـم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمنى وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه واذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم . وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبا قالوا يا رسول الله ومن يأبا قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابا وفى الحديث الآخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلى : ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى وانى انا النذير العريان

فأطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثـل من أطاعنى واتبع ما جئت به . ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق . وفى الحديث الآخر فى مثله كمن بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله عز وجل . ومحمد فرق بين الناس واذا وجب طاعته وجب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديـه قـال الله تعالى : قـل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم (1) وقـال تعالى : فئامنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (2) . وقـال تعالى : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا ممـا قضيت ويسلموا تسليما (3) . أى ينقادوا لحكمك . يقال سلم واسلم واستسلم اذا انقـاد . وقال تعالى : لقد كـان لكم فى رسول الله

(1) 3 ــ آل عمران 31

(2) 7 ــ الاعراف 158

(3) 4 ــ النساء 65

اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر (1) الاية . قال محمد بن على الترمذى الاسوة فى الرسول الاقتداء بـه والاتباع لسنته ثم ترك مخالفته فى قول او فعـل وقال غير واحـد من المفسرين بمعناه وقيـل هو عتاب للمتخلفين عنه . وقال سهل فى قوله تعالى : صراط الذين انعمت عليهم (2). قال بمتابعة السنة فأمرهم بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لأن الله ارسله بالهدى وديـن الحـق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى فى الآية الأخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم

ورقــة 158 وجــه

وما تجنح اليه نفوسهم ، وان صحة ايمانهم (تظهر) بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروى الحسن ان قوما قالوا لرسول الله انا نحب الله ورسوله فانزل الله تعالى : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الآية وروى ان الآية نزلت فى كعب ابن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الآية . وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله اى تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به : محبة العبد لله وللرسول طاعته لهما ورضاه بمـا امر او محبة الله لهم عفوه عنهم. وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل :

تعصى الالـه وأنت تظهـر حبـه ... هـذا لعمـرى فى القياس بديـع

لـو كـان حبـك صادقـا لاطعته ... ان المحب لمـن يحب مطيـــع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل لـه وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيرى رحمه الله فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وقد ورد الشرع لمحبة الله لعبده وباتخاذ الله ابراهيم خليلا وثبتت الخلة ايضا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتبرا من كل خليل سوى الله ولم يتبرأ من محبة مؤمن والخلة ابلغ المحبة واخصها وقيل هما سوا واكثرهم جعل المحبة ارفـع من الخلة ذكره القاضى عياض فى الشفاء ، وسياتى مزيد بيان فى محبة العبد ان شاء الله . وفى حديث العرباض بن سارية نص الله عنه فى ذكـر موعظة رسول الله صلى الله عليه وسلم انـه قال فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد فى حديث جابر بمعناه وكل ضلالة فى النار وفى حديث الى رافع عنه صلى الله عليه وسلم لا القين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امرك مما امرت به او نهيت عنه فيقول : لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه، وفى حديث عائشة رضى الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه فبلغ ذلك النبىء صلى الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قـال : ما بال اقوام تنزهونهم عن الشىء امنعه : فوالله انى لاعلمكم بالله واشدكم

---

(1) 33 ـ الاحزاب ـ 21

(2) 1 ـ الفاتحة ـ 7

خشية منه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جامع القرآن بحديثي ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمـن نص بقولي فعل بقولي فقد رضي بالقرآن

ورقـة 158 ظهـر

قال الله تعالى : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (1) . الآية وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مؤمن ومن رغب عن سنتي فليس مني. وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هـدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل . آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن ابن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها. وقال : المستمسك بسنتي عند فساد امتي، له اجر ما به شهيد. وقال ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملـة وان أمتي تفرق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة قيل ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي . وقال عليه الصلاة والسلام : من احيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي وقال عليه الصلاة والسلام من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فان له من الأجر مثل ما عمل بها من غير ان ينقص من وجودهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله ، كان عليه مثلها آثام من عمل بها لا تنقص ذلك من اوزارهم شيئا . وقال : ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدي من سنتي . ومما ورد عن أئمة السلف من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما وقيل له يا أبا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجـد صلاة السفر فقال ابن عمر رضي الله عنهما ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل . وقال عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر من بعده (سننا) الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأى من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بهـا منصور ومن خالفها واتبـع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقوله ولا النظر في رأى من خالفها فيـه التحذير من تأويل المقالات المخالفة للشريعة وان صدرت من بعض الاكابر من العلماء والصالحين كمقالات المتصوفة الشطاحين فاعلم ذلـك ولا تشتغل بتأويلها وبالله التوفيق

(1) 59 الحشر 7

وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا : الاعتصام بالسنة نجاة
ورقة 159 وجه

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتعلم السنة والفرائض واللحن اى اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم معنى بالقرآن فخذوهم بالسنة . فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفى خبره صلى بذى الحليفة فقال : اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عيه وسلم يصنع وعن على رضى الله عنه حين قرب فقال له عمر رضى الله عنه انى انهى الناس وتفعله قال لم أكن لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه ايضا ألا لست نبيء ولا يوحى الى ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وقال ابن مسعود رضى الله عنه : القصد من السنة خير من الاجتهاد فى البدعة . وقال على كرم الله وجهه : ما قل عمل فى تقوى ، وكيف يقل ما يتقبل ؟ وقال ابن عمر رضى الله عنهما : صلاة السفر ركعتان . من خالف السنة كفر . وقال ابى بن كعب رضى الله عنه : عليكم بالسبيل والسنة . فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه واقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهى كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا فى سبيل الله وسنته خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم انكارا جهادا واقتصادا ان يكون على منهاج الأنبياء وسننهم وكان عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه يقول من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهداهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط لنا خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبيل الضلالة على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ : ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (1) الآية . وكتب بعض آل عمر بن عبد العزيز الى عمر رضى الله عنه بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة ، فكتب اليه عمر رضى الله عنه خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطا فى قوله تعالى : فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول اى الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ورقة 159 ظهر

وقال الشافعى رحمه الله ورضى عنه ليس فى سنة رسول الله صلى الله عليه

(1) 6 ـ الانعام 153

وسلم الا اتباعها . وقال عمر رضى الله عنه وهو يطوف الى الحجر الاسود : والله انـك حجر لا تنفع ولاتضر ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ٠ وروئى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يدير ناقته فى مكان ، فسئل فقال لا أدرى الا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيرى من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمـر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل بن عبد الله التسترى أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبىء صلى الله عليه وسلم فى الأخلاق والافعال والأكل من الحلال واخلاص النية فى جميع الاعمال وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . وحكى ان احمد بن حنبل رضى الله عنه ، قال : كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا المـاء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لى يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من أنت قال جبريل

- **فصل** ومخالفة أمره صلى الله عليه وسلم وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد عليه . قال الله تعالى : فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم (1) . وقال تعالى : ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى (2) الآية .وفى حديث الحوض ٠ فليذادن عن حوضى رجال كما يذاد البعير الضال واناديهم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا . وفى حديث المقدام الاوان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب فى كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت : او لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية . وقال عليه السلام هلك المتنطعون اى المبالغون المجاوزون حد السنة الى البدعة وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لست تاركا شيئا مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به انى اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ . وقد قال تعالى : قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجـارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين (3) . قال القاضى عياض رحمه الله فكفى بهذا

ورقة 160 وجه

---

(1) 24 ـ النور 63

(2) 4 ـ النساء 115

(3) 9 ـ التوبة 24

حظا وتنبيها ودلالة وحجة على لزوم محبته وعظمتها وعظم خطرها واستحقاقه صلى الله عليه وسلم لها . اذ قرع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب اليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى ياتي الله بامره . ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن اضل ولم يهده الله انتهى . وقال غيره من المفسرين هذه آية شديدة لا نرى أشد منها كأنها تنعى الى الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس من نفسه هل يجد عنده من التصلب فى ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله او يزوى الله عنه أحقر شيء لمصلحة فلا يدرى أى طرفيه أطول ويغويه الشيطان من اجل حظ من حظوظ الدنيا ولا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره انتهى .

وفى الصحيح عن انس رضى الله عنه . قال رسول صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقال ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن تحب المرء لا تحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار وهذا هو الشح بالدين وهو شعبة من شعب الايمان كما جعله البيهقى رحمه الله وقال الشح بالدين ينقسم قسمين أحدهما الشح بأصله كيلا يذهب والآخر الشح بكماله كيلا ينقص ، وهذا سبيل كل مظنون به فالانسان يشح باطرافه كما يشح بجملة بدنه ، وهكذا الدين ، قال: ومن الشح بالدين: ان المؤمن اذا كان بين قوم لا يقدر ان يوفى الدين حقوقه بينهم او يخشى ان (يزيغ) عن دينه هاجر الى حيث يعلم أنه خير له وأوفق . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنت أحب الى من كل شيء الا نفسى التى بين جنبى فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ، فقال عمر رضى الله عنه والذى انزل عليك الكتاب لأنت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم الآن ياعمر . قال سهل : من لم ير ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فى جميع الأحوال ويرى نفسه فى ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته ، لأن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ، الحديث ، ومما ورد فى ثواب محبته صلى الله عليه وسلم ما روى البخارى رضى الله عنه أن رجلا أتى النبيء صلى الله عليه وسلم فقال متى

ورقة 160 ظهر

الساعة يارسول الله . قال ما اعددت لها ؟ قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى احب الله ورسوله . فقال : انت مع من احببت . وعن

صفوان ابن قدامة قال قلت يا رسول الله انى أحبك فقال المرء مع من أحب .
وهذا اللفظ ايضا رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود . .
وابو موسى وانس رضى الله عنهم وعن ابى ذر بمعناه • وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه : ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضى الله عنهما فقال من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة وروى ان رجلا أتى النبىء صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : لأنت احب الى من اهلى ومالى ، وانى لأذكرك فما اصبر حتى اجىء فانظر اليك وانى ذكرت موتى وموتك لا أراك فأنزل الله تعالى : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (1) فدعا به فقرأها عليه وفى حديث آخر كان رجل عند النبىء صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرق فقال مالك قال بأبى وأمى أتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية . وفى حديث أنس رضى الله عنه ومن أحبنى كان معى فى الجنة ومما روى عن السلف والائمة من محبتهم له صلى الله عليه وسلم وشوقهم اليه ما رواه مسلم رضى الله عنه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد الناس لى حبا أناس يكونون بعدى يود أحدهم لو رآنى بأهله وماله ومثله عن أبى ذر رضى الله عنه وقد تقدم حديث عمر رضى الله عنه ومثله عن الصحابة رضى الله عنهم وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل فى عينى منه وعن عبده بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوى الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أصحابه من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم يسميهم ويقول هـم أصلى وفصلى واليهم يحن قلبى طـال شوقى اليهم فعجل ربى قبضى اليـك حتى يغلبه النوم ، وروى عن ابى بكر رضى الله عنه أنه قال للنبىء صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام ابى طالب كان أقر لعينى من اسلامه يعنى أباه أبا قحافة .

ورقة 161 وجه

وذلك ان اسلام ابى طالب كان أقر لعينك . ونحوه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاله للعباس : ان يسلم احب الى من ان يسلم الخطاب . لأن ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى ابن اسحاق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قـالوا بخير هو بحمد الله كما

(1) 4 ــ النساء 69

تحبين لله ، قالت : ارونيه حتى انظر اليه ، فلما راته قالت : كل مصيبة بعدك جلل •

وسئل علي ابن ابى طالب رضى الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الضمأ • وعن زيد بن أسلم رضى لله عنه قال خرج عمر رضى الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا فى بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول : على محمد صلاة الابرار ، صلى عليه الطيبون الاخيار ، قد كنت قوما ضحا بالاسحار . ياليت شعرى والمنايا اطوار ، هل تجمعنى وحبيبى الدار .

تعنى النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عمر رضى الله عنه يبكى . وروى ان عبد الله بن عمر جدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس اليك يزل عنك فصاح يامحمداه ولما احتضر بلال رضى الله عنه نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه . ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضى الله عنها اكشفى لى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت . ولما أخرج أهل مكة زيد بن الاثنية من الحرم ليقتلوه فقال له أبو سفيان ابن حرب انشدك الله يازيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك فى أهلك فقال زيد رضى الله عنه والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانى الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى جالس فى أهلى فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كانت المرأة اذا أتت النبىء صلى الله عليه وسلم احلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت الا حبا لله ولرسوله . ووقف ابن عمر رضى الله عنهما على ابن الزبير رضى الله عنهما بعد قتله رحمه الله . فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله واعلم أن من أحب شيئا آبره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا فى محبته وكان مدعيا . فالصديق فى حب النبىء صلى الله عليه وسلم من تظهر عليه علامات ذلك وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وافعاله امتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بئادابه فى عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وايثار ما شرعه صلى الله عليه وسلم وحظ عليه على هوى نفسه واسخاط العباد فى رضى الله تعالى وشاهده (   )

ورقة 161 ظهر

الجملة قوله تعالى : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (1) . ولقوله تعالى : والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (2) .

(1) 3 ـ آل عمران 31

(2) 159 ـ الحشر 9

وروى الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت ان تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل . ثم قال يا بنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة قال القاضى عياض رحمه الله فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة ولا يخرج عن اسمها لقوله صلى الله عليه وسلم فى الذى حده فى الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤت به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبىء صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره لـه وكثرة شوقه اليه فمن أحب شيئا أكثر من ذكـره واشتاق الى لقائه ، وفى حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون : غدا نلقى الاحبة ، محمدا وصحبه ، وتقدم قول بلال مثله . ومثله قال عمار قبل قتله : وما تقدم من قصة خالد بن معدان ؟ ومن علاماته كثرة تعظيمه وتوقيره عند ذكره وأظهـار الخضوع عند سماع اسمه قـال التجيبـى كـان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعـده لا يذكرونه الا خشعـوا . واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كـان كثيرا من التابعين منهم من يفعله محبة وشوقا ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنهـا محبتـه لمن احب النبـىء صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيتـه وصحابته من الانصار والمهاجرين رضى الله عنهـم وعداوة من عـاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن أحب شيئا كان أحب من يحب قال عليه الصلاة والسلام فى الحسن والحسين رضى الله عنهما (اللـــهم) انى احبهما فاحبهما . وفى رواية فى الحسن فأحب من يحبـه وقال من أحبهما فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله . ومن أبغضهما فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله . وقـال صلى الله عليه وسلم : الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا . فمن احبهم فبحبى أحبهم ومن ابغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن أذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان ياخذه وقال فى فاطمة انها بضعة منى يغضبنى ما يغضبها . وقـال لعائشة فى اسامة احبيه فانى احبه ، وقال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفى حديث بن عمر من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شىء يحبه

ورقـة 162 وجـه

وهذه سيرة السلف حتى فى المباحات وشهوات النفس

وقد قال أنس رضى الله عنه حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا من حوالى القصعة فما زلت أحب الدبا من يومئذ وهذا الحسن بن على . وعبد الله بـن العبـاس وابـن جعفر رضى الله عنهـم اتـوا سليما وسالوه ان يصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر رضى الله عنهما يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى النبىء صلى الله عليه وسلم يفعله . ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع فى دينه

واستثقال كل امر يخالف شريعته . قال الله تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم آلاخر يوادون من حـاد الله ورسوله (1). والصحابـة رضى الله عنهم قتلوا آباءهم وأبناءهم فى مرضاته قال له عبد الله بن ابى بن سلول لو شئت لأتيتك برأسه يعنى أباه ومنها ان يحب القرآن الذى أتى به عليه الصلاة والسلام . وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به . وتفهمه والوقوف عند حدوده قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبىء صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامـة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها شيئا الا زادا وبلغة الى الآخرة . قال ابن مسعود رضى الله عنه لا يسال احدكم عن نفسه الا القرآن . فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله . وقال أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا وانى لأكره أن يأتى على يوم لا أنظر فى المصحف . وما مات حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه . واعلم ان تعظيم القرآن شعبة من شعب الايمان كما جعلـه الحليمى والبيهقى وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله الذى لا اله الا هو أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وأعجز الخلق أجمعين أن يأتوا بسورة من مثله ومعجزات القرآن لا تحصى بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبىء صلى الله عليه وسلم تحدى الخلق بسورة منه فعجزوا عنها وأقصر سورة منه سورة الكوثر فكل آية منه او آيـات بعددها وقدرها معجزة ثم من نفسها معجزات . وقد ذكـر القاضى عياض فى كتابه الشفا وجوها كثيرة من أعجاز القرآن وخواصه وبسط الكلام فى ذلك وقال وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الـرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل

ورقـة 162 ظهـر

لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة . هو الذى لم ينته الجن حين سمعته أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد . وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نباؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما كان بعدكم وحكم ما بينكم لا تخلقه كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم بـه عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم . ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكـم بغيره قصمه الله هـو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم والشفاء النافع عصمة لمن تمسك بـه ونجـاة لمن اتبعـه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب . ونحوه عن ابن مسعود رضى الله عنه ،

(1) 58 ـ المجادلة 21

وقال فيه : لا يختلف ولا يتشانا او قال يتسان فيه نبأ الاولين والآخرين انتهى ما رواه في الشفاء . وروى البيهقي هذا الحديث . من رواية عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم . ان هذا القرآن هو حبل الله المتين والنور المبين عصمة من تمسك به ونجاة من اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد . وعن علي رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى او قال العلم في غيره اضله الله ، هو حبل الله المتين وهو الدين الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة . ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى تناهى الجن وفي رواية لم ينته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعـا اليه فقد هدى الى صراط مستقيم . انتهى . واختلفت الفاظ الروايات ، كما ترى بالتقديم والتأخير والابدال والمعنى متقارب وقال الترمذى في حديث علي انه عـ (جـب) وفيه مقال . ومن علامة حبه للنبيء صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما .

ورقـة 163 وجـه

ومن علامة محبته الزهد في الدنيا وايثار الفقر والاتصاف به قال صلى الله عليه وسلم ان الفقر الى من يحبني أسرع من السيل من أعلى الوادى او الجبل الى أسفل وفي حديث عبد الله بن معقل رضى الله عنه قال رجل للنبيء صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى احبك فقال أنظر ما تقول فقال والله أحبك ثلاث مرات فقال اذ كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا . وقد كثرت عبارات الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبيء صلى الله عليه وسلم وليس بخلاف في الحقيقة . قال سفيان رحمه الله المحبة اتباع الرسول . وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته قال القاضى عياض رحمه الله وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق المحب وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها من كل ما يميل اليه كل طبع سليم لموافقته لـه أو لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل اليهم أو يكون حبه اياه لاحسانه اليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن اليها . والنبيء صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة وهي جمال الصورة والظاهر . وكمال

الاخلاق والباطن والاحسان والأنعام على الأمـة أجمعين اذ هو ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح وشفيعهم والشاهد لهم وبه عصمت دماؤهم وأموالهم وأعراضهم وهو سبب النعيم المقيم لهم فهو أولى بالمحبة والاتباع صلى الله عليه وسلم . ومن لوازم محبته ، وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله . قال أهل التفسير أى اذا كانوا مسلمين مخلصين سرا وعلانية . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة . قالوا لمن يارسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم . رواه مسلم وابو داود واللفظ لأبي داود . والنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له وهى من وجيز الاسماء ، ومختصر الكلام وليس فى كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة غير معنى هذه الكلمة كما قالوا فى الفلاح ليس فى كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة ، منه وكذلك لفظة الاستقامة قـال العلماء معناها لزوم طاعة الله قال وهى من جوامع الكلم وهى نظام الامور . ومعنى النصيحة فى اللغة الاخلاص من قولهم

ورقـة 163 ظهـر

نصحت العسل اذا خلصته من شمعـه فشبهوا تخليص القـول من الغش بتخليص العسل . وتكلم الخطابـى وغيره فى تفسير النصيحة وأنواعهـا بكلام نفيس قد لخصه القاضى عياض ثم النووى فى شرح مسلم والقصرى فى شعب الايمان وحـاصل مجموع ذلك ان النصيحـة لله تعالى معناهـا ينصرف الى الايمان ونفى الشريك عنه وترك الالحاد فى صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه عن جميع انواع النقائص . قال الشيخ عبد الجليل القصرى رحمه الله تعالى : فلا تدخل فى صفاته ما ليس منها ولا تنسب اليه ما ليس له برأيك فتعتقده على غير ما هو عليه فذلك غش فكل من أضاف الى البارى سبحانه شيئا من صفات المخلوقات او شبه بشيء منها فقد ادخل الغش فى صفاته ولم ينصح لله تعالى . وكل من اضاف الى المخلوقات شيئا مما لله عليه، فقد ادخل الغش فى المخلوقات ولم ينصحها . انتهى . ومنها الرغبة فى محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص فى عبادته والدعاء الى جميع ذلك ٠ قال الخطابى : وحقيقة هذا والاضافة راجعة الى العبد فى نصحه نفسه ، والله تعالى غنى عن نصح الناصحين .

وأما النصيحة لكتابه فالايمان بانـه كـلام الله وتنزيله لا يشبه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق والعمل بما فيه وتحسين تلاوته باقامة حروفه والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه لتأويل المحرفين وطعن الملحدين والبحث عن علومـه ونشرها والدعاء الى جميع ذلك . قال القصرى : ولا تقل فيه بتاويل يخرج عن طريق الحق الى الرأى المذموم الذى نهى عن تفسير القرآن به وذلك كله من الغش وترك النصح ، فمن نصح القرآن اهتـدى وهـدى غيره ٠ ومن غشه ضل وأضل غـيره ٠ قـال الله تعالى : يضل به كثيرا ويهـدى بـه كثيرا ومـا يضل بـه الا

الفاسقين (1) . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا (2) . ومن عظم الغش فى القرآن تأويل معانيه على اهواء الزنادقة وأبطال معانيه الظاهرة كما فعل كثير من الفلاسفة الضالين حتى بلغ من افترائهم انهم يقولون بالاستغناء عن القرآن وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك يدعون انهم اهل العلم والاتباع للوحى والرسالة والمعرفة وهذا الغش بعينه والتدليس وهو أعظم مما كفر به جهارا . والنبىء صلى الله عليه وسلم يقول من ابتغى الهدى من غيره أضله الله فكيف يكونون مهتدين فى الديانات وامور الآخرة . أنتهى حاصل كلامه .

وأما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصديقه على الرسالة وجميع ما جاء به ، فطاعته فى امره ونهيه ونصرته حيا وميتا ، باعظام حقه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها .

ورقة 164 وجه

ونفى التهمة عنها واستشارة علومها والتفقه فى معانيها واجلالها والتأدب عند قراءتها والامساك عن الكلام فيها بغير علم واجلال اهلها والتخلق باخلاقه وآدابه صلى الله عليه وسلم وصحبه واهل بيته واصحابه . ومجانبة من ابتدع فى سنته وتعرض بأذى لأحد من أصحابه ، وتابعيهم باحسان ونحو ذلك .

واما النصيحة للائمة ، فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ، وامرهم به ، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف فيما غفلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، والصلاة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم وترك الخروج بالسيف عليهم ان ظهر منهم حيف او سوء عشرة . وان يدعى لهم بالصلاح ولا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، ومن الائمة علماء الدين ومن نصحهم قبول ما رووه بشرط الرواية ، وتقليدهم فى الأحكام واحسان الظن بهم والتماس احسن المخارج لهم وتفسيق من كذبهم فيما رووه ، او قالوه فى شرح الحديث او جرح او تعديل .

واما نصيحة عامة المسلمين فارشادهم الى مصالحهم فى دينهم ودنياهم ومعونتهم على ذلك بالقول والفعل وتنبيه عاقلهم وتعليم جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم وجلب المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه وحثهم على التخلق . فجميع ما ذكرناه من انواع النصيحة . قال النووى رحمه الله : وقد كان فى السلف رضى الله عنهم من تبلغ به النصيحة الى الاضرار بدنياه . قال ابن بطال رضى الله عنه فى هذا الحديث : ان النصيحة تسمى دينا واسلاما ، وان الدين يقع على الفعل كما يقع على القول . قال : والنصيحة فرض كفاية من قام بها سقط الفرض عن غيره ، ووجوبها على قدر الطاقة

(1) 2 ـ البقرة 26

(2) 17 ـ الاسراء 82

ان اعلم الناصح انه يقبل منه وأمن على نفسه المكروه وان خشى أذى فهو في سعة . انتهى والله اعلم .

خاتمة في تعظيم امره ووجوب توقيره وتوقير حديثه وبره صلى الله عليه وسلم .

اعلم ان محبــة رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبــة من شعب الايمان وتعظيمه واجلالــه شعبة اخرى لان التعظيم منزلة فوق المحبــة فليس كل محبوب معظما كذا ذكره الحليمي والبيهقي في شعب الايمان قال الله تعالى : انـا أرسلناك شاهـدا ومبشرا ونذيـرا لتؤمنـوا بالله ورسولـه وتعزروه وتوقروه (1) . يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله (2) . يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء (3) . الايات الثلاث وقال تعالى : لا تجعلوا دعاء الرسول فيكم كدعـاء بعضكم بعضـا (4) . فأوجب الله تعالى تعزيزه وتكريمه وألزمهم تبجيله وتعظيمه قال ابن عباس رضى الله عنهما تعزروه تبجلوه . وقال المبرد : تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاحفش تنصروه ، وقال الطبرى تعينوه وقرىء تعززوه بزايين من العز . ونهى عن التقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم بالقول وسوء الادب وسبقه بالكلام ، على قول بن عباس رضى لله عنه وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله : لا تقولوا قبل ان يقول ، واذا قال ، فانصتوا واستمعوا . ونهوا عن التقدم والتعجل بعض امر قبل قضائه فيه وان يقتاتوا بشى من أمر دينهم من قتال او غيره الا باذنه ثم وعظهم وحذرهم ، فقال ، واتقوا الله ان الله سميع عليم . اى اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته ان الله سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض وقيــل كما ينادى بعضهم بعضا باسمه قــال ابو محمد مكــى اى لا تسابقوه بالكلام ولا تغلظوا له بالخطاب ولا تبدؤوه باسمه كنداء بعضكم لبعض . ولكن عظموه ووقروه ونادوه يارسول الله يانبيء الله . ثم خوفهم ان يحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك . قيل نزلت في وفد تميم ، وقيل في غيرهم . نادوه يا محمد اخرج الينا ، فذمهم الله بالجهل ، ووصفهم بأن اكثرهم لا يعقلون. وقيل نزلت الآية الاولى في محاورة كانت بين ابى بكر وعمر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت اصواتهما . وقيل نزلت في ثابت بن قيس ابن شماس خطيب النبيء صلى الله عليه وسلم في مفاجرة بنى تميم . وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت الآية اقام في منزله وخشى ان يكون حبط عمله فأتى النبيء صلى الله عليه وسلم وقال : يا نبيء الله لقد خشيت ان أكون قد هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبيء

(1) 48 ــ الفتح 8 و 9
(2) 49 ــ الحجرات 1
(3) 49 ــ الحجرات 2
(4) 24 ــ النور 63

صلى الله عليه وسلم : ياثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا تدخل الجنة ؟ فقتل يوم اليمامة رضى الله عنه وروى ان ابا بكر رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية قال . والله يا رسول الله اكلمك بعدها الا كأبى السرار وان عمر رضى الله عنه كـان اذا حدثه كأبى السرار مـا كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حتى ( ) نفهمه فانزل الله تعالى فيهم : ان الذين يغظون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة واجر عظيم وقال الله تعالى : لا تقولوا راعنا (1) . قال بعض المفسرين هى لغة كانت فى الانـ (ـصار) نهوا عنها تعظيما للنبىء صلى الله عليه وسلم لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولهـا اذ مقتضاها انهم لا يرعونــه الا اذا (راعاهم) هو وحقه ان يرعى قبل . صلى الله عليه وسلم .

ورقــة 165 وجــه

وقيــل كانت اليهود تعرض بها للنبىء صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهى المسلمون عن قولها منعـا للتشبه بهم ومن عادة الصحابة رضى الله عنهم فى تعظيمه واجلاله صلى الله عليه وسلم نحو ما قال عمرو بن العاص رضى الله عنه وما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل فى عينى منه وما كنت أطيق ان أملأ عينى منه . وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على الصحابة من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر ، فلا يرفع احد منهم اليه بصره ، الا ابو بكر وعمر رضى الله عنهما . فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ، ويتبسمان اليه ، ويتبسم اليهما . وروى أسامة بن شريك رضى الله عنه قال : اتيت النبىء صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله جلوس كأنما على رؤوسهم الطير . ولما وجهت قريش عروة بن مسعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام (القضية) ، ورأى من تعظيم أصحابه مـا رأى وانــه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها بأكفهم فدلكوا بهـا وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها . واذا امرهم بامر ابتدروا أمره واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يجدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يامعشر قريش : انى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمدا فى أصحابه . وفى رواية انى رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا

وعن انس رضى الله عنه قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة الا فى يد رجل ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان رضى الله عنه فى الطواف بالبيت حين وجهه النبىء صلى الله عليه وسلم اليهم فى القضية أتى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى حديث طلحــة ان أصحاب

(1) ــ 2 ــ البقرة 104

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل : سله عمن قضى لحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه . فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا ممن قضى بحبه وفي حديث ( ) ـيلة بنت مخر ( ) ـية رضى الله عنها . قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ا ( ) ـدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة رضى الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال الـ ( ) ابن عارب رضى الله عنه : لقد كنت أريـد ان أسأل رسول الله صلى الله عليـه وسلم . فا ( ) شيين من هيبته . واعلم أن حرمه النبيء صلى الله عليه وسلم بعـد موتـه وتوقيره
ورقـة 165 ظهـر

وتعظيمه لازم كما كان في حياته ، وذلك عند سماع ذكره عليه الصلاة والسلام وذكـر حديثه وسننه وأهل بيتـه وصحابته رضى الله عنهم أجمعين . قال ابو ابراهيم التجيبي : واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده أن يخشع ويخضع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله ما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به . قال القاضي عياض رحمه الله : وهذه كانت سيرة السلف . ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ياأمير المؤمنين : لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء (1) الآية . ومدح قوما فقال تعالى : ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله (2) الآية . وذم قوما فقال : ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (3) الآية . وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر . وقال ياباعبد الله أستقبل القبلـة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال ولم تصرف وجهك عنه فهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله ، يوم القيامة . بل استقبله واستشفع به فسيشفعك الله قال الله تعالى : ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك (4) الآية . وقال مالك رحمه الله ، وقد سئل عن أيوب السختياني . ما حدثتكم عن أحد الا وأيوب افضل منه . قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير أنه كان اذا ذكر النبيء صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه . فلما رأيت منه ما ر يت واجلالـه للنبيء صلى الله عليه وسلم كتبت عنه . وقـال مصعب بن عبد الله ، كـان مالك اذا ذكـر النبيء صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي ما ترون ، ولقد كنت اتى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء ولا نكاد نسأله عن حديث الا يبكي حتى نرحمه . وكنت أرى

(1) 49 ـ الحجرات 2
(2) 49 ـ الحجرات 3
(3) 49 ـ الحجرات 4
(4) 4 ـ النساء ـ 64

جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبيء صلى الله عليه وسلم ، أصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة واقد اختلفت اليه زمانا فما كنت أراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه . وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل . ولقد كان عبد الرحمان ابن القاسم يذكر النبيء صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه فى فمه هيبة للنبيء صلى الله عليه وسلم ولقد كنت أرى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبيء صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع ولقد رأيت هـ) ـرون (وكان من اهنأ (الناس) وأقربهم ، فاذا ذكر عنده النبيء صلى الله

ورقـة 166 وجـه

عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين ، فاذا ذكر النبيء صلى الله عليه وسلم بكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه . وعن قتادة انه كان اذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر الناس على مالك قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى : يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى (1) الآية . وحرمته حيا وميتا سواء . وكان عبد الرحمن بن مهدى اذا قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت . وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبيء . ويتأول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله . ومن سيرة السلف فى تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسم وسنته ما رواه الائمة عن عمر وبن ميمون قال : اختلفت الى ابن مسعود رضى الله عنه فما سمعته قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه حدث يوما فجرى على لسانه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم علاه كرب حتى رأيت العرق ينحدر عن وجهه . ثم قال : هكذا ان شاء الله ، او فوق ذا او ما دون ذا او ما هو قريب من ذا . وفى رواية فتربد وجهه وفى رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصارى قاضى المدينة : مر مالك ابن أنس على ابى حازم وهو يتحدث فجازه وقال : انى لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم . وسئل ابن المسيب عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدث به وقال كرهت الحديث وأنا مضطجع وكان ابن سيرين قد يضحك فاذا ذكر عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع وكان مالك رضى الله عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وقد توضأ وتهيا ولبس ثيابه وربما خرجت الخادمة فتقول للناس يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل ؟ فان قالوا : المسائل . خرج اليهـم . وان قالــوا : الحـديث . اغتسل وتطيب ولبس ثيـابـا جـــددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيجلس عليهـا وعليه الخشوع . ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من الحديث ويقول أحب

(1) 49 ـ الحجرات 2

أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به الا على (طها) رة متمكنا فكان يكره ان يحدث فى الطريق او وهو قائم ومستعجل وقال أحب أن أ (علمــ) ــهم أحاديث رسول الله . قال ضرار بن مرة : كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير (طهارة) . ونحوه عن قتادة ، كان الاعمش يتهيأ للحديث . قال
ورقــة 136 ظهــر
عبد الله بن المبارك كان مالك رحمه الله يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع الحديث حتى تفرق الناس عنه . وقال ابن مهدى سألت مالكا عن حديث فى الطريق فانتهرنى وقال : كنت فى عينى أجل من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى . وسأله جرير ابن عبد الحميد القاضى عن حديث وهو قائم ، فأمر بحبسه . فقيل له أنه قاضى . فقال : القاضى أحق من أدب . وسأله هشام القارىء عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ، ثم أشفق عليه فحدثه عشرين حديثــا فقال هشام وددت لو زادنى سياطا وحديثا . وكان الليث لا يكتب الحديث الا وهو طاهر . ومن توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم بر آله وذريته وازواجه أمهات المؤمنين . كما حض الله عليه ، وسلكه السلف الصالح رضى الله عنهم . قال الله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهير (1) . وقال تعالى : وآزواجه أمهاتهم (2) . وقال صلى الله عليه وسلم انشدكم الله وأهل بيتى قال زيد بن أرقم : قلنا لزيد من أهل بيته ؟ قال آل على وآل جعفر و آل عقيل وءال العباس . وقال عليه الصلاة والسلام انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما وقال عليه الصلاة والسلام معرفة آل محمد براة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هى معرفة مكانهم من النبىء صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه ولما نزلت الآية : انما يريد الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . وذلك فى بيت ام سلمة دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره . ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . او دعاهم ايضا لما نزلت آية المباهلة وقال : اللهم هؤلاء أهلى . وقال فى على : من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه . وقال له لا يحبك الا مؤمن ويبغضك الا منافق . وقال للعباس والذى نفسى بيد لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحب الله ورسوله . من آذى عمى فقد آذانى . وانما عمم الرجل صنو أبيه . وقال له : اغد على مع ولدك . فجلــ (ــله) وجللهم بملآته وقال اللهم هــ (ــذا) عمى وصنو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من

(1) 33 ــ الاحزاب 33
(2) 33 ــ الاحزاب 6

النار كسترى اياهم . فأمنت وقال الباب وحوائط البيت آمين آمين . كان يأخذ أسامة بن زيد والحـ (سـ ( ) ويقول ( ) لله
( ) او ( ) هما فاحبهما وقال أحب ( ) لله من أحب حسنا وحسينا وقال من أحبنى (وأحب حسنا وحسد) ين وأباهما وامهما كان معى فى درجتى .

ورقة 167 وجه

وقال : من أهان قريشا أهانه الله . وقال : قدموا قريشا ولا تتقدموها . وقال لأم سلمة لا تؤذينى فى عائشة . وقال ابو بكر رضى الله عنه : ارقبوا محمدا فى أهل بيته وجعل الحسن على عاتقه وهو يقول بأبى شبيه بالنبىء ليس شبيها بعلى وعلى يضحك . وقال عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن حسن : اذا كانت لك حاجة فارسل الى واكتب ، فانى استحيى من الله ان يراك على بابى . وأخذ بن عباس بركاب زيد بن ثابت وقد صلى على جنازة أمة فقال زيد : خذ عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال هكذا أمرنا ان نفعل بالعلماء . فقبل زيد بن عباس . وقال : هكذا أمرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم . ورأى بن عمر محمدا ابن أسامة بن زيد يسحب ثيابه فى ناحية المسجد فقال انظر من هذا ليت هذا عندى فقيل هو محمد ابن أسامة . فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الارض وقال : لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبه . ودخلت بنت أسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز ومولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه فى ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ، وفرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله ثلاثة آلاف ولأسامة ثلاثة آلاف وخمسمائة ، فقال عبد الله لأبيه : لم فضلته فوا الله ما سبقنى الى مشهد . فقال له : لان زيدا كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ، وأسامة أحب اليه منك فأثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبى . وروى ان مالكا لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال اشهدكم انى قد جعلت ضاربى فى حل . وقال : خفت ان أموت فألقى النبىء صلى الله عليه وسلم فاستحيى منه ان يدخل بعض آله النار بسببى وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال : أعوذ بالله ، والـ (ـله) ما آرتفع سوط منها عن جسمى الا وقد جعلته فى حل ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابو بكر بن عياش لو جاءنى أبو بكر وعمر وعلى لبدأت بحاجة على . ولان أجر من السماء الى الارض أحب الى من أن أقدمه عليهما فقيل لابن عباس ما (تت) . فلانة لبعض ازواج النبىء صلى الله عليه وسلم فسجد • فقيل أتسجد ( ) الساعة ؟ فقال أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا رأيتم آية فاسجدوا وأى آية أعظم من ذهاب ازواج النبىء و ( ) يزوران أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولا (ن) رسول الله

صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على (الرسول) (صلى الله عليه وسلم) فرش لها رداءه وقضى حاجتها . فلما توفى (صلى الله عليه وسلم) جاءت الى أبى بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك . ومن توقيره وبره صلى الله

ورقـة 167 ظهـر

عليه وسلم توقير اصحابه والاقتداء بهم والثناء عليهم والاستغفار لهم ومعاداة من عاداهم والامساك عما شجر بينهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة فى أحد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل احسن التأويلات واصوب المخارج • ولا يغمص على أحد منهم أمرا • بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم : اذا ذكر اصحابى فامسكوا . قال الله تعالى : محمد رسول الله والذين معه الى آخر السورة . والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية . لقد رضى الله عن المؤمنين . رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . وقال صلى الله عليه وسلم : اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر . وقال : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . وقال مثل اصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به . وقال : لا تسبوا اصحابى فلو انفق احدكم مثل أحد ذهبا ما بلـغ مد أحـدهم ولا نصيفه . وقال : من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منـه صرفا ولا عـدلا . وفى حديث جابر : ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيئن والمرسلين ، واختـار لى منهـم ابا بكر وعمـر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابى . وفى كل اصحابى خير وقال : من أحب عمر فقد أحبنى ومن أبغض عمر فقد أبغضنى . قال مالك بن أنس وغيره : من ابغض الصحابة رضى الله عنهم وسبهم فليس له فى فيء المسلمين حق وقرأ آية الحشر : والذين جاؤوا من بعدهم الآية . وقال : من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر . قال الله تعالى : ليغيظ بهمٍ الكفار . وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا . الصدق وحب اصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم . وقال أيوب السختيانى : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين . ومن أحب عمر ، فقد استضاء بنور الله . ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى • ومن أحسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برىء من النفاق . ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح . وأضاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما . ومن حديث جابر بن سيد ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال : يا أيها الناس انى راض عن أبى بكر فاعرفوا له ذلك . (يا) يها الناس انى راض عن النفاق • ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح • (عمر) وعن على وعن عثمان وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف (فاعـ) ـرفوا لهم ذلك . (يأيهـ) ـا الناس ان الله غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس احفظونى فى (أصحـ) ـابى واصهارى واختانى لا يطالبنكم

احد بمظلمة (   ) لا توهب يوم القيامة (   ) وقال رجل للمعافى

ورقة 168 وجه

بن عمر بن عبد العزيز من (   ) وقال لا يقاس باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد . معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحى الله عز وجل . وأتى النبيء صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال انه كان يبغض عثمان فابغضه الله . وقال فى الانصار : أعفوا عن مسيئتهم واقبلـوا من محسنهم . وقـال احفظونى فى اصحابى واصهارى ،فانـه من حفظنى منهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى منهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه . وعنه صلى الله عليه وسلم : من حفظنى فى اصحابى كنت لـه حافظا يوم القيامة . وقال من حفظنى فى اصحابى ورد على الحوض ، ومن يحفظنى فى أصحابى لم يرد على الحوض ، ولم يرنى الا من بعيد قال مالك رحمه الله : هذا النبيء صلى الله عليه وسلم مؤدب للخلق الذى هدانا الله بـه وجعله رحمـة للعالمين يخرج من جوف الليل الى البقيـع فيدعوهم ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذلك أمره الله تعالى وأمر النبيء صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم . وعن كعب رضى الله عنه ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة . وسأل من المغيرة ابن نوفل ان يشفع له يوم القيامة . وقال سهل بن عبد الله التسترى : لم يؤمن بالرسول عليه السلام من لم يوقر اصحابه ولم يعـز اوامره . قال الشافعى رضى الله عنه فيما رواه الزعفرانى : قال اثنى الله على اصحاب رسول صلى الله عليه وسلم فى القرآن والتوراة والانجيل ، وسبق لهم على لسان رسول الله صلى عليه وسلم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم وأدوا الينا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقـد شاهدوا الوحى ينزل عليه فعلموا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم عاما وخاصا وعرفا وارشادا وعرفوا ما جهلناه من سننه فهم فوقنا فى كل علم واجتهاد وورع وأمر استدرك به علم . وآراؤهم لنا احمد واولى بنا من رأينا لأنفسنا . انتهى كلامه رضى الله عنه .

ومن اعظامـه واكبـاره صلى الله عليه وسلم اعظام جميع اشيائه واكـرام مشاهده وامكنته من مكـة والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم او عرف به . روى عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبى محذورة قصة فى مقدم رأسه اذا قعد وأرسلها أ (صـ) ـابت الارض . فقيل له : الا تحلقها فقال لم أكن بالذى احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . ورؤى بن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم و (على ا) لمنبر ، ثم وضعها على وجهه وكـانت فى قلنسوة خالـد بن الوليـد شعـرات من شعـره عليـه الصلاة

والسلام (   ) قلنسوة فى التافض حروبه فشد عليها شد (   ) أنكر

ورقة 168 ظهر

عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كثرة ما قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا أسلب بركتها وتقع فى أيدى المشركين . وكان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة ويقول : استحيى من الله ان أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة ووهب للشافعى كراعا كثيرة كانت عنده فقال له الشافعى أمسك منها دابة تركبها فاجابه بهذا . وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن احمد ابن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة قال : ما مسست القوس بيدى الا على طهارة منذ بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده . وأفتى مالك رحمه الله ، فيمن قال : تربة المدينة ردية . بضربه ثلاثين درة وأمر بحبسه ، وكان له قدر ، وقال ما أحوجه الى ضرب عنقه . تربة فيها دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة ! وفى الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال من أحدث فيهـا حدثا او آوى محدثا فعليه لعنـة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل . وحكى ان جهجاها الغفارى أخذ قصب النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة فى ركبته فقطعها ومات قبل الحلول وقال عليه السلام : من حلف على منبرى كاذبا فليتبوأ مقعده من النار . وعن أبى الفضل الجوهرى أنه لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا :

ولـما رأينـا رسم من لم يدع لنـا ... فـؤادا لعرفان الرسوم ولا لبـا .
نزلنـا عن الاكوار نمشى مهابـة ... لمن بان عنـه ان نلـم بـه ركبا .

عن بعض المريدين أنه لما اشرف على المدينة أنشد .

رفـع الحجاب لنـا فـلاح لناظر ... قمـر تقطـع دونـه الاوهـام
قربننا من خير من وطـىء الثرى ... فلهـا علينـا حرمـة وذمـام

وحج بعض المشائخ (   ) فقيل له (   ) ذلك ، فقال : العبد الابق لا يأتى الى بيت مولاه راكبا . لو قدرت أ (ن أمشد) سى على رأسى) لما مس (شميت على قدمى . فقال القاضى ابو الفضل رحمه الله وحد بن لـ (   ) ـن عمر بن بالوحى والتنزيل وترديدها (   ) وعرجت مـ (   ) الملائكة والـروح وضجت ء (   ) (   ) واستغـا (   )
بربتهـا عـلى حسد حـين (   ) (   ) رسولـه

ورقة 169 وجـه

ما آنتشر مدارس آيات ومساجد صلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ، ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ، ومواقف المرسلين .

ومتبوأ خاتم النبيئين حيث انفجرت النبوة ، واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة، واول ارض مس جسد المصطفى ترابها، ( ) ان تعظم عرصاتها وتنقسم نفحاتها ، وتقبل ربوعها وجدرانها . وأنشد :

يـا دار خـير المرسلين ومن بـه	هـدى الانـام وخص بالآيـات
عندى لأجلـك لوعـة وصبابة	وتشـوق متوقــد الجمــرات
وعـلى عهـد ان مـلأت محاجرى	مـن تلكـم الجـدران والعرصـات
لاعفـرن مصون شيبى بينهـا	من كثـرة التقبيــل والرشفات
لـولا العوادى والاعادى زرتهـا	أبـدا ولـو سحبـا على الوجنـات
لكـن منـا هـدى من حفيل تحيتى	لقطـين تلـك الـدار والحجـرات
ان كـامن المسك المفتـن نفحــه	تغشـاه بالآصــال والبكــرات
وتخصــه بــزر الى الصلـوات	ونوامـى التسليـــم والبركـات

خـاتمـــة :

للخاتمة نختم بها الكتاب قصدنا بأن يختم الله لنا بخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو يتضمن تفسير قول عائشة رضى الله عنها فى وصف النبىء صلى الله عليه وسلم بقولها : كـان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه . قال الله تعالى : لعلى خلق عظيم . قال مجاهد : ما كان يأتمر به من أمر الله ، وينتهى عما نهى الله عنه . قال الشيخ شهاب الدين السهروردى : فى قول عائشة رضى الله عنها سر كبير وعلم غامض ما نطقت به رضى الله عنها الا لمـا خصها الله بـه من بركة الوحى وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخصيصه اياهـا بقوله : خذوا عن هذه الحميرى شطر دينكم . ولا يبعد ان قولها فيه رمــز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية . فاحتشمت الحضرة الالاهية ان تقول : كان متخلقا بأخلاق الله تعالى . فغيرت المعنى بقولها : كان خلقه القرآن ( ) قدا ( ) وقدر علمها وكما ( ) بها انتهى ذكره فى الباب التاسع والعشرين فى الخلا (ق) (النبىء) وشرح الخلق فى كتابه عوارف المعارف وقـال ( ) عبد الجليل القصرى فى كتابـه شعـ (ـب) الايما (ن) ( ) حديث عائشة المذكور : كان خلقه القرآن . قال رحمه الله فالقرآن نزل مـ ( ) فى الاسماء والصفات فمن تبعـه ( ) الى من تـزل ( ) قادتك اليه ثم قال الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم : ان لله مائة خلق من

ورقـة 169 ظهـر

أتى الله بخلق منها ادخل الجنة وقد دخل فى باب حسن الخلق هذا كله . فان هذه الخلق على عدد الاسماء وخلافها اماطة سفساف الاخلاق على عدد المائة . وكل خلق يجمع فى نفسه اخلاقا ومكارم . وقال ايضا : واول الخلق اقتداءا بالقرآن

محمد صلى الله عليه وسلم ، وعمل به كله ، واوصلته كل كلمة منه الى الغاية القصوى من المقرب ، ومن اقتدى به بكل آية منه ترك أثرا فى الوجود ، فكل أثر صراط مستقيم وهو سننه المسنونة ظاهرا وباطنا ، والأثر والسنن هو الصراط المستقيم فافهم . والسنن فى اللغة هو الطريق . وكذلك الشارع هو الطريق. وعليه قعدت الشياطين الانسية والجنية لتضل عن سبيل الله . فلا يصدنك قاطع ولا مؤذ عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الظاهر والباطن . فان باطنه هو المطهر المنزه المقدس المبعد عن كل خلق يضاد المعانى الفائضة عن اوصاف القدوس سبحانه ، وكل ظاهرة مقدس منزه عن اتباع الاهواء والاراء الفاسدة والبدع المضلة . لانه انما اتبع ما شرع له وحد ، فكان واصلا الى الله تعالى فى كل حركة تحرك بها فى اسرع من طرفة عين حتى لقد قطع فى ليلة واحدة فى سيره فى الاسراء ظاهرا وباطنا كل مسافة . وطوى فى مسراه البعد كله والقرب اجمعه حتى تخطى رقاب الكون كله الى حضرة الجليل فى مقامات معارج المقربين وتقرب اليـه بجميع انواع مـا شهد من عبادة العابدين قولا ونية وعلما وعملا ظاهرا وباطنا . فشاهد مراتب العالم كل له مقام معلوم ، ليس له من النهضة والعدة ان يجوز ، ويتخطى ذلك المقام الذى هو فيه انما يمد كل أحد من مقامه فنهض هو صلى الله عليه وسلم فى كل مقام ، وهابه كل من فيه وبذلك كان اماما للكل . فاقتـد بـه جهـدك ، وبمن هو على منهجه من الصحابة والصديقين والعلمـاء الراسخين الذين رسخوا فى العلم والعمل والاقتداء بسنن النبىء صلى الله عليه وسلم ظاهرا . وبأحواله ومقامات قلبه وروحه وعلمه باطنا . ولا تظن ان هـذا عسير ، بـل يسير على من يسره الله تعالى (   ) انما ذلك باماطة الاذى عن الطريق المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم : الايمان (سبع وسبعون) شعبة (   ) لا الاه الا الله وادناها اماطة الأذى عن الطريق . فأمط المؤذيات القاطعات (   ) وباطنك تصل بلا كلفة فالطريق اليـه اقرب من طرفة العين (   ) اقرب طريق (وعلى الله قصد السبيل . ومنها جائر ، وهو ما كان يترك اماطة الأذى عن الطريق . فان أبيت أن تميط الأذى عن ذلك) (   ) سورا فى الطريق (   ) يد الشياطين عن الطريق (   )

ورقـة 170 وجـه

وتقبر وتحاسب وتجرى عليك فى المحشر ما قدر لك ، حتى تجوز الصراط ، وتدخل الجنة ان كنت من اهلها . انتهى المقصود من كلامه ، وان كان متفرقا وما أشرف هذا الخلق الذى فسر به خلق النبىء صلى الله عليه وسلم فرضى الله عنـه ونفعنا بعلومه ورزقنا ورود منهل هـذا الخلق السوى والمقام المصطفى بصدق الاقتداء به ، برحمته ومنته ، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير ، لا قوة الا بالله . وهذه قصيدة أنشأتها وسميتها عنوان الاشواق فى مدح فائق

الاخلاق صلى الله عليه وسلم وهى :

دار الحبيب نطيب من ذكراها ... ونحن من شوق الى لقياها
وعلى الجفون تواضعا ومحبة ... لقطينها فنود أن نغشاها
من كان همته اطلاب فضيلة ... فالخير اجمعه حوى مثواها
نـد صح فى الايمان يأزر نحوها ... فعمومه حق فلا يتناها
قـ ـل الجميع بأن مدفن جسمه ... خير البقاع اخصها أزكاها
والحلق فيها ( ) ـدة وبمكة ... حصل الزحام وأنها اياها
يا رب أسأل منك صدق محبة ... وتشوق وتعطش لحماها
ونربة انبيت المشرق قدره ... طوبى لنفس أوطنت برباها
وحصول وصل بالزيادة والرضى ... لحبيبنا ايضا سألت الله
والعيش متسعا لسنته على ... قدم الرضى فى حالة ترضاها
حتى توافى الروح عند مماتها ... بلزومها وقبولها مولاها
فذن الذى أعطيت نفسى سؤلها ... وقبلت دعوتها فيا بشراها
بالقرب من اوفى الخلائق ذمة ... وأجل من بالقرب منه يباها
من جاءنا بالاسلام والذكر الذى ... هو للقلوب دواؤها وشفاها
خير الانام له الوسيلة منحة ... فزرنا هو خير من يعطاها
ا سان خير الخلق سر حياتهم ... يسين ( ) الوجود طه
حسبى فلست أفى بأدنى فضله ... لو كان لى عين الثرى أقواها
أقصر (ضـ) ـل العالمين محمد ... وفضائل المختار لا تتناها
كـ ( ) (ـ) اثلة ف ( ) حا ((... لحين بعد يموت فى ( )
ر) ( ) فى ك ( ) ... فيها يخاطبه وحسبك جاها

ورقة 170 ظهر

ان الذين يبايعونك انما ... فيما يقول يبايعون الله
ويخاطب الروح الولى مواجها ... بنبوة ورسالة اعلاها
فاذا علمت خطابه ومحله ... فعلم بأن علاها ليس تضاها
فله الوسيلة ( ) رية من ربه ... وقفى عليه فما سواه علاها .
وله فخار لا يكون لغيره ... وان اغتدى فى حلمه أواها
صلوا عليه وسلموا يا أمة ... قد أخرجت للناس فى أخراها .
صلوا عليه وسلموا يا أمة ... هديت به حقا فزال عماها
صلوا عليه وسلموا فضلا بكم ... مقبولة يرضى بها مولاها
صلى عليه الله تترا دائما ... وعليه من بركاته أنماها
وعلى صحابته فهم سرج الهدى ... أحبب بعترته ومن والاها
والتابعين لهم باحسان الى ... .يوم المعاد ذخيرة نلقاها
خذها عروسا ذات حسن باهج ... جاءت تميس بحليها وحلاها
هى ختم ما صنفته ووسمته ... بحقائق التوحيد ما أحلاها

ونصرت فيــه الذين حقا معلنا ‏ وشريعة المختــار صنت عماهــا
فتلقـــه يــا رب بقبولـــه ‏ وارفع بــه درجــات من أنشاها
وانشر فوائــده فهــن شرائــع ‏ للــدين قــد تخفى فضر خفاها
وأقيم لــه أهــل الولاية ناصرا ‏ لشريعــة المختــار مــا أولاهــا
صلى عليــه الله مــا سطع الضيا ‏ من نــور سنتــه فمــا أبهاهــا
يــا رب واجعلنا جنــودا جاهــدوا ‏ متحضنــين بعــز عــز حماهــا
تمت وعدتهــا اربعــون مكمــلا ‏ تزهــوا عــلى اترابهــا تتباهــا

قال المؤلف غفر الله وهذا ما انتهى اليه العرض من ايضاح الحق المفترض ببيان حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وبيان احوال المبتدعة والملحدين بما يشفى (صدور) أهــل السنة ( ) ويكنس رؤوس أهــل البدع والالحاد فليهن مورده من وقف من أهل السنة عليه وليشدد ذو العنايــة والطنانة به يديه . فهو نسيج وحده في بابــه المشتمل على واضح التوحيد صوابه والحامى حماه من هـ ( ) ـات الجمل فاسمه ( ) ولفظه مطابق لمعناه الفته وقد رفعت اليــه ( ) ( ) كؤوسها وأقل من اعيان أهل السنة شموسها . وأظهر الله مبررزين برزوا في

ورقــة 171 وجــه

ميدان الجهاد لمن حاد الله ورسوله فأردفهم الحق بهــذا التأليف ممن حقق فــروع الدين وأصوله . وكرع من شراب الصوفية وعلم مصطلحات أهــل الطريق وتطلع على مذهب الاتحادية الملاحدة ومذاهب المبتدعة من كل فريق شرع فيه بقلب خال من التعصب بالهوى ومن المحاباة على الدين للدنيا طالبا رضى من يعلم السر والنجوى ، والفوز بالدرجات العــلا ، والنجاة من الدركات السفلى . فحقق اللهم رجانا فيك ، واجعلنا من خيار انصارك ومحبيك . وقد تحرر تصحيحه في نحو عشر سنين اللهم فانصر به الدين وانفع به المسلمين برحمتك يا ارحم الراحمين . وصلى الله على مظهر رحمتك الاجمع ومستقر الفيض الاوسع محمد معدن استمداد من دعى الى الله وشرع . وسلم عليه يا أنت السلام واجعلني من ورثة جمعيته عليه أفضل الصلاة والسلام . وحقق لى عبوديتي ومحضها من شوائب الدعاوى والهوى ياذا الجلال والاكرام . واحفظ جميع عوالمي من غلبات تحكمات من يتعاطى الاحكام . بواقيه كواقيه الوليد من رحمتك ، وحياطه محيطة من قدرتك ، بحماية حم عسق ، وكفاية كهيعص ، فسيكفيهم الله وهو السميع العليم . وصلى الله على سيدنا محمد افضل الصلاة والتسليم .

قــال المؤلف غفر الله له اتفق الفراغ من بياضه ثانى عشر ذى الحجة سنة تسع وعشرين وثمانى مائة سوى مواضع كثيرة الحقهــا للهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وقال ايضا قابلت هذه النسخة مرة بعد مرة وصححت جميعها فليعتمد عليها مع توفيق الله .

أنهــاه نساخه على المبيضة ومقابلة على المسودة والمبيضة

بعون الله تعالى حسين بن الاهدل (   ) ضحوة
(   ) الجمعة (سعة) ثامن شهر رجب الفرد الحرام احد شهور سنة سبع وتسعين وثماني مائة وذلك بحسب (القدرة) والاستطاعة وصلى الله على نبي الرحمة والشفاعة محمد مبعوث في نفس الـ (   ) عه . رزقنا الله بمحبته واتباعه وجعلنا من خيار أهل السنة والجماعة ـ والله على كل شيء قدير وذلك على الله يسير .

ورقة 171 ظهر

وقال المؤلف رحمه الله ورضي عنه في آخر الدفة من مسودته ما مثاله : يقول الفقير الى عفو الله تعال بن الاهدل : هذه وصيتي للاولاد والاصحاب وعقيدتي التي كنت عليها في الحياة وأموت عليها ان شاء الله . اني أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك لـه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . وان مـا جاء بـه الكتاب والسنة الصحيحة فهو حق وصدق . أ (مـ) ـور الاحكام واحوال الاخرة ، وغير ذلك . واما ما كان في صفات الله تعالى فتمر كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل مع اعتقاد التنزيه عن سمات المخلوقين . وان احتيج الى تاويل رجع فيه الى أهل السنة المحققين دون الظاهرية وسائر المبتدعين فعليكم باتبـاع الكتاب والسنة واعتصموا بحبـل الله جميعـا ولا تفرقوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تمنعوا حقا وجب عليكم ولا تطلبوا ما ليس لكم ولا تبتدعوا بدعة في الدين . ومـا قيل لكم عن العلماء هو بدعة فاجتنبوه وان رأيتم من يفعلـه فترك بعض السنن أهون من اقتحام البدعة واجتنبوا العمل بغـرائب الاحاديث والمسائل ، ففي السنن المشهـورة كفاية تستغرق العمر . ولا تحملنكم اشعبية الطمع على العمل الذى فيه ثواب جزاف متغالية لا يصح عند العلماء المحققين . فخذوا بالاصح واجتنبوا رخص العلم الموقعـة الشبهات وخوارم المروءات وعليكم بطلب العلم فهو أفضل الأعمال وأنفس القرب . وخـذوا من العلم أصحه ومن العقائد مـا عليه المحققون من العلماء الأشعرية ، فهم على عقائد السلف والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعليكم بطلب الحلال والتعفف عن السؤال ، وعن القبول من الخلق الا لضرورة . وانتظروا فضل الحق ، فقد ضمن الله الرزق للمعرضين عنه ، فكيف من أقبل عليه . وفي الحديث من طلب العلم تكفل الله برزقه . وفي صحيح مسلم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يستغن يغنـه الله ومن يستعفف يعفـه الله ومن يصبره الله . وما أعطى أحد عطاء اخيرا وأوسع من الـ (ا) ـبر . ثم من فتح الله عليـه شيئا من الدنيا فـلا يغتر ولا يشتغل بهـا ولا تعجبه ثـ (   ) ـرتها . ان آفاتها ومضارها أكثر من نفعها الا ما وقى الله وأجر الانفاق منهـا لا يكاد يكو (ن) كفارة لذنو (ب) (   ) والشغل بهـا عن الله ومن أدخر شيئا فليكن فيه كالعبد الخازن مال مولاه (   ) في جوائح عباد الله من الـ (   ) ونحو (   ) يقدم نفسه ثم من يعو ( ) ثم الرحم ثم الجار . و (علـ) ـيكم بالـ (ـعفة) مع الجـار (والصلاة) والصيـام

وبيـان (ن) فـروض الاسلام · وبتـرك المعـا (صى) (مـــا ظهـــر)
ورقـة 172 وجـه

(منها) (   ) ومـا بطن · وبمـانبه العصاة والظلمـة وأهل البـدع والعلماء الغافلين . فان احتجتم الى عملهم فسلوهم عن الأحسن والاولى والأفضل والاروع والاحوط . واجتنبوا الرخص قال الله تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه · وقال تعالى : واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم · أى الفرائض والفضايل · وعليكم بدوام الطهارة والذكر والصمت و نشرة الخلوة والعزلة على العلم والعمل ولا تكونوا بالرزق مهتمين فتكونوا للرزاق متهمين . وعليكم بحسن الخلق للناس اجمعين ، والشفقة على جميع المسلمين وحسن الظن بجميع الصالحين المعروفين وترك الاعتراض على أقوالهم وأحوالهم الا ما خالف الشرع ولا تغتروا بمن نسبه العوام الى الصلاح من الغربـاء والمجهولين حتى تختبروا دينه وامانته . وتسألوا عنه أهل التمييز من العلماء الراسخين لئلا تقعوا فى اعتقاد المبتدعين او الملحدين كابن عربى واتباعه الضالين . واحذروا من كتبهم فهى محشوة ضلالا والحادا فى الدين . واحذروا ايضا من كلام سائر المتصوفين ففيه الغث والسمين ، الا ما كان من علمائهم المحققين فقد قال شيخهم الجنيد ابـن محمد رحمـه الله ورضى عنـه : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الشأن لأن علمنا هذا مقيد · وقال مؤيد بالكتاب والسنة· وقال الشيخ ابو عبد الله بن حفيف الشيرازى ، لأصحابه اشتغلوا بتعلم ما ينفعكم ولا يغرنكم كلام الصوفية · (لقد كنت) أخبا محبرتى فى جنب مرقعتى والكاغذ فى حجرتى وكنت أحضر مجالس العلمـاء مختفيا فـاذا علموا بـى خاصمونى وقالوا لى لا تتعلم أبدا . ثم انهم احتاجوا الى . فمن لمست همته الى علومهم فعليه بالرسالة القشيرية وعوارف المعـارف للسهروردى وعليـه بالفحص والتـدبر والتعقل للمعانى المليحة المتعقدة بالنقول الصحيحة ، ومـا أشكل على ظاهر الشريعة رجع فى معناه الى أهل التحقيق ، فان صح له وجه عندهم والا ترك . واما ما حالوا ظاهر الشريعة فيرد على قائله كائنا من كان وعليكم بالكتب التى هى دعائم الاسلام من الحديث والتفسير وكتب الفقـه فى الدين من تصانيف المحققين دون اطراف الكتب المصنفات الـ (   ) (   ) نعم وفى كتب بعض الائمة ايضا بعض مقالات متروكـات واحـا (ديث) موضوعات وقـد ينـ (   ) العلماء الراسخون فـ (   ) وا صححوه (   ) (   ) فعمل قليل (من) سنة خير من عمل (كثـير فى بـــد) (عـــة   ) على ان صحـاح السنن تستغرق العمـر وفى تقـوى الله شامـل شاغـل لكـلام (   ) (   ) (   ) (   ) (   ) يا أيها الذين آمنوا ان تتقـوا الله يجعل لكـم فـرقـانا ويكفـر عنكـم (سيئـاتكـم ويغفـر لكـم) والله ذو الفضـل العظيم · جعلنا الله واياكم (   ) (   ) اللهم توفنا مسلمين (واجعلنـ) ـا (لسنة نبيك) محبين (   ) (   ) (   ) (   ) (   ) فـى السنـة ممـن لا يعبـ (   ) (   )

ورقـة 172 ظهـر

فهرس الاعلام

تصـويبـــات

ص		سطر		اقرأ	
ص	68	سطـر	2	اقـــرأ	— فى خلقه
»	»	»	3	»	— ولا غير ذلك
»	»	»	20	»	— عليه السلام
»	193	»	24	»	— بخلقى لهم
»	243	»	29	»	— أو مدبرا
»	250	»	3	»	— جنيـد
»	»	»	29	»	— أبو النجيب السهروردى
»	256	»	5	»	— طبقات الشافعية ، وذكر أنه اتهم
»	261	»	25	»	— هم يوقنون
»	264	»	32	»	— محمد ابن أبى زيد
»	309	»	6	»	— أعفوا عن مسيئهم

المحتويات

